

موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول

بين مؤيد ومخالف

مع دراسة وتحقيق مخطوطة

بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام

للمؤرخ / محمد بن يحيى المطيب الزبيدي الحنفي

رسالة مقدمة من الباحث

أحمد صالح عبدربه المصري

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث

تحت إشراف

مشرف رئيس

أ.د. سيد مصطفى سالم

مشرف مشارك

د. محمود قاسم الشعبي

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م



Date:.....
Our Ref:.....

قرار لجنة المناقشة والحكم رقم (٧٧) لسنة ٢٠٠٦ م

انه في يوم الأحد ١٤٢٧/٥/٢٩ هـ الموافق ٢٠٠٦/٦/٢٥ م اجتمعت لجنة المناقشة والحكم على رسالة الماجستير المقدمة من الطالب / احمد صالح عبد ربه المصري المسجل بكلية/ الآداب / قسم/ التاريخ والمشكلة بقرار من مجلس الدراسات العليا والبحث العلمي في محضر اجتماعه (السابع) بتاريخ ٢٠٠٦ / ٦ / ١١ م بتشكيل لجنة المناقشة والحكم من الأساتذة:-

- | | | |
|---------------------------------|---------------------------------|--------|
| ١- أ. د/ سيد مصطفى سالم | المشرف الرئيسي على الرسالة | رئيساً |
| ٢- أ.د/ عبد المناف النداوي | ممتحناً خارجياً - جامعة الحديدة | عضواً |
| ٣- أ.د/ حسين بن عبد الله العمري | ممتحناً داخلياً - جامعة صنعاء | عضواً |

عن رسالته الموسومة بـ(موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومخالف مع دراسة وتحقيق مخطوطة بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام للمؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي)

وقد قام الطالب بعرض موضوع رسالته بشكل جيد ثم ناقشت اللجنة الطالب . وبناءً على ما تقدم توصى اللجنة بالآتي:-

يمنح الطالب/ احمد صالح عبد ربه المصري درجة الماجستير في الآداب قسم التاريخ تخصص تاريخ حديث ومعاصر بتقدير ممتاز مع الالتزام بالارروطات التي اشترتها

وعلى الطالب إجراء التعديلات المطلوبة منه (إن وجدت) أثناء المناقشة .
توقيعات أعضاء لجنة المناقشة والحكم على القرار:-

١. أ.د/ سيد مصطفى سالم
٢. أ.د/ عبد المناف النداوي
٣. أ.د/ حسين بن عبد الله العمري

مندوب الدراسات العليا





قائمة المحتويات

١	الأهداء
٣	المقدمة
١٠	القسم الأول
١١	الفصل الأول: القوى السياسية في اليمن وموقفها من التوسع العثماني
١٢	الأوضاع السياسية الداخلية في اليمن قبيل وصول العثمانيين
٢١	مواقف القوى السياسية في اليمن من الزحف العثماني
٥٤	الفصل الثاني: المؤرخون وحركة التأليف التاريخي
٥٥	مراحل الصراع السياسي وتأثيرها على كتابة التاريخ
٥٨	المؤرخون اليمنيون المنحازون إلى جانب العثمانيين (مؤرخو السلطة)
٥٩	محمد بن يحيى المطيب الزبيدي
٥٩	المطيب وكتاب التيجان الواقعة الثمن
٦٢	عبدالله بن صلاح بن داعر
٦٥	عبد الصمد الموزعي
٦٧	أحمد بن يوسف بن فيروز
٦٩	عيسى بن لطف الله بن المطهر
٧٠	المؤرخون المنحازون إلى جانب أئمة الزيدية (مؤرخو المعارضة)
٧١	الحسن بن محمد الزريقي
٧٢	أحمد بن شائع اللوزي
٧٣	صلاح بن داوود داعر المرهبي
٧٥	أحمد بن محمد الشرفي
٧٦	المطهر بن محمد الجرزموزي
٧٨	علي بن المهدي بن الهادي النوعة وكتاب تاريخ دولة الترك في اليمن
٨٥	عوامل ازدهار حركة التأليف التاريخي في العهد العثماني الأول
٨٦	أولاً : أهمية علم التاريخي
٨٨	ثانياً : الموقع والموضع الجغرافي
٨٩	ثالثاً: العامل المذهبي
٩١	رابعاً : العامل السياسي
٩٢	خامساً : تشجيع الحكام والولاة
٩٦	سادساً : العامل الذاتي
٩٨	سابعاً : النشاط العلمي
١٠١	الفصل الثالث: توظيف الدين في خدمة الأغراض السياسية من واقع كتابات المؤرخين
١٠٢	توظيف الدين في كتابات المؤرخين
١٠٨	توظيف النص القرآني والحديث النبوي
١٣٠	توظيف المفردات الفقهية والأدعية

١٣٧	فصل لربيع: توظيف لكرامات 'السند الغيبي' ولشعر في خدمة الأعراس لسباسبية من واقع كتبت لمؤرخين
١٣٨	توظيف الكرامات "السند الغيبي"
١٥٦	توظيف الشعر
١٧٣	الخاتمة
١٧٩	القسم الثاني
١٨٠	الدراسة والتحقيق
١٨١	ترجمة حياة المؤرخ المطيب
١٨٦	أسباب اختيار المخطوطة
١٨٦	منهج المؤرخ
١٨٩	البحث عن نسخ المخطوطة
١٩١	وصف المخطوطة
١٩٤	منهج التحقيق والنشر
١٩٧	أهمية المخطوطة
١٩٨	محتويات المخطوطة
١٩٨	النواحي السياسية
٢٠٣	النواحي العسكرية
٢٠٦	النواحي الإدارية والمالية
٢٠٩	النواحي الاجتماعية (المناسبات الدينية والأعمال الخيرية)
٢١٠	النواحي الاقتصادية والعمرانية
٢١٦	النسب
٢١٨	مقدمة
٢٢٢	الباب الأول
٢٣٠	الباب الثاني
٢٤٦	الباب الثالث
٢٤٨	الباب الرابع
٢٥٧	الباب الخامس
٢٦٢	الباب السادس
٢٧٤	الباب السابع
٢٨٤	تتمة
٢٩٢	الملاحق

إهداء

إلى من أحسنا تربيته

وعلماني معنى الحياة

وفقد الصعاب أمامي

والدي

إلى المغفور لهما بإذن الله تعالى

الشيخ / مظهر سعيد المصري

والشيخ / صلاح محمد المصري

إلى زوجتي وإخوتي

إلى أولادي أرواحهم، إيمانهم، وأرجحهم

أهديهم جميعاً هذا العمل المتواضع.

كلمة شكر

عرفانا بالجميل أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي القدير شيخ المؤرخين الأستاذ الدكتور/ سيد مصطفى سالم. الذي تحمل أعباء الإشراف على هذه الرسالة، وغمرني بعطفه الأبوي، وبملاحظاته وتوجيهاته العلمية القيمة، فكان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في إخراج هذا الدراسة إلى حيز الوجود.

وبالشكر والعرفان للدكتور / محمود الشعبي. المشرف المشارك على هذه الرسالة، والذي كان لملاحظاته العلمية والفنية القيمة بصمة واضحة في إنجاز هذه الدراسة. وبالشكر والتقدير لرئيس جامعة زمار، وأعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعتي صنعاء وزمار.

وبخالص الشكر والتقدير لعميد الأسرة اللواء الركن/ مطهر رشاد المصري، ونفيلسوف الأسرة الأستاذ/ عبد القدوس المصري.

وبالشكر والعرفان للأستاذ / أحمد المجذوب الذي تكرم بمراجعة هذه الرسالة لغوياً، وللأستاذ/ أحمد الجبلي، الأستاذ/ جلال المصري، والأستاذ/ سعيد المصري الذين كانوا خير سند لي في مراحل كتابة هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأمناء المكتبات، وأخص بالذكر الأستاذ/ عبده أحمد القدسي. أمين مكتبة كلية الآداب بجامعة صنعاء، والأستاذ/ عبدالله الشرفي. أمين مكتبة مركز الدراسات والبحوث اليمنى.

وأخيراً أتقدم بالشكر والعرفان لمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية بصنعاء ممثلة في شخص الأستاذ عبد السلام الوجيه، والتي زودتني بالعديد من المصادر القيمة.

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:ـ

يقول الإمام الشيرستاني في مقدمة كتابه الملل و النحل "وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُـل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُـل على الإمامة في كل زمان". ومقولة الإمام هذه انبثقت من قراءته لتاريخ الأمة الإسلامية، بما حملته من صراعات بين القوى المتنافسة على الحكم.

وتاريخ اليمن ليس بمنأى عن ذلك فقد شهدت مراحلها المختلفة وقوع العديد من الصراعات بين قوى مختلفة على الحكم، وما وقع من حروب بين أئمة الزيدية والعثمانيين خلال الفترة ٩٤٥ - ١٠٤٥هـ / ١٥٣٨ - ١٦٣٥م [فيما يعرف بالعهد العثماني الأول في اليمن] هو امتداد لتلك الصراعات، حول نفس الغاية، ولا يختلف عنها كثير بما أريق فيها من دماء، ودمار في الممتلكات.

وقد وقع الصدام السياسي والعسكري بين الطرفين عندما انحرف العثمانيون عن مسارهم في مواجهة الخطر البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي، بتوغلهم في مناطق اليمن الداخلية الخاضعة لسلطة الإمام شرف الدين. والتي كانت تمثل المجال الحيوي لمحاولات إقامة الدولة الزيدية فيها، الأمر الذي دفع الأئمة الزيديين من آل شرف الدين، ثم آل القاسم إلى مواجهة تقدم العثمانيين في تلك المناطق، ودخلوا معهم في حروب استمرت ما يقارب مائة عام، انتهت بإخراج العثمانيين من اليمن للمرة الأولى سنة ١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م.

استدعت ظروف الحرب بين أئمة الزيدية والعثمانيين وهما طرفان مسلمان، سعي كل طرف إلى إيجاد مبررات شرعية - أيديولوجيا التبرير - لإضفاء نوع من الشرعية على أعماله السياسية و العسكرية، ونفي صفة الشرعية عن خصمه السياسي. ومن أجل تحقيق ذلك تبنى الطرفان خطابات سياسية مؤطرة دينياً، وأصبح من حينها ميدان الفكر أحد ميادين الصراع، حيث شكلت النصوص الدينية و الأشعار والمرويات التي تحكي وقوع الكرامات لزعماء الحرب، أهم عناصر ذلك الميدان. وصارت قضية توظيفها واستغلالها سياسياً من أولويات ذلك الصراع، الأمر الذي دفع القوى المتصارعة إلى تشجيع وأستمالة العلماء وخاصة

المؤرخين، للمشاركة في إدارة هذا المحور، لما يملكونه من قدرات علمية ولغوية يستطيعون من خلالها إعادة الادعاءات السياسية بتعبير دينية، تضيف نوعاً من الشرعية على الأعمال والتصرفات السياسية لكل طرف.

وقد ترتب على اشتراك المؤرخين في أحداث الصراع، أن وجدت حالة من الصراع الفكري بين المؤرخين أنفسهم، حيث انضوى العديد منهم تحت لواء كل طرف، وعملوا على أيجاد التبريرات الدينية لتصرفات من انحازوا إليه. كما شنوا حملات دعائية ضد خصومهم، فكانوا بمثابة وسائل إعلام للقوى المتصارعة. وقد لقيت أحداث هذا الصراع حظاً من الدراسات الأكاديمية، خاصة فيما يتعلق بالجوانب السياسية والعسكرية. إلا أن ثمة جانباً فيه لم يلق حظاً من الدراسة والبحث - مقارنة بالجانب السياسي - ألا وهو الجانب الفكري لذلك الصراع ودور المؤرخين في أحداثه، فقد مثل هذا الجانب الركيزة الأساسية التي انطلق منها الطرفان لخوضهما حروب سياسية تحت مبررات شرعية.

علي الرغم من وجود دراستين في هذا الخصوص، الأولى أعدها الدكتور سيد مصطفى سالم بعنوان "المؤرخون اليمينيون في العهد العثماني الأول"، تناول فيها تصنيف المؤرخين اليمينيين في العهد العثماني، وظروف ودواعي ازدهار حركة التأليف التاريخي في تلك الفترة، ودراسة ثانية أعدها الدكتور حسين بن عبدالله العمري بعنوان "المؤرخون اليمينيون في العصر الحديث" والتي عقب في قسمها الأول على ما ورد في كتاب الدكتور سيد سالم، ثم تتطرق فيها أيضاً إلى المؤرخين اليمينيين في العصر الحديث.

إلا أن هاتين الدراستان لم تتطرقا إلى قضية الصراع الفكري بين العثمانيين و أئمة الزيدية، والخطاب السياسي والديني الذي تبناه كل طرف، ومراحل تلك الخطابات، ودور المؤرخين في أحداث ذلك الصراع. وهو ما حاول الباحث أن يتطرق إليه في هذا البحث.

وجاء اختيار الباحث لهذا الجانب ليكون موضوع دراسته لتبيل درجة الماجستير، سعياً منه لمحاولة إبراز دور وأثر الصراع الفكري في أحداث الصراع السياسي، نظراً لما يمثله من أهمية في توسيع أفق الرؤيا في تناول تاريخ تلك المرحلة، ولإظهار أهم جوانب الصراع الدائر حينها. لأنه لا يمكن بأي حال من

الأحوال دراسة صراع سياسي دون التطرق إلى الأبعاد الفكرية التي غذته، والوسائل التي وظفت فيه، خاصة إذا ما تبنت أطرافه شعارات وخطابات دينية، حيث تصبح حينها ساحات المعارك الحربية ترجمة عملية لصراعات فكرية خفية.

وقد أثار البحث مجموعة من التساؤلات حاول الباحث من خلال الإجابة عليها في فصول هذه الدراسة، أن يخرج بتصور واضح عن الجانب الفكري للصراع السياسي الذي دار بين الأئمة الزيدية والعثمانيين، وموقف المؤرخين من أحداثه. بما حملته من مفردات وخصوصيات. وتمثلت تلك التساؤلات بالآتي.

— ما المبررات الشرعية التي على أساسها خاض طرفا الصراع حربهما تلك، بمعنى آخر ما هي أيديولوجيا التبرير التي تبناها كل طرف في خطابيه السياسي، لإضفاء الشرعية على أعماله السياسية والعسكرية؟

— ما هي الوسائل التي عمل كل طرف على توظيفها لتأكيد شرعيته؟

— إلى أي مدى اعتمد كل طرف على المؤرخين في إيجاد المبررات الشرعية، لخوض أحداث الصراع السياسي؟

— ما الدور الذي لعبه المؤرخون في أحداث ذلك الصراع؟

ولمحاولة الإجابة على هذه التساؤلات لا بد من العودة إلى مصنفات المؤرخين اليمنيين المعاصرين لتلك المرحلة، والذين اشتركوا في أحداثها، ودونوها في مؤلفاتهم، التي تعد بمثابة الوعاء الذي أستوعب أحداث تلك الفترة السياسية منها والعسكرية، وتجسدت فيها خطابات القوى المتصارعة، ووسائلها المختلفة في ترويج ذلك الخطاب.

وقد اختار الباحث مجموعة من المصنفات التاريخية، التي دونت أحداث تلك المرحلة من وجهات نظر متباينة، لتكون زاده في رحلة بحثه هذه. حيث اختار بعض مصنفات المؤرخين اليمنيين المنحازين إلى جانب العثمانيين، أو ما يمكن أن نسميهم بمؤرخي السلطة، انطلاقاً من الوضع السياسي للدولة العثمانية، إذ كانت تمثل امتداداً لدولة الخلافة الإسلامية في نظر الكثير من أمراء وعلماء تلك الفترة،

وشكلت سلطة رسمية شرعية باعتراف العديد من أمراء و أئمة الزيدية، ومؤرخي تلك الفترة أيضاً. ومن أهم تلك المصنفات: الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية،

للمؤرخ عبدالله بن داغر، وبلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام، للمؤرخ محمد المطيب الزبيدي، و الإحسان في دخول مملكة اليمن في ظل عدالة آل عثمان، للمؤرخ عبد الصمد الموزعي، ومطالع النيران في تاريخ اليمن، للمؤرخ أحمد بن فيروز.

كما اعتمد الباحث على مجموعة من مصنفات المؤرخين اليمنيين المنحازين إلى جانب أئمة الزيدية، أو من يمكن أن نسميهم بمؤرخي المعارضة، انطلاقاً من الوضع السياسي لأئمة الزيدية، حيث اعترفوا بسلطة الدولة عليهم، إلا أنهم شكلوا حالة معارضة لأداء ولاة (ممثلتي) الدولة في النواحي الإدارية والسياسية في اليمن. ومن أهم تلك المصنفات: الجوهرة المنيرة، والنبذة الشيرة، للمؤرخ المطهر الجرموزي، واللآلئ المضئية، للمؤرخ أحمد الشرفي. وسيرة الإمام الحسن بن علي، للمؤرخ أحمد بن شابع اللوزي، وسيرة الإمام شرف الدين، للمؤرخ الحسن الزريقي.

وقد قسّم الباحث دراسته إلى قسمين:

القسم الأول منها تمحور حول موضوع البحث والمتمثل في دراسة موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومخالف حيث تناول الباحث هذه الدراسة في أربعة فصول.

الفصل الأول: القوى السياسية في اليمن وموقفها من الزحف العثماني:

تطرق هذا الفصل إلى دراسة المتغيرات الدولية التي حدثت في منطقة جنوب البحر الأحمر خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، والمتمثلة في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، ووصول الحملات البرتغالية إلى السواحل اليمنية، وما ترتب على ذلك من وصول الحملات المملوكية، ومن ثم العثمانية لإيقاف ذلك الزحف. وتناول فيه أيضاً أوضاع اليمن الداخلية، وأهم القوى السياسية التي تقاسمت الحكم والسيطرة في اليمن، وموقفها من التواجد العثماني في السواحل اليمنية، وتناول قضية الصراع السياسي بين العثمانيين وأئمة الزيدية الذي وقع بعد التوغل العثماني في المناطق الداخلية لليمن، والذي استمر مائة عام تقريباً، وركز الباحث فيه على مسألة الخطاب السياسية التي تبناها أطراف

الصراع لتبرير حروبهم، وحاول تتبع مراحل تطور مضمون تلك الخطابات، وأهم مفرداتها السياسية.

الفصل الثاني: المؤرخون وحركة التأليف التاريخي.

تطرق هذا الفصل إلى دراسة دور المؤرخين في أحداث الصراع، وتأثير تطور مراحل على الكتابة التاريخية، وأختار الباحث مجموعة من أشهر مؤرخي السلطة والمعارضة كنماذج أساسية للدراسة، لتوضيح أهم العوامل التي أثرت في توجهات المؤرخين، وتحيزهم لأطراف الصراع، والجديد الذي حاول الباحث تقديمه في هذا المجال هو التعرف على أصحاب المصنفات التاريخية التي كانت تُعد إلى وقت إعداد هذه الدراسة من المصنفات مجهولة المؤلف. كما تطرق إلى عوامل ازدهار حركة التأليف التاريخي في هذه المرحلة.

الفصل الثالث: توظيف الدين في خدمة الأغراض السياسية من واقع كتابات المؤرخين.

تناول هذا الفصل موضوع المنطلقات الفقهية التي بنى عليها طرفي الصراع خطابهم السياسي، وسعيهم لإيجاد المبررات الشرعية لحروبهم تلك، وتناول أيضاً قضية توظيف الدين بفروعه " النص القرآني، الحديث النبوي، المفردات الفقهية" والتي كانت الركيزة الأساسية للخطاب السياسي لدى الطرفين، ووسيلة رئيسة عمل من خلالها طرفي الصراع على محاولة إقناع العلماء "النخب المتقفة" بشرعية حروبهم، ودرجة تفاوت ذلك التوظيف لدى القوى المتصارعة، وأسباب ذلك التفاوت. وحاول الباحث تتبع دور المؤرخين في ذلك التوظيف، من خلال ما ورد في مؤلفاتهم التاريخية بهذا الخصوص.

الفصل الرابع: توظيف الكرامات " السند الغيبي" والشعر في خدمة الأغراض السياسية من واقع كتابات المؤرخين.

تناول هذا الفصل دراسة الوسائل الأخرى التي كانت موجهة لمخاطبة المجتمع عامة، و التي عمل طرفا الصراع ومنهم المؤرخون على تشجيع نشرها، وتوظيفها بما يخدم توجهاتهم السياسية، وأهم هذه الوسائل هي الكرامات والبركات التي عمل

طرفا الصراع من خلال توظيفها على إظهار من اختص بها بمظهر الولي الصالح، وإحاطته بهالة من القداسة، لتأكيد وقوف المشيئة الإلهية إلى جانبه في أحداث الصراع السياسي. كما تناول هذا الفصل توظيف الشعر كوسيلة دعائية حاول طرفا الصراع من خلاله إبراز مفردات خطابهم السياسي، ووجهوا من خلاله أيضاً دعوات صريحة للالتفاف حول هذا الطرف أو ذاك.

الخاتمة:

وفيها تناول الباحث أهم النتائج التي توصل إليها، في فصول الدراسة.

القسم الثاني:

في هذا القسم من الدراسة قام الباحث بدراسة وتحقيق مخطوطة "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام" للمؤرخ اليمني محمد بن يحيى المطيب الزبيدي، متبعاً في ذلك المنهج العلمي المتعارف عليه في تحقيق المخطوطات.

وعند شروع الباحث في إعداد هذه الدراسة واجهته الكثير من الصعوبات منها: أن معظم المصادر الأصلية لهذه الدراسة ما يزال مخطوطاً، والعديد منها غير موجود في المكتبات الرسمية، خاصة ما يتعلق بمصنفات مؤرخي السلطة، وما هو موجود منها في المكتبات العربية مصور على أشرطة ميكروفيلم، ومن المخطوطات التي تمكن الباحث من الحصول على صور لها: مخطوطة بلوغ المرام في تاريخ مولانا بهرام. للمؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي، ومخطوطة الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية. للمؤرخ عبدالله بن صلاح بن داعر، ومخطوطة التيجان الوافرة الثمن. للمؤرخ مجهول، ومخطوطة مطالع النيران في تاريخ اليمن، للمؤرخ أحمد بن يوسف بن فيروز.

أما ما يتعلق بمصنفات مؤرخي المعارضة، فالوضع أحسن عما سبق، إلا أن بعض المخطوطات غير موجودة في المكتبات الرسمية، الأمر الذي استدعى من الباحث الاستعانة بالمؤسسات الثقافية - مثل مؤسسة الإمام زيد بن علي - للحصول على صور منها، ومن هذه المخطوطات التي حصل الباحث على صور لها محفوظة على أقراص مدمجة: مخطوطة سيرة الإمام الحسن بن علي المؤيد. للمؤرخ أحمد بن شايع اللوزي، ومخطوطة سيرة الإمام شرف الدين. للمؤرخ الحسن الزريقي.

وقد استعان الباحث بالله سبحانه وتعالى وتحلى بالصبر، في محاولة التغلب على تلك الصعوبات، وإخراج هذه الدراسة المتواضعة إلى حيز الوجود، معتمداً على ما توفر لديه من المصنفات التاريخية التي استقى منها مادته العلمية: مثل كتاب الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة، للمؤرخ المطهر بن محمد الجرهموزي. تحقيق الدكتورة أمة الملك الثور، وكتاب النبذة المشيرة في جمل من عيون السيرة لنفس المؤرخ، تحقيق الدكتور عبد الحكيم الهجري، وأعتمد الباحث أيضاً على مخطوطة اللآلئ المضيئة للمؤرخ أحمد الشرفي، وكتاب الإحسان للمؤرخ عبد الصمد الموزعي، الذي نشره المركز الفرنسي بالقاهرة، وكتاب البرق اليماني، للمؤرخ قطب الدين النهروالي، وعلى كتاب الفتح العثماني الأول لليمن للمؤرخ الدكتور سيد مصطفى سالم، وغيرها من الكتب العربية والأجنبية، والتي شكلت العمود الفقري لبنية هذه الدراسة.

وأعتمد الباحث في دراسته هذه على المنهج التحليلي القائم على تفكيرك المعلومات وتحليلها، ومن ثم إعادة تركيبها للوصول إلى النتائج المتوخاة.

كانت تلك مقدمة حاولت أن أوجز فيها فكرة البحث، وتقسيم فصوله، وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقت في استجلاء الفكرة وإيصالها إلى القارئ بصورة مرضية، مع اعترافي بالقصور سلفاً أن الكمال لله وحده. وأقتبس هنا نص الأستاذ أحمد أمين الذي وجدت فيه تعبيراً عما يحز في صدري تجاه هذا العمل، وهو نص اختتم به مقدمة كتابه ضحى الإسلام بقوله "ولو حاولت أن استوفي الكلام في كل فصل لكان كل فصل كتاب، فإن نجحت في إثارة الباحثين لنقده، وتصحيح خطئه، وتوسيع مباحثه، فذلك حسبي، وحسبنا الله ونعم الوكيل".

القسم الأول

الفصل الأول

القوى السياسية في اليمن وموقفها من
التوسع العثماني

الأوضاع السياسية الداخلية في اليمن قبيل وصول العثمانيين:

تزامن دخول اليمن مرحلة العصور الحديثة – بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي – مع أحداث ومتغيرات دولية وتحديات خارجية، ومشاكل واضطرابات داخلية. شكلت في مجملها منعطفاً مهماً في مسار تاريخ اليمن والمنطقة. ففي أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح، ووصلت أولى رحلاتهم مباشرة إلى الهند عام ١٤٩٨م بقيادة الرحالة فاسكودا جاما، وبفضل هذا الاكتشاف تحكّم البرتغاليون بطرق التجارة البحرية في المحيط الهندي. وكان وصولهم إلى تلك المنطقة بدوافع اقتصادية ودينية، تمثلت في رغبتهم في المشاركة في أرباح تجارة الشرق، وانتزاع احتكار مصر والبندقية لتلك التجارة، ومواصلة الحروب الصليبية التي شنوها ضد المسلمين في شبه جزيرة إيبيريا وشمال إفريقيا^(١).

عمل البرتغاليون من وراء مواصلتهم لتلك الحروب، إلى تكوين إمبراطورية مسيحية في شرق إفريقيا، ومهاجمة الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة، كما طمحوا في استرجاع القدس من أيدي المسلمين^(٢). فشهدت منطقة المحيط الهندي والبحر الأحمر تقدم حملاتهم العسكرية، وتهديدها للمقدسات الإسلامية، ومهاجمتها للسفن العربية وإغراقها. مما ترتب على ذلك تدهور كبير لحركة التجارة في المنطقة، وفقدان اليمن ومصر مصدراً مهماً من مصادر اقتصادها^(٣).

دفعت تلك التطورات بسلاطين المماليك في مصر، التي كانت تعد دولتهم من أقوى الممالك الإسلامية في تلك الفترة، إلى إرسال الحملات العسكرية للتصدي لهذا

(١) سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م. القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٢م، ط الرابعة، ص ٦٢.

(٢) Bidwell, Robin: The Two Yemens. Longman Westview Press, (١)

U.S.A., first published, 1983, p 16 - 17

(٣) عمل البرتغاليون على احتكار تجارة الشرق، وأرسلوا حملاتهم البحرية سنوياً إلى بلاد الهند وشرق أفريقيا لجلب البضائع، فتكدست في أسواقهم، وغرقت بأسعار أرخص خمس أضعاف ما هي عليه في أسواق الإسكندرية والبندقية وبيروت، الأمر الذي أدى إلى نزوح تلك البضائع في أسواق تلك المدن، خاصة بعد أن تعرضت السفن العربية للإغراق في المحيط الهندي. سيد سالم: المرجع السابق، ص ٦٩ - ٧١.

الخطر، خاصة بعد أن وصلت إليهم رسائل استغاثة من حكام اليمن، والممالك الإسلامية في الهند^(١)، فأرسلوا الحملة العسكرية الأولى سنة ٩١١هـ — ١٥٠٥م بقيادة الأمير حسين الكردي^(٢)، وعلى الرغم من نجاح الحملة في تحصين بعض الموانئ في البحر الأحمر — مثل ميناء جدة — إلا أنها فشلت في طرد البرتغاليين من تلك المناطق وهو هدفها الأساسي، حيث منيت بهزيمة كبيرة أمام أسطولهم في معركة ديو البحرية ٩١٥هـ / ١٥٠٩م.^(٣)

استمرت جهود المماليك لإيقاف الزحف البرتغالي، حيث أرسلوا حملة عسكرية ثانية عام ٩٢١هـ / ١٥١٥م اشتهرت عند إعدادها بحملة الهند، إلا أن ظروف الصراع مع البرتغاليين أجبرتها على تغيير وجهتها. لأن البرتغاليين نقلوا مسرح الأعمال الحربية من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر، بعد انتصارهم في معركة ديو البحرية، حيث شرعوا في مهاجمة موانئه وجزره — مثل ميناء عدن وجدة وجزيرة كمران — الأمر الذي جعل حملة حسين الكردي تتوجه نحو مناطق جنوب البحر الأحمر، حيث حصنتها وأخذت منها قاعدة لمواجهة ذلك الزحف، وإغلاق البحر الأحمر أمام هذا الخطر. وبفضل تلك التحصينات توقف الزحف البرتغالي عند السواحل الجنوبية للبحر الأحمر دون التوغل في المناطق الشمالية^(٤).

وصلت حملة حسين الكردي إلى جزيرة كمران سنة (٩٢١هـ / ١٥١٥م) وبدأت اتصالاتها بالسلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب^(٥)، وطلب قائد الحملة

(١) سيد سالم : الفتح العثماني. ص ٧٧ .

(٢) حسين الكردي : من كبار قادة السلطان قانصوه الغوري، عُرف بالشجاعة والأقدام والحكمة السياسية ، وكثرة الظلم أيضاً تولى قيادة الحملة المرسله إلى الهند، لم يكمل رحلته إلى الهند، وتوجه إلى جدة، ثم إلى عدن ودخل في صراع مع الطاهريين، عاد إلى جدة وبقي فيها حتى سقوط دولة المماليك في مصر، اصدر السلطان سليم الأول مرسوماً يقضي بإعدامه لكثرة ظلمه، فأغرق في البحر الأحمر خلال رحلته إلى مصر بموجب ذلك المرسوم. قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي: البرق اليمني في الفتح العثماني. بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط الثانية، ١٩٨٦م. ص ١٩ — ٢٧ .

(٣) عراج الأسطول المملوكي في طريقه إلى الهند على ميناء جدة وأعاد قائد الحملة ترتيب تحصينات الميناء العسكرية وشرع في إقامة سور وأبراج حولها. سيد سالم: نفس المرجع. ص ٧٧. أحمد سالم شيبان: الوجود المملوكي في اليمن ١٥١٥-١٥٣٨م. الشارقة، دار الثقافة العربية، ط أولى، ٢٠٠٢م، ص ٧٢.

(٤) سيد سالم : الفتح العثماني. ص ٩٧ — ٩٨. محمد أحمد عبدالعال : بنو رسول وبنوطاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما. الإسكندرية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٥١١ — ٥١٦ .

(٥) سترد ترجمته عند الحديث عن الدولة الطاهرية.

من السلطان عامر تقديم المساعدات والمؤن للحملة، والأيفاء بالتزاماته التي تعهد بها حين استتجد بهم لمواجهة خطر الهجوم البرتغالي على مدينة عدن عام ٩١٩هـ / ١٥١٣م. إلا أن السلطان عامر تنصل من التزاماته تجاههم ورفض تقديم المساعدة لهم، بسبب تأخر وصولهم، وفشل الهجوم البرتغالي على مدينة عدن ٩١٩هـ / ١٥١٣م، وخوفاً من أن تتحول تلك المساعدات إلى جزية سنوية تفرض على الطاهريين تحت حجة محاربة البرتغاليين^(١). الأمر الذي دفع المماليك إلى النزول إلى السواحل اليمنية، والسيطرة عليها سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م بمساعدة الإمام شرف الدين^(٢)، وأمراء آل القطبي في المخلاف السليماني^(٣)، الذين رأوا في القوة المملوكية ضالته المنشودة للتخلص من الدولة الطاهرية^(٤).

اصطدم المماليك عقب نزولهم إلى السواحل اليمنية بالطاهريين، وتواصلت الحروب بينهما، وتمكنوا من إسقاط مدينة المقرنة^(٥) عاصمة الدولة الطاهرية سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م. و تتبع السلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب وقتله عند أسوار مدينة صنعاء في نفس السنة^(٦).

(١) سيد سالم : الفتح العثماني . ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢) سترد ترجمته عند الحديث عن أئمة الزيدية.

(٣) المخلاف السليماني: هو الأقليم الممتد من من منطقة حلي بن يعقوب شمال تهامة إلى منطقة الشرجة جنوباً، وعرف بهذا الاسم نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي الذي كان عاملاً لبني زياد في هذا الأقليم. عبد الرحمن بن حسن البيهقي : خلاصة المسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد. تحقيق : ميشيل توشيرير، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ٢٠٠٠م، ص ٦٠.

(٤) سيد سالم : نفس المرجع. ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٥) المقرنة : بلدة من أعمال مدينة رداع ، تبعد عن مدينة نمت حوالي ٥٠ كم ، أخذها الطاهريون عاصمة لهم خلال الفترة ٨٥٨ - ٩٢٣هـ / ١٤٥٤ - ١٥١٧م، وتعد المقرنة من أهم المدن الأثرية التي تعود إلى العهد الحميري. محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها. تحقيق : إسماعيل الأكوع، صنعاء، دار الحكمة اليمنية، ط الثانية، ١٩٩٦، ج ٢، ص ٧١٧. إبراهيم المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية. صنعاء، دار الكلمة، ٢٠٠٢، ج ٢، ص ١٦١٥.

(٦) عيسى بن لطف الله : روح الروح في ما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح. تحقيق : إبراهيم المقحفي، صنعاء ، مركز عبادي لطباعة والنشر ، ط أولى، ٢٠٠٣م، ص ٤٦. محمد بن عمر الطيب بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر. تحقيق : عبدالله محمد الحبشي، صنعاء، مكتبة الأرشاد، ط أولى، ١٩٩٩م، ص ١٢٥ ، ١٢٦.

لم تستقر أوضاع المماليك في اليمن بالرغم مما حققوه من انتصارات على الطاهريين، واستيلائهم على مدينة صنعاء. إذ دخلوا في صراع مع الإمام شرف الدين الذي رفض التفاوض معهم، لأن توسعاتهم في المناطق الداخلية لليمن، كانت تتعارض مع سياسة الإمام شرف الدين الذي كان يرى في تلك المناطق المجال الحيوي لمحاولة إقامة الدولة الإمامية في اليمن، الأمر الذي دفعهم لمهاجمته ومحاصرته في ثلا^(١) سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م^(٢). وفي هذه الأثناء وصلت أنباء سقوط مصر في أيدي العثمانيين، مما دفع أمير المماليك إسكندر المخضرم^(٣) إلى تبني سياسة جديدة تجاه هذه الأحداث، حيث قرر الانسحاب من صنعاء إلى زبيد^(٤)، وتتابع ذلك انسحاب الحاميات المملوكية من بقية المدن إلى تهامة، التي شكلت من حينها مركزاً لنفوذهم، حتى وصول الحملة العثمانية الأولى سنة ٩٤٥هـ / ١٥٢٨م.

كانت تلك أهم المتغيرات الخارجية، التي أثرت على أوضاع اليمن الداخلية، فوصول المماليك إلى اليمن لم يعق تقدم الزحف البرتغالي فحسب، بل أحدث تغييراً في خارطة اليمن السياسية، وزاد من حدة المشاكل الداخلية فيه، فقد مثل المماليك من حينها قوة منافسة على حكم اليمن إلى جانب بقية القوى السياسية الأخرى، التي كانت تعيش حالات تنافس و صراع فيما بينها، جعلت مناطق نفوذها - في كثير من الأحيان - متداخلة جغرافياً غير واضحة المعالم.

وأولى تلك القوى هم بنو طاهر الذين كانوا قبيل وصول المماليك يحكمون سيطرتهم على مناطق الهضبة الجنوبية والوسطى، والسواحل الغربية لليمن، وكانت

(١) ثلا : بلدة مشهورة من نواحي صنعاء إلى الشمال الغربي منها بحوالي ٤٥ كم ، وهي من البلدان الحميرية القديمة، أخذها المطهر مقرأ له في حربه مع العثمانيين لشدة حصانيتها ووعور طرقها. محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن . ج١ ص ١٦٦، إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . ج١ ص ٢٥٩.

(٢) سيد سالم : الفتح العثماني . ص ١١٠

(٣) الأمير إسكندر المخضرم: وهو من مماليك الأمير حسين الكردي، استقر في مدينة المقرانة عاصمة الدولة الطاهرية بعد سقوطها في أيديهم، ثم تولى قيادة المماليك في اليمن عقب مقتل الأمر برساي سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م وعرف بالمخضرم لأنه عاصر نهاية دولة المماليك وبداية الدولة العثمانية، قتل سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢١م على يد الأمير المملوكي كمال بك الرومي. قطب الدين النهروالي: البرق اليمني. ص ٢٣-٣٥.

(٤) يحيى بن الحسين: غاية الأمان في أخبار القطر اليمني. تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة، دار الكتاب

العربي، ١٩٦٨م، ج٢، ص ٦٥٦.

بداية ظهورهم وبزوغ نجمهم السياسي عند دخولهم في خدمة سلاطين الدولة الرسولية^(١). فقد أصبحوا وكلاء تجارتهم في عدن ونوابا لهم في كثير من الأقاليم، وأوكلت إليهم مهمة مواجهة الأئمة الزيدية.^(٢) وحين ضعفت الدولة الرسولية في منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، استغل بنو طاهر ذلك وعملوا على تقوية مركزهم لتأسيس دولتهم، حيث تمكنوا من الاستيلاء على مدينة عدن سنة ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤م^(٣) بمساعدة قبائل بني أحمد الياضية، وعملوا على فرض سيطرتهم على بقية الأقاليم التي كانت خاضعة لسلطة الدولة الرسولية، فاتجهوا إلى إقليم حضرموت وتمكنوا من الاستيلاء على مدينة الشحر سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦١م، واعتمدوا على الكثيريين في حكمها إلى جانب حاكمها الطاهري، كما توجهوا شمالاً إلى صنعاء واستولوا عليها سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦١م^(٤).

يعتبر الملك الظافر عامر بن طاهر بن معوضة^(٥) المؤسس الحقيقي للدولة. فقد كانت الخطبة والعملة باسمه في بداية تأسيس الدولة، على الرغم من أنه أصغر من أخيه علي الذي تحمل معه أعباء تلك المرحلة. وبلغت الدولة أوج قوتها وأوسعها في عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب^(٦) الذي تولى الحكم بعد أبيه سنة ٨٩٤ هـ /

(١) الدولة الرسولية : قامت الدولة الرسولية في اليمن سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م على انقاض الدولة الأيوبية ،

امتد نفوذ دولتهم على معظم أرجاء اليمن من حضرموت حتى مكة ، وشهدت اليمن خلال فترة الدولة الرسولية ازدهاراً علمياً وأدبياً ومعمارياً ، اتخذ الرسوليون من مدينة تعز عاصمة لهم ، دخلوا في صراع مع الأئمة الزيدية في المناطق الشمالية من اليمن وانتهت دولتهم سنة ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤م على يد الدولة الطاهرية. الموسوعة اليمنية : صنعاء ، مؤسسة العفيف، ج٢، ط الثانية ، ٢٠٠٢م ص ١٣٩٣.

(٢) محمد يحيى الحداد: التاريخ العام لليمن. دارالتقوير للطباعة والنشر، ط أولى، ١٩٨٦م، ج٣، ص ٢١٥.

(٣) محمد عبد العال : بنو رسول وبنو طاهر. ٢٤٥-٢٥٣. سيد سالم : الفتح العثماني. ص ٥٠. أحمد شيبان : الوجود المملوكي. ص ٤٤ - ٤٥.

(٤) يحيى بن الحسين: غاية الأمانى. ج٢، ص ٥٩١ - ٥٩٥.

(٥) عامر بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين القرشي الأموي الملقب بالملك الظافر، هو أول من ملك من بني طاهر، ويعتبر هو وأخيه علي مؤسسا الدولة. قتل عند مدينة صنعاء سنة ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥م. صالح الحامد : تاريخ حضرموت. صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط الثانية ٢٠٠٣م، ص ٥٧٢ - ٥٧٣. محمد عبد العال: بنو رسول وبنو طاهر. ص ٢٨٥.

(٦) عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة القرشي الأموي الملقب بالملك الظافر صلاح الدين من أشهر سلاطين بني طاهر ولد في المقرانية سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦١م، استمر حكمه ما يقارب ٢٩ سنة، له مآثر كثيرة في البناء والعمران في زبيد وعدن وحين ، قتل في إحدى معاركه مع المماليك قرب مدينة صنعاء سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م. محمد بن علي الشوكاني: للهدى الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. تصحيح محمد =

بداية ظهورهم وبزوغ نجمهم السياسي عند دخولهم في خدمة سلاطين الدولة الرسولية^(١). فقد أصبحوا وكلاء تجارتهم في عدن ونوابا لهم في كثير من الأقاليم، وأوكلت إليهم مهمة مواجهة الأئمة الزيدية.^(٢) وحين ضعفت الدولة الرسولية في منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، استغل بنو طاهر ذلك وعملوا على تقوية مركزهم لتأسيس دولتهم، حيث تمكنوا من الاستيلاء على مدينة عدن سنة ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤م^(٣) بمساعدة قبائل بني أحمد اليافعية، وعملوا على فرض سيطرتهم على بقية الأقاليم التي كانت خاضعة لسلطة الدولة الرسولية، فاتجهوا إلى إقليم حضرموت وتمكنوا من الاستيلاء على مدينة الشحر سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦١م، واعتمدوا على الكثيريين في حكمها إلى جانب حاكمها الطاهري، كما توجهوا شمالاً إلى صنعاء واستولوا عليها سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦١م^(٤).

يعتبر الملك الظافر عامر بن طاهر بن معوضة^(٥) المؤسس الحقيقي للدولة. فقد كانت الخطبة والعملة باسمه في بداية تأسيس الدولة، على الرغم من أنه أصغر من أخيه علي الذي تحمل معه أعباء تلك المرحلة. وبلغت الدولة أوج قوتها وتوسعها في عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب^(٦) الذي تولى الحكم بعد أبيه سنة ٨٩٤ هـ /

(١) الدولة الرسولية : قامت الدولة الرسولية في اليمن سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م على انقاض الدولة الأيوبية ،

أمد نفوذ دولتهم على معظم أرجاء اليمن من حضرموت حتى مكة ، وشهدت اليمن خلال فترة الدولة الرسولية ازدهاراً علمياً وأدبياً ومعمارياً ، اتخذ الرسوليون من مدينة تعز عاصمة لهم ، دخلوا في صراع مع الأئمة الزيدية في المناطق الشمالية من اليمن وانتهت دولتهم سنة ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤م على يد الدولة الظاهرية. الموسوعة اليمنية : صنعاء ، مؤسسة العفيف، ج٢، ط الثانية ، ٢٠٠٢م ص ١٣٩٣.

(٢) محمد يحيى الحداد: التاريخ العام لليمن. دارالتنوير للطباعة والنشر، ط أولى، ١٩٨٦م، ج٣، ص ٢١٥.

(٣) محمد عبد العال : بنو رسول وبنو طاهر. ٢٤٥-٢٥٣. سيد سالم : الفتح العثماني. ص ٥٠. أحمد شيبان : الوجود المملوكي. ص ٤٤ - ٤٥ .

(٤) يحيى بن الحسين: غاية الأمانى. ج٢، ص ٥٩١ - ٥٩٥ .

(٥) عامر بن طاهر بن معوضة بن ناج الدين القرشي الأموي الملقب بالملك الظافر، هو أول من ملك من بني طاهر، ويعتبر هو وأخيه علي مؤسسا الدولة. قتل عند مدينة صنعاء سنة ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥م. صالح الحامد : تاريخ حضرموت. صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط الثانية ٢٠٠٣م، ص ٥٧٢ - ٥٧٣. محمد عبد العال: بنو رسول وبنو طاهر. ص ٢٨٥.

(٦) عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة القرشي الأموي الملقب بالملك الظافر صلاح الدين. من أشهر سلاطين بني طاهر ولد في المقرانة سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦١م، استمر حكمه ما يقارب ٢٩ سنة، له مآثر كثيرة في البناء وال عمران في زبيد وعدن وحين ، قتل في إحدى معاركه مع المماليك قرب مدينة صنعاء سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م. محمد بن علي الشوكاني: الهدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. تصحيح محمد=

٤٨٨ م، وتمكن من بسط نفوذ دولته على معظم أقاليم اليمن من عدن وحضرموت جنوباً إلى صعده والمخلاف السليماني شمالاً^(١) - عدا بعض المراكز الإمامية شمال صنعاء - وواجهت الدولة في عصره أحداثاً جسيمة، منها وصول البرتغاليين إلى السواحل اليمنية، وأعقبها وصول حملات المماليك العسكرية، حيث دخل في صراعات عسكرية معها - كما مر بنا سابقاً - ولقي مصرعه في إحدى معاركه عند أسوار صنعاء ٩٢٣هـ / ١٥١٧ م . وقد حاول خلفاؤه المحافظة على المناطق التي كانت تحت حكمهم قبيل مصرعه، إلا أنهم فشلوا في ذلك نتيجة الظروف السيئة التي مرت بها دولتهم آنذاك، بسبب الحروب الداخلية المتواصلة مع المماليك وأئمة الزيدية، وما لحق بها من خسائر اقتصادية كبيرة نتيجة تغير طرق التجارة. كل ذلك أضعف الدولة النباهية وحصر وجودها في عدن^(٢).

وثاني تلك القوى هم آل كثير^(٣) الذين كانوا يحكمون حضرموت باسم الطاهريين، وحين ضعف بني طاهر عمل آل كثير على استغلال تلك الظروف، وشرعوا بتأسيس دولتهم، وأتصل أمراءهم بالشخصيات الدينية المؤثرة في حضرموت، بهدف كسب تأييدها في تحقيق ذلك، ويعتبر السلطان علي بن عمر بن جعفر بن كثير^(٤) هو المؤسس الأول للدولة حيث عمل على توحيد قبائل حضرموت تحسب سلطته، وتمكن آل كثير من بسط نفوذهم على معظم أقاليم حضرموت، حيث سيطروا على مدينة الشحر^(٥) سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥ م ، لتصبح جزءاً من دولتهم^(٦)، وبلغت الدولة

^(١) ابن محمد زبارة ، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، (د.ط.)، (د.ت.)، المجلد الثاني، ص ٣٠٨. عيسى بن لطف الله : روح الروح . ص ١١-١٢ .

^(٢) سيد سالم : الفتح العثماني. ص ١٠٨ .

^(٣) نفس المرجع . ص ١٣٠ .

^(٤) بنو كثير قبيلة مشهورة في حضرموت ينتمون إلى كثير بن ظنه بن عبدالله بن حرام بن عمر بن سبأ.

محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية. صنعاء، مركز عبادي للدراسات، ط أولى، ٢٠٠٢م. ص ٢١.

^(٥) السلطان علي بن عمر بن جعفر : أول من حول القبيلة الكثيرية إلى دولة منظمة، وأول من نصب نفسه سلطاناً على حضرموت، توفي سنة ٨٢٥هـ / ١٤٢١ م . محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية. ص ٣٨-٤٢ .

^(٦) سيرد تعريفها في القسم الثاني من هذه الدراسة.

^(٧) سعيد عوض باوزير: صفحات من تاريخ حضرموت. مكتبة الثقافة، عدن ، ١٩٥٧م، ص ١١٦-١١٧.

ذروة مجدها، وأقصى حدودها في عهد السلطان بدر بن عبد الله بوطويرق^(١)، حيث تولى الحكم بعد أبيه سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، وأستمر فيه ما يقارب ٥٣ سنة، وشهد عصره وصول الحملات البرتغالية إلى شواطئ حضرموت، ومهاجمتها مدينة الشحر للمرة الأولى عام ٩٢٩هـ / ١٥٢١م، وكان أكبر هجوم برتغالي تعرضت له المدينة في عهده عام ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م. وعلى الرغم من تصدى السلطان بدر بقوة لتلك الهجمات، ووقوع العديد من الأسرى البرتغال في يده^(٢)، إلا أن استمرار وجودهم في منطقة المحيط الهندي، شكل تهديداً حقيقياً لنفوذ دولته السياسي والتجاري، وهو ما دفعه للاتصال بالعثمانيين، فشهد عصره وصول حملاتهم العسكرية إلى شواطئ حضرموت عام ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م.^(٣)

وثالث تلك القوى هي القوة الزيدية التي استعادت دورها السياسي في حكم اليمن في عهد الإمام شرف الدين^(٤) الذي دعا لنفسه بالإمامة سنة ٩١٢هـ / ١٥٠٦م^(٥). وعمل على نلمة شتات القوة الزيدية في اقاليم اليمن الشمالية، وقام بتوسيع مناطق نفوذه السياسي، مُستغلاً حالة الضعف التي كانت تمر بها الدولة

(١) بدر بن عبدالله بن جعفر الكثيري ولد سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م، تولى الحكم والسلطة ولم يبلغ عمرة ٢٠ سنة بعد السلطان بدر من أعظم سلاطين آل كثير، وعرف بالإقدام والشجاعة، وفي آخر أيامه سجن من قبل ابنه عبدالله، وبقي في السجن سنة ونصف، كانت وفاته سنة ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م. عبد القادر بن شيخ العيديروس: انوار السافر في أخبار القرن العاشر. بيروت، دار الكتب العربية، ط أولى، ١٩٨٥م، ص ٢٩٣، ٢٩٥، محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية. ص ٥٦، ٧٩.

(٢) محمد بن هاشم: نفس المرجع. ص ٦٤، ٦٥. الطيب بافقيه: تاريخ الشحر. ص ١٥٧، ٢٣١.

(٣) سيد سالم: الفتح العثماني. ص ١٦٤.

(٤) الإمام شرف الدين: هو الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، ولصاحب الترجمة اسمان هما يحيى وشرف الدين وقد اشتهر بالأخير كان مولده في ١٥ رمضان سنة ٨٧٧هـ الموافق ٥ فبراير ١٤٧١م بحصن حضور، درس الفقه على يد أكابر العلماء في عصره دعا إلى نفسه بالإمامة سنة ٩١٢هـ / ١٥٠٦م نقيت دعوته قبولاً بين الناس، وفي عهده وصل المماليك إلى اليمن ودخل معهم في صراع، كما وصل في عهده العثمانيون ودخل في صراع معهم أيضاً. بعد صاحب الترجمة من كبار أئمة المذهب الزيدي، وله العديد من المؤلفات الفقهية، تفرغ في آخر أيامه للتدريس بحصن الظفير في مدينة حجة حتى فاته في جمادى الآخر سنة ٩٦٥هـ الموافق مارس ١٥٥٧م. الإمام الشوكاني: البدر الطالع. ج ١، ص ٢٨٧ - ٢٨٠، عبد السلام النوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية. صنعاء، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، ط أولى، ١٩٩٩م، ص ١١٣٤.

(٥) عيسى بن لطف الله: روح الروح. ص ٢١، يحيى بن الحسين: غاية الأمان. ج ٢، ص ٦٣٥.

الطاهرية بعد مقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب، فبسط سيطرته على الكثير من المناطق التي كانت تحت حكم الطاهريين، وتوسع في المناطق الشمالية لليمن ووصلت قواته بقيادة ابنه إلى مدينة نجران واستولت عليها عام ٩٤١هـ / ١٥٣٤م^(١)، كما دخل أيضاً في صراع مع المماليك، الذين تزامن وصولهم إلى اليمن مع بداية دعوته، وتمكن من حصر وجودهم في زبيد عام ٩٤٣هـ / ١٥٣٧م، وواصلت جيوشه تقدمها في المناطق الجنوبية بقيادة ابنه المطهر^(٢) حتى مشارف مدينة عدن في السنة نفسها^(٣).

ورابع تلك القوى السياسية هم آل القطبي^(٤) الذين أسسوا دولتهم أوائل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي في المخلاف السليماني، وارتبطت إمارتهم منذ تأسيسها بالدولة الرسولية، ثم بالدولة الطاهرية، وقد عمل أمراء آل القطبي على التخلص من سيطرة الدولة الطاهرية التي أرهقت كاهلهم بكثرة الضرائب والخراج خلال فترة سيطرتها على مناطقهم - بسبب الأزمة المالية التي كانت تمر بها نتيجة تغير طرق التجارة العالمية - ولتحقيق ذلك أتصلوا بالمماليك في مصر وطلبوا منهم المساعدة^(٥).

(١) سيد مصطفى سالم : مراحل العلاقات اليمنية السعودية. القاهرة، مكتبة مدبولي، ط اولي، ٢٠٠٣م، ص٣٧.

(٢) الأمير المطهر بن شرف الدين: هو الأمير المطهر بن الإمام يحيى شرف الدين، عُرف بالشجاعة والإقدام والحزم والسياسة، كان أعظم الأمراء وحلت هيئته قلوب اليمنيين، دخل في صراع مع أخوته ووالده بعد ان استبعد عن ولاية العيد، لخرج في إحدى قديميه، وهذا يخالف شروط الإمامة في المذهب الزيدي. وحين تقدم العثمانيون نحو مناطق الإمام شرف الدين تولى قيادة القوة الزيدية في حروبها ضدهم، وألحق بهم خسائر كبيرة، ثم دخل في صلح معهم، كانت وفاته سنة ٩٨٠ هـ / ١٥٧٢م. الإمام الشوكاني: البدر الطالع. ج٢، ص ٣٠٩ - ٣١٠، محمد الشلي: السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر. تحقيق / إبراهيم المقحفي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط أولي، ٢٠٠٤م، ص ٥٨٣ - ٥٣٩.

(٣) سيد سالم : الفتح العثماني. ص ١٤١.

(٤) بنو القطبي: هم فرع من أسرة الأشراف الغواتم، وعرفوا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الشريف قطب الدين، واشهر أمراءهم الأمير خالد بن قطب الدين مؤسس أمارتهم. حكم آل القطبي منطقة حيزان ما يقارب مائة وأربعون عاماً، حتى انتهت دولتهم على يد الشريف أبي نمي بن بركات سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م. عبدالله أبو داهش: أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب واحوازهما. الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ط أولي، ١٩٩٩م، ص ٥٧، ٥٨.

(٥) محمد بن احمد العقيلي : المخلاف السليماني. الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط الثانية،

وعند نزول حملة المماليك سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م إلى السواحل اليمنية، أنضم آل القطبي إليهم في حربهم ضد الطاهريين، وما لبثوا بعد ذلك أن اختلفوا مع حلفائهم المماليك حول الغنائم التي حصلوا عليها بعد انتصارهم على الطاهريين، ودخلوا في حرب انتهت بهزيمتهم، وإخضع المماليك مدينة جيزان^(١) وضموها إلى سلطة مدينة زبيد^(٢). وبقيت مدينة جيزان وباقي مناطق المخلاف السليماني، محل صراع وشد وجذب بين وأئمة الزيدية و المماليك ومن ثم العثمانيين، مثلها مثل باقي سائر بلاد اليمن^(٣).

تلك هي أوضاع اليمن الداخلية في النصف الأول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، و تلك هي أهم القوى السياسية التي دخلت في صراع وتنافس فيما بينها على مناطق الحكم والنفوذ لأكثر من عقدين، قبيل وصول الحملة العثمانية الأولى إلى السواحل اليمنية سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م، وتبلورت على إثرها خارطة نفوذ تلك القوى في شكلها النهائي، على النحو الآتي:

نجح أئمة الزيدية في مد نفوذهم إلى أقاليم وجهات مختلفة من اليمن، وصلت إلى مشارف عدن جنوباً، وزبيد غرباً، والمخلاف السليماني شمالاً، فيما أنحصر الوجود الطاهري في مدينة عدن بعد أن فقدوا معظم مناطق نفوذهم، وظلت الدولة الكثيرة مسيطرة على حضرموت، في حين بقيت القوة المملوكية مسيطرة على منطقة تهامة وبعض مناطق المخلاف السليماني، متخذة من مدينة زبيد مقراً لها.

وفي الفترة التي كانت فيها منطقة جنوب البحر الأحمر والمحيط الهندي تشهد أحداث الصراع بين المماليك والبرتغاليين. والأوضاع الداخلية في اليمن تمر بحالة من الصراع السياسي والعسكري بين القوى المتنافسة - كما أشرنا سابقاً - كانت الجبهة الشمالية لدولة المماليك مسرحاً لأحداث تاريخية كبيرة. تمثلت في شروع الدولة العثمانية بالتوسع جنوباً باتجاه بلاد الشام وتمكنت من انتزاعها من أيدي المماليك عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، ثم توجهت نحو مصر وأستولت عليها عام ٩٢٣هـ

(١) جيزان : مدينة على ساحل البحر الأحمر، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى وادي جيزان النازل من بلاد جولان بن عامر. محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن. ج١، ص ١٧١.

(٢) سيد سالم : مراحل العلاقات. ص ٣٥.

(٣) لمزيد من المعلومات حول وضع تلك المناطق أنظر سيد سالم : مراحل العلاقات. ص ٣٠ - ٤٦.

١٥١٧م، وقضت بذلك على دولة المماليك، ومد نفوذها سلمياً إلى بلاد الحجاز، وذلك حين اعترف أشرف مكة بسلاطتها عليهم^(١). وورثت الدولة العثمانية بذلك أعباء المشاكل والتهديدات الخارجية التي تعرضت لها الأقاليم الإسلامية - خاصة تهديدات البرتغاليين - وأتبع سلاطينها نفس مسار المماليك في حماية المدخل الجنوبي للبحر الأحمر من ذلك الخطر، حيث أرسلوا حملاتهم العسكرية جنوباً لتنفيذ تلك المهمة .

مواقف القوى السياسية في اليمن من التوسع العثماني :

عقب الانتصارات التي حققتها الدولة العثمانية على المماليك في مصر والشام، وتحجيمها لنفوذ الدولة الصفوية^(٢) في فارس. وتحملها مسؤولية حماية الأماكن المقدسة في مكة والمدينة^(٣). تولت مهمة حماية البلاد الإسلامية، جاعلة من نفسها دولة إسلامية كبرى، وليس أدل على ذلك من حرص سلاطينها على حمل لقب خادم الحرمين الشريفين، وهو لقب يضاف على حامله نوعاً من القداسة الدينية، إلى جانب احتفاظهم بمفاتيح الكعبة المشرفة، وبعض ما تركه الرسول ﷺ. كل ذلك أضفى عليها مركزاً دينياً مرموقاً، ومدلولاً سيادياً على البلاد الإسلامية^(٤)، وجعلها منذ ذلك الحين تمثل التجسيد الحي لدولة الخلافة الإسلامية في نظر الكثير من أمراء وعلماء البلاد الإسلامية، الذين جعلوا من سلاطينها ولأمة أمر المسلمين وخاطبوهم بلقب الخلفاء^(٥).

(١) قطب الدين النهروالي : البرق اليمني . ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) الدولة الصفوية : تأسست أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وتنسب إلى إسماعيل الصفوي، شملت أراضيها معظم بلاد إيران وشيراز، وأنزليجان والعراق، فرضت المذهب الشيعي بدلاً عن المذهب السني في معظم هذه الأقاليم، تم القضاء عليها على يد الأمير نادر شاه سنة ١٧٣٦م . الموسوعة الإسلامية المختصرة : بيروت، دار الحكمة، ط الثانية، ٢٠٠٠م، ص ٣٣٤ .

(٣) عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م، ج١، ص ١٨٤ .

(٤) Bidwell , Robin : The Two Yemens. p١٥

(٥) خاطب الكثير من علماء وأمراء الممالك الإسلامية سلاطين الدولة العثمانية بلقب الخلفاء، ويتضح ذلك في مؤلفاتهم وكتيبهم، وفي الرسائل التي تبادلوها بينهم، أو التي وجهوها إلى السلاطين أنفسهم. أنظر شمس الدين عبد الصمد الموزعي: الإحسان في دخول اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان. نشر عبدالله الحبشي، صنعاء، منشورات وزارة الوقاف والأرشاد، (د.ت)، ص ١٦، ٢٠، قطب الدين النهروالي: البرق اليمني. ص ٢١٥، ٢١٠، عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية في الجهات اليمنية . مخطوطة مصورة =

ليس لأنها القوة الإسلامية القادرة على صد الخطر البرتغالي فحسب، بل لأنها القوة القادرة على تحقيق مشروع الخلافة الإسلامية، وحماية بيضة الإسلام بعد سقوط دولة المماليك في مصر.

بدأ سلاطين الدولة العثمانية بعد تلك الإنجازات في استكمال الدور الذي لعبه المماليك في حماية المدخل الجنوبي للبحر الأحمر من تهديدات البرتغاليين، وأرسلوا أولى حملاتهم العسكرية لتنفيذ ذلك في إطار الخطة الجهادية التي تبناها وأفصحوا عنها في رسائلهم، وأوامرهم إلى قادات حملاتهم. ففي رسالة السلطان سليمان القانوني إلى الأمير المطهر المؤرخة بـ ١٠ شوال ٩٠٧هـ/٢٣ أكتوبر ١٥٥٠م، أكد فيها أن سبب توجه قواته إلى الهند كان بهدف مواجهة أهل الكفر والعناد بقوله "ولما برزت أوامرنا الشريفة سابقاً بتعيين وزيرنا الأعظم سليمان باشا تغمده الله برحمته للبلاد الهندية بفتح تلك الولاية السنية وبقطع دابر أهل الكفر والعناد"^(١). وفي أوامر السلطان سليم الثاني التي بعثها إلى قائد حملته على اليمن سنان باشا^(٢)، بين دواعي إرسال هذه الحملة بقوله "إن استردادنا لمملكة اليمن، إن كان ذلك يتعين علينا، لأنها ميراث أبينا المرحوم المقدس، ولكن جل قصدنا من ذلك إنما هو حفظ ثغر عدن، وصونا للحرمين الشريفين، عن الكفار الملاحين"^(٣).

=محافظة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٤٢١ ج ٢، ص ٢٠٥، ٢٩٣، ٢٩٤ رسالة المطهر إلى السلطان سليمان القانوني. النهروالي: المصدر نفسه. ص ١١٢، رسالة الأمير حسن بن أبي نسي إلى المطهر. قطب الدين النهروالي: المصدر نفسه. ص ٢٠٠.

وذهب بعض المؤرخين إلى أن أمر الخلافة أنتقل من آل العباس إلى آل عثمان سنة ١٥٤٣م، وذلك بعد وفاة آخر الخلفاء العباسيين وهو المتوكل على الله بن المستمسك بالله، الذي مات دون أن يحدد من يخلفه. إلا أن السلاطين العثمانيين لم يضيفوا لقب الخليفة إلى ألقابهم رسمياً إلا أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. أنظر محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ - ١٩١٤م. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥ م، ص ١١٧.

(١) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن يوسف بن فيروز: مطالع التيران في تاريخ اليمن. مخطوطة محفوظة بالخرانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ١٦، ق ٩، قطب الدين النهروالي: المصدر نفسه ص ١٠٩، مجموع سفينة شعرية ورسائل الأئمة. مخطوطة محفوظة على قرص مدمج بمؤسسة الإمام زيد الثقافية، ق ٧٠ - ٧٤. عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية. ج ١، ق ١٩٠. أنظر ملحق رقم ٢.

(٢) سترد ترجمته في القسم الثاني من هذه الدراسة.

(٣) قطب الدين النهروالي: نفس المصدر. ص ٢٣٣.

وصلت أولى تلك الحملات إلى السواحل اليمنية (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) لتشكل البدايات الأولى للزحف العثماني، وعلى الرغم من أن وصول العثمانيين إلى اليمن كان بهدف مواجهة البرتغاليين - وهو ما كانت تنشده معظم القوى في اليمن وبقية البلاد الإسلامية - إلا أن هذا الحدث كان له أثر كبير على الأوضاع السياسية الداخلية في اليمن. حيث تباينت مواقف القوى السياسية في اليمن تجاه الدولة العثمانية وزحفها العسكري، فقد دخلت بعض تلك القوى في طاعة الدولة العثمانية وأعلنت ذلك قبل وصول القوات العثمانية، واصطدمت إحدى القوى بالعثمانيين وانهزمت أمامهم، كما دخلت إحدى تلك القوى في صراع سياسي وفكري مع العثمانيين استمر لأكثر من مائة عام. وتباين مواقف القوى السياسية في اليمن تجاه الدولة العثمانية، كان نتيجة للظروف الداخلية والخارجية المختلفة التي كانت تمر بها تلك القوى.

فما إن وصلت أنباء سقوط مصر واستيلاء السلطان العثماني عليها سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، حتى سارع أمير المماليك في اليمن إسكندر المخضرم إلى إعلان ولائه وتبعيته للدولة العثمانية في خطبة الجمعة بصنعاء في جمادى الآخرة من نفس السنة^(١) وشفع ذلك بإرسال ابنه إلى القاهرة لتأكيد موقفه^(٢)، وبعث هديته إلى عاصمة الدولة العثمانية تعبيراً عن ولائه لسيادتها^(٣)، وقد رد السلطان العثماني على ذلك بتثيبته في حكم ولاية اليمن^(٤).

جاء تبني الأمير إسكندر المخضرم لهذا الموقف، مسابرة للأوضاع التي مرت بها دولة المماليك آنذاك، حيث مثل سقوط مصر بأيدي العثمانيين، سقوطاً لمركز الدعم والمساندة لاستمرار بقائهم في اليمن لمواجهة تهديدات البرتغاليين هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية سعى للقضاء على الخلافات التي بدأت تظهر في صفوف

(١) عيسى بن لطف الله : روح الروح . ص ٥٠، محمد بن إبراهيم المفضل: السلوك الذهبية في خلاصة السيرة

المتوكلية. نشرت بعناية / عبد الملك بن محمد الطيب، (د.ت) ، (د.م) ، ص ٣٧

(٢) عبدالكريم العزيز: التشكيلات المركزية والإدارة العثمانية في اليمن. صنعاء، مطابع الصباحي، ٢٠٠٠م،

ص ٤٠ .

(٣) سيد سالم : الفتح العثماني. ص ١١٧

(٤) قطب الدين النهروالي : البرق اليمني، ص ٣٣

المتواصلة مع القبائل، والقوى اليمنية مثل الطاهريين و أئمة الزيدية. خاصة وأن جزءاً كبيراً من جيشه هم من العثمانيين الذين ساندوا المماليك في حربهم مع البرتغاليين^(١). كما عمل الأمير اسكندر على تغادي المصير الذي لقيه مماليك مصر على أيدي العثمانيين.

تظافرت هذه الأسباب مجتمعة وراء مسارعة المماليك، إلى إعلان تبعيتهم وولائهم للدولة العثمانية، ليكونوا بذلك أولى القوى السياسية في اليمن التي حددت موقفها من العثمانيين قبل أن يمتد نفوذهم العسكري إلى اليمن.

لئن كان موقف المماليك تجاه الدولة العثمانية قد أتمم بالوضوح، فإن موقف الدولة الطاهرية لم يكن كذلك. فقد بدأت علاقتهما عقب سقوط دولة المماليك في مصر سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م بأيدي العثمانيين، حيث سارع حاكم عدن الطاهري الأمير مرجان الظافري^(٢) إلى مراسلة السلطان العثماني سليم الأول على لسان السلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب - الذي كان قد لقي حتفه عند أسوار صنعاء - وسعى الأمير من وراء تلك المراسلة إلى تقوية علاقته بالدولة العثمانية، وإلى تقديم الاعتذار للسلطان العثماني لما أقدم عليه من تعاون ومهادنة مع البرتغاليين - فقد سبق وأن أمد حملة القائد البرتغالي لوبوسوريز المتوجة إلى جدة بالمؤن، وبعض المرشدين البحريين - وأكد ذلك الاعتذار بتوقيعات أعيان مدينة عدن وتجارها وفقهائها^(٣)، دون التصريح بالدخول في طاعة الدولة العثمانية . وفي عام ٩٣٤هـ / ١٥٢٧م بعث الأمير سلمان الرومي^(٤) برسالة إلى حاكم عدن

(١) سيد سالم: الفتح العثماني . ص ١١١ .

(٢) الأمير مرجان: هو مرجان بن عبيد الله الظافري والي مدينة عدن من قبل الطاهريين، من اصمالة بناء قبلة العيدروس بعدن كانت وفاته سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م. عبد القادر العيدروس: النور السافر. ص ١٢٣، الطبيب بافقيه: تاريخ الشحر . ص ١٣٥ .

(٣) الطبيب عبدالله بن أحمد بامخرمة: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر . تحقيق: محمد يحمم عبدالنور، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، ٢٠٠٣، ج ٣، ص ٨٢٨. محمد عبدالعال: بنو رسول وبنو طاهر. ص ٥٢٥ .

(٤) سلمان الرئيس أو سلمان الرومي: هو أحد القادة العثمانيين الذين دخلوا في خدمة السلطان قانصوه الغوري أثناء حروبه مع البرتغاليين، تولى قيادة الأسطول المملوكي المرسل إلى جدة سنة ٩١٢هـ / ١٥١٥م، وبعد تولي حسين الكردي قيادة الأسطول واصل القائدان رحلتهم إلى عدن، ثم عادا إلى جدة مرة ثانية، فقد عمل سلمان على تحصين ميناء جدة بعد مقتل حسين الكردي، وتمكن من صد الهجمات البرتغالية=

الطاهري عبد الصمد بن إسماعيل^(١)، بدعوه فيها إلى الدخول في طاعة الدولة العثمانية، وجاء رد الأمير عبد الصمد بالموافقة، على أن تكون العملة والخطبة باسم السلطان سليمان القانوني، مع ذكر أسم الأمير عامر بن داود الطاهري في الخطبة، كما ألتزم بتقديم نصف عشور الهندي^(٢) للأمير سلمان^(٣).

جاءت موافقة الأمير الطاهري على الدخول في طاعة الدولة العثمانية، بسبب الأوضاع السيئة التي مرت بها الدولة الطاهرية خلال تلك الفترة، فقد خسروا مناطق نفوذهم شمال صنعاء وفي زمار، والمقرانة ورداع، والتي سيطر عليها الأمير المطهر بن شرف الدين^(٤). وعلى الرغم من عدم إيفاء الطاهريين بوعودهم تجاه سلمان الرئيس، فإن الخطبة ظلت باسم السلطان العثماني خلال فترة تولي الأمير عبد الصمد^(٥).

=عليها، دخل بعد ذلك في صراع مع المماليك في زبيد، وتحالف مع الأمير عز الدين بن أحمد أمير جيزان، ثم دخل في حرب مع الأمير عز الدين، عاد إلى مصر وأقنع النصر الأعظم بضرورة إرسال حملة عثمانية إلى السواحل اليمنية لإخضاعها، وفي سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م أرسلت الحملة وتولى قيادة أسطولها، وصل إلى زبيد ودخل في صراع مع حاكمها الأمير مصطفى الرومي، وأنهى ذلك الصراع بمقتل سلمان الرئيس سنة ٩٣٤هـ/١٥٢٨م. سيد سالم: الفتح العثماني. ص ٩٥، ٩٦، ١٠٥، ١١٩، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١.

(١) الأمير عبدالصمد بن اسماعيل : هو مولى لبني طاهر، تولى حكم عدن من قبل أهل الحل والعقد في عدن سنة ٩٣٣هـ /١٥٢٦م، بعد هروب حاكمها الطاهري أحمد بن محمد إلى المهرة، ولم يستمر في حكم المدينة طويلاً فقد سلم المدينة للسلطان الطاهري عامر بن داود سنة ٩٣٤هـ . الطيب بافقيه: تاريخ الشحر. ص ١٨٣.

(٢) العشور الهندي: هي اموال تفرض على المراكب التي تصل محملة بالتجارة من الهند . الطيب بافقيه: نفس المصدر. ص ١٨٥ .

(٣) الطيب بافقيه: نفس المصدر. ص ١٨٥ .

(٤) سيد سالم: نفس المرجع. ص ١٣٩ .

(٥) الطيب بافقيه: نفس المصدر. ص ١٨٦ .

وعقب تولي السلطان عامر بن داود الطاهري^(١) حكم الدولة الطاهرية وطرده للأمير عبد الصمد، قام بمراسلة السلطان العثماني سليمان القانوني طالباً منه المساعدة، لمواجهة توسعات الأمير المطهر، والتي وصلت إلى مشارف مدينة عدن نفسها سنة ٩٤٣هـ/١٥٣٧م^(٢). وقد رد السلطان على تلك المراسلات، أثناء إعداد الحملة العثمانية لمواجهة الخطر البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي، حيث بعث قائد الحملة العثمانية الأمير سليمان باشا الخادم برسائل وهدايا السلطان إلى أمراء عدن والشحر أخبرهم فيها بأعداد الحملة، وطلب منهم الدخول في طاعة الدولة العثمانية. فتردد الأمير الطاهري عامر بن داود في بداية الأمر في قبول ذلك الطلب، وتجاهل أمر مبعوث السلطان، ولم يعط رداً صريحاً، واكتفى بإرسال الهدايا فقط دون إعلانه الدخول في طاعة العثمانيين بشكل رسمي.

وحين وصلت طلائع القوات العثمانية إلى ميناء عدن سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م رحب بهم السلطان عامر بن داود، وسعى إلى تقديم المساعدة لهم، محاولاً تحسين علاقته بالعثمانيين^(٣). وعدم تكرار الخطأ الذي ارتكبه السلطان عامر بن عبد الوهاب مع المماليك. إلا أن موقف الترحيب هذا لم يشفع له عند قائد الحملة العثمانية سليمان باشا الخادم الذي اتخذ قرار القضاء عليه. وأسهمت عدة عوامل في اتخاذ سليمان باشا الخادم لهذا القرار أهمها :

— تجاهل الأمير عامر لمبعوث السلطان، وعدم الخضوع بشكل صريح وواضح للدولة العثمانية.

— تحريض الإمام شرف الدين للعثمانيين للقضاء عليه بحجة أنه تعاون مع البرتغاليين

(١) عامر بن داود بن عامر تولى الحكم عقب مقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، وحاول استرداد امجاد الطاهريين اثناء انشغال الامام شرف الدين بحربه مع المماليك ، استمر في الحكم إلى أن وصل العثمانيون إلى سواحل اليمن ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م ؛ كانت نهايته على يد الأمير العثماني سليمان باشا الخادم في نفس السنة. خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٤، ص ١٧. صالح الحامدي: تاريخ حضرموت. ص ٥٧٨.

(٢) عبد الصمد الموزعي : الإحسان. ص ٢٤ ، ٢٥.

(٣) سيد سالم : الفتح العثماني. ص ١٥٩ .

— شخصية سليمان باشا الخادم الدموية والمعروفة بالخنجر وحبه للقتل^(١).

تضافرت كل تلك العوامل في اتخاذ قرار إعدام حاكم عدن الأمير عامر بن داوود والاستيلاء على عدن بالقوة، والقضاء على الدولة الطاهرية نهائياً. فكانت أولى القوى السياسية في اليمن التي قضي عليها من قبل الدولة العثمانية، وتلاشت تماماً من خارطة السياسة.

وفي الوقت الذي تردد السلطان الطاهري في إعلان دخوله تحت سلطة الدولة العثمانية. فإن موقف السلطان الكثيري بدر بوطويرق قد أتمم بالوضوح تجاه العثمانيين. فقد بدأ تواصله مع العثمانيين قبيل وصول حملة سليمان باشا الخادم إلى سواحل حضرموت، وذلك حين بادر إلى مراسلة السلطان العثماني سليمان القانوني طالباً منه المساعدة وبإذلاً له الطاعة^(٢) ولإثبات صدق موقفه تجاه العثمانيين أعدم ٤٠ برتغالياً كانوا قد وقعوا في يده، كما أرسل مجموعة أخرى منهم مكونة من ٣٣ شخصاً مكبلين بالحديد إلى السلطان سليمان^(٣).

جاء تبني السلطان بدر لهذا الموقف نتيجة الظروف التي كانت تمر بها المنطقة، والمتمثلة باستمرار الهجمات البرتغالية على شواطئ حضرموت، وهو ما دفعه للبحث عن نصير يوقف هذا الخطر. فوجد في الدولة العثمانية ضالته المنشودة^(٤). بناءً على ذلك أوفدت الدولة العثمانية رسولاً إلى السلطان بدر بوطويرق محملاً بالهدايا، ومرسوماً سلطانياً يؤكد أن الاستعدادات جارية من قبل العثمانيين لتجهيز حملة عسكرية لقتال البرتغاليين. حينها أعلن السلطان بدر اعترافه الرسمي بسلطة الدولة العثمانية وتبعيته لها، وأمر بالخطبة في مساجد الدولة الكثيرة باسم السلطان العثماني سليمان القانوني، وكانت أول خطبة جمعة يخطب فيها بذلك يوم ١٤ ربيع أول ٩٤٤هـ / ٢٢ أغسطس ١٥٣٧م.

(١) سيد سالم : الفتح العثماني. ص ١٥٩ - ١٦١ .

(٢) محمد بن هاشم: الدولة الكثيرة . ص ٦٧ .

(٣) Serjent , R B : The Portuguese off the south Arabian Coast .Oxford

University Press, The Second Edition, Lebanon, 1974, p 72.

Ibid.p28

(٤)

ردت الدولة العثمانية على موقف السلطان بدر بوطويرق هذا، بإصدار فرمان سلطاني يقضي بأقراره حاكماً على ولاية حضرموت من قبل الدولة العثمانية، مقابل دفعه سنوياً مبلغ عشرة آلاف أشرفي^(١)، وتسلم السلطان بدر هذا الفرمان من سليمان باشا الخادم عقب عودته من الهند عام ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م.^(٢)

في الوقت الذي انضوت فيه بعض القوى السياسية - آل كثير والمماليك طوعاً و الطاهريين قهراً - تحت سلطة الدولة العثمانية. نجد أن أئمة الزيدية هم القوة السياسية الوحيدة التي لم تخضع بشكل نهائي لسلطة العثمانيين، بل دخلوا في صراع معهم حول مناطق النفوذ والحكم. وشكل موقفهم هذا تجاه التوسع العثماني على اليمن الملامح السياسية لأحداث قرن من الزمان ٩٤٥ - ١٠٤٥هـ / ١٥٣٨ - ١٦٣٥م.

يرجع السبب في تبني أئمة الزيدية لهذا الموقف، إلى طبيعة تكوينهم السياسي القائم على أسس مذهبية تؤكد أحقيتهم في الإمامة، وإقامة دولة الحق - إقامة دولة الإمامة الزيدية في اليمن - والتي بدأ تأسيسها في اليمن في عهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين^(٣) ٢٨٤ - ٢٩٨هـ / ٨٩٧ - ٩١٠م، وتشكلت ملامحها السياسية للمرة الأولى في عهد الإمام شرف الدين^(٤). لذلك لم يكن خضوع أئمة الزيدية لسلطة الدولة العثمانية، وتنازلهم عن حلم إقامة الدولة الزيدية في اليمن أمراً

(١) الأشرفي: عملة ذهبية كانت متداولة آنذاك، منها ما ينسب إلى الملك الأشرف برش بيه المملوكي، ومنها ما ينسب إلى الملك الأشرف الرسولي، ومنها ما ينسب إلى السلطان الأشرف الغوري. يحيى بن الحسين: غاية الأمان. ج٢، ٦٤٧. محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة. عدن، دار الهمداني للطباعة والنشر، ط الثانية، ١٩٨٣. هـ. ص ١٢٤.

(٢) محمد بن هاشم: الدولة الكثيرة. ص ٦٧ - ٦٩.

(٣) هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الرصي نسبة إلى جبل الرس في المدينة المنورة، كان مولده فيها سنة ٢٤٥هـ / ٨٦٠م، يعد من أشهر علماء آل البيت، ويعتبر الرجل الثاني بعد الإمام زيد في تجديد المذهب الزيدي، وصل إلى اليمن بدعوة من قبائل همدان سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م، عمل على نشر المذهب الزيدي وتأسيس الدولة الزيدية في اليمن، كانت وفاته سنة ٢٩٨هـ / ٩١٠م في بلاد صعده. عبد الفتاح شابف نعمان: الإمام الهادي يحيى بن الحسين. بيروت، مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد، ط أولي، ١٩٨٩. ص ١٤٧، ١٤٤، ٦٧. عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية. ص ١١٠٣.

(٤) وليد عبد الحميد النود: الدولة القاسمية في اليمن جذورها وأسس قيامها (١٠٠٦هـ / ١٥٩٧م - ١٠٥٤هـ / ١٦٤٤م). رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، ٢٠٠٢م، ص ١٠٨، ٤٣٦.

سهلاً. وهو ما جعل خيار الحرب والمواجهة هو الخيار الأخير أمامهم للمحافظة على ديمومة طموحاتهم السياسية.

غير أن هذا الخيار لم يمثل السمة الدائمة لعلاقتهم مع العثمانيين، فقد مرت تلك العلاقات بأطوار وسمات مختلفة، يتضح ذلك من خلال تتبع مراحلها، منذ وصول العثمانيين وحتى خروجهم^(١) ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م.

ففي المرحلة الأولى التي أعقبت وصول العثمانيين إلى السواحل اليمنية عام ٩٤٥هـ/١٥٣٨م، اتسمت علاقة الطرفين في بدايتها بنوع من الهدوء وغلب عليها طابع المهادنة، حيث أبدى الإمام شرف الدين في مراسلاته مع قائد الحملة العثمانية نوعاً من الرضا تجاه ما قام به العثمانيون في عدن وزبيد^(٢).

فقد ذكر صاحب كتاب الفتوحات المرادية أن سليمان باشا "أرسل جاويشاً بمكاتبات إلى الإمام شرف الدين بالجمال يداريه ويسكن الفتنة من قبله، ويطيب خاطره ويراعيه، وجاءت من الإمام المذكور جوابات مهنية"^(٣).

وروى صاحب كتاب السلوك الذهبية، أن رسالة سليمان باشا إلى الإمام شرف الدين تضمنت تبريره لقتل حاكم عدن الطاهري عامر بن داوود بحجة سعيه إلى تسليم عدن للفرنج، وأن الإمام أبدى ارتياحه من قيام العثمانيين بذلك في جوابه على رسالة سليمان باشا الخادم بقوله "وكنّا ممن أبنتلي في أول أمره بشر هذه الشجرة اللثيمة، التي اجتنّها الله سبحانه على أيديكم المباركة، فإنهم أعانوا علينا طوائف الباطل الرافضة الباطنية وغيرهم"^(٤). وعلى الرغم من عدم ذكر نصوص هذه المراسلات، لدى المؤرخين، إلا أن ما أشاروا إليه عن محتواها، يؤكد أن الإمام شرف الدين قد قابل ما قام به العثمانيون عند بداية وصولهم بنوع من الرضا خاصة ما فعلوه تجاه آل طاهر وكانت تلك المراسلات بداية صلة بين الطرفين، ودخول علاقتهم طوراً أكثر تقارباً.

(١) عند وصول العثمانيين إلى عدن أمر قائد الحملة سليمان باشا الخادم بشنق السلطان الطاهري عامر بن داود، وعند وصوله إلى زبيد قتل الأمير أحمد الناخوذة أمير المماليك. سيد سالم: الفتح العثماني.

ص ١٦١، ١٦٥.

(٢) عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية، ج ١، ق ١٨٩.

(٣) إبراهيم بن المفضل: السلوك الذهبية. ص ١٧٠.

فقد شهدت علاقة الطرفين في نهاية هذه المرحلة تطوراً كبيراً، حيث أظهر الإمام شرف الدين الطاعة "الأسمية"^(١) والتبعية للدولة العثمانية. ولعل ما ورد في مراسلات الإمام، وابنه المطهر مع السلطان العثماني، يؤكد اعتراف الإمام بفضل الدولة العثمانية، والدخول في طاعتها والخضوع لسيادتها. فقد بين الإمام في رسالته إلى السلطان سليمان القانوني بتاريخ ١٧ شوال ٩٤٧هـ / ١٦ فبراير ١٥٤١م، أنه أمتثل لأوامر السلطان، ونفذ ما طلب منه بقوله "وقد احببنا مطالعتكم بهذا الكتاب [...] بعد أن بذلنا كل ما طلبتموه منا في كتبكم السابقة من إصلاح السبل وجلب الأرزاق إلى جهاتكم، والمعونة والمساعدة لما يمكن ويُجعل لنا المساعدة إليه، ولم نمنع إلا ما يجب علينا الله سبحانه منعه"^(٢). وقد أشار السلطان سليمان القانوني في رسالته إلى الأمير المطهر المؤرخة بـ ١٠ شوال ٩٥٧هـ / ٢٣ أكتوبر ١٥٥٠م، إلى أن الإمام شرف الدين صار من أنصار الدولة العثمانية بقوله "وعاد إلى أعتابنا الشريفة"^(٣) ومعه مكاتيب تتضمن الطاعة لسلطاننا والإخلاص لاتباع مرضاتنا وتعاقبت بعد ذلك مكاتبات والدكم بإظهار الطاعة وبذل الإخلاص والصدق والاستطاعة [...] وتحققنا ما كان يبلغ عنهما على السنة المترددين على عتباتنا الشريفة من تلك الديار، وأنهما صاروا من توابعنا ومملكتهما من جملة ممالكنا"^(٤).

و ما جاء في جواب الأمير المطهر بن شرف الدين بتاريخ رجب ٩٥٨هـ / يوليو ١٥٥١م، على رسالة السلطان سليمان هو دلالة صريحة تؤكد طاعة آل شرف الدين للدولة العثمانية ومن ذلك قوله "وعرفنا ما ذكره سلطاننا الأم مالك رقاب العرب والعجم المختص بحماية الحرم المحرم لطاعتنا لحاله، ودخولنا تحت

(١) لم يرد في المصادر ما يشير إلى أن العملة والخطبة أصبحت في صنعاء باسم السلطان العثماني.

(٢) وردت هذه الرسالة عند الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين، مخطوطة محفوظة بمكتبة آل الهاشمي في صنعاء، منها صورة محملة على قرص مدمج بمؤسسة الإمام زيد الثقافية بصنعاء. أنظر ملحق رقم ١.

تعد هذه الرسالة من أهم الوثائق التي اعتمد الباحث في هذه الدراسة وحاول من خلالها إزالة الغموض عن طبيعة علاقة الإمام شرف الدين بالدولة العثمانية، ويعتقد الباحث - حسب علمه - أن دراسته هذه تنفرد باستخدام هذه الرسالة وينشرها لأول مرة.

(٣) يقصد الوزير سليمان باشا الخادم.

(٤) وثيقة بالمركز الوطني للوثائق بصنعاء، تحت رقم ٨٩ / ١، ووردت هذه الرسالة عند المؤرخ أحمد بن فيروز: مطالع النيران، ق ٩. قطب الدين النير والي: البرق اليمني، ص ١٠٩. ملحق رقم ٢.

أقواله وأفعاله، فالحمد لله الذي وفقنا لطاعته [...] كيف وطاعتكم من طاعة الملك الخالق، ومعصيتكم تظلم منها المغارب والمشارق، ونحن من مودتكم على يقين^(١).
 وثمة إشارات وردت في كتابات المؤرخين تبين أيضاً طبيعة تلك العلاقات خلال تلك المرحلة. فقد ذكر صاحب كتاب الفتوحات المرادية أن الإمام شرف الدين "ممن يعترف بفضل الدولة ويقر بشرف ملكها على البرية، ويدعو لها ولأنصارها الحامين بسيووفهم عن حوزة الملة الحنفية [...] وأوصى أولاده بخدمتها في كل زمان والدخول تحت لواء عدلها المنصور"^(٢). وأشار صاحب كتاب تاريخ الشحر إلى تلك العلاقة بقوله "وكان في هذه السنة^(٣) باليمن الإمام شرف الدين وولايته من صعده [...] وكان الإمام يظهر الطاعة للأروام"^(٤)، وذكر أيضاً أن السلطان العثماني سليمان أصدر مرسوماً سلطانياً يقضي بتولي الإمام شرف الدين حكم صنعاء ومخلاف جعفر^(٥)، وتقرير أحوال البلاد وإخراج القوافل إلى عدن، وغير ذلك من المهمات الإدارية^(٦).

وقد ارتبط موقف الإمام شرف الدين في هذه المرحلة بمدى احتفاظه بمكانته الدينية، وحدود دولته السياسية. حيث بدا واضحاً وجود نوع من الاتفاق (الضمني) بين الطرفين للتصالح يحفظ فيه كل طرف مصالح الآخر، وظهرت إشارات إلى ذلك الاتفاق الذي يبدو أنه كان قبل سنة ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م^(٧) في رسالة الإمام شرف الدين إلى السلطان سليمان بقوله "وانتظرنا ما يأتي من قبلكم من جواب شريف،

(١) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن فيروز: مطالع النيران. قـ ١٢، قطب الدين النهروالي: البرق اليماني ص ١١٣، عبد الله بن داعر: الفتوحات المرادية ج ١، قـ ١٩٠، ملحق رقم ٣.

(٢) عبد الله بن داعر: نفس المصدر. ج ١، قـ ٦٩.

(٣) يقصد سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م.

(٤) الطيب بافقيه: تاريخ الشحر. ص ٢٦٥.

(٥) مخلاف جعفر: هي المناطق الوسطى من اليمن والتي تشمل مدينة إب، ومنطقة العدين، المذيخرة، السحول.

إبراهيم المقحفي. معجم البلدان. ج ١، ص ٣٣٧.

(٦) أحمد بن فيروز: نفس المصدر. قـ ٨، الطيب بافقيه: نفس المصدر. ص ٢٦٩.

(٧) أنتقد الإمام شرف الدين تصرفات والي زيد العثماني، وبعث برسالة إلى أمير موسم حج سنة ٩٤٦هـ

/ ١٥٣٩م يشكو فيها من تلك التصرفات، وعدم الإيفاء بالأمان ومهاجمة الرعايا. الحسن الزريقي: سيرة

الإمام شرف الدين. قـ ٧٧. أنظر ملحق رقم ١.

وخطاب زليف، حتى وقع من ولانكم في حدود جهاتنا عدوان وطغيان، وقتل وهتك
لأمان الله الملك الرحمن^(١).

وأكد الأمير المطهر بن شرف الدين وجود هذا الإتفاق في جوابه — السابق —
إلى السلطان سليمان القانوني، حيث بين أن حربه على العساكر العثمانيين في اليمن
كانت نتيجة هتكهم للأصلح والذمم التي كانت بينهم بقوله "فمخالفتنا لعساكركم
المنصورة، وكتائبكم الواسعة الموفورة ليس له صحة ولا ثبات، ولا كان لنا إلى
حربهم تعد ولا التفات، بل قصدونا إلى هذه الأقطار والجهات، وجلبوا علينا أتراكاً
وأرواماً، وهتكوا أصلحاً كانت بيننا وبينهم وذماماً، وما راعوا لأوامركم الشريفة
فيما أحكاماً"^(٢). فالإتفاق الضمني — كما أتضح سابقاً — كان موجوداً بين الطرفين،
بل أن نقض هذا الإتفاق والخروج على مبادئه كان سبباً في تغير موقف آل شرف
الدين تجاه العثمانيين.

ومن واقع هذه الإشارات بدا واضحاً أن موقف آل شرف الدين في هذه المرحلة
تجاه سيطرة العثمانيين على بعض مناطق تهامة و عدن، قد اتسم بالمهادنة، وإظهار
الطاعة والتبعية الاسمية للدولة العثمانية، دون التصريح الرسمي بذلك، أي أن تكون
العملة والخطبة باسم السلطان العثماني.

يبدو أن ما دفع الإمام شرف الدين إلى اتخاذ هذا الموقف، هو عدم وجود
مبررات تستدعي معاداة الدولة العثمانية في تلك المرحلة، فظهور العثمانيين حينها
على السواحل اليمنية، وسيطرتهم على تلك المناطق كان في إطار نية الجهاد التي
تبناها لحماية المنطقة من الخطر البرتغالي، وهي مناطق لم تكن تخضع لسلطة
الإمام من قبل، بل كانت خاضعة للطاهريين والمماليك، الذين كانوا على علاقة عدا
مستمرة مع الإمام شرف الدين.

(١) وردت هذه الرسالة عند الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. قـ ٧٧. ملحق رقم ١.

(٢) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن فيروز: مطالع النيران. قـ ١٣، قطب الدين النهروالي: البرق اليمني.

صـ ١١٤، عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية جـ ١، قـ ١٩٠. أنظر ملحق رقم ٣.

وفي المرحلة الثانية التي أعقبت توغّل حملة أويس باشا^(١) سنة ٩٥٢هـ/١٥٤٦م، في مناطق اليمن الداخلية الخاضعة لنفوذ الإمام شرف الدين، دخلت علاقة الطرفين مرحلة جديدة من مراحلها، غلب عليها طابع الصراع السياسي الفكري، وأستمرت حتى خروج العثمانيين من اليمن سنة ١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م، فقد رأى آل شرف الدين في تقدم العثمانيين صوب مناطق اليمن الداخلية، تهديداً لمحاولاتهم إقامة الدولة الزيدية في اليمن، وفقدانا لمركزهم السياسي والديني^(٢)، ولمناطق نفوذهم التي شكلت مصدرا من مصادر مواردهم المالية (الزكاة). وهو ما عبر عنه الأمير المطهر بن شرف الدين في جوابه - السابق - إلى السلطان سليمان القانوني، حين برر حربه على العثمانيين بقوله " ولا كان لنا إلى حربهم - يقصد عساكر السلطان في اليمن - تعد ولا التفات بل قصدونا إلى هذه الديار [...] وما راعوا لأوامركم الشريفة فينا أحكاماً، وضيقوا علينا مسالك المعيشة خلفاً وأماماً ورمونا بما لا يرما [يرمى] به إلا الذين يعبدون أوثاناً وأصناماً"^(٣). كما رأوا في ذلك التقدم تنصلاً عن واجب الدولة العثمانية الحقيقي، والمتمثل في محاربة أعداء الدين وهو الشعار الذي رفعه العثمانيون عند وصولهم إلى اليمن. حيث أشار إلى ذلك الإمام شرف الدين في رسالته إلى السلطان سليمان القانوني والمؤرخة بـ ١٧شوال ٩٤٧هـ/ ١٦ فبراير ١٥٤١م، حين أكد للسلطان أن الولاية في اليمن منشغلون بالأطماع الدنيوية والتعدي على الرعية، غير مباليين بتحقيق الهدف الذي

(١) أويس باشا : من ممالك السلطان سليم تولى حكم اليمن سنة ٩٥٢ هـ / ١٥٤٦ م خلفاً للوالي مصطفى باشا النشار ، قتل في المناطق الوسطى من اليمن أثناء تقدمه إلى صنعاء على يد بعض رجاله وعلى رأسهم حسن بهلوان سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٨ . قطب الدين النهروالي: البرق اليمني. ص ٩٥.

(٢) أشار محمد خليل افندي في لائحته الخاصة باليمن بند رقم ١٢ إلى أن فقدان الإمام شرف الدين لمركزه كان من الأسباب التي دفعته إلى حرب العثمانيين. محمود علي عامر: اليمن من خلال لائحتي محمد خليل افندي. مجلة الأكليل، العدد الأول، سنة ١٩٨٩م، من ص ٧٩ - ٩٩، ص ٨٣.

(٣) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن فيروز: مطالع النيران. ق ١٣، قطب الدين النهروالي: نفس المصدر. ص ١١٤. نظر ملحق رقم ٢.

يبدو أن المطهر في رسالته قد تحدث باسم اليمنيين ، وما حصل لهم من مضايقات معيشية ،ومن أعمال السلب والنهب التي مارستها الجنود العثمانيين ، فحين سقطت مدينة صنعاء بأيديهم سنة ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م في عيد أزدمر باشا أبيحت المدينة لمدة ثلاثة أيام وتعرض أهلها لمثل تلك الأعمال. يحيى بن الحسين : غاية الأمان. ج ٢، ص ٧٠٠. عيسى بن لطف الله : روح الروح. ص ١٢٨.

من أجله جاءوا إلى اليمن بقوله " ثم نهى إليكم ما صار عليه أكثر أهل ولايات زماننا هذا في أقطارنا من قبل وصول عساكركم إلى الجهات اليمنية والتهامية، ومن بعد من تعدي حدود الشريعة المطهرة، وعدم مراعاة معالمها المقررة، وإشتغالهم بغير ما أمرتموهم به، على ما بلغنا في النظر في جهاد الكفار وعدم التعرض للمسلمين"^(١).

وأبدا المطهر بن شرف الدين استغرابه من وجود الجيوش العثمانية في الديار اليمنية في جوابه على رسالة السلطان سليمان القانوني بقوله "ولو أن عساكركم المنصورة الألوية، المسلمة عن صروف الأقضية وجهوا همهم العلية، وعزائمهم الصلبة القوية إلى الجهات الكفرية، لنالوا من الخير نيلاً عظيماً، وسلكوا إلى سبيل السعادة صراطاً مستقيماً [...] بيد أنهم تشاغلوا بحربنا عن جميع الحروب، وفوتوا بذلك كل عرض ومطلوب، أهملوا جهاد الكفار"^(٢).

وما يثير التساؤل هنا هو: ما الأسباب التي دفعت العثمانيين إلى الانحراف عن مسار هدفهم في مواجهة البرتغاليين بالتوغل في المناطق الداخلية من اليمن؟ ولماذا لم يكتفوا بالبقاء في السواحل، ويتركوا الداخل للإمام وأسرته؟ وما الموقف والخطاب السياسي الذي تبنته القوة الزيدية حيال ذلك؟

إن مسألة توغل العثمانيين في مناطق اليمن الداخلية، وخروجهم عن إطار الهدف السياسي المعلن المتمثل بحماية الأماكن المقدسة في مكة والمدينة من خطر البرتغاليين، لم يكن عملاً ارتجالياً أو عشوائياً، بل كانت له أسباب ودوافع. فقد اكتشفت الدولة العثمانية زيف المبالغات التي رسمها سليمان باشا الخادم عن إنجازاته في الهند، وعن خضوع الإمام شرف الدين في اليمن لطاعة الدولة العثمانية. وقد ظهر ذلك حين وصلت الأخبار من اليمن، والتي تؤكد أن الإمام شرف الدين مازال مستمراً في توطيد أركان دولته هناك، وأنه تلقب بلقب أمير المؤمنين، ويقوم بجباية الخراج من الرعايا. مما يؤكد أن ما أبداه من طاعة للدولة العثمانية في

(١) وردت هذه الرسالة عند الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. ص ٧٧. أنظر ملحق رقم ١.

(٢) وردت هذه الرسالة عند قطب الدين النهروالي: البرق اليمني. ص ١١٥. أحمد بن فيروز: مطالع النيران. ق ١٤. مجموع سفينة شعرية: ق ٧٥ - ٨٠. عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية. ج ١، ق ١٩٠.

مراسلاته، كانت طاعة اسمية من باب المهادنة ليس إلا. الأمر الذي دفع الدولة العثمانية إلى تبني سياسية جديدة تجاه اليمن، سعت من خلالها إلى إخضاعه وبسط نفوذها عليه بالقوة. وجاء إرسال حملة أويس باشا لتنفيذ تلك السياسة^(١).

ذلك هو السبب الرئيسي - كما يبدو - الذي دفع الدولة العثمانية إلى إرسال تلك الحملة، إلى جانب أسباب أخرى شجعتهم على ذلك، منها ما يتعلق بأوضاع اليمن الداخلية، وأخرى تتعلق بأوضاع الدولة العثمانية.

فقد كانت أسرة آل شرف الدين تمر بأزمة سياسية تمثلت بظهور الشقاق ووقوع حالة من الصراع و التحالف بين أفرادها - مثل المطهر أحد طرفيها في حين مثل والده وأخويه علي وشمس الدين الطرف الثاني - حول مسألة الإمامة^(٢)، فسعى العثمانيون إلى استغلال تلك الخلافات لمصلحتهم^(٣). كما لعبت القوة الإسماعيلية التي كانت على عدااء مع الإمام شرف الدين دوراً كبيراً في تشجيع العثمانيين على التقدم لمحاربة الإمام، فقد وعد زعيمهم الداعي محمد بن إسماعيل بتقديم العون للعثمانيين وإمدادهم بخمسين ألف مقاتل من أتباعه^(٤).

وفي الوقت الذي مرت فيه أسرة آل شرف الدين بحالة من التفكك، كانت الدولة العثمانية تعيش أوج قوتها وعزها السياسي والعسكري، لذلك سعت لمد سيطرتها على مناطق اليمن الداخلية لضمان حماية قواتها المرابطة في المناطق الساحلية، خاصة وأن الكثير من المناوشات والاحتكاكات كانت تقع بينهم وبين قسوات الإمام

(١) قطب الدين النهروالي: البرق اليمني. ص ٩٥، عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية. ج ١، ق ١٨٩.

(٢) قسم الإمام شرف الدين أقاليم دولته بين أبنائه سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤١م، وجعل إدارتها بأيديهم وذلك حين بلغ عمره سبعين عاماً، و اسند ولاية العهد بالإمامة لابنه علي متخطياً بذلك أنه الأكبر المطهر بحجة أن به عرجاً، وأن هذا يخالف شروط الإمامة في المذهب الزيدي التي منها أن يكون الإمام سليم الجسم والحواس. الأمر الذي أثار حق المطهر و غضبه مما دفعه إلى خوض حروباً ضد أبيه وأخوته. يحيى بن الحسين: غاية الأمانى. ج ٢، ص ٦٨٨. قطب الدين النهروالي: نفس المصدر. ص ٩٥.

(٣) أوردت بعض المصادر التاريخية قصة المراسلات بين المطهر بن شرف الدين وأويس باشا، وعزت تقدم أويس باشا في أقاليم اليمن الداخلية إلى ما وقع فيها من اتفاق بين الطرفين، وذلك عقب الخلاف الذي وقع بين أفراد أسرة آل شرف الدين. عبدالله بن داعر: نفس المصدر. ج ١، ق ١٨٩. قطب الدين النهروالي: نفس المصدر. ص ٩٦، عيسى بن لطف الله: روح الروح. ص ١١٧. يحيى بن الحسين: نفس المصدر، ج ٢، ص ٦٩٢.

(٤) سيد سالم: الفتح العثماني. ص ١٨١ - ١٨٢.

شرف الدين من وقت إلى آخر، كما أن طبيعة تربية الجنود العثمانيين العسكرية الصارمة، ورغبتهم في القتال جعلتهم يضيقون من بقائهم في معسكراتهم، مما يستدعي البحث عن ميادين للحرب والقتال^(١) فكانت أقاليم اليمن الداخلية هي الأنسب لتحقيق ذلك.

وبالإضافة إلى كل تلك الأسباب فإن اعتماد الدولة العثمانية في مصادرها المالية على جباية الزكاة والضرائب^(٢) كان له تأثير قوي - لا يمكن تجاهله - في أقدامها على إرسال حملاتها العسكرية المتتالية للسيطرة على تلك الأقاليم، و الاستفادة من مواردها المالية. خاصة وأن الفكرة التي رسمت في أذهان السلاطين العثمانيين عن اليمن وأوضاعها، قد بنيت أساساً على التقارير الأولية التي بعث بها قادة الحملات العسكرية الأولى، وأكدوا فيها على امتلاك اليمن موارد مالية ضخمة، وأن السيطرة على اليمن سهلة المنال. فقد ورد في تقرير أحد القادة العثمانيين^(٣) بتاريخ ١٠ رمضان ٩٣١هـ / يوليو ١٥٢٥م أن اليمن أكثر رخاءً من مصر، وبها موارد وافرة، فعائدات زبيد وحدها تبلغ "١٨٠٠٠" سكة ذهب سنوياً، وفي منطقة تعز ٣٠٠ قرية مسجلة للضرائب، وذكر أنه يمكن تقسيم اليمن إلى خمسة سناجق بالإضافة إلى عدن، وأضاف أيضاً أن اليمن ينقصها حاكم قوي وإن الفوضى نعم أرجاءها، وأن مسألة فتحها أمر متيسر وسهل^(٤).

(١) سيد سالم: الفتح العثماني . ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٢) وجيه كوثراني: المسألة الثقافية في لبنان الخطاب السياسي والتاريخ. بيروت، منشورات بصون الثقافية، ط أولى، ١٩٨٤، ص ٦٤ .

(٣) لم يرد في التقرير أسم القائد العثماني الذي أرسله لكن من خلال تاريخ التقرير يرجح أن من أرسله هو سلمان الرئيس لأنه وصل سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م إلى مصر وعمل تحفيز الصدر الأعظم إبراهيم باشا والذي كان حينها في مصر على ضرورة إرسال حملة عثمانية إلى اليمن، وأخبره بأحوالها، وبضعف حاكمها. سيد سالم: الفتح العثماني. ص ١٤٠ .

(٤) Serjent , R .J3: Sana'a an Aribian Islamic city .the post medieval and modern History of Sana.a. frist published in 1983 by the world of Islam Festival Trust, p 69

Blackburn , J.R :Tow Documents on the Division of Ottoman Yemen into tow Beglerbegiliki (973 / 1565). in Ture.ca , Tome xxvii, Editions Peeters. No 27.1995.p 226 نشرت هذه الوثيقة في سلسلة الدراسات المترجمة (٥) للمعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي: ترجمة: نهي صادق، ٢٠٠٢م، ص ١٠٩ - ١١٠. على الرغم مما ورد في

وفي رسالة بعث بها سليمان باشا الخادم إلى السلطات العثمانية، وصف فيها مينساء عدن، وذكر انه لم يزر بقية اليمن الممتد من عدن إلى مكة، إلا أن هذه المناطق الواسعة يمكن تقسيمها إلى ثلاثين سنجقاً، ونصح بتعيين بكربك^(١) يقيم في زبيد بدلاً من عدن^(٢). ويبدو أن الإمام شرف الدين حاول تصحيح تلك الصورة التي رسمت في أذهان العثمانيين، حيث أكد في رسالة بعث بها إلى السلطان سليمان القسانوني المؤرخة بتاريخ ١٧ شوال ٩٤٧هـ / ١٦ أفريل ١٥٤١م بأن اليمن بلد فقير ولا يملك أي ثروات بقوله إن "بلادنا هذه بلاد شحيحة أمطارها، وخراجاتها حقيرة"^(٣).

ومما سبق يمكن القول أن كل تلك الأسباب مجتمعة دفعت العثمانيين إلى التوغل في الأقاليم الداخلية من اليمن. وأن أئمة الزيدية قد أدركوا وجود نوايا وأطماع سياسية توسعية للدولة العثمانية في اليمن، الأمر الذي دفعهم إلى مجابهة ذلك دفاعاً عن محاولاتهم إقامة الدولة الزيدية في اليمن.

انطلاقاً من هذا التوجه خاض أئمة الزيدية حروباً طويلة استمرت زهاء قرن، تمكنوا من خلالها أن يحافظوا على ديمومة محاولات إقامة الدولة الزيدية، وأن ينتزعوا اعتراف الدولة العثمانية بمكانتهم الدينية والسياسية. تجسد ذلك الاعتراف في الاتفاقيات التي أبرموها مع العثمانيين، وأقر فيها احتفاظهم بمعظم الأقاليم التي تحت سيطرتهم، مقابل اعترافهم بالسيادة العثمانية^(٤). — أي أن تكون

«الوثيقة من إحصائيات مهمة حول ميناء زبيد، وتعد إلا أن مصدر هذه الأرقام، ومدى صحتها تظل محل شك وتساؤل.

(١) بكربك: تعني حاكم أو والي. قطب الدين الدهروالي: ص ٧٥.

(٢) Blackburn, J.R: Tow Documents on the Division of Ottoman Yemen into tow Beglerbegiliki (973 / 1565). p227.

للمعهد الأمريكي للدراسات اليمنية: دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي: المرجع نفسه: ص ١١٠.

(٣) وردت هذه الرسالة عند الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. ص ٧٨. أنظر ملحق رقم ٣.

(٤) سيد سالم: الفتح العثماني. ص ٢٠٥، ٢٩٢، ٣٨٥. وليد النود: الدولة القاسمية في اليمن. ١٥٩، ١٩٠.

الخطبة والعملة باسم السلطان العثماني - والدخول في طاعتها كما فعل أبناء الإمام شرف الدين^(١).

وقد ترتب على اتباع الدولة العثمانية لسياسة التصالح مع أئمة الزيدية، ظهور ثنائية في النظام السياسي في اليمن، نظام الولاية العثمانية، والإمامة الزيدية^(٢). وهذه الثنائية كفلت استمرارية محاولات الأئمة في إقامة الدولة الزيدية، التي تحققت في عهد آل إلقاسم عقب الخروج الأول للعثمانيين سنة ١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م.

وعلى أية حال فإن حساسية الحرب بين العثمانيين وأئمة الزيدية وهما طرفان مسلمان، دفعت الطرفين إلى تبني شعارات وخطابات لها أبعاد فكرية، سعوا من خلالها إلى إيجاد المبررات والمسوغات الشرعية، التي تجيز لكل طرف قتال الطرف الآخر، وحملت هذه الخطابات مضامين مختلفة، وفقاً للظروف السياسية التي مرت بها مراحل الصراع.

ففي المرحلة الأولى من الصراع التي كانت بدايتها حملة أويس باشا عام ٩٥٢هـ / ١٥٤٦م، عمل أئمة الزيدية على مجابهة تقدم العثمانيين، حفاظاً منهم على مناطق نفوذهم، وديمومة محاولاتهم في إقامة الدولة الزيدية. وتبنوا من أجل ذلك خطاباً دينياً عاطفياً، أكدوا فيه أن مجابتهم تلك هي من باب الدفاع عن النفس، وعن مكانة آل البيت الاجتماعية والدينية

تجسد مضمون هذا الخطاب في مراسلاتهم إلى السلطان سليمان القانوني. فقد أشار الإمام شرف الدين في رسالته بتاريخ ١٧ شوال ٩٤٧هـ / ١٦ فبراير ١٥٤١م، إلى أن حربه ضد العثمانيين في تهامة، لم تكن إلا دفاعاً عن النفس بقوله "للم يكن من أمير زبيد إلا القيام بنفسه وجنده المعد لجهاد أعداء الله في مخالفة ذلك والبعي على ذرية نبيكم رسول الله ﷺ وإسعاده لأعداء الله [...] وقد أحببنا مطالعتكم بهذا الكتاب حتى تعرفوا أنه لم يكن منا إلا الدفاع عن الحوزة بعد أن بذلنا كل ما طلبتموه

(١) في عهد الوالي حسن باشا (١٥٨٠ - ١٦٠٤م) تم احتواء أمراء آل شرف الدين في إطار الدولة العثمانية، حيث عينوا أمراء على كثير من الحصون باسم الدولة العثمانية، ومنحوا لقب سنجق ومقربات من الدولة العثمانية. سيد سالم : الفتح العثماني. ٣٤٧، وليد النود: الدولة القاسمية في اليمن. ص ١١٨.

(٢) أميره علي المداح : العثمانيون والأمم القاسم بن محمد بن علي في اليمن. جدة، تهامة للنشر، ط الثانية،

مننا^(١). كما ظهر مضمون هذا الخطاب في جواب الأمير المطهر المؤرخ بـ رجب ٩٥٨هـ / أبريل ١٥٥١م، رداً على رسالة السلطان سليمان القانوني، حيث حاول فيه التركيز على الجوانب العاطفية بتذكير السلطان بمكانة آل البيت بقوله "ونحن من مودتكم على يقين، ونرجو أنكم لا تصغوا أذنا لكلام الفاسقين ولا تهملوا رعاية الصالحين المتقين، ولا تقطعوا حقاً لذرية النبي الأمين، وأبناء علي الأئمة البطين كرم الله وجهه في عليين". ثم علل قتاله للعثمانيين بقوله "ولم يعلموا أنا ممن أوجب الله لهم رعاية واحتراماً، ومن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً، فدافعنا عن أنفسنا وأولادنا ما أمكن من الدفاع ودرأنا عن محارمنا وترك الدفاع عنهما لا يستطاع"^(٢).

جاء تبني أئمة الزيدية من آل شرف الدين لهذا الخطاب في هذه المرحلة - كما يبدو - نتيجة إفتقارهم للمبررات الشرعية المقنعة، التي تمنحهم الحق في مجابهة الزحف العثماني، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية عملوا على مسايرة المكانة الدينية والسياسية المرموقة التي حظي بها العثمانيون في البلاد الإسلامية، إذ لم يمثل العثمانيون عنصراً دخيلاً أو غريباً على المجتمع اليمني بحكم إسلامهم، خاصة أن وجودهم كان في الأساس لحماية بلاد المسلمين ومقدساتهم من الخطر البرتغالي^(٣).

وفي المرحلة الثانية من الصراع بين الطرفين، والتي كانت بدايتها بعد حملة أزدمر باشا^(٤)، وإستيلائه على صنعاء سنة ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م، تغير موقف أئمة الزيدية تجاه العثمانيين نتيجة المستجدات التي طرأت في هذه المرحلة. فبعد استقرار العثمانيين في الأقاليم التي سيطروا عليها، وتوليهم مسئولية إدارتها وحكمها، بدأت ملامح العداء لهم تظهر في أوساط المجتمع اليمني، نتيجة لما قام

(١) وردت هذه الرسالة عند الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. ص ٧٩. أنظر ملحق رقم ١.

(٢) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن فيروز: مطالع النيران. ق ١٢-١٣. قطب الدين النهروالي: البرق اليمني، ص ١١٣، ١١٤، ١١٥. مجموع سفينة شعرية: ق ٧٥-٨٠. عبدالله بن داعر: فتوحات المرادية. ج ١، ق ١٨٨-١٩٠. أنظر ملحق رقم ٣.

(٣) عبدالكريم السعير: التشكيلات المركزية. ص ٣٩-٤٠.

(٤) أزدمر باشا: أحد المماليك الذين دخلوا في خدمة الدولة العثمانية بعد سقوط دولة المماليك في مصر، وصل إلى اليمن مع حملة سليمان باشا، وتولى حكم جيزان، بقي في اليمن وتولى عدة مناصب عسكرية، عُين والياً على اليمن خلال الفترة ١٥٤٩-١٥٥٤م. سيد سالم: الفتح العثماني. هـ. ص ١٨٦.

به بعض الولاة والجنود العثمانيين من أعمال سلب و نهب، وابتزاز أموال الناس، وشرب الخمر جهاراً وإقامة دور للبغياء، وتفشي الربا والزنا وغيرها من الأخطاء، التي أثارت المشاعر العدائية ضدهم^(١). حيث استثمر أئمة الزيدية تلك الأوضاع، واستوعب خطابهم المستجدات التي لازمت هذه المرحلة، وأصبح للجانب الاجتماعي المؤطر دينياً نصيباً كبيراً في مضمون ذلك الخطاب. فقد انكروا مثل تلك التصرفات التي اقدم عليها بعض الولاة العثمانيين، ورفعوا شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقاومة الظلم ومحاربة الظالمين. وهو الشعار الذي يمنحهم تبريراً شرعياً لخوض غمار الصراع السياسي ضد الدولة العثمانية. وظهر مضمون ذلك الجانب جلياً في ورسائلهم وخطبهم التي بعثوها إلى أنصارهم وحلفائهم. فقد عمل الإمام شرف الدين على تحريض الناس على محاربة العثمانيين معللاً ذلك بمخالفة ولائهم لأحكام الشريعة الإسلامية، وهي من الأمور الأساسية التي يجب أن يلتزم بها الحاكم المسلم، وأكد أن طردهم من اليمن مهمة جهادية مقدسة^(٢).

وعمل المطهر بن شرف الدين على استثارة حمية اليمنيين وحرصهم على جهاد العثمانيين في رسائله التي كان يبعثها إلى مشايخ القبائل، والتي بين فيها مثالبهم وما يقومون به من أعمال فيها إهانة لآل شرف الدين خاصة ولليمنيين عامة، وأرفق في بعض هذه الرسائل بخصلات وضافائر من شعور نساءه وحريمه^(٣)، حيث أكد في إحدى رسائله أن حربه ضد العثمانيين إنما هي حرب لدرء " أهل الكفر والجحود الذين دمروا البلاد تدميراً، وفعلوا المنكر وارتكبوا العظائم، وهتكوا المحارم"^(٤)، وأن كل ما يرجوه من هذه الحرب هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحياء شريعة الله. و بين في رسالته تلك أنه لا يسعى إلى طلب المال، أو السلطة من وراء هذه الحرب، وإنما يسعى إلى تحقيق طاعة الله، وحماية البلاد، وصون دماء المسلمين بقوله "وأثرنا طاعة الله وحماية دينه، ونرجو بذلك ثواباً كثيراً، لا رغبة في الدنيا

(١) سيد سالم: الفتح العثماني. ص ٣٠١.

(٢) محمود عامر: اليمن من خلال لائحة محمد خليل افندي. مجلة الأكليل، العدد الثاني، سنة ١٩٨٩م، ص ٨٣.

(٣) قطب الدين النهروالي: السبوق اليمني. ص ٣٧٩.

(٤) رسالة الأمير المطهر بن شرف الدين إلى أهل صنعاء (بدون تاريخ) وردت الرسالة في مجموع سفينة شعرية:

لنحوز ذهباً وفضةً وحريراً، بل لحماية البلاد وحقق دماء العباد، ممن كان آثماً أو كفوراً»^(١).

وظل هذا الجانب يمثل الركيزة الأساسية في خطاب أئمة الزيدية في صراعهم مع العثمانيين، حتى خروجهم من اليمن.

فقد أكد الإمام الحسن بن علي المؤيدي^(٢) أن قيامه بأمر الدعوة، وإعلانه الحرب على العثمانيين، كان من باب إحياء شريعة الله، ومحاربة الظلم والعمل بكتاب "الله وسنة نبيه ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومباينة الظالمين، وجهاد أعداء الله المفسدين، والانتصاف للمظلومين من الظالمين"^(٣). ولنفس الهدف كانت دعوة الإمام القاسم بن محمد^(٤)، حيث بين في رسالته إلى أنصاره أن العثمانيين هم الفرقة الطاغية، التي يجب محاربتها ومقاتلتها، نظراً لما يقترفوه من أعمال مخالفة لتعاليم الدين الحنيف بقوله "ولا تحسبوا أن الدين معقود على هذه الفرقة الطاغية، فإن الله قد فرق شملهم [...] فلا تغتروا بكذبهم، وإرعادهم وإبراقهم، فإن الكذب دأبهم، والفجور مذهبهم، ينكحون الذكور، ويشربون الخمر، ويقولون الزور، ويسفكون الدماء، وينقضون العهود"^(٥).

(١) رسالة الأمير المطهر بن شرف الدين إلى أهل صنعاء (بدون تاريخ) وردت الرسالة في مجموع سفينة شعرية: قـ ٩٠، ٩٢.

(٢) الحسن بن علي بن داود المؤيدي: إمام مجاهد كان مولده ونشأته بصعدة، دعا لنفسه بالإمامة سنة ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م، في هجرة الأهنوم، انتشرت دعوته في المناطق الشمالية، دخل في صراع مع العثمانيين إلى أن تمكنوا من هزيمته وأسرته، سنة ٩٩٣ هـ / ١٥٨٦ م، ونفي إلى أستانبول وتوفي هناك سنة ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م. يحيى بن الحسين: غاية الأمان. جـ ٢، ص ٧٥٠. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. بيروت، دار صادر، جـ ٢، ص ٢٩.

(٣) أحمد بن شايح اللوزي: سيرة الإمام الحسن بن علي المؤيدي. مخطوطة محملة على قرص مدمج C.D. بمؤسسة الإمام زيد ابن علي الثقافية بصنعاء، قـ ١٠.

(٤) هو الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد يصل نسبه بالإمام علي بن ابي طالب، كان مولده سنة ٩٦٧ هـ / ١٥٥٩ م بالشاهل من بلاد الشرف، طلب العلم من شيوخ عصره، دعا لنفسه بالإمامة سنة ١٠١٦ هـ / ١٥٩٧ م في جبل القارة وأتف حوله الكثير من الناس، خاض حروباً كثيرة مع العثمانيين، أكتملت في عهده ملامح الدولة الزيدية، لم يسخر حياته للسياسة فحسب، بل سخر جزءاً من وقته للإشتغال بالعلم حيث ألف العديد من المصنفات العلمية منها كتاب "الأساس"، وكتاب "الاعتصام"، كانت وفاته في مدينة شيارة سنة ١٠٢٩ هـ / ١٦٢٠ م. إمام الشوكاني: البدر الطالع. جـ ٢، ص ٤٧ - ٥٠. سيد سالم: الفتح العثماني. ٣٥٧.

(٥) أحمد بن محمد الشرفي: اللؤلؤ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية. جـ ٣، قـ ١٩١.

وعلى نفس المنوال سار الإمام المؤيد محمد بن القاسم^(١)، حيث أشار في رسالته — بدون تاريخ — إلى الأشراف بني الحسن آل موسى بن عبدالله، أشراف مكة، أن سبب دعوته وتحمله أعباء الإمامة، كان الغرض منها طاعة الله، بإقامة شرعه، بعد أن طال الأمد بالعثمانيين في اليمن، وتعطلت أحكام الشرع في عهدهم، وأنه لم يقدم على الخروج عليهم إلا بعد أن ظهر في عهدهم "السفاح، وحمل النكاح، [...] وشربت الخمر، ونكحت الذكور، وارتكبت الشرور، وأكل الربا، وقُبلت الرشأ، وتسابق الناس في ميدان الهوى، وعسف السلطان، وبهج الشيطان، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"^(٢).

في الوقت الذي مثل الجانب الاجتماعي المؤطر دينياً المحور الأساسي في خطاب أئمة الزيدية، خاصة في عهد المطهر بن شرف الدين، فإن الجانب السياسي المتمثل بأحقية آل البيت في الحكم كان غائباً في نص ذلك الخطاب، طوال مرحلة صراعه مع العثمانيين. ويبدو أن المطهر لم يصرح بذلك نظراً لوضعه السياسي، وعلاقته مع العثمانيين أنفسهم، فقد اعترف بسلطة الدولة العثمانية في مراسلاته مع السلطان سليمان القانوني — كما أشرنا — وأصبح أحد أمرائها، وذلك حين أقر بضرب العملة والدعاء في الخطبة باسم السلطان العثماني في مناطق نفوذه^(٣). فمسألة رفعه لشعار أحقيته في الحكم تمثل خروجاً عن طاعة أولسي الأمر، التي اعترف بها وأقرها، ويناقض ما صرح به من أن حربه على العثمانيين ليست لدوافع سياسية أو مالية، لذا فضل رفع الشعارات الاجتماعية عن السياسية.

ولم تظهر ملامح الجانب السياسي — أحقية آل البيت في الحكم — في مضمون نص الخطاب المؤطر دينياً الذي تبناه أئمة الزيدية في صراعهم مع العثمانيين إلى

(١) هو الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي يتصل نسبة بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كان مولده سنة ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م بمنطقة الأهنوم، تولى الإمامة بعد موت أبيه سنة ١٠٢٩هـ / ١٦٢٠م وفي عهده خرج العثمانيون من اليمن للمرة الأولى سنة ١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م، استمر في الحكم حوالي ٢٥ سنة، كانت وفاته سنة ١٠٥٤هـ / ١٦٤٤م، كتب سيرته عدد من المؤرخين أمثال الشرفي والجرموزي. أنظر الإمام الشوكاني: البدر الطالع. ج ٢، ص ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٢) المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة. تحقيق: أمة الملك الثور، ص ١٩٥.

(٣) قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. ص ٤٢٨. سيد سالم: الفتح العثماني. ص ٢٠٥.

جانب المضمون الاجتماعي، إلا في المرحلة الأخيرة من مراحل الصراع بين الطرفين.

ففي المرحلة الثالثة والأخيرة للصراع التي بدأت بعد موت الأمير المطهر بن شرف الدين ٩٨٠هـ / ١٥٧٢م، تبنى أئمة الزيدية خطاباً ذي طابع سياسي، حيث جعلوا من قضية أحقية آل البيت في الإمامة ركيزة من ركائز خطابهم في هذه المرحلة، إلى جانب دعوتهم بإقامة العدل ومحاربة الظلم. وجاء تبنى أئمة الزيدية لهذا الخطاب نتيجة الظروف السياسية التي مرت بها اليمن حينها فبعد موت المطهر الذي مثل - إلى حد كبير - استمراراً لمحاولات إقامة الدولة الزيدية، بدأت ملامح ضعف وأقول هذه المحاولات تظهر، وذلك حين تمكنت الدولة العثمانية من بسط سيطرتها على معظم أقاليم اليمن، واحتوت بقية أمراء آل شرف الدين، وحولتهم إلى عوامل استقرار، بمنحهم الوظائف الرسمية، هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية مثلت فترة الوالي حسن باشا^(١) ٩٨٨ - ١٠١٣هـ / ١٥٨٠ - ١٦٠٤م، فترة استقرار سياسي، فقد عمل هذا الوالي على نشر العدل، وإقامة المشاريع الخيرية، وتعد فترة حكمه من أكثر الفترات رخاءً وعدلاً^(٢).

تلك الظروف خففت من وتيرة الجانب الاجتماعي، ولم تعد المبررات التي حملها مضمون خطابهم في المرحلة الثانية الغاية الرئيسية، أو نقطة الانطلاق في هذه المرحلة، لذلك عمل أئمة الزيدية على مسايرة هذه الأوضاع سعياً منهم للحفاظ على محاولات إقامة الدولة الزيدية، وتبنوا خطاباً ذا طابع سياسي بدأت ملامحه تظهر في دعوة الإمام الحسن بن علي المؤيدي، الذي مثلت دعوته إحياء للإمامة الزيدية. فقد أكد في خطبته التي دعا فيها لنفسه بالإمامة، على أن الزمان لا يخلو من قرشي صالح للإمامة، وأن آل بيت رسول الله ﷺ أحق من يتولاها، وأنه لا يوجد في عصره من آل البيت من هو أحق منه في تولى هذا الأمر بقوله "فها أنا ذا أنبئكم

(١) حسن باشا: ولاة السلطان مراد الثالث حكم اليمن سنة ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م، تمكن من استعادة سيطرة الدولة العثمانية على معظم أجزاء اليمن بعد أن كادت تخرج من تحت سيطرتها، حيث أخذ ثورة الإمام الحسن بن علي المؤيدي وأرسله مع أبناء المطهر إلى أستا نبول سنة ٩٩٤هـ / ١٥٨٥م. وفي عهده ظهر الإمام القاسم بن محمد سنة ١٠٠٦هـ / ١٥٩٨م. عزل عن اليمن سنة ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م، كانت وفاته في سنة ١٠١٦هـ / ١٦٠٨م. محمد المحبي: خلاصة الأثر. ج ٢، ص ٧٤.

(٢) سيد سالم: الفتح العثماني. ص ٣٥١، ٤٧٥، ٣٥٢.

بأنني أعلم من نفسي، وأطلع من يقيني ويخبرني فهمي بانفرادي من أبناء جنسي بالملكة والعلم بالقوانين، التي يتوصل بها استنباط الأحكام الشرعية والفرعية [...] وهذا هو علم الأصول، وكذلك أجد من نفسي [...] الملكة بالأحكام أنفسها الشرعية والفرعية عن أدلتها التفصيلية، وهذا هو علم الفروع، وكذلك الملكة والعلم بسائر العلوم، التي يتصل بها فيما يرجع إلى ديانات الإسلام وصلاحيات الخاص والعام، وهذا هو المجتهد، وإن كنتم في شك من هذا فعلى المدعي البينة وعلى المنكر اليمين^(١)، وبين أيضاً أن دعوته هي للعمل بكتاب الله وسنة جده ومذهب آبائه^(٢) . . .

وتجلت وتيرة هذا الجانب بشكل واضح في عهد الإمام القاسم، حيث ربط في إحدى رسائله إلى أنصاره بين طاعة الله وطاعة أئمة الهدى آل البيت، وبين فيها أن خيانة الله في أرضه تكون بموالاته من لا يستحق في وجود الأفضل من ذرية النبي ﷺ^(٣). وصرح في رسالة ثانية بأحقيته في الإمامة والحكم بقوله "إن الله أوجب عليكم طاعة أئمة آل البيت عليهم السلام، وحرّم عليكم مخالفتهم [...] وأنا من ذرية رسول الله أدعوكم إلى الله في شرايط الإمامة، وأنا الحجة عليكم^(٤)" موضحاً في رسالة ثالثة منهجه في ذلك بقوله "وتوكلوا على الله، وبينني وبينكم كتاب الله آية آية، وما تواتر من سنة رسوله ﷺ وما أنفق عليه مشاهير العلماء من الفرق الإسلامية على صحته، وما وافق كتاب الله خبراً خيراً، فإن لم أحكم فيكم بذلك فلا طاعة لي عليكم، إنه لا طاعة لمن لم يحكم بما أنزل الله"^(٥). مبيناً أن في مخالفته وعدم الاستجابة لدعوته هلاك لهم بقوله "وأقسم بالله لئن لم تطيعوني في اتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لنيكون الأمر كما قال رسول الله ﷺ لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر، أو ليسلطن

(١) أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة، ج ٣، ق ١٤٠.

(٢) أحمد النوزي: سيرة الإمام الحسن، ق ٢٠.

(٣) المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٤١٩. أحمد الشرفي: نفس

المصدر، ج ٣، ق ١٠٦.

(٤) أحمد الشرفي: نفس المصدر، ج ٣، ق ١٩٠.

(٥) المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة في جمل من عيون السيرة، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، رسالة

دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، ٢٠٠٥م، ص ٤١٨.

الله عليكم شراركم، فیدعو خياركم فلا يستجاب دعاؤهم^(١)، ولا تحسبن الدين معقوداً على هذه الفرقة الطاغية، فإن الله قد فرق شملهم وسلبهم محاسن ملكهم^(٢).

وفي عهد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بلغ المضمون السياسي المؤطر دينياً في خطاب أئمة الزيدية ذروته، وكاد يطغى على الجانب الاجتماعي في صراعهم مع الدولة العثمانية، وجاء هذا التطور نتيجة الظروف السياسية التي مرت بها اليمن، فقد تولى الإمامة بعد أبيه الذي مهد السبل لإقامة الدولة الزيدية، كما أن الدولة العثمانية مرت آنذاك بحالة من الضعف والتدهور^(٣). وظهر مضمون هذا الخطاب جلياً في رسائله.

فقد بين الإمام المؤيد في إحدى رسائله إلى أنصاره أن حربه على العثمانيين، إنما هي تقليد لما سار عليه الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في حربه على البغاة العصاة بقوله "وأنتم تعلمون رعاكم الله، أنا لم نقاتل هؤلاء إلا على ما قاتل عليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أولئك الذين قاتلهم، ولا سلكنوا إلا سنته، ولا إهدينا إلا بهديه، ولا أتبعنا إلا سبله، ولا إقتدينا إلا به، وأعداؤنا هؤلاء، لا يقتدون إلا بأعداء علي بن أبي طالب، ولا سلكوا إلا سبيلهم، ولا قصدوا إلا وجهتهم، ولا سلكوا إلا مسلكهم[...]" ودعا الناس إلى نصرته آل البيت والانتفاف حولهم في الرسالة نفسها بقوله "فأي مؤمن يؤمن بالله ورسوله، ويرى لأهل بيت رسول الله ﷺ حقاً يدخره في الآخرة ليوم قفوله، متقاعد عن نصرته العترة عليهم السلام، أو يكون له نسب لا يقطعهم إليهم، ومن يؤثرهم على نفسه ودينه، ويتبع منهم ما أعطاه الله تعالى من يقينه [...] واذكروا رحمكم الله حق الله عليكم، وحق رسوله، وحركوا عناصر محبة أهل بيت رسول الله بالجهد في سبيله، وأعدوا الجواب لسؤال نبيكم ووصيه، إذا سأل كل ناصر أو خاذل عن صحبته ودليله"^(٤).

(١) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب في أمالي أبي طالب . ترتيب القاضي عبدالله حمود

العزي، عمان ، مؤسسة الإمام زيد الثقافية . ٢٠٠٢م، ص ٣٠٤.

(٢) أحمد الشرفي: الدلائل المضيئة . ج٣ ، ١٩٠ ق.

(٣) أمة الملك الثور: بناء الدولة القاسمية في عهد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم. رسالة دكتوراه غير

منشورة ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص ٩٥ .

(٤) المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

كما أكد في رسالته إلى أشرف مكة - بدون تاريخ - على أحقية آل البيت في إقامة الدولة باعتبار ذلك حقا متوارثا بقوله "وأنا داعون إلى جهادهم [يقصد العثمانيين] كل مسلم، [...] لاسيما من شمله النسب النبوي، والنَّجَار^(١) العلوي، والنصاب الفاطمي شرقاً وغرباً، كيف لا والدين دين جدهم، والدولة دولة منصبهم"^(٢)، كما جعل من الولاء لإمامته أمراً إسلامياً عاماً، فتوليه هذا المنصب هو تعبير عن حق آل البيت في حكم المسلمين، لإقامة شرع الله^(٣).

وهكذا تبني أئمة الزيدية خطابات ذات مضامين مختلفة خلال مراحل صراعهم ضد العثمانيين، ويأتي تبنيهم لتلك الخطابات انطلاقاً من فقه المذهب الزيدي (الهادوي)، الذي بنوا دعوتهم على أسسه، حيث يُعد مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإثبات الإمامة في آل البيت من أصوله^(٤)، وشرط الخروج على الحاكم الظالم من شروط الإمامة فيه^(٥).

بناءً على تلك المرجعية الفقهية، ونماشياً مع دور ومكانة الدولة العثمانية السياسي والديني. تمحور موقف أئمة الزيدية السياسي تجاه الدولة العثمانية ونفوذها العسكري على أرض اليمن في اتجاهين متوازيين. أظهروا في الأول منهما احتراماً كبيراً للدولة العثمانية في ولائهم لسلطانها، ولم يُبدوا أي عداً أو تقليل لمكانتها الدينية والسياسية، وأقرّوا باحترام سلطانها، بل إن طاعة سلطانها، والخضوع لسيادتها مثل في بعض المراحل التاريخية موقفاً رسمياً لهم نحوها^(٦).

تجلى هذا الاتجاه في مراسلاتهم مع سلاطين الدولة العثمانية وأمرائها، حيث أكدوا أن طاعتهم واحترامهم للسلطين مقروناً بما بيديه أولئك السلطين من احترام ومكانة لآل البيت النبوي، وهو ما أظهره السلطين العثمانيون في مراسلاتهم

(١) النَّجَار : هي الأصل والحسب. جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور: لسان العرب المحيط. بيروت، دار لسان العرب: لسان العرب. جـ ١٤، ص ٥١.

(٢) المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك الثور. ج ١، ص ٢٣٧.

(٣) وليد النود: الدولة القاسمية في اليمن. ص ٣٦٢.

(٤) علي محمد زيد: معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره. صنعاء، دار لكلمة، ط الثانية، ١٩٨٥م، ص ٢٢١.

(٥) علي زيد: المرجع نفسه. ص ١٧، ٢٢١. احمد امين: ضحى الإسلام. بيروت، دارالكتاب العربي، ط العاشرة، (د.ت)، ج ٣، ص ٢٧٥. سنشير إلى تفاصيل ذلك في الفصل الثال من هذه الدراسة.

(٦) تمثل ذلك بموافقة أمراء آل شرف الدين بأن يكون النقد والخطبة باسم السلطان العثماني، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

مع أئمة الزيدية، فقد أكد السلطان سليمان القانوني في رسالته إلى المطهر بن شرف الدين أن صبره على ما يقوم به أئمة اليمن من محاربة ولاته يأتي من باب احترامه لمكانتهم بقوله "لكن غلب جانب حلمنا عليكم، وعظفت مراحمنا بالالتفات إليكم لأنكم من سلالة خير البشر، ومن آل بيت النبوة الميامين الغرر"^(١). كما نفوا في الوقت نفسه أن يكون السلاطين من المعادين أو المحاربين لآل البيت النبوي، وظهر ذلك جلياً في رسالة الإمام المؤيد بالله إلى والي الإحساء علي باشا المؤرخة — ٢٥ رمضان ١٠٤٠هـ/ ٢٨ أبريل ١٦٣٠م، بقوله "وحاشا السلطنة القاهرة أن ترضى ذلك، أو تسلك هذه المسالك، أو تتخذ عن آل البيت النبوي بدلا، أو تتفي عنهم وعن اتباعهم خولا"^(٢).

وفي الاتجاه الثاني لم يكن اتباع أئمة الزيدية لهذا الموقف تجاه السلاطين العثمانيين يعني تخليهم البتة عن مكانتهم الدينية والسياسية، وحقهم في الإمامة، وإقامة الدولة الزيدية، بل ارتبط به ارتباطاً وثيقاً، فقد نسجت ظروف ودواعي ذلك الصراع خيوطاً ربطت بين موقفهم تجاه السلاطين العثمانيين، وموقفهم من التواجد العسكري للدولة العثمانية في أرض اليمن، وذلك حين التقت طموحاتهم السياسية في إقامة الدولة الزيدية، مع الممارسات الخاطئة للولاة العثمانيين، فامتلكوا بذلك زمام المبادرة في إدارة الصراع مع العثمانيين، وبرروا حروبهم التي شنوها ضد الجيوش العثمانية المتواجدة على أرض الواقع، بأنها حروب ضد ظلم الولاة العثمانيين، وهو واجب ديني "مذهبي" ولا يعني ذلك — بالنسبة لهم — عدااء للدولة العثمانية، كما أن هذه الحروب لا تتنافى — من وجهة نظرهم — مع موقفهم تجاه سلاطين الدولة العثمانية. حيث صيروا عداؤهم لشخص الولاة الظلمة، وحملوهم مسؤولية ما وقع من تقصير في حقوق آل البيت التي أوجبها الله تعالى، والمتمثلة في رفعهم للأخبار الضالة، وقطع طرق التواصل بينهم وبين

(١) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن فيروز: مطالع النيران. ق ٨ — ١٠، قطب الدين النيروالي: البرق

اليماني. ص ١١٥ مجموع سفينة شهرية. ق ٧٠ — ٧٥. عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية. ج ١،

ق ١٩٠ — ١٩١. رسالة السلطان سليمان القانوني إلى المطهر. أنظر ملحق رقم ٢.

(٢) المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك الثور، ص ٧٢٤.

السلطين، وإصاقهم التهم الفاسدة بأئمة آل البيت، وعزوا للولاة أيضاً اليد الطولى في تعميم كراهية الناس للدولة العثمانية وتشويه صورتها.

فقد ذكر الإمام شرف الدين بعض تلك الأعمال التي مارسها الولاة العثمانيون في رسالته إلى السلطان سليمان القانوني المؤرخة بـ ١٧ شوال ٩٤٧هـ / ١٦ فبراير ١٥٤١م بقوله "وأعلمنا [...] أنه بلغ إلى زبيد قاصد من جنابكم الكريم إلى جهاتنا، وأن والي زبيد منعه، وكتبنا إلى والي عدن في ذلك ورجع جوابه أن يراجع، فإن ترك قاصدكم يصل إلينا، وإلا كان شاهداً لنا عليه، فلم يكن من والي زبيد إلا الاستمرار على منع القاصد، وكتب إلينا وإلى والي عدن، بأنه لا يخلي القاصد إلا إذا سلمنا إليه البلاد"^(١).

وأشار إلى مثل ذلك الأمير المطهر في جوابه على رسالة السلطان سليمان القانوني المؤرخ بـ رجب ٩٥٨هـ / أبريل ١٥٥١م، بقوله "وكنا نود أن نرسل إلى الأبواب الشريفة، والأعتاب الفخيمة الزليفة، رسولاً ينهي إليكم حقائق الأمور، ويرفع إلى مسامعكم الكريمة من عين المقدور، ما تكن القلوب منا والصدور، إلا أن هؤلاء الذين يلونا سدوا علينا وقطعوا من التواصل أوصالاً، وقعدوا لرسولنا كل مقعد بكرة وأصيلاً، وصدوهم عن الوصول إلى أبوابكم العاليسة عن الأبواب، ومنعوهم عن مناهج الذهاب والإياب، فلو كان منهم ما نريد لكان صدر إلى أبوابكم الشريفة، منا في كل حين ما نريد"^(٢). كما أكد على مثل ذلك الإمام المؤيد في رسالته إلى والي الأحساء علي باشا، حين حمل الولاة تبعات ما حدث بقوله "فنعم الأمر كما بلغكم، مما وقع بيننا وبين من يتعلّق بالسلطنة القاهرة (يقصد الولاة) أعز بها الله الإسلام، ممن لم يؤد حق الله ولا حفظ حرمة من حرم الله، ولا غضب يوماً على أهل المعاصي"^(٣). وأكد في تلك الرسالة أن تصرفات الولاة أساعت إلى سمعة الدولة العثمانية. بقوله "بل هؤلاء الوسطاء (يقصد الولاة) بيننا وبينهم (يقصد السلاطين)

(١) الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. قـ ٧٩. أنظر ملحق رقم ١.

(٢) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن فيروز: مطالع النيران. قـ ١٢ - ١٤، قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. ص ١١٥، مجموع سفينة شعرية. ٧٥ - ٨٠، عبد الله بن داعر: الفتوحات المرادية. ج ١، قـ ١٩١. ملحق رقم ٣.

(٣) المطير الجرهموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق / أمة الملك الشور، ص ٧٢٤.

هم الذين عموا السبيل، وأضاعوا الحق، وأعظموا الفرية فنسبوا إلى السلطنة ما هي إن شاء الله مبرأة منه ومنزهة عنه^(١).

إن هذه الثنائية في موقف أئمة الزيدية تجاه الدولة العثمانية، مثلت نوعاً من الكياسة السياسية في التعامل مع هذه القوة العالمية. حيث أقرن احترامهم للدولة العثمانية وسلطانيتها وتقدير مكانتها الدينية والسياسية، بتمسكهم بحق إقامة الدولة الزيدية في اليمن، ورفضهم لوجود جيوش الدولة العثمانية فيه بدواعي حمايته. فاليمن — في رأيهم — محمي بالله سبحانه وتعالى في ظل حكم أئمة آل البيت، فهم "أول من سعى في تسكين الفتن، ورفع عن عباد الله المحن"^(٢)، كما أنهم أجروا قواعد الدين والإيمان في اليمن ورفعوا عنه المنكرات وأمنوا السبيل والطرق، وعمرروا معالم الشرع الشريف^(٣). وبقاء الجيش العثماني يمثل تقويضاً لمحاولات إقامة الدولة الزيدية التي مثلت الهاجس المسيطر على مخيلة الأئمة في صراعهم مع العثمانيين.

لقد شكل هذا الخطاب — باختلاف مراحل مضامينه — القلب النهائي للموقف السياسي الذي تبناه أئمة الزيدية تجاه الدولة العثمانية ممثليها في اليمن. والذي بدوره لقي تجاوباً كبيراً من القبائل المختلفة، التي انضوت تحت لواء الأئمة الزيديين في ذلك الصراع، الذي استمر قرابة قرن من الزمان، انتهى بخروج العثمانيين من اليمن للمرة الأولى سنة ١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م.

وقد تعاملت الدولة العثمانية مع مجريات أحداث الصراع مع أئمة الزيدية، حيث واجهت الأعمال العسكرية التي شنت ضد جيوشها في اليمن بأرسال الحملات المتتالية، كما تفاعلت مع الشعارات والخطابات التي تبناها أئمة الزيدية في مراحل الصراع المختلفة، بتبنيها لخطابات وشعارات دينية وسياسية سعت من خلالها إلى تبرير حروبها في اليمن.

ففي مرحلة الصراع الأولى التي أعقب حملة لويس باشا ٩٥٢هـ / ١٥٤٦م، تبنت الدولة العثمانية خطاباً حمل مضامين دينية وسياسية، عملت على ضوئه في

(١) المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق / أمة الملك النور، ص ٧٢٧.

(٢) نفس المصدر. ص ٧٢٤.

(٣) الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. ق ٧٩ أنظر ملحق رقم ١.

توسيع ممتلكاتها في اليمن تحت شعار تثبيت الأمن ومحاربة الخارجين عن طاعة السلطان. فقد رأت أن تلقب الإمام شرف الدين بلقب أمير المؤمنين، وجبايته للخراج من الرعية يعد خروجاً وبغياً على طاعتها، بعد أن كان ممن يعترف بسلطتها عليه. ومن أجل ذلك أمرت جيوشها بالتقدم إلى مناطق الداخلية من اليمن بهدف إخضاع الإمام شرف الدين لسلطتها.

وتجلى مضمون هذا الخطاب في رسالة السلطان سليمان القانوني إلى الأمير المطهر بن شرف الدين بتاريخ ١٠ شوال ٩٥٧هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٥٥٠م، والذي أكد فيها أن حرب الدولة العثمانية على الإمام شرف الدين وابنه المطهر، تأتي بعد أن أظهر الإمام وابنه عصيانهم ومخالفتهم بقوله "وتعاقبت بعد ذلك مكاتبات والدمك بإظهار الطاعة، وبذل الإخلاص والصدق والاستطاعة، إلى أن بلغنا بعد ذلك عنهما إظهار الخلاف، وركوب جادة البغي والاعتساف، وصار بينهما وبين أمرائنا الخلاف الكبير"^(١).

وفي الوقت الذي حمل خطاب أئمة الزيدية في مرحلتيه الأخيرتين - سبقت الإشارة إلى تلك المرحلتين - مضامين اجتماعية و سياسية، فإن خطاب الدولة العثمانية في هاتين المرحلتين تضمن مفاهيم دينية، حيث وصفت حرب الأئمة الزيدية على نفوذها في اليمن، بأنها نوع من إثارة الفتنة، وأعلان للفساد وخروج عن طاعة السلطان، وتهديداً لأمن المسلمين أهل السنة والجماعة^(٢)، ووصفوا زعماء من يقوم بتلك الأعمال بأوصاف تحط من مكانتهم الدينية، والسياسية، والاجتماعية، فهم في نظر الدولة العثمانية مجموعة من الأعراب، الأشقياء، الطغاة، الفسدة، العصاة، الحائثين بالأيمان والعهود والمواثيق.

وأكدوا في خطابهم أن إرسالهم للحملات العسكرية وقمعهم لتلك الثورات، يأتي من باب حقوق الرعايا على دولتهم، ومن واجبات الدولة تجاه رعاياها، وتطهيراً

(١) وثيقة بالمركز الوطني للوثائق بصنعاء . تحت رقم ٨٩ / ١، ووردت هذه الرسالة عند المؤرخ أحمد بن

فيروز : مطالع النيران. ق ٩ . قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . ص ١٠٩ . ملحق رقم ٢.

(٢) محمد عيسى صالحية : وثائق جديدة عن حملة سنان باشا إلى اليمن . حوليات كلية الآداب جامعة الكويت،

الحولية الثامنة، ١٩٨٧، وثيقة رقم ١٩٢٢، ص ٢٠. وثيقة رقم ٦٠٣. وثيقة محفوظة بمكتبة الأستاذ فؤاد

الشامي. أنظر ملحق رقم ٧، ٨.

لقطر اليمن من طغاة الأعراب وأشقيائهم، كما أن في ذلك صيانة للسدين والدولة، وتأمين الرفاهة والاطمئنان لأهل السنة والجماعة^(١).

تجلى مضمون هذا الخطاب في أوامر^(٢) ورسائل سلاطينها التي أصدرها إلى ولايتهم في مصر واليمن. ففي الأمر الذي صدر في عهد السلطان سليم الثاني إلى الوالي سنان باشا بتاريخ ٢١ صفر ٩٧٦هـ / ٥ أغسطس ١٥٦٨م، بينت الدولة العثمانية دواعي تكليفه بقيادة الحملة العسكرية إلى اليمن، بأنها تهدف من وراء ذلك إلى قطع دابر المفسدين، وحماية أهل الإسلام. "إن ولاية اليمن بلد فتحته قواتنا الخسروانية المظفرة، وفي الوقت التي غدت فيه من ملحقات بلادنا المحروسة، نرى مفسداً يدعى مطهر قد خرج علينا ومعه كثير من الأشقياء العرب، واستولى على بعض القلاع والنواحي، بقصد إهانة وإذلال أهل الإسلام وجماعته. ولما كان من الواجب تأديبه وقطع دابره، أعدنا لذلك عساكر لا تحصى وجنوداً غيورين من ولاية الشام ومصر، من البر والبحر، وتم إرسالها بالفعل. ولما كان يلزم لهذه العساكر المنصورة سرداراً عظيماً الإقتدار، عالي المقدار"^(٣).

وفي الأمر الذي صدر في عهد السلطان سليم الثاني إلى والي اليمن^(٤) بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ٩٧٨هـ / ١٦ مايو ١٥٧١م، وصفت السلطنة العثمانية من يقوم بالحرب ضدها في اليمن بأنهم من العصاة المرتدين والطغاة المفسدين "لقد تم إخضاع ولاية اليمن بسيوفنا المظفرة، ودمر العصاة المردة الجفاة الموجودون في تلك الديار [...] وتنتظر البلاد من العصاة والطغاة والعربان المفسدين، ويعيدهم عساكرنا لحظيرة طاعتنا وعبوديتنا"^(٥).

(١) محمد صالحية: وثائق جديدة. وثائق رقم ١٩٢٢، ٧٩، ص ١٩، ٢٠، ٦٤. أنظر ملحق رقم ٨، ١١.
(٢) وردت في الوثائق التي استخدمها الباحث كلمة حكم للدلالة على نوع الوثيقة المرسله من السلطنة إلى ولايتها في اليمن، وفي وثائق مشابه نشرها المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي. وردت كلمة أمر للدلالة على نفس نوع تلك الوثائق. وقد فضل الباحث استخدام كلمة أمر لأنها الأقرب من حيث المعنى مع مضمون تلك الوثائق.

(٣) محمد صالحية: نفس المرجع. ص ٢٢ - ٢٤، محمود عامر: انظم الإدارية. مجلة الأكليل، عدد ٢، سنة ١٩٨٩م، ص ١٢٣-١٢٤. أنظر ملحق رقم ٨.

(٤) لم يرد في نص الوثيقة ذكر أسم الوالي العثماني المرسل إليه هذا الأمر، لكن تاريخ الوثيقة يبين أن المخاطب فيها هو بهرام باشا.

(٥) محمد صالحية: نفس المرجع. ص ٦٩ - ٧١، أنظر ملحق رقم ١٤.

وفي الأمر الذي أصدره السلطان مراد الثالث إلى حاكم كوكبان^(١)، المؤرخ بـ ١٠ محرم ٩٩٦هـ / ١٢ ديسمبر ١٥٨٧م، وصف حرب الزيديين ضد العثمانيين بأنها نوع من الفتنة والفساد، ونعت من يقوم بها بالحائثين بالأيمان والعهود بقوله "في هذه المرة عندما تحركت عروق الفتنة والفساد لمن اعتادوا الخيانة (الأعداء)، وكنت مجدداً ساعياً في القبض عليهم بحسن التدبير والتعقل في محاربة الذين اتحدوا لأنفسهم مبدأ الحنث بالوعد والعهد"^(٢).

وإلى جانب تبني الدولة العثمانية لذلك الخطاب في صراعها مع أئمة الزيدية، فإن سلاطينها لم يتجاهلوا أسباب رفع أئمة الزيدية لشعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظلم، في حروبهم تلك، فقد ادركوا أن ظلم الولاة للرعية شكل ذريعة لتفاقم الأوضاع في اليمن، لذا جعلوا من تحقيق العدل وعدم ظلم الرعية، أو نهب أموالهم، أو التعدي على مواشيهم، أو أخذ مأكولاتهم بدون إذن، من أولى واجبات الولاة المرسلين إلى اليمن. محذرين ومتوعدين من اقتراف مثل تلك المظالم بأشد العقاب. سعياً منهم لإزالة ذرائع وأسباب تلك الأعمال الحربية والثورات^(٣).

كانت تلك هي أهم مراحل الصراع بين العثمانيين والأئمة الزيدية، بما تضمنته من خطابات دينية وسياسية تبناها الطرفان لتبرير الحرب، وإيجاد المسوغات الدينية التي تظهر مدى التزام كل طرف بأحكام الشريعة الإسلامية، وتنفيذه للإرادة الإلهية، وفي الوقت نفسه نفي صفة الإسلام عن خصمه، وإظهاره بمظهر المخالف لأحكام الشريعة، ليتسنى له إعلان حق الجهاد ضده. فأخذ الصراع السياسي والعسكري من حينها منحى جديداً، حيث صار ميدان الفكر أحد ميادين، وشكلت

(١) ورد اسم حاكم كوكبان في الوثيقة كالأني شمس الدين أغلو أحمد، والمعروف أن حاكم كوكبان في هذه الفترة هو أحمد بن محمد بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين، وقد تولى هذا المنصب بعد وفاته والده سنة ٩٩٣هـ / ١٥٨٤م. في عهد الوالي العثماني حسن باشا، وأشترك مع العثمانيين في حروبهم ضد الإمام القاسم. وكانت وفاته سنة ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م. سيد سالم: الفتح العثماني. ص ٣٤٨، ٣٧٤، ٣٧٥. إسماعيل الأكوغ: هجر العلم ومعاقله في اليمن. بيروت، دار الفكر، ط أولي، ١٩٩٥م، ج ٤، ص ١٨٧.

(٢) محمود عامر: النظم الإدارية. ص ١١٨. ملحق ١٤.

(٣) محمد صالحية: وثائق جديدة. وثائق رقم ١٥٢٠، ص ٧٠. وثائق رقم ٦١١، ٦٠٣ محفوظات بمكتبة الأستاذ فؤاد الشامي. أنظر ملاحق رقم ١٣، ٧، ٨.

النصوص الدينية والموروث الشعبي من أشعار وكرامات أهم عناصره. وأصبحت قضية توظيفها وإستغلالها لتحقيق الأهداف السياسية من أولويات الصراع فيه. وهو ما استدعى أطراف الصراع إلى تشجيع، واستمالة العلماء — أي النخب المثقفة — خاصة المؤرخين للمشاركة في إدارة هذا المحور، لما يملكونه من قدرات علمية يستطيعون من خلالها إعادة صياغة الادعاءات السياسية بتعبير دينية، تضيي نوعاً من الشرعية، على الأعمال السياسية والعسكرية لكل طرف وتتفي عن الطرف الأخر شرعية ما يقوم به.

ترتب على اشتراك العلماء في أحداث الصراع، أن وجدت حالة من الصراع الفكري بين العلماء أنفسهم (النخب المثقفة) خاصة المؤرخين، فقد انضوى تحت لواء طرفي الصراع العديد منهم، والذين بدورهم عملوا على تغذية الخلافات السياسية و تأطيرها دينياً، من خلال إيجاد المبررات الفقهية للتصرفات والأعمال العسكرية، والسياسية التي قام بها من يوالونهم. كما شنوا الحملات الدعائية ضد خصومهم، فكانوا بمثابة وسائل الإعلام للقوى المتصارعة، وحظوا بالرعاية والاهتمام من قبلها.

لقد انعكس ذلك الأمر إيجاباً على حركة التأليف التاريخي خلال تلك الفترة، حيث لمع الكثير من أسماء المؤرخين — ربما — لم تكن سنسمع بهم لولا تشجيع الحكام لهم وإقحامهم في معمة ذلك الصراع. فشهدت حركة التأليف التاريخي نشاطاً ملحوظاً تمثل في ظهور العديد من المصنفات التاريخية، التي دونت أحداث تلك المرحلة من وجهات نظر مختلفة عكست حالة الصراع السياسي والعسكري، وحملت في طياتها الخطاب السياسي للقوى المتصارعة، كما تجسدت فيها مواقف المؤرخين، وصور تحيزهم، ومدى توظيفهم للجوانب الفكرية فيها.

الفصل الثاني

المؤرخون وحركة التأليف التاريخي

مراحل الصراع السياسي وتأثيرها على كتابة التاريخ:

مثل ميدان الفكر أحد ميادين الصراع بين القوى المحلية بزعامة أئمة الزيدية والدولة العثمانية، وذلك منذ أن أخذ الصراع السياسي والعسكري منحى فكرياً، بتبني أطرافه خطابات دينية ذات مضمون سياسي، الأمر الذي جعل أطراف الصراع يعملون على إستمالة العلماء، خاصة المؤرخين للمشاركة في إدارت هذا المحور - سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول - حيث انحازت فئة منهم إلى جانب العثمانيين، وأخرى إلى جانب القوى المحلية بزعامة أئمة الزيدية. وحملت كل فئة على عاتقها مسئولية المشاركة في إيجاد المبررات الدينية و الأسانيد الأدبية، أو ما يمكن أن نسميه جديلاً " إيجاد ايديولوجيا التبرير" للطرف الذي انحازت إليه، وتحويل تلك الصراعات إلى ما يشبه الواجبات الدينية، التي يكون الهدف منها نصره الدين وإقامة الشريعة وفقاً لفكرهم الديني والسياسي.

تجلى ذلك في مؤلفاتهم التاريخية التي دونوا فيها أحداث تلك المرحلة، والتي عكست وجهات نظرهم وموقفهم تجاه أطراف الصراع، وتجسدت فيها صور تحيزهم بأشكالها المختلفة التي تعكس مستوى ثقافة تلك الفترة، والتي بدونها كان يصعب التعرف على مواقفهم تجاه تلك الأحداث، كما تجلت فيها صور الصراع الفكري، والوسائل المختلفة التي وظفتها القوى المتصارعة في خطابها السياسي، والمتمثلة في توظيف الدين، والسند الغيبي، والشعر، لإيجاد المبررات الدينية والأدبية، لخدمة قضيتها السياسية. حيث تزخر هذه المؤلفات بالعديد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمراسلات، وكذلك الحكايات والأشعار. وإن لم تكن هذه الأخيرة من صياغة وخيال ونظم المؤرخين أنفسهم، إلا أن اتفاق مضمونها مع توجهاتهم السياسية والفكرية هو ما دفعهم لنشرها، فهم - كما يبدو - نقلوا في مؤلفاتهم قوالب فكرية جاهزة تعبر عن مكنون فكرهم، وتصرح عن رأيهم ومواقفهم من أحداث الصراع.

ولا غرابة في أن يشترك المؤرخون في أحداث الصراع السياسي والفكري، فهم يمثلون جزءاً رئيسياً من تركيبة التيارين المتصارعين، وكانوا بمثابة وسائل الإعلام في وقتنا الراهن، خاصة وأن كثيراً منهم كانوا موظفين رسميين لدى القوى المتصارعة، وكتبوا مصنفاتهم التاريخية إما بطلب منهم، أو نتيجة انسجام مواقفهم.

وتوجهاتهم السياسية والمذهبية والسلالية مع مضامين الخطابات السياسية التي تبنتها تلك القوى، فحملت مؤلفاتهم التاريخية صفة رسمية، فكان إسهامهم في الصراع الفكري جزءاً من عملهم، وتلبية لتوجهات أطراف الصراع، حيث حملوا على عاتقهم مسئولية نشر الخطاب السياسي والفكري للطرف الذي انحازوا إليه في مؤلفاتهم التاريخية، وشنوا في الوقت نفسه حملة دعائية ضد خصومهم السياسيين.

ويعد علم التاريخ من أكثر العلوم إتصلاً بالسياسة والدولة، وكثيراً ما يستخدم وسيلة من وسائل الدعوة^(١). والتراث الإسلامي مليئ بالشواهد التي كان فيها التاريخ يمثل وسيلة دعوة، واداة من ادوات الصراع السياسي، وليس أدل على ذلك حين وظفه العباسيون في صراعهم مع بني أمية، حيث قاموا بنشر الشائعات التي تطعن في شخصية خلفاء بني أمية، وشجعوا المؤرخين على وضع الأخبار والرويات التي تخدم أغراضهم السياسية. ومن تلك الرويات ما ورد لدى بعض المؤرخين من أن الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك أراد الحج إلى بيت الله الحرام ليشرّب الخمر على ظهر الكعبة، ومنها أيضاً ما روي عنه انه أستفتح قائلًا في المصحف فخرج "﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾"^(٢) فألقى المصحف ورماه بسهم، وأنشد قائلاً:

تهددني بجبار عنيد نعم أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم بعث فقل يارب خرقني الوليد^(٣)

وقبل الحديث عن أشهر المؤرخين اليمنيين المنحازين إلى طرفي الصراع الإمامي - العثماني لا بد من الإشارة إجمالاً إلى الدور الذي لعبته الظروف التاريخية والسياسية، وكذلك حالات القوة والضعف التي مرت بها القوى المتصارعة، سواءً في ظهور المؤرخين المنحازين إلى هذا الطرف أو ذلك، أو في غزارة الإنتاج الفكري - الكتابات التاريخية - وتنوعه.

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام. بيروت، دار الكتاب العربي، ط العاشرة، (د.ت)، جـ ٢، ص ٢٦.

(٢) سورة إبراهيم: آية رقم ١٥.

(٣) أحمد أمين : نفس المرجع. جـ ٢، ص ٢٨.

لقد شهدت الفترة الأولى للحكم العثماني في اليمن نوعاً من السيطرة السياسية العثمانية، خاصة خلال الفترة الممتدة من سنة ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م وهي فترة تولي أزدمر باشا، حتى نهاية فترة الوالي حسن باشا سنة ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م، على الرغم من حالة التدهور التي شهدتها الفترة ٩٦٤-٩٧٦هـ / ١٥٥٦-١٥٦٨م، إلا أن حملة سنان باشا عام ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م أعادت هيبة الدولة العثمانية في اليمن مرة أخرى.

وقد تجسدت السيطرة العثمانية على اليمن في عهد الوالي حسن باشا الذي تمكن من احتواء العناصر الثائرة من آل شرف الدين، وقضى على ثورة الإمام الحسن بن علي المؤيدي في صعده.

مثلت المرحلة السابقة مرحلة القوة والسيطرة العثمانية على اليمن، انعكس ذلك على معظم مجالات الحياة السياسية منها و الفكرية.

فقد سادت ثقافة الأقوى، الذي امتلك بدوره زمام المبادرة في إدارة الصراع السياسي و الثقافي. تجلى ذلك في حركة التأليف التاريخي، حيث هيأت حالة السيادة السياسية للوجود العثماني مناخات ملائمة لظهور فئة من المؤرخين اليمنيين، يمكن أن نسميهم "مؤرخي السلطة" إذا جاز التعبير، والذين دونوا أحداث هذه المرحلة من وجهات نظر متحيزة إلى جانب العثمانيين.

وشهدت هذه المرحلة غزارة في تأليف المصنفات التاريخية المؤيدة للعثمانيين، والتي كانت أغلبها أشبه بالموسوعات التاريخية، ولمعت خلالها أسماء كبار المؤرخين المنحازين إلى العثمانيين أمثال عبدالله بن داعر، والموزعي، و المطيب، و ابن فيروز، وعيسى بن لطف الله.

وفي الوقت الذي كان فيه الحكم العثماني في اليمن يمر بمرحلة القوة والسيطرة، كانت القوة الزيدية تمر بحالة من الضعف. وانعكس هذا سلباً على النواحي الفكرية لا سيما الكتابات التاريخية. حيث ركنت النخبة المثقفة المؤيدة للأئمة الزيدية إلى نوع من الإنكفاء على الذات، والإيمان بالأمر الواقع. وقد بدا إنتاجهم الفكري في تلك الفترة محدوداً نوعاً ما، باستثناء المؤرخين الحسن الزريقي مؤلف سيرة الإمام شرف الدين، والمؤرخ أحمد بن شايح اللوزي مؤلف سيرة الإمام الحسن بن علي المؤيدي. اللذين بجودة إنتاجهما الفكري شكلا حالة إستثنائية لركود تلك الفترة، التي

دللت عليها كتابات بقية المؤرخين المؤيدين للأئمة الزيدية، فقد كانت مؤلفاتهم التاريخية أشبه بالكراريس منها بالكتب. في حين شهدت المرحلة التي أعقبت دعوة الإمام القاسم بن محمد ١٠٠٦هـ / ١٥٩٧م، سيادة وسيطرة أئمة الزيدية على الأوضاع السياسية في اليمن، حتى حققت في آخر الأمر خروج العثمانيين من اليمن سنة ١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م. وانعكست حالة السيطرة الزيدية على مجالات الحياة السياسية منها والفكرية، وفرضت ثقافتها على تلك المرحلة، وشكلت فترة ازدهار بالنسبة للكتابات التاريخية المؤيدة للأئمة الزيدية، حيث أوجدت ظرفاً ملائماً لبروز فئة من المؤرخين المؤيدين للقوة الزيدية، ويمكن أن نسميهم "مؤرخي المعارضة" إذا جاز هذا التعبير الحديث.

لمعت خلال هذه الفترة العديد من أسماء هؤلاء المؤرخين، أمثال "الشرفي، والجرموزي"، الذين وجدوا في تلك الظروف فرصة مناسبة لشن حملته دعائية شرسة ضد العثمانيين، كما تميزت هذه الفترة بغزارة الإنتاج الفكري للزيدية في مجال التأليف التاريخي، حيث دونت خلالها مؤلفات في تاريخ الزيدية السياسي من عهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم.

وما يميز هذه المرحلة أيضاً أنها لم تشهد ظهور كتابات تاريخية مؤيدة للعثمانيين بنفس المستوى الذي شهدته المرحلة الأولى، على الرغم من أن بعض مؤرخي السلطة عايشوا هذه المرحلة، إلا أنهم توقفوا عن الكتابة، بل أن بعضهم تراجع عن موقفه المؤيد للعثمانيين وأنضموا إلى أئمة الزيدية في صراعهم مع العثمانيين أمثال "عيسى بن لطف الله، و أحمد بن فيروز".

المؤرخون اليمنيون المنحازون إلى جانب العثمانيين (مؤرخو السلطة):—

ثمة فئة من المؤرخين اليمنيين انحازت إلى جانب العثمانيين في صراعهم مع القوى المحلية بزعامة أئمة الزيدية. ولعبوا دوراً كبيراً في ميدان الصراع الفكري، يقارب — إلى حد ما — الدور الذي لعبه القادة العسكريون في ميدان المعركة، حيث دونوا أحداث تلك الفترة في مصنفاتهم التاريخية، التي عكست توجهاتهم ومواقفهم من أحداث ذلك الصراع، وأبرزوا فيها الخطاب السياسي للدولة

العثمانية، في صراعها مع القوى المحلية بزعامة الأئمة الزيدية. ومن أشهر هؤلاء المؤرخين.

محمد بن يحيى المطيب الزبيدي:

هو محمد بن يحيى المطيب الزبيدي الحنفي^(١). صاحب كتاب "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام"^(٢)، أحد أشهر علماء مدينة زبيد في القرن العاشر الهجري، ومفتيها على المذهب الحنفي، وإمام جامع الأشاعرة فيها^(٣). يعد المؤرخ المطيب من أكثر المؤرخين اليمنيين تحيزاً للعثمانيين، فقد تناول في هذا الكتاب جزءاً من تاريخ اليمن خلال فترة حكم الوالي العثماني بهرام باشا (٩٧٨ - ٩٨٣ هـ / ١٥٦٩ - ١٥٧٥ م)، وأبرز فيه أعمال هذا الوالي ويطولاته وإنجازاته، وغلف تلك الأعمال بهالة من المبالغات. كما برر حرب بهرام باشا على آل شرف الدين، وشن فيه حملة دعائية ضدهم.

المطيب وكتاب التيجان الوافرة الثمن:

يعد كتاب (التيجان الوافرة الثمن في تاريخ ولاية مولانا صاحب السعادة رضوان لقطر اليمن وذكر من بعده بالوصف الحسن)^(٤)، من المؤلفات التي انحاز مؤلفها إلى جانب العثمانيين، والكتاب عبارة عن أرجوزة شعرية تناول مؤلفه سيرة سنة من

(١) سنشير إلى ترجمته في القسم الثاني من هذه الدراسة.

(٢) لم يركز الباحث في هذه الدراسة على وصف مؤلفات المؤرخين من حيث الحجم وأماكن وجودها، لأن ذلك يعتبر خروجاً عن مضمون الدراسة، وأهدافها، وللحصول على معلومات كافية حول تلك المؤلفات يمكن الرجوع إلى كتاب المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول للدكتور سيد مصطفى سالم، وكتاب المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث: للدكتور حسين العمري، وكتاب مصادر الفكر الإسلامي في اليمن للأستاذ عبدالله الحبشي.

(٣) رحج الدكتور سيد سالم في كتابه المؤرخون اليمنيون أن المؤرخ المطيب الزبيدي من علماء مدينة زبيد، ومن المدرسين فيها على المذهب الحنفي، وأنه كان إماماً وخطيباً في جامعها الكبير، فكانت المعلومات التي أوردها الدكتور سالم من باب الترجيح تتفق تماماً مع ما أورده المؤرخ الجابري في ترجمته للمؤرخ المطيب الزبيدي في كتابه سفينة السفر. أنظر سيد مصطفى سالم: المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول. الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٧١ م. ص ٥٢.

(٤) مخطوطة مصورة بالخرزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٢٢٨٨ تاريخ، وهي مصورة عن

نسخة باريس. ومنها نسخة مصورة لدى الباحث.

الولاية العثمانيين، وهم رضوان باشا، ومراد باشا، وحسن باشا، وعثمان باشا، وسنان باشا، وبهرام باشا.

وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب إلا أنه يعد نموذجاً للكتابات التاريخية التي تصف الأحداث بأسلوب شعري، ويبدو أن المؤرخ اعتمد على الشعر " ليسهل تداوله ونشر أفكاره، ودعايته التي تدور حول الدفاع عن الولاية العثمانيين وأعمالهم، والهجوم على أئمة الزيدية وتعديهم على ممثلي السلطة العثمانية"^(١).

ولا يعرف على وجه الدقة من هو صاحب كتاب التيجان الوافرة، ولم ترد فيه أي معلومات، أو إشارات إلى ذلك، كما لم تدون في الصفحة الأولى أي إشارة إلى اسم ناسخ المخطوطة. إلا أن ثمة استدلالات موضوعية، وشكلية يمكن استنباطها من الكتاب نفسه، وأخرى وردت في غيره، تشير إلى أن مؤلفه هو المؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي ومن تلك الاستدلالات ما يلي: —

أولاً : الاستدلالات الموضوعية الواردة في محتوى الكتاب:

— ذكر مؤلف كتاب التيجان سيرة ستة من الولاية العثمانيين. إلا أنه أورد تفاصيل دقيقة لسيرة خمسة منهم، حيث ذكر تاريخ وصولهم وتقدمهم في الأقاليم اليمنية، وما واجهوه من متاعب وما قاموا به من أعمال، كما ذكر الحروب والأحداث التي دارت في عصرهم. وأطنب المؤرخ في سرد الأبيات الشعرية التي تصف كل هذه الأعمال، فقد أورد سبعين بيتاً من الشعر في سيرة رضوان باشا، وتسعة وأربعين بيتاً في سيرة مراد باشا، وثلاثة وثلاثين بيتاً في سيرة حسن باشا، وثلاثة وخمسين بيتاً في سيرة عثمان، وثلاثة وأربعين بيتاً في سيرة سنان باشا. في حين أورد تسعة عشر بيتاً في سيرة بهرام باشا اقتصر فيها على الدعاء له، وذكر أوصافه ومحاسنه بنوع من البالغة، ولم يذكر فيها سيرته وأعماله، أو الأحداث التي وقعت في عصره، فخالف بذلك ما سار عليه في ذكر سيرة بقية الولاية^(٢). الأمر الذي يوحي بأن المؤرخ — ربما — تعمد عدم ذكر تفاصيل سيرة بهرام باشا كما فعل مع بقية الولاية،

(١) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون. ص ٦٤

(٢) مؤرخ مجهول : التيجان الوافرة الثمن . قـ ٢ - ١٦ .

ليفرد لهذه السيرة كتاباً خاصاً، وهو كتاب "بلوغ المرام في تساريخ دولة مولانا بهرام"^(١) الذي ألفه فيما بعد.

— كتاب التيجان كما هو واضحاً من عنوانه قد خصصه مؤلفه لذكر سيرة رضوان باشا بن مصطفى باشا قره شاهين، وهو أخو بهرام باشا^(٢)، والذي تولى الحكم في اليمن خلال الفترة ٩٧٢ — ٩٧٤ هـ / ١٥٦٤ — ١٥٦٦ م.

— أن مؤلف كتاب التيجان لم يقدّم بتأليف الكتاب في عهد رضوان باشا، لأن آخر الولاية الذين ذكرهم فيه كان بهرام باشا الذي تولى الحكم بعد خمس سنوات من رحيل أخيه رضوان باشا من اليمن. الأمر الذي يوحي بأن تأليف الكتاب قد جاء بطلب من بهرام باشا، كنوع من الوفاء والعرفان لأخيه رضوان.

— توقف المؤرخ عند بهرام باشا، ولم يذكر سيرة من تولى بعده حكم اليمن، وأكتفى في هذه السيرة بذكر أوصاف بهرام باشا ومحاسنه^(٣)، وبالغ في ذلك وهذه الأوصاف والمبالغات نجدها تتشابه — إلى حد كبير — مع الأوصاف والمبالغات التي أوردها المؤرخ المطيب في كتابه "بلوغ المرام" الذي خصصه لذكر سيرة بهرام باشا، والكتابان دوناً أحداث الفترة الزمنية نفسها، مما يشير إلى أن مؤلف كتاب "التيجان" عاش في نفس الفترة التي عاش فيها مؤلف كتاب "بلوغ المرام".

ثانياً الاستدلالات الشكلية: —

عند المقارنة بين كتاب التيجان، وكتاب بلوغ المرام للمؤرخ المطيب الزبيدي، نجد أن ثمة تطابق بينهما من حيث الحجم، وعدد الأسطر، ونوع الخط.

— فهما من الحجم الصغير.

— متوسط عدد الأسطر فيهما ما بين ١٢ — ١٣ سطراً في الصفحة الواحدة.

— الخط الذي كتب به الكتابين يتماثل إلى درجة التطابق.

— مما يوحي بأن ناسخ الكتابين يكاد يكون الشخص نفسه^(٤).

(١) سيكون هذا الكتاب موضوع دراسة وتحقيق في القسم الثاني من هذه الدراسة.

(٢) قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. ص ١٣٧.

(٣) مؤرخ مجهول: التيجان الوافرة الثمن. ق ١٥ — ١٦.

(٤) لمقارنة الخط بين المخطوطتين أنظر ملحق رقم ١٥.

وتوكيداً لما سبق ذكره من الاستدلالات، فإن ما ورد على الصفحة الأولى من كتاب "مطالع النيران في تاريخ اليمن للمؤرخ أحمد بن يوسف بن فيروز، يعد أقوى الاستدلالات - من وجهة نظر الباحث - فقد كتب على الصفحة الأولى لذلك الكتاب العبارة الآتية "وتيجان الوافرة الثمن وبلوغ المرام لمحمد الزبيدي"^(١). ولا يعرف من هو كاتب العبارة السابقة ومتى كتبت، إلا أنها تبدو قديمة، والخط الذي كتبت به يتشابه مع خط عنوان المخطوطة الرئيسي وخط بقية التمليكات الموجودة على نفس الصفحة. واهم ما في الأمر اقتران أسم كتاب "التيجان" مع أسم كتاب "بلوغ المرام" الذي هو فعلاً من تأليف محمد بن يحيى المطيب، وهذا يؤكد أن من كتب العبارة على علم ودراية بمؤلفات المؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي.

ومن واقع الاستدلالات والإشارات السابقة يمكن القول بأن كتاب "التيجان السوافرة الثمن في تاريخ مولانا صاحب السعادة رضوان لقطر اليمن وذكر من وليه بعده بالوصف الحسن" هو من تأليف المؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي الحنفي المتوفى سنة ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨ م.

عبدالله بن صلاح بن داعر:

يعد المؤرخ عبدالله بن صلاح بن داود بن داعر، صاحب كتاب "الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية" من المؤرخين المنحازين إلى جانب العثمانيين، وممن أدلوا بدلوهم في ذلك. إذ يعد كتابه الفتوحات المرادية من أهم الكتب التي تناولت تاريخ اليمن خلال فترة الحكم العثماني الأول بشيء من التفصيل.

حيث تناول أحداث هذه الفترة من وجهة نظر منحازة إلى جانب العثمانيين خاصة في الجزء الذي خصصه لسيرة الوالي حسن باشا. ولم يختلف عن غيره من المؤرخين المنحازين إلى جانب العثمانيين في شنه حملة دعائية ضد الإمامة الزيدية. وعلى الرغم من شهرة المؤرخ عبدالله بن داعر وكتابه الفتوحات المرادية، إلا أنه - على ما يبدو - لم يلق حظاً من الترجمة والتعريف، فلا يعرف مكان وتاريخ مولده ووفاته، كما لا يعرف عن حياته إلا الشيء اليسير من المعلومات التي وردت في كتابه الفتوحات، بالإضافة إلى ما ذكر في بعض الكتب التاريخية المعاصرة له، وما توصل إليه المؤرخون المحدثون.

(١) أحمد بن فيروز: مطالع النيران. الورق الأولى الخاصة بالعنوان. أنظر ملحق رقم ١٦.

فهو على ما يبدو من أسرة علمية، وتتلذذ على يديه بعض من لحق بعصره من الفقهاء والأدباء، وإن غاب ذكره في تراجمهم، إلا أن وصف المؤرخ عيسى بن لطف الله له بكلمة شيخي في حديثه عن حوادث سنة ٩٥٢هـ / ١٥٤٥م بقوله "حدثني شيخي عبد الله بن صلاح بن داعر"^(١)، يشير إلى ما كان يحتله المؤرخ عبدالله بن داعر من المكانة العلمية في عصره.

وهذا يؤيد ما ذهب إليه الدكتور سيد سالم من أن المؤرخ عبدالله بن داعر من بيت علم، وممن كان له مكانه علمية في عصره بقوله "ويبدو أنه ولد في بيئة علمية [...] وربما كان كاتباً للإنشاء في ديوان حسن باشا في اليمن، وأنه كان خطيباً في أحد مساجد صنعاء"^(٢).

في حين يرى الدكتور حسين العمري أن المؤرخ عبد الله بن داعر ليس يمينياً وأنه كان حياً إلى سنة ١٠٣٠هـ / ١٦٢٠م^(٣)، ويبدو أن الدكتور العمري أعتمد في ذلك على ما ذكره المؤرخ نفسه بأنه وصل إلى اليمن سنة ٩٩٥هـ / ١٥٨٦م بقوله "فوصلت إليها في أول سنة خمس وتسعين وتسعمائة، فوجدتها على غير ما في التواريخ المروية"^(٤).

إلا أن ثمة إشارات تبين أن المؤرخ عبد الله بن داعر يمني الموطن من أهمها:— أن المؤرخ ابن داعر لم يذكر انتماءه إلى أي إقليم من الأقاليم حتى ننفي أنه يمني، وإن تحدث في كتابه عن سفره وتنقلاته في الأقاليم الإسلامية وسماعه عن أخبار اليمن، ووصوله إليها سنة ٩٩٥هـ / ١٥٨٦م، فذلك لا ينفي أنه يمني الأصل. خاصة وأن أسباب سفره وتنقلاته تظل مجهولة. فربما انتقل من اليمن إلى بعض الأقاليم الإسلامية لطلب العلم، أو الرزق، ولا نستبعد أن تكون العاصمة العثمانية هي ذلك المكان، والتي أثرت طبيعة الحياة السياسية فيها على شخصية المؤرخ، وانعكس ذلك على كتاباته التاريخية.

— ذكر المؤرخ اسمه كاملاً في مخطوطته على النحو الآتي "وبعد فيقول العبد الضعيف الملتجئ إلى عفو ربه اللطيف عبدالله بن صلاح بن داود بن علي بن

(١) عيسى بن لطف الله : روح الروح . تحقيق : إبراهيم المقحفي ، ص ١١٧ .

(٢) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . ص ٤٠ - ٤٦ .

(٣) حسين العمري : المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث . بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط أولى ، ١٩٨٩م ، ص ٣٠ .

(٤) عبد الله بن داعر : الفتوحات المرادية . ج ١ ، ص ١ .

داعر عامله الله بلطفه^(١)، وهذا الاسم يتطابق تماماً مع أسم المؤرخ اليمني صلاح بن داود بن علي بن داعر المرهبي^(٢) المنتمي - كما يبدو من لقبه - إلى قرية مرهبة من بلاد همدان^(٣)، والذي عاصر فترة الإمام شرف الدين وأبنة المطهر وكان من خواص آل شرف الدين. مما يشير إلى وجود صلة قرابة بينهم، إذ أن المؤرخ عبدالله بن صلاح بن داعر كما يبدو هو ابن المؤرخ صلاح بن داعر.

- إن الفترة الزمنية التي عاش فيها المؤرخان متقاربة جداً، وهذا يعزز من احتمال وجود صلة القرابة المشار إليها سابقاً .
إلا أن ما يثير التساؤل هنا هو تجاهل المؤرخ عبدالله بن داعر ذكر موطنه، وذكر والده صلاح في كتابه (على افتراض أنه والده) ؟
ويمكن تعليل ذلك على النحو الآتي : -

- فما يتعلق بذكر موطن المؤرخ فإن عبد الله بن داعر لا يختلف كثيراً عن غيره من المؤرخين الذين لم يذكروا بلدانهم في مؤلفاتهم، خاصة الذين لم يترجموا لأنفسهم مثل عيسى بن لطف الله وأحمد بن فيروز وغيرهم.
- أما بخصوص تحاشي المؤرخ ذكر والده صلاح بن داعر - على اعتبار أنه والده - في كتابه الفتوحات المرادية، فيبدو أنه تعمد ذلك كون والده من مؤيدي أئمة الزيدية. وحالة المؤرخ عبدالله بن داعر تتشابه - إلى حد كبير - مع حالة المؤرخ عيسى بن لطف الله، من حيث ميل كل منهما إلى تأييد العثمانيين ومساندتهم ، والوقوف إلى جانبهم في صراعهم مع الإئمة الزيدية بتأليفهم المصنفات التاريخية التي تمجد وتمدح حكمهم.

في حين كان والداهما من المؤيدين للأئمة الزيدية، وممن أشتركوا في الصراع ضد العثمانيين، سواءً في ميادين الفكر، كما هو حال المؤرخ صلاح بن داعر، أو في ميادين القتال كما هو حال لطف الله بن المطهر والد المؤرخ عيسى، والذي

(١) عبد الله بن داعر : الفتوحات المرادية . ج ١ ، ق ١ .

(٢) سترد ترجمته ضمن مؤرخي المعارضة.

(٣) إبراهيم المقحفي : معجم البلكن . ج ٢ ، ص ١٤٩٦ .

خاض حروباً ضد العثمانيين، أنتهت بأسره وإرساله إلى استنبول مع الإمام الحسن بن علي المؤيدي^(١).

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن المؤرخ عبدالله بن صلاح بن داود بن علي بن داعر مؤرخ يمني، وهو ابن المؤرخ اليمني صلاح بن داود بن علي بن داعر المرهبي. و من الذين كانت لهم مكانة اجتماعية وعلمية مرموقة في عصره، وأن حالته تتماثل مع حالة المؤرخ عيسى بن لطف الله بن المطهر.

عبد الصمد الموزعي:

هو المؤرخ شمس الدين عبد الصمد إسماعيل بن عبد الصمد الموزعي، صاحب كتاب "الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان". وهو من المؤرخين الذين لم يلقو حظهم من الترجمة والتعريف في كتب التراجم^(٢). وكل ما يعرف عنه انه من مدينة موزع^(٣) كما هو واضح من اسمه، أما وظيفته ومكان إقامته فقد أشار إلى ذلك عندما ذكر اسمه على غلاف الكتاب في عبارة مقتضبة هي "نائب الشريعة في تعز"^(٤). كما أشار إلى وظيفة والده بقوله "وكان المشار إليه رحمه الله [يقصد والده] من أجل العلماء معرفة وفضلاً وأكملهم ذكاء وعقلاً، وكانت وظيفته التدريس له في الجامع المظفري، والمدرسة الظاهرية بتعز وكذلك منصب النيابة الشرعية في مجلس الشرع الشريف أعزه الله بها فأقام بها المشار إليه رحمه الله في وظيفة التدريس للعلم الشريف على مذهب الإمام محمد بن إدريس"^(٥). وارتبط المؤرخ الموزعي بعلاقات مع العثمانيين وكان من جلسائهم وندمائهم ويبدو أن هذا الارتباط مكنه من أن يخلف والده في نيابة الشريعة في تعز، وهي من الوظائف التي أقرتها السلطة الحاكمة.

(١) أرسل الأمير لطف الله، وعلي بن يحيى، وغوث الدين وحفظ الدين أبناء المطهر بن شرف الدين مع الإمام الحسن بن علي المؤيدي إلى استانبول عاصمة الدولة العثمانية سنة ٩٩٤هـ / ١٥٨٥م. محمد المحبي: خلاصة الأثر. ج ٢، ص ٧٤.

(٢) المعلومات حول شخصية المؤرخ الموزعي شحيحة جداً، فقد حقق الأستاذ عبدالله الحبشي كتاب الإحسان للمؤرخ الموزعي، وأعاد المركز الفرنسي بالقاهرة تحقيق الكتاب ولم يذكر معلومات حول حياة المؤرخ أكثر مما ذكرها الدكتور سيد سالم في كتابه المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول، والتي ذكرها الباحث في هذه الدراسة. وهي المعلومات المتوفرة إلى الآن بين أيدي الباحثين حول شخصية المؤرخ الموزعي.

(٣) سيرد تعريفها في القسم الثاني من هذه الدراسة.

(٤) سيد سالم: المؤرخون اليمنيون. ص ٥٦.

(٥) عبد الصمد الموزعي: الإحسان. ص ٩١، ٩٢.

وأشترك المؤرخ الموزعي في الصراع الدائر حينها بين العثمانيين والقوى المحلية بزعامة أئمة الزيدية من آل القاسم، حيث ساند العثمانيين، وألف كتابه الإحسان لهذا الغرض. فقد ذكر أن كتابه جاء رداً للجميل الذي قدمه العثمانيون لإنقاذ اليمن من الفوضى التي سادته خلال حكم الإئمة. وأكد المؤرخ الموزعي بأن قصده من تأليف الكتاب "تأييد الدعاء الصالح في صحائفهم [أي العثمانيون]، ولينطق بالدعاء لهم القلب واللسان، والقلم والرق والبيان، مكافأة لهم بدفعهم عنا الجور والعدوان، وجزاء لهم بما صنعوا إلى العباد من الخير والبر والإحسان"^(١). وقد توقف المؤرخ عند حوادث سنة ١٠٣١هـ / ١٦٢١م، وهي آخر سنة في ولاية محمد باشا، ولا يعرف تاريخ وفاته.

أحمد بن يوسف بن فيروز:

يعتبر المؤرخ أحمد بن يوسف بن محمد بن فيروز من أقل المؤرخين اليمنيين تحيزاً إلى جانب العثمانيين، ظهر ذلك في كتابه "مطالع النيران في تاريخ اليمن" الذي دون فيه تاريخ اليمن منذ دخول العثمانيين سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م، إلى سنة ٩٧٤هـ / ١٥٦٥م. فلم يشن المؤرخ حملة دعائية ضد الأئمة الزيدية من آل شرف الدين كما فعل غيره، بل اكتفى بتوجيه اللوم للإمام شرف الدين لانشغاله بالعلم وعدم محاسبته للولاة، مما تسبب في ظلم الرعية والتقصير في حقوقهم^(٢).

والمؤرخ ابن فيروز مثل غيره من المؤرخين المنحازين إلى جانب العثمانيين لم يلق حظه من الترجمة، والتعريف في كتب التراجم. فلا يعرف تاريخ مولده أو وفاته، وكل ما عُرف عنه من معلومات، ما أشار هو إليها في كتابه، أو تناثر في كتب التاريخ المعاصرة له والمتأخرة. فقد أشار المؤرخ في غلاف المخطوطة إلى اسمه بقوله "أحمد بن يوسف بن محمد بن فيروز أفقر عباد الله وأحوجهم إليه عامله الله بلطفه"^(٣)، فهو ينتمي إلى أسرة آل فيروز كما هو واضح من اسمه، وهي أسرة

(١) عبد الصمد الموزعي: الإحسان، ص ١٧، ١٩.

(٢) أحمد بن فيروز: مطالع النيران، ص ١٩.

(٣) نفس المصدر، الورقة الأولى.

من أصل كردي. احتلت مكانة علمية ودينية، واجتماعية في مدينة إب منذ عهد الدولة الرسولية (١).

والمؤرخ لم يخرج عن نهج أسلافه في ذلك، فقد كان خطيباً في الجامع الكبير بمدينة إب كما أشار إلى ذلك صاحب كتاب تاريخ دولة الترك في اليمن بقوله "وكان خطيب إب الفقيه أحمد بن فيروز يميل إلى الأترك"^(٢)، وقد عاصر أحداث الصراع بين العثمانيين وآل القاسم في مراحلها الأخيرة، وأظهر موقفاً مسانداً للعثمانيين في بداية الأمر، حيث عمل على تحريض الناس على نصرته العثمانيين حيث كان يدور في أزقة مدينة إب مخاطباً العامة بآيات قرآنية يحرضهم بها على قتال ومحاربة آل القاسم^(٣). كما حمل رسالة أهالي مدينة إب إلى الوالي العثماني عابدين باشا^(٤) في زبيد سنة ١٠٣٨هـ / ١٦٢٨م، يحثه فيها على القدوم إلى مناطق اليمن الوسطى، ويعدده بالنصرة في محاربة الأمير الحسن بن الإمام القاسم. إلا أنه لم يستمر على موقفه السابق المعادي لآل القاسم، بل تراجع عن ذلك وطلب العفو من الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم الذي عفا عنه.

وقد ذكر الشاعر عبدالله بن أحمد هذا الموقف بقوله

قل لابن فيروز أجزاء الإله كما	جزا ثموداً وعاداً أسوأ البشر
ما ضر لو كنت للأشراف منتصراً	كما أنتصرت لأهل الفحش والمنكر
أما رأيت لآل المصطفى ليذا	فضلاء كما [.....] ^(٥)
ولست بالرجل المرهوب جانبه	ولا العظيم ولا ذي الرأي والخطر

(١) إسماعيل الأكوغ: المدارس الإسلامية في اليمن. مؤسسة الرسالة ط٢، ١٩٨٦م، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) مؤرخ مجهول: تاريخ دولة الترك في اليمن. مخطوطة مصورة على ميكروفيلم محفوظ في دار المخطوطات اليمنية بصنعاء ق ٤٣.

رجح الدكتور سيد سالم في كتابه المؤرخون اليمنيون . ص ٤٨، أن أحمد بن فيروز سني متدين من أهالي الهضبة اليمنية من مدينة إب. وهذا الترجيح يتطابق مع المعلومات المستقاة من المصادر التاريخية المعاصرة لفترة المؤرخ أحمد بن فيروز.

(٣) مؤرخ مجهول: تاريخ دولة الترك . ق ٤٣

(٤) عابدين باشا : وهو الوالي العثماني على الحبشة، وصل إلى اليمن سنة ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٨م بهدف دعم حيدر باشا في مواجهة ثورة الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وعند وصوله إلى اليمن همّ بقتل حيدر باشا والي اليمن، إلا أنه تراجع واكتفى بحبسة في جزيرة كمران. وبسبب هذه المعاملة السيئة، كانت نهاية عابدين باشا على يد رجال الوالي أحمد قانصوه باشا الذي عين خلفاً له حيدر باشا وذلك سنة ١٠٣٩هـ / ١٦٢٩م . سيد سالم : الفتح العثماني. ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠١.

(٥) غير واضحة في الأصل

لكن حويت خصالاً وانفردت بها
وجئت مستغياً عفواً ومكرمةً
فأبتغوك بما كنت تأمله
هي الثلاث كما قد جاء في الخبر
على أمان من الأسواء والكدر
لو كانت الترك لم تلق سوى السمير
وأعيد المؤرخ بن فيروز بعد العفو عنه إلى عمله السابق إماماً وخطيباً في
الجامع الكبير بمدينة إب^(١).
وبقي مالياً للدولة القاسمية. ولا يعرف بالضبط تاريخ وفاته، إلا أنه عاش إلى ما
بعد سنة ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨ م.

عيسى بن لطف الله بن المطهر:

وهو المؤرخ عيسى بن لطف الله بن المطهر بن الإمام شرف الدين، صاحب
كتاب "روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح". كان مولده في
٢٧ جمادى الآخرة سنة ٩٨٦ هـ / ٣١ أغسطس ١٥٧٨ م، اشتهر بعلم النحو
والصرف والطب، وبالآداب، والشعر، وعلم الفلك. كما برع في علم التاريخ. كانت
وفاته في ٢ ربيع الأول سنة ١٠٤٨ هـ / ١٤ يوليو ١٦٣٨ م^(٢).

وعُرف المؤرخ عيسى بن لطف الله بمهادنته للعثمانيين وتقربه منهم، فقد عاش
في فترة سادها نوع من الاستقرار السياسي بين العثمانيين وآل شرف الدين الذين
انضوا تحت حكم الدولة العثمانية^(٣). حيث سخر فكره في خدمة الولاة العثمانيين،
فصنف لهم المؤلفات التاريخية ومنها كتاب "روح الروح" الذي ألفه تلبية لرغبة
الوالي العثماني محمد باشا^(٤)، وذكر فيه وصول الجراكسة إلى اليمن، وما وقع في
تلك الفترة من صراعات سياسية وعسكرية بين المماليك والظاهرين، والإمام شرف
الدين، وهاجم فيه الدولة الطاهرية، ومجد أعمال أجداده آل شرف الدين، كما ذكر

(١) مؤرخ مجهول: تاريخ دولة الترك. ق ٤٦، ٤٧.

(٢) الإمام الشوكاني: البدر الطالع. ج ٢، ص ٥١٦. المحبي: خلاصة الأثر. ج ٣، ص ٣٣٦.

اسماعيل الأكوخ: هجر العلم. ج ٤، ص ١٨٧٣ - ١٨٧٤. سيد سالم: المؤرخون اليمنيون. ص ٦٨.

(٣) سيد سالم: نفس المرجع. ص ٧٢.

(٤) محمد باشا: تولى حكم اليمن بعد الوالي جعفر باشا سنة ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م، كان قبل تعيينه كاتباً في

الديوان بمصر، وحين وصل إلى اليمن دخل في صراع مع الإمام القاسم، ثم عقد الصلح معه سنة ١٠٢٨ هـ

هـ / ١٦١٩ م. بقي والياً على اليمن إلى سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م. اشتهر بأقامة العدل، فقد أقام ديواناً في

صنعاء للنظر في مظالم الناس، اهتم بالعمارة ومن مآثره تجديد تعمير مسجد طلحة في صنعاء. سيد سالم:

الفتح العثماني. ص ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩٢.

وصول العثمانيين، ومجد أعمالهم، وشن فيه حملة دعائية ضد ثورة الإمام القاسم بن محمد^(١). وبالإضافة إلى كتاب روح الروح، فقد ألف كتاب آخر اسمه "النفحة اليمينية في الدولة المحمدية"^(٢).

وقد صنف الدكتور سيد سالم المؤرخ عيسى بن لطف الله ضمن المؤرخين المنحازين إلى جانب الأئمة الزيدية، مشيراً إلى الظروف السياسية والتاريخية التي أحاطت بتأليف كتاب روح الروح. حيث ذكر أن تأليف الكتاب كان بطلب من الوالي العثماني محمد باشا بهدف الاستفادة من تجارب العثمانيين السابقة في مواجهة الأئمة الزيديين، في كشف أسرار تلك الثورات من شخص له دراية بذلك وهو المؤرخ عيسى بن لطف الله، لمواجهة ثورة الإمام القاسم بن محمد. مبيناً أن المؤرخ عيسى بن لطف الله دخل في طاعة الدولة العثمانية في وقت كانت القوة الزيدية منقسمة على نفسها، حيث كانت أسرة آل شرف الدين موالية للعثمانيين، وأسرة آل القاسم معادية لهم. موضحاً أن المؤرخ أنتهز فرصة تكليفه بتأليف ذلك الكتاب، فاهتم بإبراز تاريخ أسرته. مؤكداً في الوقت نفسه أن المؤرخ كان معتدلاً في ذكر العثمانيين إلى حد يلفت النظر، وأنه أطنب كثيراً في مدح الوالي محمد باشا إلى حد المبالغة التي تثير الملل. وأن المؤرخ فسر حروب أسلافه مع العثمانيين بأنها كانت من كيد الحاسدين^(٣).

وقد دعم الدكتور سيد سالم تصنيفه هذا بما ورد عند المؤرخ محمد المحببي في ترجمته للمؤرخ عيسى، فقد أشار إلى أن كتاب المؤرخ عيسى بن لطف الله كان في ظاهره للأروام، وأن المؤرخ استفاد من علاقته بالعثمانيين ليكتب تاريخ سلفه^(٤). والباحث لا يختلف مع الدكتور سيد سالم كثيراً فيما ذكره حول الظروف التي أخرجت كتاب روح الروح، وأتاحت المجال للمؤرخ عيسى بن لطف الله بأن يكتب تاريخ اليمن خلال تلك الفترة. إلا أنه لا يتفق مع رأي الدكتور سيد سالم في

(١) عيسى بن لطف الله: روح الروح. تحقيق: إبراهيم المقضي، ص ٧.

(٢) لم ترد معلومات في كتب مصادر الفكر حول هذا الكتاب، وكل ما ذكر حوله أنه من الكتب التي ألفها

المؤرخ وخصيصاً لذكر محاسن محمد باشا، وأنه بلغ في ذلك حتى غلب من أهل عصره على ذلك. حسين

العمرى: المؤرخون اليمنيون. ص ٣٢ - ٣٣.

(٣) سيد سالم: المؤرخون اليمنيون. ص ٧١-٧٣.

(٤) نفس المرجع: ص ٧٣.

تصنيف المؤرخ ضمن تلك الفئة من المؤرخين، و يتفق مع رأي الدكتور حسين العمري في صعوبة تصنيف المؤرخ عيسى بن لطف الله ضمن المؤرخين اليمنيين المنحازين للأئمة الزيدية^(١)، بل إن الباحث يرى إمكانية تصنيف المؤرخ عيسى بن لطف الله ضمن المؤرخين المنحازين للعثمانيين للأسباب الآتية :

— أن المؤرخ لم يشن حملة دعائية ضد العثمانيين في صراعهم مع أسرته مثلما فعل مع الطاهريين، أو كما فعل بقية المؤرخين المنحازين إلى جانب الأئمة الزيدية. وإنما اكتفى بذكرهم بنوع من الاعتدال والموضوعية، معللاً أسباب الصراع بين الطرفين إلى كيد الحاسدين الحاقدين من الناس.

— انحاز المؤرخ بشكل واضح إلى جانب العثمانيين في حربهم مع آل القاسم، وشن هجوماً على دعوة الإمام القاسم بن محمد، التي تعتبر امتداداً لدعوات آل شرف الدين، وحمله مسئولية ما يقع في اليمن من الفتن^(٢).

— إذا كان كتابه روح الروح به نوع من التحفظ في ذكر العثمانيين وذكر أسرته، فإن احتجاج معاصريه ومعاتبهم له على كتابه "النفحة اليمنية في الدولة المحمدية" يظهر مدى ميوله وانحيازه إلى جانب العثمانيين.

ومما سبق بدأ واضحاً ميول المؤرخ إلى جانب العثمانيين، وأن تصنيفه مع المجموعة التي انحازت إلى جانب العثمانيين أقرب من تصنيفه مع المجموعة التي انحازت إلى جانب أئمة الزيدية.

المؤرخون المنحازون إلى جانب أئمة الزيدية (مؤرخو المعارضة):

مثلما انحازت فئة من المؤرخين اليمنيين إلى جانب العثمانيين، فإن فئة أخرى منهم انحازت إلى جانب أئمة الزيدية. وصنفوا مؤلفات تاريخية مجدوا فيها أعمال أئمة الزيدية حاولوا من خلالها اثبات شرعيتهم وحققهم في الحكم، كما شنوا فيها حملة دعائية ضد العثمانيين، ومن أشهر هؤلاء المؤرخين.

(١) حسين العمري: المؤرخون اليمنيون. ص ٣١.

(٢) عيسى بن لطف الله: روح الروح. تحقيق: إبراهيم المقضي، ص ١٢٥، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٤٠.

الحسن بن محمد الزريقي:

هو الحسن بن محمد بن علي بن سليمان الزريقي الهمداني العنسي الهيصمي عالم ومحقق، و فقيه حافظ ، كان مولده سنة ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م، شارك في الصراع السياسي الدائر بين الإئمة انذاك، فقد كان إلى جانب الإمام مجد الدين المؤيدي^(١) في صراعه مع الإمام شرف الدين، ثم تحول بعد ذلك إلى مناصرة الإمام شرف الدين سنة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م. وتلمذ على يده في الفقه والحديث والتفسير. ثم صار من خاصته، حيث أعتد عليه الإمام في الكثير من الأعمال مثل توزيع الصدقات وقضاء حاجات الناس، كما كلفه الإمام ببعض الأعمال السياسية، وكان ممن حضر وشهد على وصية الإمام شرف الدين، توفي بالظفير من بلاد حجة سنة ٩٦٠هـ / ١٥٥٣م^(٢).

صنف كتاباً في سيرة الإمام شرف الدين أسماه "سيرة الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين"^(٣)، ويقع الكتاب في ٣٤٤ صفحة من الحجم الكبير، ذكر فيه سيرة الإمام وكراماته، وتطرق إلى أحداث الصراع السياسي والعسكري الذي دار بين الإمام والعثمانيين، حيث شن حملة دعائية عليهم بين فيها مظالمهم، واعمالهم السيئة. كما جاء الكتاب مليئاً بالقصائد الشعرية التي تحكي أحداث تلك المرحلة.

لم يلتزم المؤرخ بالترتيب الزمني للأحداث في كتابه أنف الذكر، حيث كان ينتقل من فترة إلى أخرى حسب أهمية الحدث، وبدا واضحاً أنه لم يدون الأحداث حال وقوعها، وإعتمد على ذاكرته في سردها وهو ما جعل الأحداث غير مرتبة زمنياً.

(١) الإمام مجد الدين المؤيدي : هو الإمام الداعي لدين الله مجد الدين بن الحسن بن عز الدين بن علي المؤيدي ، إمام مجتهد مجاهد ، كانت دعوته بالإمامة سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م ، دخل في صراع مع الإمام شرف الدين ، ركن إلى الهدوء عقب هزيمته أمام الإمام شرف الدين ، كانت وفاته في صعدة سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م ، ومدة إمامته ١٤ عاماً . عبد السلام الوجيه : أعلام المؤلفين . ص ٨٠٥ .

(٢) الإمام الشوكاني : البدر الطالع . ج ٢ ، ص ٧٨ . إبراهيم بن القاسم : طبقات الزيدية الكبرى . صنعاء ، مؤسسة الإمام زيد الثقافية ، ج ١ ، ط أولى ، ٢٠٠١م ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٣) ما يزال الكتاب مخطوطاً ولم يحقق إلى اليوم، ويوجد منه عدة نسخ، منها نسخة في مكتبة حمود شرف الدين في كوكيان، وأخرى في مكتبة آل الغالبي في صعدة، وأخرى في مكتبة السيد المرتضى في السر. عبدالسلام الوجيه: نفس المرجع. ص ٣٤٩. ومنها نسخة محملة على قرص مدمج (C . D) محفوظة في مؤسسة الإمام زيد الثقافية بصنعاء وهي النسخة التي استخدمها الباحث .

كما أنه لم يستكمل سيرة الإمام شرف الدين، لأن وفاته كانت سنة ٩٦٠هـ — / ١٥٥٣م، في حين كانت وفاة صاحب السيرة بعده بخمس سنوات ٩٦٥هـ / ١٥٥٧م وبعد كتاب المؤرخ الزريقي مصدراً أساسياً لسيرة الإمام شرف الدين، فهو — حسب علمي — الكتاب الوحيد الذي دونت فيه سيرة الإمام من قبل أحد مؤرخي عصره، والذي كان على اطلاع واسع بمجريات الأحداث وممن شارك فيها. كما انفرد كتاب مؤرخنا دون غيره — حسب علمي — بنشر مراسلات الإمام مع السلطان العثماني سليمان القانوني، وكذلك مراسلاته مع والي مصر العثماني داود باشا، وهو ما جعل الكثير من المؤرخين الذين جاءوا من بعده يعتمدون على كتابه. أمثال عيسى بن لطف الله، و يحيى بن الحسين، وأحمد بن محمد الشرفي، ومحمد بن إبراهيم بن المفضل^(١)

أحمد بن شائع اللوزي:

هو أحمد بن شائع اللوزي الدعامي، وصفه صاحب كتاب مطلع البدور بقوله "الفقيه العارف أحمد بن شائع اللوزي رحمه الله كان عابداً، وكان يسكن مدينة ثلا، منزله بجوار المدرسة [...] لم يبايع الإمام القاسم رضي الله عنه لعدم بأسه من الإمام الحسن بن علي بن داود عليه السلام"^(٢).

درس أحمد بن شائع في مدينة ثلا، وكان من أتباع الإمام الحسن، وصنف كتاباً في سيرته أسماه "سيرة الإمام المؤمن المحيي للشرائع والسنن الداعي إلى الله في أرض اليمن الولي بن الولي الناصر لدين الله الحسن بن علي سلام الله عليه"^(٣). تناول فيه مراحل دعوة الإمام الحسن، وحروبه ضد العثمانيين والقبائل المناصرة لهم، وهاجم في كتابه أمراء آل شرف الدين الذين ساندوا العثمانيين، كما شن حملة دعائية ضد العثمانيين، شرح فيها أعمالهم التي تخالف الشرع.

وفي الوقت نفسه بين مكانة وأحقية الإمام الحسن بن علي المؤيدي في الإمامة وحث الناس إلى الالتفاف حوله ومناصرته. وضمن المؤرخ في كتابه الكثير من

(١) نقل هؤلاء المؤرخون الكثير مما ورد عن الزريقي في كتبهم، وأشاروا إلى ذلك بذكر مصدر النقل.

(٢) أحمد بن صالح بن أبي الرجال : مطلع البدور ومجمع البحور. مخطوطة مصورة بمركز الدراسات والبحوث اليمني، تحت رقم ٠٧، ٩٥٦. ج١، ق٦٠.

(٣) أحمد اللوزي : سيرة الإمام الحسن بن علي . ق ١.

كرامات الإمام الحسن التي شاعت في عصره بين الناس، وكان محل انتقاد معاصريه من المؤرخين الذين وصفوها بأنها نوع من الخرافة الغرض منها كسب الأنصار^(١).

ويعد كتاب المؤرخ اللوزي من حيث الحجم من أكبر الكتب التي ألفت خلال الفترة التي سبقت دعوة الإمام القاسم ووصلت إلينا، حيث يقع الكتاب في حدود ٥٠ ورقة من الحجم المتوسط . دون فيه الأحداث التاريخية من سنة ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م، وهي بداية دعوة الإمام الحسن، وأنتهى بحوادث سنة ٩٩٣هـ / ١٥٨٥م وهي سنة نفي الإمام إلى استانبول.

صلاح بن داغر المرهبي:

هو صلاح بن داود بن علي بن داغر^(٢)، ذكره صاحب مطلع البدور بقوله "الفقيه الماجد فخر الكتاب أوجد المؤرخين صلاح بن داغر المرهبي^(٣)، كان عالماً متبحراً في أنواع من العلم، اشتهر بالتجيم، حتى يظن بعض الناس أنه محصوله من العلم وليس كذلك، إلا أنه برع في العلم [...] ووضع تاريخاً لأيامه ولعله لم يتمها لأننا لم نعرف منه إلا كراريس، وهي لأيام الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين عليه السلام خاصة جعله على الأيام، وكان من أعيان الوقت، وقد أثنى عليه السيد عيسى بن لطف الله وغيره من المطلعين على تاريخه"^(٤).

(١) سترد معلومات مفصلة حول هذه الأنتقادات في الفصل الرابع من هذه الدراسة، في الجزء الخاص بتوظيف السند الغيبي في خدمة الأغراض السياسية.

(٢) هكذا سمي المؤرخ نفسه في كتابه الذي ألفه في سيرة الإمام شرف الدين بقوله "يقول العبد الفقير إلى عفو الله عن فرطاته". صلاح بن داغر : سيرة الإمام شرف الدين . صنعاء ، المكتبة الغربية بالجامع الكبير، مجموع رقم ٣٦ ، من ٣٠٦ إلى ٣١٧ ، ص ٣٠٦.

(٣) المرهبي نسبة إلى مرهبة وهي قبيلة من بلاد همدان. إبراهيم المقضي : معجم البلدان . ص ١٤٩٦ . وقد ورد هذا اللقب في اسم المؤرخ لدى الكثير من المؤرخين أمثال " محمد بن إبراهيم بن المفضل : السلوك الذهبية . ص ١٩٦ ، ٢٢٤ ، أحمد الشرفي : اللائح المضبنة : ج ٣ ، ص ٩٤ ، وكثيراً ما ترددت أسماء أشخاص كانوا من خاصة الأمام شرف الدين والإمام القاسم يحملون نفس اللقب ، وهو ما يؤكد أن المؤرخ ينتمي إلى نفس القبيلة وهذا يعزز ما ذهب الباحث إليه من أن المؤرخ عبدالله بن صلاح بن داغر يعني الموطن هو ابن المؤرخ صلاح بن داغر .

(٤) أحمد بن أبي الرجال : مطلع البدور . ج ١ ، ص ٢١٧ .

ولا يُعرف تاريخ مولده أو وفاته، وكل ما يُعرف عن حياته أنه كان حياً إلى سنة ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م^(١)، وأنه من خاصة الإمام شرف الدين ومن المقربين إليه، وله الكثير من الأشعار التي قالها في مدح الإمام وابنه المطهر، وصف فيها صراعمهم مع العثمانيين^(٢)، ودعا الناس من خلالها إلى الالتفات حول الإمام ومناهضة العثمانيين.

كما شارك في أحداث الصراع السياسي بين الأئمة الزيدية والعمانيين، وذلك حين تولى سفارة المطهر إلى العثمانيين أكثر من مرة، فقد كان ضمن الوفد الذي أرسله المطهر للتفاوض مع أزدمر باشا لإتمام صلح سنة ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م^(٣)، وكان ضمن أعيان الدولة الذين أرسلهم المطهر إلى مدينة تعز لمقابلة مصطفى باشا النشار^(٤). لشرح موقف المطهر ومطالبه من الدولة العثمانية^(٥). ولم يكتف المؤرخ بتلك المشاركات، بل أنه خاض غمار الصراع الفكري الذي دار بين المؤرخين المنحازين لأطراف الصراع السياسي، حيث كتب كراريس دون فيها سيرة الإمام شرف الدين. وأبتدأ السيرة بذكر دعوة الإمام شرف الدين وصراعه مع الظاهريين، ثم انتقل إلى الحديث عن صراعه مع العثمانيين^(٦). وكراس المؤرخ لا تتجاوز عدد

(١) محمد عيسى صالحية : المخطوطات اليمانية في مكتبة علي أميرى ملت - بأستانبول . بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط أولى ، ١٩٨٤ م ، ص ١٧.

(٢) وردت الكثير من القصائد الشعرية للمؤرخ صلاح بن داعر في كتب التاريخ منها ما ورد في كتاب السلوك الذهبية : للمؤرخ إبراهيم بن المفضل . ص ١٩٦ ، ٢٢٤ . وفي كتاب اللآلئ المضيئة : للمؤرخ الشرفي . ج ٣ ، ق ٩٤ . للمزيد من المعلومات عن دور صلاح بن داعر أنظر ترجمته في هذه الدراسة.

(٣) كان الوفد مكون من السيد عماد الدين يحيى بن الحسن المؤيدي ، وصلاح بن داعر المرهبي . عيسى بن لطف الله : روح الروح . نشر / إبراهيم المقحفي، ص ١٣٣.

(٤) مصطفى باشا النشار : كان سراجاً في الجيش العثماني عند دخول مصر، ترقى في الوظائف إلى أن أصبح كاشفاً بمصر، وتولى أمارة الحج لعدة مرات، اشتهر باسم النشار لأنه كان ينشر - يقطع - اللصوص وقطاع الطرق إلى نصفين ويجعلهم عبدة لغيرهم، عين والياً على اليمن سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م، وأستمر في ولايته حتى سنة ٩٥٢هـ / ١٥٤٥م . قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . ص ٩٤.

(٥) كان الوفد المرسل إلى مصطفى باشا مكون من صلاح بن داود بن داعر و الحسن بن محمد الهادي . عيسى بن لطف الله : نفس المصدر . ص ١٤٢.

(٦) أشار الدكتور محمد صالحية في كتابه المخطوطات اليمانية في مكتبة علي أميرى ، إلى مخطوطة بعنوان " رسالة في تاريخ اليمن " للمؤرخ صلاح بن داود بن داعر ، ثم أشار في الهامش إلى أن نسخة المخطوطة الموجودة في المكتبة الأصفية تنسب إلى المؤرخ عبد الله بن صلاح بن داعر .

أوراقه ١٢ ورقة، لخص فيه حوادث اليمن من سنة ٩٠٧هـ / ١٥٠١م إلى سنة ٩٦٤هـ / ١٥٥٦م^(١).

أحمد بن محمد الشرفي:

هو أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد المعروف بالشرفي. كان مولده سنة ٩٧٢هـ / ١٥٦٤م ولا يعرف مكان مولده ويرجح أن يكون في بلاد الشرف^(٢). طلب العلم ورحل من أجله إلى العديد من الهجر والمدن، وتلمذ على يد كبار علماء عصره أمثال الإمام القاسم بن محمد، ووصل إلى درجة الاجتهاد. عاصر قيام الدولة القاسمية، وكان من أعيان الإمام وأحد ولاته، تنقل معه أثناء دعوته، وعاش الكثير من الأحداث، واطلع على عدد كبير من مراسلات الإمام مع القبائل، وأرفق معظمها في الجزء الثالث من كتابه اللآلئ المضيئة.

شغل العديد من الوظائف منها الإفتاء والتدريس في صنعاء، أنتقل إلى هجرة معمرة^(٣) في أيام الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وأستقر بها حتى وفاته، وقد سخر معظم حياته للتدريس والتأليف وإحياء علوم الدين. وتلمذ علي يده الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وقد عرف عن صاحب السيرة النكش والورع والصلاح، كانت وفاته سنة ١٠٥٥هـ / ١٦٤٥م^(٤).

ويعد المؤرخ الشرفي من أشهر علماء عصره وله مصنفات كثيرة في العديد من العلوم، إلا أن كتاب "اللآلئ المضيئة في أخبار الأئمة الزيدية" هو ما اشتهر به المؤرخ، حيث يعد موسوعة في التاريخ السياسي للزيدية في اليمن. والكتاب المذكور عبارة عن شرح لقصيدة البسامة لابن الوزير^(٥)، ويتألف الشرح من ثلاثة

(١) السيرة موجودة في المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء ضمن مجموع رقم ٣٦، من ص ٢٠٦ إلى ص ٣١٧.

(٢) بلاد الشرف: منطقة جبلية شمال غرب مدينة حجة، وتشمل حالياً عدة مديريات منها المحابشة، الشاهل، النفل، كحلان الشرف، المفتاح، أسلم. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. ج ١، ص ٨٦٠.

(٣) هجرة معمرة: تقع في بلاد الأهنوم شمال غرب اليمن في منطقة بني عوف. إسماعيل الأكوخ: هجر العلم، ج ٤، ص ٢٠٨٤.

(٤) سلوى المؤيد: دراسة وتحقيق الجزء الثاني من اللآلئ المضيئة في أخبار الأئمة الزيدية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، ٢٠٠٢م، ص ٢ - ٣.

(٥) قصيدة البسامة هي المسماة بالقصيدة المضيئة في سيرة الأئمة الأخيار وهي من نظم العلامة صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير المتوفى سنة ٩١٤هـ / ١٥٠٨م أرخ فيها للأئمة الزيدية إلى سنة ٩٠١هـ =

أجزاء. خصص المؤرخ الجزئين الأول والثاني لشرح بسامة ابن الوزير التي تنتهي بذكر أخبار الدولة الرسولية. والجزء الثالث خصصه لشرح ذيل البسامة للعلامة داود بن الهادي^(١)، والذي تناول فيه ذكر دولة بني طاهر وأخبار الأئمة المعاصرين لهم، ودولة المماليك في مصر، والدولة العثمانية وسلطينها في عصره، وتوسع في سيرة الأئمة المعاصرين لها. وبعد ذلك شرح قصيدته التي أرخ فيها للإمام القاسم بن محمد وابنه المؤيد، وجزء من سيرة المتوكل على الله إسماعيل، ويقع الجزء الثالث هذا في حوالي ٥٠٠ ورقة^(٢).

جاءت كتابة المؤرخ الشرفي متأثرة بالأوضاع السياسية التي عايشها، فقد أتاحت له فرصة خروج العثمانيين، وقيام الدولة القاسمية أن يتناول التاريخ من جانب واحد حيث أظهر تحيزه الشديد إلى جانب الأئمة الزيدية. والجدير بالذكر أن المؤرخ المطهر الجرموزي أعتمد في كتابه النبذة المشيرة على كتاب المؤرخ الشرفي، عند تناوله الإمام القاسم، والإمام المؤيد محمد بن القاسم.

المطهر بن محمد الجرموزي:

هو المطهر بن محمد بن أحمد بن عبدالله الجرموزي، ينتمي إلى أسرة هاشمية سكنت في هجرة بني جرموز^(٣)، والتي استقى لقبه منها. كان مولده سنة ١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م، تال حظاً وافراً من العلم - لقراءة أسرته من الأسرة

١٤٩٥م في نحو ٢٤٠ بيتاً من الشعر، وحظيت القصيدة بإهتمام العلماء فمنهم من شرحها، ومنهم من ذيلها، ومنهم من جمع بين الأمرين ومنهم من ذيلها ولم يشرحها وأقتصر على شرح ما ذيله. سلوى المؤيد : دراسة وتحقيق الجزء الثاني من اللآلئ المضيئة. ص ١١.

(١) داود بن الهادي : هو داود بن أحمد بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن الإمام عز الدين بن الحسن الهدي . كان مولده عام ٩٨٠هـ / ١٥٧٢م، كان إماماً في العربية والفقه ، له شرح على كتاب الأساس للإمام القاسم، وذيل على بسامة صارم الدين في التاريخ ، كانت وفاته سنة ١٠٣٥هـ / ١٦٢٥م. إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى . تحقيق : عبد السلام الوجيه، ج١، ص ٤٣٣. الإمام الشوكاني : ليدر الطالع . ج ١، ص ٢٤٦.

(٢) سلوى المؤيد : المرجع نفسه. ص ١٤.

(٣) هجرة بني جرموز : من قرى مديرية بني الحارث شمال صنعاء على بعد ٢٥ كم ، أول من سكن هذه القرية من الأشراف أسرة من أبناء يوسف بن المرتضى، يعود نسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب. إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . ج ١، ص ٣١٩ .

القاسمية - فصار عالماً وفقهياً، ومؤرخاً، وسياسياً، وأديباً. عاصر قيام الدولة القاسمية، وشارك في أحداثها ووقائعها، وحظي بمكانة مرموقة لدى آل القاسم، و تقلد العديد من المناصب الوظيفية، العسكرية منها والسياسية، ومنها توليه قيادة الجيوش في العديد من المعارك التي خاضها آل القاسم ضد العثمانيين، وحضر الكثير من اتفاقيات الصلح التي أبرمها الأئمة مع العثمانيين، كما تم تعيينه حاكماً لمناطق وصاب، وبلاد آنس، وعمّة التي بقي حاكماً عليها حتى وفاته في قرية سماة سنة ١٠٧٧هـ / ١٦٦٦م^(١).

ويصنف الجرّموزي بأنه من أشد المؤرخين اليمنيين تعصباً وتحيزاً في كتابته التاريخية إلى جانب أئمة الزيدية. ويبدو أنه قد تأثر في ذلك بنتشنته وحياته العملية، فهو زيدي بالوراثّة، وتربى في كنف أسرته الزيدية المشهورة بالعلم، والمرتبطة بعلاقات قوية بالأسرة القاسمية. كل ذلك جعل من ولاته خالصاً لآل القاسم، ظهر ذلك في كتاباته التاريخية. التي دوّن فيها سيرة ثلاثة من أئمة آل القاسم، وهي "النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة"^(٢)، جعلها في سيرة الإمام القاسم بن محمد، و "الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة"^(٣) جعلها في سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم، و"تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار"^(٤). وكُتبت الجرّموزي كما وصفها الدكتور سيد سالم أشبه ما تكون بـ "الكتب الدعائية التي تصدرها الحكومات، والهيئات للإعلان عن أعمالها، لرفع شأنها أمام الحكومات الأخرى، أو أمام رعاياها"^(٥).

(١) عبد الحكيم الهجري : دراسة وتحقيق مخطوطة " تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار " للمؤرخ المظهر الجرّموزي . صنعاء، مؤسسة الإمام زيد الثقافية ، ط الثانية ، ٢٠٠٢م ص ١٦ - ١٧ . أمة الملك الثور : بناء الدولة القاسمية . ص ١٢٨ - ١٤٠ . إسماعيل الأكوغ : هجر العلم . ج ٤ ، ص ٢٢٠٥ .

(٢) حقق الكتاب من قبل الأستاذ عبد الحكيم الهجري في أطروحة دكتوراه غير منشورة. جامعة صنعاء عام ٢٠٠٤م .

(٣) حقق الكتاب من قبل الأستاذة أمة الملك الثور في أطروحة دكتوراه غير منشورة في جامعة صنعاء عام ٢٠٠٥م .

(٤) حقق الكتاب من قبل الأستاذ عبد الحكيم الهجري في رسالة ماجستير في جامعة صنعاء . عام ٢٠٠١م .

(٥) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . ص ٧٧ .

وتمثل مؤلفات الجرמוزي تجسيدا لحالة السيطرة والتسيد للإئمة الزيدية على مجريات الأحداث السياسية والعسكرية والفكرية، ومنها حركة التأليف التاريخي التي شهدتها اليمن في تلك الفترة. خاصة خلال فترة الإمام المؤيد بالله ، والتي يمثل المؤرخ الجرموزي رمزا من رموزها.

علي بن المهدي بن الهادي النوعة وكتاب تاريخ دولة الترك في اليمن:

يعد كتاب تاريخ دولة الترك في اليمن^(١)، من المؤلفات التاريخية التي تناولت سيرة أئمة وأمراء آل القاسم. فقد بدأ الكتاب بذكر ما وقع من أحداث في فترة الإمام الحسن بن علي المؤيدي، ثم ما وقع من أحداث في عهد الإمام القاسم والإمام المؤيد، وركزت معلومات الكتاب على الأعمال السياسية، والعسكرية التي قام بها الأمير الحسن بن الإمام القاسم^(٢) في المناطق الوسطى من اليمن خلال توليه قيادة الجيش المحارب للعثمانيين، وانتهى بذكر حوادث سنة ١٠٥١ هـ / ١٦٤١م.

والكتاب يمثل نموذجا للمؤلفات التاريخية التي شنت حملة دعائية ضد العثمانيين للتشهير بهم وبأعمالهم. فقد ذكر المؤرخ الكثير من تلك الأعمال وأكد أن أهل اليمن لم يكونوا يعرفونها من قبل، مبينا فيه ظلم العثمانيين وبشاعة حكمهم، مظهرا تحيزه وحبه لآل البيت من آل القاسم. وقد وصف الدكتور سيد سالم مؤرخ الكتاب بقوله "والمؤرخ يعد نموذجا لمؤرخي السير الذين يكلفون من قبل أحد الحكام بكتابة سيرة الأجداد والأبء لتدعيم الحكم القائم ، وتثبيت أركانه"^(٣). وأشار إلى أن تأليف كتابه هذا كان بتكليف من أحد السادة، ورجح أن الأمير الحسن بن الإمام القاسم ربما

(١) لهذا الكتاب عنوانا آخر غير "تاريخ دولة الترك في اليمن" وهو "تاريخ مختصر". وكلا العنوانين ليسا

العنوانان الأصليان للكتاب ، فقد وضع العنوان الأول في دار الكتب بالقاهرة ، ووضع الثاني في مكتبة

الجامع الكبير في صنعاء. سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . هـ . ص ٨٢.

(٢) الحسن بن الإمام القاسم بن محمد : كان مولده في شعبان سنة ٩٩٦ هـ / يونيو ١٥٨٧م ، تلقى العلم على

يد والده، ومشائخ عصره ، وتفرغ للجهاد مع والده ، ونال من الأتراك ما لم ينله أحد ، أسر في عهد والده

وحبس في صنعاء ، وتمكن من الهرب، وعاد لحرب الأتراك حتى أخرجهم من اليمن - أسس حصن

الدامغ في بلاد ضوران سنة ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠م ، وبناء وأجرى إليه المياه ، وأستقر فيه حتى وفاته في

شوال سنة ١٠٤٨ هـ / فبراير ١٦٣٨م. الإمام الشوكاني : البدر الطالع . ج ١ ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٧.

محمد المحبى : خلاصة الأثر . ج ٢ ، ص ٣٩.

(٣) سيد سالم : نفس المرجع. ص ٨٦ .

يكون هو من كلف المؤرخ بتأليف ذلك الكتاب، لأن المؤرخ أطال الحديث عن الأمير الحسن بشكل ملحوظ^(١).

هذا ما يتعلق بالكتاب أما المؤلف نفسه فما زال مجهول - حتى يومنا هذا - حيث لم يرد ذكر لاسمه داخل الكتاب، وكل ما ذكره المؤرخ عن نفسه وأسرته، أنه ابن المهدي بن الهادي، دون أن يذكر بقية أسمه، وأن والده كان من المقربين من آل القاسم، وممن اطلع على أحداث تلك الفترة، وشارك في صنعها. كما ذكر بأنه اعتمد على رواية والده في الكثير من مادة هذا الكتاب بقوله "استندت فيما لم أعينه إلى رواية والدي السيد المهدي بن الهادي رحمه الله، فإنه ممن شهد معظم المواقف والخطوب، ودارت عليه رحي تلك الوقائع والحروب"^(٢).

هذا ما ورد من معلومات عن المؤرخ ووالده في الكتاب .

وقد سعى الباحث إلى معرفة شخصية المؤلف من خلال التعرف على شخصية والده التي تردد ذكرها في الكثير من الحوادث، وتمكن بالفعل من التعرف على شخصية والد المؤرخ، وذلك حين قارن بين نص إحدى الحوادث التي وردت عند المؤرخ، وأشار فيها إلى مشاركة والده في صنعها، وبين ما ورد عنه غيره من المؤرخين حول نفس الحادثة.

فقد ذكر المؤرخ في الورقة ٥٩ من كتابه "تاريخ دولة الترك في اليمن" ما رواه والده من خبر الصلح بين الأمير الحسن بن القاسم و حيدر باشا^(٣) سنة ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨ م، وتكليف الأمير الحسن له لقبض المال المتفق عليه من حيدر باشا بقوله "قال السيد المهدي: أرسلني الحسن لقبض ما تم عليه الصلح، وهو سبعون ألف حرف^(٤)، فدخلت إلى المخا، ونصب لي كرسي وأقام لي الأتراك

(١) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون. ص ٨٣.

(٢) مؤرخ مجهول : تاريخ دولة الترك . ق ١

(٣) حيدر باشا: عُين والياً على اليمن سنة ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م ، عُرف عنه البطش والتخبط السياسي فقد أقدم على قتل محمد بن سنان باشا الكخيا حال وصوله إلى اليمن ، كما ساءت سمعته بين الأهالي بسبب شربه للخمر وحبسه للهِو ، حُبس في جزيرة كمران بأمر من عابدين باشا سنة ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨ م ، حكم ولاية اليمن من بعده الوالي أحمد قانصوه باشا . سيد سالم : الفتح العثماني . ص ٣٩٢ ، ٣٩٨ .

(٤) الحرف : عملة نقدية نحاسية ويصل صرف الريال من هذه العملة إلى عدة آلاف. الموسوعة اليمنية. ج٤،

سماطين^(١)، وأخرجوا ليّ البر^(٢) فكانت آخذ النفيس، وأرمي بالخسيس، فتحاملوا و اغتاطوا، وكتبوا إلى الحسن، فأجاب عليهم، أن العمل على السيد، ثم قال الحسن لأصحابه : فعل السيد هذا عندي خير مما يجيء به^(٣) .

وقد أورد المؤرخ الجرموزي هذه الحادثة، وما وقع فيها من قبض المال المتفق عليه بين الأمير الحسن وحيدر باشا بقوله "أرسل مولانا الحسن رحمه الله للسيد المهدي بن الهادي النوعة لقبض مال الصلح [...] في المخاء، فتحكم فيهم في التقويم والتبديل، وأسمعهم ما لا نحب، فحفنا عليه من شدتهم، فأرسلنا إليه سرّاً، أن اقبض ما أعطوك، فلم يفعل، بل تحكم فيهم أكثر، فأعدنا عليه أخرى، فكان الجواب أن أول من يقتلون أنا وأنتم القاهرون فدعوني وإياهم"^(٤) .

وعند مقارنة ما ورد في النص المؤلف المجهول ونص المؤرخ الجرموزي يتضح الآتي : -

- أتفق المؤرخان على أن من تولى سفارة الأمير الحسن إلى حيدر باشا هو السيد المهدي بن الهادي.

- أضاف المؤرخ الجرموزي لقب "النوعه" إلى أسم السيد المهدي بن الهادي، و بذلك أميط الغموض عن شخصية السيد المهدي - والد المؤرخ - وأصبحت شخصيته معروفة الآن، فهو السيد المهدي بن الهادي بن علي اليوسفي المعروف بالنوعه^(٥). وهو من الشخصيات العلمية والسياسية المرموقة، ومن الذين تولوا العديد من المناصب السياسية في عهد آل القاسم، كما شارك أحداث تلك المرحلة.

(١) السماط: البساط الذي يفرش لتناول الطعام.

(٢) البر : القمح. مطهر الأرياني: معجم الألفاظ. ص ٦٢.

(٣) مؤرخ مجهول : تاريخ دولة الترك . ق ٤٩

(٤) المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق / أمة الملك النور ، ص ٥٨٣ .

(٥) هو المهدي بن الهادي بن علي بن أحمد بن محمد بن سليمان اليوسفي الملقب بالنوعه، عالم وفقه ومؤرخ صنف في التاريخ كتاب أسماء الإقباليين ، ولاء الأمير الحسن بن القاسم على منطقة ذي السفال، واستمر والياً عليها في أيام الإمام لمؤيد بالله محمد بن القاسم، جمع ثروتاً عظيمة، وعرف ببسطة يده في أنفاق الأموال، عمر لكثير من العماثر في بيوت الله في اليمن الأسفل والشام، عزله الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وعين مكانه الأمير أحمد بن الحسن. عاد المهدي إلى بلاده سابقين في صعده، ودعا إلى نفسه بالإمامة حين اضطربت أمور عمال الإمام المتوكل في بلاد صعده، ثم تراجع عن دعوته. صادر الإمام المتوكل ثروته ثم أعادها إليه بعد أن أكد للإمام بأنه جمعها من غلة أمواله التي اشتراها أيام الحسن. قدم ما يقارب ثلاثة =

هذا ما يتعلق بشخصية والد المؤرخ، أما شخصية المؤرخ نفسه فإن الباحث قد حاول بمجهوده المتواضع، وبما توفر لديه من معلومات وضع فرضية حول شخصية المؤرخ. حيث رجح أن مؤلف كتاب تاريخ دولة الترك في اليمن هو علي ابن الهادي بن المهدي النوعة مستنداً في ترجيحه هذا إلى الآتي: -
 أولاً: لم يرد في كتب التراجم والطبقات - حسب علمي - أي ذكر لأسم أحد من أبناء الهادي بن المهدي غير ابنه علي.

ثانياً: كان علي من الشخصيات الأدبية والعلمية في عصره، وهو ما يخوله أن يكون مؤرخاً. فقد وصفه المؤرخ زيارة في ترجمته له بقوله "السيد العلامة الرئيس علي بن المهدي بن الهادي بن علي بن احمد [...] كان سيداً عارفاً وأميراً ماجداً"، وأورد زيارة في ترجمته تلك قصيدة للشيخ محمد بن حسين المرهبي، وهي قصيدة رثائية بينت ما كان يتمتع به علي بن الهادي من علم وادب، منها هذه الأبيات.

لا تلمني عن البكاء في الرسوم ** ما أنا في مبادئ التعليم
 لست بالصادق النصيحة عندي ** في حديث يا عاذلي أو قديم
 إن حزني على جمال المعالي ** لعظيم وازن ذلك العظيم
 عالم بالبيان والنحو والصرف ** وفن المنثور والمنظوم
 لا تقل فيه بحر العلم ولكن ** قل جمال الأنام بحر العلوم^(١)

ثالثاً: كان علي بن الهادي من الشخصيات السياسية المرموقة، فقد تولى حكم بلاد خولان بن عامر في عهد الإمام المتوكل على الله اسماعيل سنة ١٠٨٣ هـ /

= ألف ريال هبة منه للإمام المتوكل على الله اسماعيل الذي قبلها لما عرفه طيبة نفسه ببذلها له. كانت وفاته سنة ١٠٧٢هـ / ١٦٦١م وقبر في بلدة ساقين بصعده. المطهر الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ١٩٩. عبد الإله الوزير: طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى. تحقيق: محمد جازم، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط أولى، ١٩٨٥م، ص ١٨٠ - ١٨١. اسماعيل الأكوغ: هجر العلم، ج ٢، ٢٧٨، عبدالسلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص ١٠٥١ - ١٠٥٢.

(١) محمد بن محمد زيارة: نشر العرف لنبله اليمن بعد الألف. صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط

الثانية، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٢٨٦.

١٦٧٣م^(١)، كما تولى بعد ذلك كثيراً من البلاد، ومنها كما يبدو بلاد ذي السفال، لأن له ذرية بها باقية إلى اليوم^(٢).

رابعاً: كانت وفاته سنة ١١٠٨هـ / ١٦٩٦م وهي فترة مقاربة للفترة التي عاش فيها مؤلف الكتاب، الذي كان حياً حتى سنة ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م، فقد ذكر أحداث وقعت في هذه السنة بقوله "وفي وقتنا هذا سنة ألف ومائة قد صارت بلدان اليمن الأسفل..."^(٣).

٦٦٦٩٩٣

ومن واقع الاستدلالات السابقة يرحح الباحث أن صاحب كتاب "تاريخ دولة الترك في اليمن" هو علي بن المهدي بن الهادي بن علي بن أحمد بن سليمان اليوسفي المعروف بالنوعة المتوفى سنة ١١٠٨هـ / ١٦٩٦م.

وما يتعلق باسم كتابه فإن اسمه يظل - كما هو معروف الآن - "تاريخ دولة الترك في اليمن" إلى أن تستجد معلومات حول الاسم الصحيح للكتاب.

أولئك هم أشهر المؤرخين اليمنيين الذين مثلوا نموذجاً لاشرارك العلماء في أحداث الصراع السياسي والفكري في اليمن خلال العهد العثماني الأول. حيث دونوا أحداث تلك الفترة من وجهات نظر متباينة، وبأساليب وطرق مختلفة فأختص بعضهم بكتابة التاريخ العام أمثال المؤرخ عبدالله بن داعر، والبعض الآخر أرخ لفترة زمنية محددة أمثال المؤرخ أحمد بن فيروز، والمؤرخ عبد الصمد الموزعي، آخرون أرخوا لحكام أو أسرة معينة أمثال المطيب، الجرموزي، ومن تلك المؤلفات ما جاء على شكل أرجوزة شعرية مثل كتاب التيجان.

والجدير بالذكر أن التنوع في الكتابة قابله تنوع في توجهات المؤرخين من حيث التحيز والموضوعية. كما ارتبطت غزارة الإنتاج الفكري - عدد المصنفات التاريخية - للمؤرخين المنحازين لطرفي الصراع السياسي، بالظروف السياسية والتاريخية التي مرت بها القوى المتصارعة من حيث القوة والضعف، وهو ما تم الإشارة إليه سابقاً.

(١) عبد الإله الوزير : طبق الحنوي. ص ٢٠٤ .

(٢) محمد زبارة : نشر العرف. ص ٢٨٦ .

(٣) مؤرخ مجهول : تاريخ دولة الترك . ق ٦٥ .

وعلى الرغم من تنوع أساليب وطرق كتابة التاريخ لدى المؤرخين إلا أن هناك صفات جمعت بين مؤرخي كل طرف من أطراف الصراع .

حيث نجد أن مؤرخي السلطة اشتركوا في الصفات الآتية: -

- معظمهم كانوا من مناطق اليمن الأسفل، التي خضعت لسيطرة

العثمانيين لفترات تاريخية طويلة، وشهدت نوعاً من الاستقرار السياسي.

- أغلبهم من يتبعون المذاهب السنية - الشافعي، الحنفي - المنتشرة في مناطق

اليمن الأسفل وتهامة.

- حظي معظم هؤلاء المؤرخين بدعم ورعاية الولاة العثمانيين، والكثير منهم

كانوا من موظفي الدولة الرسميين الذين عملوا في القضاء، والتدريس، والإفتاء.

- صنفت معظم مؤلفاتهم تلبية لطلب الولاة العثمانيين، أو كنوع من الاعتراف

بالجميل من قبل المؤرخين تجاه أصحاب الفضل من الولاة والحكام. وكنوع من

التكسب.

- أهمل ذكر معظم هؤلاء المؤرخين في كتب التراجم، ويبدو أن تحيزهم إلى

جانب العثمانيين ومعاداتهم للأئمة كان سبب ذلك الإهمال، خاصة وأن الفترة

التي أعقبت خروج العثمانيين كانت السيادة فيها للأئمة الزيدية. فسادت بذلك

ثقافة المنتصر الذي يظهر من التراث ما يخدم مواقفه، و يمحو ما يعارضها.

- معظم مؤلفاتهم التاريخية خرجت من اليمن، وحفظت في المكتبات العالمية

عامة والتركية خاصة. وذلك لأن الكثير منها أهدى إلى الولاة والحكام،

واغلبها صنف بطلب من الولاة الذين أخذوها معهم بهدف إبراز أعمالهم أمام

مرؤسيهم، يضاف إلى ذلك أن ثقافة المرحلة التي ساد الحكم فيها. للأئمة الزيدية

عقب خروج العثمانيين أعاققت إعادة نسخ هذه الكتب، باعتبارها كتباً غير

مرغوب فيها لما تحمله في طياتها من أفكار تعارض السلطة القائمة^(١).

ومثلما اجتمعت في مؤرخي السلطة صفات مشتركة، فإن مؤرخي المعارضة

اجتمعت فيهم الصفات الآتية :

- ينتمي أغلبهم إلى مناطق اليمن الشمالية، وهي مناطق عادة ما كانت مركزاً

لانطلاق دعوات أئمة الزيدية، ومعاقلاً تحصنوا فيها أثناء حروبهم مع العثمانيين.

(١) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . ص ٣٩ ، ٦٧ .

— معظمهم من اتباع المذهب الزيدي المنتشر في أغلب مناطق اليمن الشمالية، وهو مذهب الأئمة المعارضين للدولة العثمانية.

— ينتمي أكثر هؤلاء المؤرخين إلى أسر الأئمة أو الأشراف، كما كانوا من المقربين إلى الأئمة إما بحكم قرابة النسب أو لتوليهم المناصب العليا في الدولة في المجالات الإدارية منها أو العسكرية.

— نُسخَت معظم مؤلفاتهم بأعداد كبيرة، وحُفظت داخل اليمن وخارجه. حيث كانت ظاهرة نسخ هذه الكتب وإهدائها سائدة آنذاك، كنوع من تمجيد ذكرى الأسلاف في صراعهم مع العثمانيين، خاصة وأن ثقافة الأئمة الزيدية المنتصرين قد سادت خلال تلك الفترة وما أعقبها حتى سنة ١٩٦٢م^(١).

(١) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون. ص ٦٧ ، ٦٨ .

عوامل ازدهار حركة التأليف التاريخي في العهد العثماني الأول:

شهدت حركة التأليف التاريخي في اليمن في العهد العثماني الأول (١٠٤٥هـ - ١٥٣٨ / ١٦٣٥م) نشاطاً ملحوظاً، تمثل في ظهور أكثر من خمسين مؤرخاً خلال هذه الفترة، تناولوا في مؤلفاتهم التاريخية الأوضاع والنواحي المختلفة لأحداث تلك المرحلة^(١)، كما شهدت هذه الفترة حالة من الصراع الفكري بين مؤرخي السلطة، ومؤرخي المعارضة، مما جعلها أكثر تميزاً عن غيرها من الفترات التاريخية، وذلك بنوعية وخصوصية ما ظهر خلالها من كتابات تاريخية تناولت أحداث تلك الفترة من وجهات نظر مختلفة، تعكس آراء ومواقف مؤلفيها تجاه تلك الأحداث. وهذا النشاط في الكتابات التاريخية يعتبر حالة منفردة لم تتكرر في المراحل التاريخية اللاحقة، أي في العهد العثماني الثاني ١٢٨٩ - ١٣٣٧هـ / ١٨٧٢ - ١٩١٨م، على الرغم من تشابه الظروف التاريخية بين الفترة الأولى للحكم العثماني في اليمن والفترة الثانية، إلا أن حركة التأليف لم تشهد صراعاً فكرياً بين المؤرخين اليمنيين، فلم يظهر مؤرخون مؤيدون للعثمانيين - حسب علمي - خلال مراحل الصراع السياسي بين الدولة العثمانية والقوى المحلية بزعامة الإثمة الزيدية، ولم تفرز الفترة نفسها نتاجاً تاريخياً مماثل للفترة السابقة من حيث عدد المؤرخين، كما أن المؤلفات التاريخية دونت أحداث الصراع من طرف واحد وهو الطرف المؤيد للأئمة^(٢).

الأمر الذي أكسب هذه الفترة من تاريخ حركة التأليف التاريخي في اليمن هذه الميزة وعكس مدى الازدهار الذي حظيت به^(٣).

(١) حسين العمري: المؤرخون اليمنيون - ص ١٧

(٢) ذكر الدكتور حسين العمري في كتابه المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث. أربعة من المؤرخين اليمنيين في العهد العثماني الثاني، وهم ممن ألفوا سيرة ثلاثة من الأئمة، دون أن يشير إلى وجود مؤرخين لنفس الفترة دونوا أحداثها من وجهة نظر متحيزة إلى جانب العثمانيين. حسين العمري: نفس المرجع. ص ٩٤ - ٩٦.

(٣) أبدى الدكتور سيد سالم إعجابيه واندعاشه من النشاط الذي حظيت به حركة التأليف التاريخي في اليمن. من حيث عدد المؤرخين و تنوع الكتابة التاريخية، في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. مقارنة بمثلتها في مصر والتي لم يظهر بها غير اثنين من المؤرخين هما ابن أبيس وابن أبي السرور البكري. سيد سالم: المؤرخون اليمنيون. ص ١٠.

إلا أن ما يثير التساؤل: ما هي العوامل التي أدت إلى ازدهار حركة التأليف التاريخي في اليمن خلال مرحلة الحكم العثماني الأول؟
 قبيل محاولة الإجابة على التساؤل السابق، ينبغي معرفة أن هذا الازدهار لم يكن وليد تلك اللحظة التاريخية. بل كان نتيجة تراكم فكري ومعرفي وسياسي لعصور ومراحل سابقة، شكلت في مجملها العوامل الأساسية المؤثرة في ازدهار حركة التأليف في فترة الدراسة، مع تفرد هذه الفترة بمتغيرات أنية خاصة بها.
 فثمة عوامل ذات طابع ثابت أثرت في الحياة الفكرية والحضارية بما فيها حركة التأليف التاريخي في اليمن على مر العصور. وفي الوقت نفسه لعبت المتغيرات الأنية دوراً في ازدهار هذه الحركة خلال فترة الدراسة، وأبرزت ملامح تميزها وتخصصها. وتتمثل هذه العوامل بالآتي:—

أولاً : أهمية علم التاريخ:

يعد علم التاريخ أقرب العلوم إلى قلب الإنسان، لما يحمله من العظات والعبر التي مرت بها الأقاليم والمجتمعات منذ القدم، فالإنسان كثيراً ما يتوق إلى معرفة ماضيه، كما أن التاريخ من أكثر العلوم اتصالاً بالسياسة وشؤون الدولة، وكثيراً ما يتخذ وسيلة من وسائل الدعوة، ولذا فإن بعض المؤرخين كانوا يتقربون من الحكام والولاة بروايات ترضيهم^(١)، و احتلوا بفضلهم مراكز مرموقة في الدولة.
 وقد جاء تأكيد الإسلام على أهمية علم التاريخ حيث أسهم في تعزيز مكانته بين العلوم الأخرى، وذلك بما ورد في القرآن والسنة النبوية من آيات وأحاديث تحكي قصص الأقاليم الغابرة، ودعوة الإنسان للتفكير والتدبر فيها لأخذ العظة والعبرة^(٢).
 وأكد العلماء المسلمون على أهمية علم التاريخ بتعريفاتهم المختلفة له — لا يسع المجال هنا لذكرها — ولعل أهم من أبرز أهميه التاريخ وعرفه بطريقة فلسفية هو العالم المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون بقوله "أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام . جـ ٢ . ص ٢٦ .

(٢) محمد أحمد الكامل: التدوين التاريخي في القرن الثامن الهجري. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة

صنعاء ، ٢٠٠٠م ، ص ٥١ .

والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا" وقال أيضاً "التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول [....] وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات، ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لهذا أصيل في الحكمة عريق"^(١).

وقد أدرك المؤرخون اليمينيون في العهد العثماني الأول أهمية علم التاريخ ومدى ارتباطه بالسياسة والحكم، وما فيه من فائدة في تجنب الأخطاء وتحاشي الزلات، والاعتبار مما مضى. وإدراكهم هذا دفعهم إلى الاشتراك في أحداث الصراع السياسي الدائر آنذاك بين القوى المحلية بزعامة الأئمة الزيدية، والدولة العثمانية بتأليف مصنغات تاريخية مثلت نوعاً من الدعاية الإعلامية لهذا الطرف أو ذاك، وقد عبر المؤرخون عن تلك الأهمية بأساليب وطرق مختلفة.

منها قول المؤرخ عيسى بن لطف الله في مقدمة كتابه روح الروح "ثم أن أول ما يعتمده أولو الأمر وأصحاب الزمان، ومن بأيديهم مقاليد الملك والسلطان [....] إدمان النظر في كتب السير، والتتبع للأخبار، والآثار، والتفكير في حال من مضى من الأخيار والأشرار [....]، وبأخذوا من الأمور بأحزمها، ومن التجارب بأحكمها، فمهما تكن من حسنة اقتبسوا منها، ومهما تكن من سيئة ارتدعوا عنها [....]، لأن العقل غريزة في الإنسان، والتجارب مكتسبة في الزمان والرأي نقاح العقل والتجربة نتاجه"^(٢).

وأكد صلاح بن داعر في مقدمة كتابه "سيرة الإمام شرف الدين" على أهمية علم التاريخ بقوله "فإنه لما كان الزمان ذا عبر لمن اعتبر، وتقلب أحواله موعظة لمن ازدجر، أحببت أن أضع في هذه النبذة اليسيرة شيئاً مما شاهدته من أحوال

(١) عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون . بيروت، دار الفكر ، ط أولى، ١٩٩٧م ، ص ٥٠ ، ٧.

(٢) عيسى بن لطف الله : روح الروح . تحقيق : إبراهيم المقطفي، ص ٨ - ٩.

ملوك اليمن، وتحوّل كثير في مدة قصيرة، ليستعين من كان له قلب، أو ألقى السمع وله بصيرة^(١).

ثانياً : الموقع والموضع الجغرافي.

يتميز اليمن بموقع جغرافي على جانب كبير من الأهمية، إذ يقع على الطرف الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، عند نقطة يلتقي فيها البحر الأحمر بالبحر العربي، وتتقارب عندها القارتين الآسيوية والإفريقية .

وقد لعب هذا الموقع الجغرافي المتميز لليمن دوراً كبيراً في إثراء الجوانب الحضارية لليمنيين منذ أقدم العصور، حيث شكّل حلقة وصل بين الحضارات القديمة، ووسيلة اتصال اليمن بتلك الحضارات^(٢).

كما أن وقوع اليمن على طرق التجارة القديمة، البرية منها والبحرية بين الشرق والغرب، قد جعل موانئه ومدنه الساحلية تتصل بتلك الحضارات المختلفة، بما تحمله من ثقافات وعلوم وفنون متباينة، الأمر الذي أفرز نوعاً من التأثير والتأثر بين تلك الحضارات والحضارة اليمنية^(٣).

لقد شهدت مدن السواحل اليمنية مثل المخاء وعدن، والشحر ازدهارا حضارياً وثقافياً متميزاً، تمثل في وصول العديد من الأقاليم المختلفة ذات الثقافات المتباينة إلى هذه المدن وأستقرارهم بها، ووفود الكثير من العلماء وطلاب العلم والتجار إليها، كما ورودت إليها الكتب والمؤلفات العلمية، التي انتشرت فيما بعد في بقية أقاليم اليمن^(٤) وأنعكس ذلك إيجاباً على الحياة الفكرية، ومنها حركة التأليف التاريخي.

وفي حين أوجد الموقع الجغرافي تنوعاً ثقافياً وحضارياً، فإن الموضع الجغرافي أوجد تنوعاً سياسياً أيضاً. فاليمن تتميز بتكوينات تضاريسية مختلفة، تتمثل

(١) صلاح بن داعر : سيرة الأمام شرف الدين . مجوع رقم ٣٦ ، ص ٣٠٦ .

(٢) سيد سالم : الفتح العثماني . ص ٣٠ .

(٣) بدر الأغبيري : عوامل ازدهار التعليم في عصر الدولة الرسولية. ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، جامعة عدن ، ٢٠٠١ م، من ص ٢١١ إلى ٢٢٧ ، ص ٢١٧ .

(٤) رياض المشرفي : التعليم في اليمن خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين. ندوة الحياة العلمية والفكرية في

عصر الدولة الرسولية، جامعة عدن ، ٢٠٠١ م. من ص ٢٣٧ إلى ٢٥٥ ، ص ٢٣٧ .

في الجبال العالية شديدة الوعورة، والهضاب، والأودية. وهذا التكوين التضاريسي، والبعد الجغرافي عن عواصم الخلافت الإسلامية، جعلها ملجأً حصيناً للكثير من القوى السياسية، الطامحة لإقامة دول مستقلة.

فقد شهد تاريخ اليمن السياسي ظهور العديد من الدول والإمارات المستقلة، والعصبيات المذهبية منذ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي. والتي دخلت في صراعات سياسية وفكرية من أجل السيطرة على حكم اليمن^(١). فأوجد ذلك حراكاً ثقافياً أثرى الحياة الفكرية خاصة في مجال التأليف التاريخي في اليمن خلال تلك المراحل التاريخية.

ثالثاً: العامل المذهبي.

عرفت المذاهب الفقهية الإسلامية طريقها إلى اليمن في وقت مبكر، فكان المذهب المالكي والحنفي هما السائدان في اليمن حتى أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي^(٢)، وكانت المصنفات الفقهية لتلك المذاهب تدرس في اليمن، ويرجع إليها في أمور التشريع، أما المذهب الزيدي فقد انتشر في اليمن نهاية المائة الثالثة للهجرة / العاشرة للميلاد، على يد الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي^(٣)، وبعد المائة الثالثة للهجرة حل المذهب الشافعي محل المذهب الحنفي، خاصة في مناطق اليمن الأسفل^(٤). في حين أصبح المذهب الإباضي هو المذهب الرسمي في حضرموت منذ القرن الثالث الهجري وحتى القرن الخامس الهجري^(٥)، ومن ثم حل محله المذهب الشافعي في تلك المناطق^(٦).

(١) سيد سالم : الفتح العثماني. ص ٣٠، ٣٨، ٣٩.

(٢) عمر بن سمرة الجعدي :طبقات فقهاء اليمن . تحقيق / فؤاد السيد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط الثانية ١٩٨١م، ص ٨٩.

(٣) حسين العمري : المؤرخون اليمنيون . ص ٢٢.

(٤) أيمن فؤاد السيد : المذاهب الإسلامية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط أولى، ١٩٨٨م، ص ٨٥.

(٥) عوض سعيد باوزير : الفكر الثقافي. ص ٦٥.

(٦) زيد بن علي الفضيل: الصراع العثماني الإمامي في اليمن بين الأختلاف السياسي و الخلاف الطائفي. دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور، الدوحة، ٢٠٠٤م، ص ٥٠٣.

وانتشر المذهب الإسماعيلي في اليمن، والذي ظهر على شكل تنظيم سياسي منذ أواخر القرن الثالث الهجري، وأصبحت اليمن بذلك موئلاً لدعاته^(١)، كما حمل الأيوبيون إلى اليمن المذهب الأشعري عند قدومهم سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م، وانتشر في كثير من المناطق اليمنية ومال إليه كثير من الشافعية^(٢).

وقد أثرت المذاهب المختلفة في الحياة الفكرية في اليمن، بما تحمله من موروث فقهي كبير، حيث أجمعت على جعل العلم والاجتهاد من شروط الخلافة والإمامة فيها^(٣). فأسهم ذلك في وصول العديد من العلماء إلى سدة الحكم، الذين بدورهم عملوا على تشجيع العلم، وأسهموا مباشرة في تصنيف العديد من المؤلفات في شتى العلوم^(٤).

إن التنوع المذهبي " الفكري " الذي انتشر في اليمن على مر المراحل التاريخية قد أوجد حالة من التناقض، والتبادل، والتعلم، والتنافس، والتناظر بين علماء المذاهب المختلفة^(٥)، والذي بدوره أفرز نوعاً من الحراك الفكري والثقافي. أسهم في تهيئة مناخ ملائم لازدهار الحضاري في اليمن، فظهرت العديد من المصنفات الفقهية، والأدبية، والفكرية، وفي شتى العلوم والمعارف متأثرة بالانتماء المذهبي لمؤلفيها^(٦)، والكتابة التاريخية جزء من تلك العلوم التي تأثرت بهذا التنوع المذهبي.

شهدت فترة الحكم العثماني الأول في اليمن ظهور العديد من المؤلفات التاريخية التي أنحاز مؤلفوها بحكم زبديتهم إلى جانب أئمة الزيدية في صراعهم مع

(١) إسماعيل الأكوخ: مدخل إلى هجر العلم ومعاقله في اليمن. بيروت، دار الفكر المعاصر، ط أولى، ١٩٩٥م، ص ١٤٤.

(٢) أيمن فؤاد سيد: المذاهب الإسلامية. ص ٧٣.

(٣) شروط الخليفة كما أجمعت عليها معظم المذاهب الإسلامية هي: العدل، العلم، والاجتهاد، سلامة الحواس، سلامة الأعضاء، الرأي الصائب، الشجاعة، النسب " أن يكون من قريش ". أبو الحسن علي بن محمد الماوردي: الأحكام السلطانية. تحقيق: رضوان السيد، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٩م، ص ٦. وفي المذهب الزيدي الهاديوي يشترط النسب العلوي الفاطمي. سبق الإشارة إلى ذلك.

(٤) عبد الله الحبشي: حكام اليمن المؤلفون المجتهدون. بيروت، دار القرآن الكريم، ط أولى، ١٩٧٩م، ص ٢١٩ - ٢٤٨.

(٥) تزخر كتب التراث اليمني بالعديد من المناظرات الفقهية والعلمية خاصة مناظرات علماء المعتزلة والأشاعرة، وعلماء الزيدية والحنابلة. أيمن فؤاد سيد: نفس المرجع. ص ٧٦ - ٧٧.

(٦) حسين العمري: المؤرخون اليمنيون. ص ٢٣.

العثمانيين، كما ظهرت أيضا مؤلفات تاريخية انحاز مؤلفوها المنتمون إلى المذهبين الحنفي أو الشافعي إلى جانب العثمانيين في صراعهم مع الأئمة الزيدية. حيث أتاح لهم التنوع المذهبي هامشاً واسعاً لرؤية الحدث التاريخي من مواقع مختلفة، وبوجهات نظر متباينة، أفرزت في نهاية الأمر نتاجاً علمياً ضخماً من المؤلفات التاريخية .

رابعاً : العامل السياسي.

شهدت اليمن خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري الهجري السادس عشر الميلادي حروباً سياسية وعسكرية بين الدولة العثمانية والقوى المحلية بزعامة الأئمة الزيدية - سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول - وقد أفرز ذلك صراعاً في النواحي الفكرية، وذلك حين تبنت القوى المتصارعة خطابات دينية ذات مضامين سياسية في حروبها، وأعتمدوا على العلماء في صياغة المبررات الشرعية لتلك الحروب. فشهدت ميادين الفكر خلال تلك الفترة صراعاً بين العلماء خاصة المؤرخين. بدا ذلك واضحاً في ميدان التأليف التاريخي، حيث اشتركت فئتان من المؤرخين، فئة منهم انحازت إلى جانب العثمانيين، وأخرى إلى جانب القوى المحلية بزعامة الأئمة الزيدية. وعملت كل فئة على تبرير مواقف الجهة التي انحازت إليها، مبدية الأعداء والمبررات لكل أفعالها وتصرفاتها، مؤكدة على شرعيتها. في الوقت نفسه شنت حملة دعائية معادية للقوة الأخرى، وسفهت من أفعالها ومواقفها، وأكدت في الوقت نفسه على عدم شرعيتها، وذلك من خلال المؤلفات التاريخية التي كانت الفئتين تصنفها^(١)، والتي مثلت وسيلة إعلام للقوى المتصارعة. فكان لاشترائك المؤرخين في تلك الأحداث - من خلال مصنفاتهم التاريخية - تأثيراً إيجابياً على حركة التأليف التاريخي كما وكيفاً. أدى ذلك إلى غزارة الإنتاج الفكري من المؤلفات التاريخية التي دونت فيها أحداث الصراع السياسي وسير قاداته وزعمائه لنفس الفترة التاريخية بطرق وأساليب مختلفة، ظهر فيه تأثر مؤلفيها بعوامل مذهبية وسياسية واجتماعية، فأبرزت تلك المصنفات

(١) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . ص ١١ .

المختلفة ملامح الأوضاع السياسية لليمن من وجهات نظر مختلفة، وهو ما ميز حركة التأليف التاريخي في هذه الفترة دون غيرها من الفترات التاريخية.

خامساً : تشجيع الحكام والولاة :

لعب الحكام والولاة في اليمن خلال فترة الدراسة دوراً كبيراً في ازدهار الحركة الفكرية بصفة عامة وحركة التأليف التاريخي بصفة خاصة، وذلك لما أبدوه من اهتمام كبير، و دعم مادي ومعنوي للعلم والعلماء. و اختلفت أوجه دعمهم فمنهم من شارك مباشرة في العلم بالتصنيف والتأليف كما فعل الإمام شرف الدين ، حتى أخذ عليه بعض أهل عصره هذا الأمر واعتبروه إهمالاً في حق الرعية حيث علق المؤرخ أحمد بن فيروز على ذلك بقوله "غير أن إهمال الولاة والمتصرفين على الرعايا، [الذين] بعد عليهم رفع شكائهم إلى الإمام المذكور، وذلك لاشتغال الإمام بنشر العلم ومراجعة أهله، وعدم التفاته إلى البحث عن الولاة، ولما شوش عليه أمراء الدولة عرف إهمال الرعايا والبعد عنهم، فندم حيث لا ينفع الندم، واشتغاله بالعبادة والتدريس والتصنيف وإن كان حسناً محموداً إلا أن المطلوب ممن وكل إليه أمور الرعايا إنما هو فصل الحكومات، والمناظرة بين المتخاصمين، وإنصاف المظلومين"^(١).

ومنهم من قرب العلماء إلى مجالسه وأهتم بهم، وقد وردت في كتب التاريخ والتراجم الكثير من الأخبار عن تقريب الولاة والحكام للعلماء، فقد منح السلطان عبدالله بن بدر الكثيري رتبة قاضي القضاة للعلامة محمد بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال^(٢). وندب الشيخ محمد بن عبدالرحيم باجابر ليوليه التدريس في مدرسة السلطان بدر في الشحر^(٣). وذكر المؤرخ محمد المطيب أن بهرام باشا حين قدم إلى اليمن قرب العلماء إلى مجلسه ومنحهم الرعاية والاهتمام^(٤). واشتهر الأمير علي بن

(١) أحمد بن فيروز: مطالع النيران . ق ١٩ .

(٢) محمد باجمال: من علماء حضرموت المبرزين في علم الفقه والتاريخ ،تولى القضاء بعدن ورحل إلى

الهند كانت وفاته سنة ١٠١٩هـ / ١٦١٠م. عبد الله الحبشي : مصادر الفكر . ص ٢٤٣ .

(٣) محمد بن هاشم : الدولة الكثيرية . ص ٨٦ .

(٤) محمد بن يحيى المطيب : بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام . مخطوطة محفوظة في المكتبة

الوطنية في باريس، منيا صورة محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم

٢٢٨٩ تاريخ . ق ٥ .

الإمام شرف الدين^(١) بحبه للعلم والعلماء وتقريبهم إليه، حيث جمع الكثير منهم في حصن ذي مرمر^(٢) وأغدق عليهم العطايا والمنح، وأصبح الحصن من أشهر مراكز العلم بفضل اهتمامه ورعايته^(٣). كما ان المؤرخ عيسى بن لطف الله كان من خواص الوالي العثماني محمد باشا المشهور بحبه للعلم والعلماء^(٤).

حظيت المؤلفات العلمية ومنها التاريخية باهتمام الولاة والحكام خلال فترة الدراسة، وبلغت تلك الرعاية في بعض الأحيان إلى إقدام الحكام على إقامة الاحتفالات الرسمية عند استقدامهم أو شرائهم لبعض الكتب، كما حدث في عهد الإمام شرف الدين سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م حين استقدم كتاب " التكميل الشاف لتفسير الكشاف"^(٥) إلى صنعاء، حيث أمر الإمام شرف الدين بأن يكون وصوله من صعده إلى صنعاء على محمل، وأن يتم زف الكتاب بالأرتاج والطبلخانات^(٦). وأصبحت الكتب من أفضل الهدايا المتبادلة بين الأصدقاء والأعداء، فقد أهدى الإمام المؤيد محمد بن القاسم كتاب الكشاف^(٧) إلى الوالي العثماني محمد باشا سنة

(١) ترجمته في القسم الثاني من هذه الدراسة .

(٢) حصن ذي مرمر : حصن تاريخي في وادي السر من بني حثيش شمال غرب صنعاء بحوالي ١٥ كم، ورد أسم الحصن في العديد من النقوش القديمة ، هدم الحصن في عهد الإمام المؤيد بن القاسم ،ونقلت أبوابه وكثير من تجهيزاته إلى حصن شهارة ، أعاد بنائه الأمير أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم . الموسوعة اليمنية : ج٤ ، ص ٢٦١٥ . إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . ج ٢ ، ص ١٤٩٤ .

(٣) يحيى بن محمد المقراني : مكنون السر في تحرير نحارير السر . تحقيق : زيد الوزير ، صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ط أولى ، ٢٠٠٢م . ص ١٤٦ .

(٤) عيسى بن لطف الله : روح الروح . تحقيق : إبراهيم المقحفي ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٥) كتاب التكميل الشاف في تفسير الكشاف ، للعلامة محمد بن يحيى بهران ، جمع فيه بين فوائد كتاب الكشاف للزمخشري ، وتفسير ابن كثير ، وما يتعلق بالتفسير القرآني والأحاديث النبوية ، وهو في ثمانية أجزاء . يحيى المقراني : نفس المصدر ، ص ٨٤ . إبراهيم بن المفضل : السلوك الذهبية . نشر عبدالملك الطيب ، ص ١٩٦ .

(٦) يحيى المقراني : نفس المصدر . ص ٨٤ . الأرتاج والطبلخانات من أدوات الموسيقى

(٧) عنوان الكتاب " الكشاف في حقائق التنزيل " هو كتاب في علم التفسير للعلامة أبي القاسم جزار الله بن محمد بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨هـ / ١١٣٣م . حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . بيروت ، مكتبة المثني ، (د . ت) ، ج ٢ ، ص ١٤٧٥ .

١٠٢٩ هـ / ١٦١٩ م^(١). واستقدم الوالي العثماني جعفر باشا كتاب تفسير أبي السعود^(٢) من استانبول إلى اليمن ونسخ منه عدة نسخ^(٣).

لم يقتصر دور الحكام والولاة على الاهتمام بالعلم وتقريب العلماء، بل أنهم أسهموا بشكل مباشر في تشجيع حركة التأليف التاريخي، خاصة وأن الساحة السياسية كانت تشهد حينها صراعاً سياسياً وفكرياً بين القوى المتنافسة، وذلك بتكليف المؤرخين تدوين أحداث الصراع للفترة نفسها أو للفترات السابقة وكتابة السير الذاتية لقادة وزعماء تلك الحروب.

فقد أشار المؤرخ عيسى بن لطف الله أن تأليفه لكتاب روح الروح جاء تلبية لرغبة الوالي العثماني محمد باشا بقوله " أنه ألزمني من لا يسعني خلافه في أمر من الأمور ولا يحسن غير اتباع مقاله [...] الوزير محمد حرس الله ملكه [...] ذكر وصول الجراكسة إلى اليمن، وظهور تلك الحوادث والفتن"^(٤). وذكر المؤرخ عبد الصمد الموزعي أن تأليفه لكتاب الإحسان كان بطلب من الوالي سفر باشا^(٥)، الذي أراد وضع تاريخ يذكر فيه ابتداء الدولة العثمانية وأسباب وصولها إلى اليمن " فإنه سألتني من تجب علي طاعته ولا يسعني مخالفته، الأفندي الأكبر [...] سفر وزير به الأوزار حُطت [...] أن أصنع له رسالة يعين فيها ابتداء خروج الدولة العثمانية [...] وإظهار معالم الدولة، وتبيين مآثر خيارهم"^(٦). وبالغ الوالي العثمانيون في اهتمامهم بكتابة تاريخهم وسيرهم، وعملوا على تهيئة السبل أمام المؤرخين، لتحقيق ذلك. فقد ذكر المؤرخ الجرמוزي أن بعض قادة العثمانيين طلبوا من السيد محمد بن

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى . جـ ٢ ، ص ٨١٥ .

(٢) تفسير أبي السعود نسبة إلى أبي السعود بن محمد بن العماد الحنف المتوفى ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م من علماء العثمانيين المستعربين كان مفسراً وشاعراً تقلد القضاء ، وأضيف إليه الإفتاء، وكتابه في التفسير هذا أسمه " إرشاد العقل السليم في مزايا الكتاب الكريم". حاجي خليفة: كشف الظنون. ج ١، ص ٦٥.

(٣) سيد سالم : الفتح العثماني . ص ٣٨٨ .

(٤) عيسى بن لطف الله : روح الروح . تحقيق : إبراهيم المقحفي، ص ٧.

(٥) سفر آغا : أحد القادة العثمانيين وصل إلى اليمن سنة ١٠٢٨ هـ / ١٦٢٨ م في عهد الوالي محمد باشا، عُين والياً على مدينة تعز ، قام بالعديد من الأعمال العسكرية في منطقة تعز. عبد الصمد

الموزعي : الإحسان . تحقيق المعهد الفرنسي، ص ١٢٤ ، ١٢٧.

(٦) عبد الصمد الموزعي : نفس المصدر. ص ٧ .

عبدالله الحوثي^(١) أن يكتب لهم تاريخ سيرهم وحروبهم مع الإمام القاسم ، لكي يرسلوها إلى السلطان ، فأجابهم بأنه لا يستطيع ذلك دون أن يكون في منطقة قريبة من الإمام حتى يعرف أخباره، ويختلط بمن يعرف قضايا تلك الحروب، فما كان من القادة العثمانيين إلا أن بنوا له " لذلك داراً قل مثلها في حوث"^(٢) في أيام الصلح [...] وجعلوا في أعلاه السقايا للماء فخالط الإمام عليه السلام مع ذلك على أنه يتحقق الأخبار"^(٣)

كما ألف الكثير من المؤرخين مصنفاتهم بغرض التقرب من الحكام والولاة، أو كنوع من الوفاء والامتنان تجاههم، وحفظاً لسيرهم من النسيان . فقد أكد المؤرخ عبد الله بن داعر أن تأليفه لكتاب الفتوحات المرادية وفاءً منه لدولة آل عثمان وللوالي العثماني حسن باشا^(٤). وأشار المؤرخ المطيب الزبيدي إلى أن سبب تأليفه لكتابه " بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام " هو من باب الطاعة للدولة العثمانية بقوله " ألف هذا الكتاب خدمة للحضرة الشريفة والمكارم العلية المنيفة"^(٥). وذكر المؤرخ المطهر الجرموزي أن سبب تأليفه لكتاب النبذة المشيرة لتوثيق وحفظ سيرة الإمام القاسم ممن بقي من الرجال الذين عاصروا سيرته بقوله "إني قد سمعت الكثير من أخبار مولانا وإمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد ، فرأيت أن أعلق في هذه المختصر ما أمكن ممن بقي ، واجعله في هذه الأوراق اليسيرة توقيعاً لما أمكن من الجمل"^(٦).

وذكر المؤرخ الشرفي أن سبب تأليفه لكتابه اللآلئ المضيئة بقوله "كنت قد وقفت على كتاب اللواحق الندية للحدائق الوردية للعلامة بدر الدين محمد بن علي الزحيف

(١) محمد بن عبدالله الحوثي من أولاد الإمام يحيى بن حمزة، وهو من العلماء المجتهدين، عاصر الإمام القاسم، له العديد من القصائد الشعرية المدونة في الكتب التاريخية، وتوفي بصنعاء. يحيى المقراني : مكنون السر. تحقيق : زيد الوزير، هـ . ص ٨٠.

(٢) حوث : مدينة كبيرة ما بين صعده وصنعاء، وهي مركز قبيلة العصيمات من حاشد، ترجع شهرتها إلى أنها كانت إحدى أقدم هجر العلم . اساعيل الأكوغ : هجر العلم . ج ١، ص ٤٩٠. إبراهيم المقطفي : معجم البندان . ج ١، ص ٥٢٧.

(٣) المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١.

(٤) عبد الله بن داعر : الفتوحات المرادية. ج ١ ، ق ٢.

(٥) المطيب الزبيدي : بلوغ المرام . كتبت هذه العبارة على غلاف الكتاب .

(٦) المطهر الجرموزي : نفس المصدر. ص ٢٧٥.

رحمه الله، فوجدته كتاباً جليلاً مفيداً خلا أنه لم يتسق فيه ذكر المعارضين، ولا تاريخ دولتهم حيناً بعد حين، فالتقطت منه ما لا بد من ذكره في صناعة التاريخ من ذكر النسب والوفاة والزمان [...] وجعلته كالشرح للبسامة، وأضفت إلى ذلك نبذاً من سير المعارضين^(١).

سادساً : العامل الذاتي.

يقصد بالعامل الذاتي هنا العامل المتعلق بالشخصية اليمنية . حيث لعبت شخصية الإنسان اليمني دوراً مهماً في ازدهار الحياة الفكرية، فكما هو معروف أن حضارة اليمنيين من أقدم الحضارات الإنسانية في العالم، والتي أثرت وتأثرت بالحضارات الأخرى بحكم موقعها وممارسة سكانها للتجارة. فأكتسب اليمنيون علوم ومعارف مختلفة المشارب على مر العصور، وأختزل الإنسان اليمني موروث حضارته والحضارات الأخرى التي تأثر بها ونهل من مشاربها في شخصيته، وتوارثت الأجيال ذلك الموروث، الذي أصبح من السمات الملازمة لشخصيتها.

وفترة الدراسة لا تختلف كثيراً عن غيرها من الفترات التاريخية الأخرى، التي يظهر فيها مدى تعلق الإنسان اليمني بالعلم والمعرفة واحترام العلماء ومراكز العلم. ومن الصعب إجمال مظاهر النشاط العلمي الذي كانت الشخصية اليمنية محسوسة الأساسي، لأن ذلك يحتاج إلى دراسة مستقلة بذاتها .

إلا أن هناك مظاهر لهذا النشاط تستحق الوقوف عندها لما تعكسه من قدرات الإنسان اليمني ودوره في تكريس جهوده لخدمة الفكر والعلم ، ويتمثل ذلك في الجهود الفردية منها والجماعية التي قام بها اليمنيون، والتي تمثل نموذجاً لمدى حبهم للعلم وتطلعهم إليه.

يُعد الرحالة اليمنيون نموذجاً للجهود الفردية في ازدهار العلم ، سواء أصحاب الرحلات الداخلية منهم أو الخارجية ، الذين سعوا إلى طلب العلم والرزق في أصقاع الأرض، وتزخر كتب الرحلات والتراجم بأسماء أولئك الرحالة، خاصة أبناء حضرموت الذين اشتهروا بحبهم للعلم، والسفر في طلبه إلى جانب طلب الرزق، فكانت وجهتهم من حضرموت إلى عدن وتعز وزبيد وغيرها من

(١) أحمد الشرفي : اللآلئ المضيئة . تحقيق سلوى المؤيد، ج٢، ص ٢٨.

المدن الداخلية في اليمن، أو إلى مكة والمدينة، أو إلى بلاد الهند لطلب الرزق والعلم^(١). وأشهر من قام برحلات - خلال فترة الدراسة - إلى أصقاع مختلفة من الأرض، ودون أخبار رحلته في كتاب المؤرخ أحمد بن محمد بن مزاحم الجابري^(٢) صاحب كتاب "سفينة السفر" الذي دون تفاصيل رحلته التي قام بها سنة ٩٩٦هـ - / ١٥٨٨م من الشحر إلى مكة والمدينة، حيث يعد كتابه من المصادر المهمة التي يُرجع إليها لمعرفة أحوال ورجال تلك البلاد خلال الفترة التي زارها الرحالة الجابري .

ومن الرحالة في هذه الفترة أيضاً محمد بن علي بن حسين الأهدل^(٣)، الذي رحل إلى العديد من الأقاليم الإسلامية حيث زار مصر والعراق، وبلاد الروم، وقد تناقل المؤرخون تفاصيل رحلته، وعجائب ما ورد فيها^(٤).

في حين مثل الرحالة نموذجاً للجهد الفردي للشخصية اليمنية في طلب العلم، فقد شكلت ظاهرة "هجر العلم" نموذجاً للجهد الجماعي "الأهلي" في دعم العلم والمتعلمين، وما أسهمت به تلك الهجر في رقد الحياة العلمية والفكرية بالعلماء والمؤرخين والفقهاء، وذلك بما كانت تقدمه القبائل من خدمات سواء منها التمويينية أو الأمنية، لرواد تلك الهجر. حيث وضعت الأعراف القبلية "القوانين" التي تلزم القبائل باحترام تلك الهجر والمقيمين بها، فأصدرت القبائل ما يعرف باسم "قاعدة التهجير" والتي تتضمن تعهد مشائخ وأعيان القبائل لسكان ونزلاء الهجر الواقعة بين أظهرهم من علماء وفقهاء بحمايتهم ورعايتهم^(٥). وجعلت عقوبة من اعتدى على أهل الهجرة عقوبة مربعة - أربعة أضعاف - وتكفلت القبائل بحماية الهجر أيضاً من أي اعتداء خارجي، كما كفلت الالتزام بتأدية المغارم^(٦)، ووفرت القبائل أسباب الرزق والمعاش لأسر العلماء ولطلاب العلم بتلك الهجر، وذلك بمنحهم زكاتها عند

(١) سيد عوض باوزير: الفكر الثقافي. ص ٩١ .

(٢) ترجمته في القسم الثاني من هذه الدراسة .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) عبدالله الحبشي : الرحالة اليمنيون . ص ١٩ .

(٥) إسماعيل الأكوخ : مدخل إلى هجر العلم . ص ٢٣ .

(٦) نفس المرجع . ص ٢٤ .

ما لا يوجد إمام أو حاكم قوي^(١). وعند وجود إمام قوي فإن القبائل تعطي في كثير من الأحيان لأهالي الهجر مالا يساوي مقدار الزكاة التي تأخذها الدولة منهم، فكانت مسألة التمويل مكفولة من قبلهم^(٢)، فشكلت بذلك الهجر ملجأً أمنياً لطلاب العلم وأسرهم، ومناخاً مناسباً لتلقي العلم والمعرفة، كل ذلك بفضل رعاية القبائل (الأهالي). وقد استمر وضع الهجر على هذا الحال منذ نشأتها وإلى عهد قريب، وشكلت أحد روافد استمرارية الحياة الفكرية المزدهرة في اليمن خلال القرون الماضية.

سابعاً : النشاط العلمي.

إن إعداد العلماء علمياً وفقهياً ومنهم المؤرخين يحتم بالضرورة وجود مراكز علمية يتقون فيها صنوف العلوم المختلفة، ويرتبط مدى ازدهار النشاط العلمي ومخرجاته في أي بلد بعدد هذه المراكز، واستمراريتها في رفد المجتمع بأجيال متعاقبة من العلماء، وبما تتطلبه هذه المراكز من مقومات الاستمرارية المتمثلة في رعاية الدولة، أو السلطة والأهالي وبمدى توافر الاستقرار السياسي، الذي يكفل لها مناخاً مناسباً لتأدية دورها المنوط بها.

وقد شهدت فترة الدراسة إنشاء العديد من المراكز العلمية في مختلف مناطق اليمن، التي كان لها دور كبير في رفد المجتمع بالعديد من العلماء. منها على سبيل المثال لا الحصر المدرسة الشمسية في نمار التي أنشأها الإمام شرف الدين سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م، ومدرسة الإسكندرية التي أسسها إسكندر موز في زبيد سنة ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م، والمدرسة السلطانية التي أسسها السلطان بدر بوطويرق في الشحر سنة ٩٥٩هـ / ١٥٥١م، والمدرسة العادلية في صنعاء التي أسسها مراد باشا سنة ٩٨٤هـ / ١٥٧٦م، والمدرسة البكيرية في صنعاء التي أسسها حسن باشا سنة ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م^(٣)، فشكلت هذه المراكز إلى جانب المراكز الأخرى التي بنيت في فترات سابقة عاملاً مهماً في ازدهار الحياة الفكرية ومنها حركة التأليف التاريخي في اليمن خلال هذه الفترة.

(١) يحيى محمد المقراني : مكنون السر. تحقيق : زيد الوزير، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) إسماعيل الأكوغ : هجر العلم . ج ١، ص ٦ - ٧ .

(٣) إسماعيل الأكوغ : المدارس الإسلامية . ص ٣٩٦، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٩٧ .

وهذه المراكز العلمية تشبه مثيلاتها في بقية أقاليم العالم الإسلامي، والتي عادةً ما كانت تتأثر بالصراعات السياسية والحروب، وفي بعض الأحيان تكون هدفاً للسلب والنهب من قبل القوى المتصارعة، أو من الغوغاء، فنشاطها مرتبط بمدى استقرار الأوضاع السياسية.

والجدير بالذكر أن استمرارية الحركة العلمية في اليمن لم تشهد تدهوراً كبيراً، بالرغم مما عاشته اليمن من فترات اضطراب وصراعات سياسية منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي - فترة ظهور الدويلات المستقلة - وحتى فترة الدراسة. ولعل ذلك يرجع إلى وجود نوع خاص من المراكز العلمية التي تفردت بها اليمن دون غيرها من الأقاليم الإسلامية^(١)، تمثل ذلك في ظاهرة هجر العلم^(٢) التي انتشرت في مناطق كان يسودها المذهب الزيدي، و معاقل العلم أو الأربطة التي انتشرت في مناطق يسودها المذهب الحنبلي أو الشافعي^(٣). حيث تميزت هذه المراكز عن غيرها ببعدها عن ميادين الصراع والتنافس السياسي، فلم يحدث لها ما كان يحدث للمراكز العلمية في المدن من سلب ونهب بين الحين والآخر بسبب تلك الأحداث، كما حظيت برعاية الأهالي في مناطق تأسيسها خاصة الهجر وذلك بتوفيرهم الرزق والحماية لروادها و معلميها. فكانت موطئاً للعلماء وطلاب العلم، ورافداً من روافد الفكر والمعرفة التي شهدتها تاريخ اليمن^(٤).

(١) نظر القاضي إسماعيل الأكوغ إلى أن ظاهرة الهجر "ظاهرة اجتماعية تدعو إلى الإعجاب بفكرة نشأتها، وسر بقائها أماداً مختلفة، وهذه الخصائص الفريدة في هجر العلم قد لا توجد في أي مركز من مراكز نشر الثقافة والتعليم في ديار المسلمين قاطبة، ولا يوجد بلد إسلامي ظفر بمثل ما ظفرت به اليمن من وجود هجر العلم على ظهرها بمفهومها الاصطلاحي الشائع، أو عرف نظائرها، أو حدا حذوها في إيجاد ما يماثلها، أو ما يقرب منها تحت أي أسم من التسميات الدالة على مدلول الهجر في اليمن. إسماعيل الأكوغ : هجر العلم . ج ١ ، ص ٧.

(٢) الهجر : ومفردتها هجرة هي القرية التي يهاجر إليها بعض أهل العلم المشهورين ليجعلوها دار إقامة لهم ، ويتخذون منها مكاناً لطيب العلم. لا يعرف على وجه الدقة أقدم هجرة ظهرت في اليمن. إسماعيل الأكوغ : مدخل إلى هجر العلم . ص ١٦ . إسماعيل الأكوغ : هجر العلم . ج ١ ، ص ٧ - ٨.

(٣) إسماعيل الأكوغ : نفس المرجع. ج ١ ص ١٠.

(٤) نفس المرجع. ص ١٤١.

وفترة دراستنا من الفترات التاريخية التي جنت ثمار هجر العلم، حيث نجد أن كثيراً من مؤرخي اليمن خلالها كانوا ممن تلقوا تعليمهم في تلك الهجر، أو المعامل منهم على سبيل المثال لا الحصر :

- المؤرخ عيسى بن لطف الله بن المطهر الذي عاش في هجرة كوكبان .
- المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي صاحب كتاب "اللآلئ المضيئة" الذي كان مولده في هجرة القويعة^(١) سنة ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م ، ثم سكن هجرة معمرة^(٢) حتى وفاته بها سنة ١٠٥٥هـ / ١٦٤٥م، وقد ذكر صاحب كتاب طبقات الزيدية الكبرى أن المؤرخ الشرفي ما أن "بلغ سن النضج حتى سعى إلى طلب العلم من هجرة إلى هجرة يتلمذ على يد كبار علماء عصره"^(٣).
- المؤرخ المطهر الجرزموزي صاحب كتب "النبذة المشيرة" ، و"الجوهرة المنيرة"، و"تحفة الأسماع والأبصار" ،الذي ينسب إلى هجرة بني جرزموز.

كانت تلك هي أهم العوامل التي أدت إلى ازدهار حركة التأليف التاريخي في العهد العثماني الأول في اليمن، والتي شجعت على ظهور اتجاهين فيها. وقف الأول فيها إلى جانب العثمانيين، في حين وقف الثاني إلى جانب الأئمة الزيديين. وتجسدت تلك المساندة في مؤلفات أولئك المؤرخين، حيث عملوا من خلالها على نشر وترويج الخطابات السياسية التي تبناها طرفا الصراع، كما تجلت فيها أهم وسائل الدعاية التي وظفتها القوى المتصارعة لتحقيق المكاسب السياسية.

(١) هجرة القويعة : هجرة خارية في الغرب من مجز ناحية بني جماعة من أعمال صعدة. اسماعيل الأكموع: هجر العلم. ج٣، ص ١٧٦٩.

(٢) هجرة معمرة : سبقت ترجمتها .

(٣) إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى . ج١ ، ص ١٨٢.

الفصل الثالث

توظيف الدين في خدمة الأغراض السياسية
من واقع كتابات المؤرخين

توظيف الدين في كتابات المؤرخين:

استدعى الصراع السياسي بين العثمانيين و أئمة الزيدية، وهما طرفان مُسلمان، إلى تبنيهما لخطابات دينية ذات مضمون سياسي، سعى كل طرف من خلالها إلى إثبات شرعيته وأحقّيته في الحكم، وعمل على استغلال كافة الوسائط الاجتماعية، وتوظيف كل الوسائل لنشر وترويج مفاهيمه السياسية. فأوجد ذلك ميداناً جديداً من ميادين الصراع تمثل في مجال الفكر. لعب العلماء وخاصة المؤرخين دوراً كبيراً في مراحل.

إنّهم يقتصر تأثير المؤرخين في أحداث ذلك الصراع على ما دونوه في مؤلفاتهم التاريخية فحسب، فما دونوه فيها هو خلاصة أفكارهم، وحصيلة نهائية لجهود سنين من العمل الفكري الدعائي، الذي سعوا من خلاله إلى مخاطبة الأجيال القادمة وهو الهدف المعتاد من تدوين التاريخ. بل كان لهم تأثير مباشر في الهامش الاجتماعي الواسع، حيث عملوا على نشر وترويج خطابات القوى المتصارعة فيه وحاولوا إثبات شرعيتها، لإقناع فئات المجتمع المختلفة بعدالة موقف من انحازوا إليه. ومثلت حلقات العلم في صحن المساجد، وجلسات السمر، والمنادمة في المناسبات الدينية والاجتماعية، ومجالس القات ووسائل مناسبة للقيام بذلك الدور. موظفين في ذلك قدراتهم العلمية واللغوية بما يتوافق والوسط الثقافي الذي خاطبوه.

وإذا أفترضنا أن مؤلفاتهم التاريخية لم تكن الوسيلة المباشرة، التي ساهموا من خلالها - كوسيلة إعلام - في أحداث الصراع. فإنها قطعاً قد كانت بمثابة وعاء أستوعب خطابات القوى المتصارعة، وتجسدت فيها صور الصراع ووسائله المختلفة، وتبلورت فيها أوراق اللعبة السياسية التي راهنت القوى المتصارعة عليها لتحقيق أهدافها السياسية، والتي من أجلها وظفت كل ما لديها من إمكانات بما في ذلك اللجوء إلى الدين .

فقد كان إيجاد السند الديني وتوظيفه سياسياً من أهم جوانب الصراع الفكري التي اعتنت به القوى المتصارعة، وجسده المؤرخون في مؤلفاتهم. ولم يكن توظيف الدين من قبل طرفي الصراع من باب المزايدة منهم، بل كان ضرورة

حتمية فرضتها ظروف الصراع، فالحضارة الإسلامية في الأساس حضارة فقه^(١). وتأطير الأعمال السياسية دينياً يمنحها تبريراً شرعياً، ويخفي الشعور بالإثم عند من يقوم بها، ويحولها إلى واجبات دينية، يكون في قبولها وتنفيذها طاعة لله، وفي رفضها ومحاربتها، والابتعاد عنها معصية ومحاربة للإرادة الإلهية^(٢).

لذا فإن أهم ما اعتنت به القوى المتصارعة في خطابها السياسي، كان سعيها لإثبات شرعيتها، من خلال العودة إلى النصوص الدينية "القرآن لكريم"، الحديث النبوي، والموروث الفقهي، لانتقاء وتأويل ما يتوافق منها - من وجهة نظرها - مع خطابها السياسي الذي تبنته، لإيجاد السند الديني لتدعيم وإثبات هذه الشرعية.

انطلاقاً من هذا التوجه فقد اجتهد كل طرف في إيجاد ذلك السند، وتوظيفه لإثبات شرعيته، وتهميش خصمه السياسي، وإظهاره بمظهر المخالف والعاصي، الخارج عن الشريعة الإسلامية. وهو ما لم يكن بالأمر السهل، لأن هذا النوع من التوظيف موجه بالدرجة الأولى لمخاطبة أهل العلم "النخب المثقفة" في المجتمع، التي يصعب إقناعها بشرعية هذا الطرف أو ذاك، وكسب تأييدها إلا بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة. الأمر الذي يتطلب دقة وعناية في اختيار النص القرآني، أو الحديث النبوي، أو الحكم الفقهي، بما يضيف على الأعمال السياسية والعسكرية، التي ستؤطر في إطاره نوعاً من الشرعية وفقاً لظروف الصراع. ولا يتأتى كل ذلك دون وجود مرجعية في الفقه السياسي الإسلامي، يتخذ منها هذا الطرف، أو ذاك قاعدة له في بناء خطابه السياسي.

وعلى الرغم من صعوبة إيجاد السند الديني وتوظيفه سياسياً، إلا أن طرفي الصراع بما فيهم المؤرخون، قد عملوا جاهدين من أجل إيجاده وتوظيفه بما يحقق مآربهم السياسية، ويتوافق مع ظروف الصراع وطبيعته، مستندين ذلك على مرجعيات مختلفة في الفقه السياسي الإسلامي.

(١) محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٥، ١٩٩١م،

ص ٩٦.

(٢) عبد المجيد زرافعة: الشعر الأموي بين الفن والسلطان. بيروت، دار الباحث، ط أولى، ١٩٨٣م، ص ٦٧.

فقد أخذ أئمة الزيدية من موروث الفقه السياسي الزيدي - وهو الفقه الذي تقوم دعوتهم على أساسه - قاعدة لهم في بناء خطابهم السياسي، بما يحمله من ثوابت ومبادئ سواء ما يتعلق منها بأصول الدين، أو بشروط الإمامة.

حيث أستثمروا بعض مبادئ ذلك الفكر، وصيروا منها ركائز أساسية في خطابهم الذي بنوا دعوتهم الدينية والسياسية عليه، بما يتوافق وظروف الصراع آنذاك. فكان مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أهم تلك المبادئ التي أنطلقوا منها في صراعهم مع العثمانيين. ويعد هذا المبدأ من أصول الدين الخمسة في المذهب الزيدي (الهادوي)^(١). إلى جانب بقية الأصول التي أشار إليها الإمام الهادي بقوله "ما لا يسع أحداً من المكلفين جهله معرفة أصول الدين، من توحيد الله، وعدله، وإثبات وعده ووعدائه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإثبات الإمامة في المصطفين من آل نبي الله"^(٢).

يستدعي تطبيق ذلك وفق الفكر الزيدي الهادوي أن يبادر المكلف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة التي تظلم الإنسان وتحرمه العيش الكريم بالأخذ على يد الظالم إحياءً للحق، وهو ما أكده الإمام الهادي بقوله "وندين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نصره المظلوم والأخذ على يد الظالم فرض لازم، وحق واجب، لأن في ترك الأمر بالمعروف للحق إيمانه، وفي النهي عن المنكر للباطل إيمانه"^(٣).

كما جعلوا من مبدأ إثبات الإمامة في آل البيت أحد ركائز دعوتهم، وهذا المبدأ أصبح من أصول الدين الخمسة في المذهب الزيدي "الهادوي"، بعد أن أحله الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي محل أصل المنزلة بين المنزلتين، الذي كان من أصول الدين في المذهب الزيدي عند الإمام القاسم الرسي^(٤)، فأصبحت

(١) نسبة إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي مؤسس المذهب الزيدي في اليمن، سبقت ترجمته في الفصل الأول.

(٢) علي زيد: معتزلة اليمن. ص ٢٢٢، نقلاً عن كتاب الأصول في الدين للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي. ق ١٠٣.

(٣) نفس المرجع. ص ٢٥٦.

(٤) هو الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالرسي نسبة إلى جبل الرسن في المدينة المنورة التي كان مولده بها، دعا لنفسه بالإمامة سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م، في عهد الخليفة العباسي المعتصم، دخل في حروب مع العباسيين، أعتزل السياسة بعد ضايقه بنسي العباس وفضل التفرغ للعلم، ويعد الإمام القاسم من أشهر علماء آل البيت وله العديد من المؤلفات في الفقه-

بذلك نظرية الإمامة واثباتها في آل البيت من أصول الدين، ومن القضايا الجوهرية التي ينبغي أقامتها لإصلاح شأن الأمة عند الزيدية^(١).

إلى جانب تلك المبادئ فإن قضية محاربة الظلم، والخروج على الظلمة، كانت من الركائز الأساسية في خطابهم السياسي، وهذه القضية تعد من الأسس التي لا تثبت أمامة الداعي من آل البيت إلا بها، حيث يعد شرط الخروج على الحاكم الظالم، وإشهار السيف في وجه الظلمة شرطاً من شروط الإمامة في المذهب الزيدي^(٢). وهو الشرط الذي أكد عليه الإمام زيد بن علي (رضي الله عنه) بقوله "إن الإمام منا أهل البيت المفترض الطاعة على المسلمين الذي أشهر سيفه، ودعا إلى كتاب ربه وسنة نبيه، وجرت بذلك أحكامه وعرف بذلك قيامه، فذلك الذي لا تسمع جهالته، فأما عبد جالس في بيته مرخي عليه سترته تجري عليه أحكام الظلمة، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر فلن يكون ذلك إماماً"^(٣).

كانت تلك أهم مبادئ الفكر الزيدي، التي أتت منها أئمة الزيدية في صراعهم مع العثمانيين، مستثمرين في ذلك ظروف المرحلة لتحويل تلك المبادئ إلى مواقف سياسية شرعية. حيث شككت الممارسات الخاطئة، والأفعال القبيحة التي أقترفتها بعض الولاة العثمانيين الحجة والذريعة والعناصر الرئيسية التي بنى عليها أئمة الزيدية خطابهم السياسي، الذي أظهروا من خلاله ممثلي الدولة العثمانية بمظهر الظالمين الفاسقين، واعتبروا أن استمرارهم في حكم اليمن هو اغتصاب لحق آل البيت، الذي يجب أن يكون الحكم والإمامة فيهم. فهيأت تلك الظروف مناخات مناسبة لإعلان الجهاد ضدهم بقيادة الرضا من آل البيت.

^(١) وعلم الكلام وغيرها كانت وفاته عام ٢٤٦هـ / ٨٦٠م. مجد الدين المؤيدي : التحف شرح الزلف. صنعاء، مكتبة بدر، ١٩٩٧م، ج٣، ص ١٤٥ - ١٤٨. عبدالسلام الوجيه: أعلام المؤلفين. ص ٨٦٠.

^(٢) علي زيد : معتزلة اليمن. ص ٢٢٣، ٢٢٢.

^(٣) يعد الخروج على الحاكم الظالم وإشهار السيف في وجه الظلمة احد شروط الإمامة في المذهب الزيدي إلى جانب بقية الشروط وهي أن يكون الإمام : ذكراً، حراً، فاطمياً، سليم الحواس والأطراف، سخيأ، مديراً، مقداماً، ورعاً، عالماً، شجاعاً، مجتهداً، عادلاً. علي زيد: نفس المرجع، ص ٢٢١.

^(٤) عبد الفتاح شايف: الإمام الهادي. ص ٢٢. نقل عن علي بن محمد العباسي: سيرة الهادي إلى الحق يحيى

بن الحسين . ص ٢٨.

وتطبيقاً لذلك شن أئمة الزيدية حرباً شاملة ضد الحكم العثماني تحت هذه المبررات. واستحضروا ما أمكن استحضاره من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، والأحكام الفقهية، لتأكيد شرعية مطالبهم وحربهم تلك.

وفي الوقت الذي اعتمد فيه أئمة الزيدية في صراعهم مع العثمانيين على مفردات الفكر الزيدي، فإن العثمانيين ومؤيديهم رأوا أن سلاطينهم هم أولو أمر المسلمين الواجبة طاعتهم، وعدم الخروج عليهم، وأن دولتهم تمثل استمراراً تاريخياً لدولة الخلافة الإسلامية، وأن حكمها في الأقاليم التي سيطرة عليها هو حكم شرعي "سلطة شرعياً"، خاصة بعد تولي سلاطينها مسئولية حماية الأماكن المقدسة في مكة والمدينة. وهو ما يعرف في الفكر السياسي الإسلامي بخلافة القوة أو خلافة الغلبة، التي ينعقد الإجماع على قبول شرعيتها. بناءً على القاعدة الفقهية القائمة على أن درء المفسد مقدم على جلب المصالح. والتي يعد فيها الخروج على الحاكم، أو السلطة بغي وشق لعصا المسلمين، نظراً للأضرار الجسيمة، التي تترتب على ذلك الخروج، كون المتغلب أو المستولي على السلطة عادة ما يمتلك القوة، وطرق إزالته لا تتحقق إلا بالقوة، وهو ما قد يؤدي إلى ضرر أكبر يتمثل في نشوب الحروب والفتن الداخلية، التي تلحق الأذى بالمسلمين^(١).

لذلك رأوا إن وصولهم إلى اليمن وحكمهم له هو أمر شرعي، خاصة وأن ذلك الوصول كان في إطار الهدف الديني الواسع لحملتهم التوسعية في جنوب البحر الأحمر، المتمثل في جهاد الفرنج وحماية ثغور الإسلام من الخطر الصليبي.

ومن هذا المنطلق جاء الخطاب السياسي العثماني مرتكزاً على فكرة طاعة أولي الأمر، وعدم الخروج عليهم، وأن ما يقوم به الأئمة الزيدية يعد نوعاً من الفتنة، تجلى ذلك في مؤلفات مؤرخيهم الذين عملوا على تدعيم هذا التوجه السياسي بما أمكن من النصوص الدينية والأحاديث النبوية.

انطلاقاً من تلك المرجعيات الفكرية سعت القوى المتصارعة إلى توظيف السند الديني، بما يخدم مصالحها السياسية، وتفاوتت درجة التوظيف تلك من قبل أطراف

(١) فؤاد محمد النادي: موسوعة الفقه السياسي الإسلامي، طرق اختيار الخليفة. القاهرة، دار الكتاب الجامعي،

الصراع، وفق الظروف التي كان يمر بها كل طرف. حيث أعتمد أئمة الزيدية بشكل كبير على توظيف الأسانيد الدينية لخدمة قضيتهم السياسية، ويأتي ذلك نتيجة الوضعية السياسية التي كانوا يمرون بها، فهم يمثلون قوة معارضة للسلطة، وهذا الموقف المعارض "الثائر" بحاجة إلى أن يمتلك خطاباً قوياً معززاً بالأسانيد الدينية التي تبرر هذه المعارضة وتجزئ الخروج. لذلك فقد كان خطاب أئمة الزيدية مليئاً بتلك الأسانيد. بدا ذلك واضحاً في رسائلهم وخطبهم السياسية، التي كانت وسيلتهم الأساسية في شرح مبادئ دعوتهم. والتي تكفل مؤرخوهم بتدوينها في ومؤلفات. وتجدر الإشارة إلى أن الدولة العثمانية، ومناصريها قليلاً ما اعتمدوا على الأسانيد الدينية في صراعهم مع أئمة الزيدية. لأن هذا النوع من التوظيف يكون لغرض الإقناع، والدولة العثمانية لم تكن بحاجة - على ما يبدو - لإقناع الناس بشرعيتها، بقدر ما كانت بحاجة لإيجاد الدليل على عدم شرعية من يخرج عليها. ومن هنا كان توظيفها للأسانيد الدينية - إلى حد كبير - مقصوراً على مسألة إظهار طاعة الحاكم، وعدم الخروج عليه، والتأكيد على أن ما يقوم به أئمة الزيدية هو نوع من الفتنة، والبغي، والخروج وشق عصا الجماعة، الأمر الذي يجيز لصاحب الشرعية محاربتة. وتجلى هذا الأمر واضحاً في مراسلات سلاطينها، ومؤلفات مؤرخيها.

على أية حال فإن الأسانيد الدينية التي وظفتها القوى المتصارعة، أخذت أشكال مختلفة بما يخدم مفرداتها السياسية، فقد جاءت إما على شكل "نص قرآني"، أو "حديث نبوي"، أو "حكم فقهي".

توظيف النص القرآني والحديث النبوي.

يأتي استثمار النص القرآني، والحديث النبوي من قبل أطراف الصراع السياسي، وانتقاء ما يتصورونه مناسباً منها لخدمة قضيتهم السياسية، من باب توظيف الدين لكسب الشرعية، وإيجاد المسوغات التي تبرر الحرب. فالنصوص الدينية لها تأثير كبير في حشد المؤيدين والأنصار في ساحة المعارك، لأن العقل تابع للنص، والإنسان المسلم الذي يبحث عن الحق، ويسعى لمناصرته يصبح مرهوناً بتلك النصوص^(١).

وتوظيف الدين في خدمة القضايا السياسية - في فترة الدراسة - ليس بالأمر الجديد، فالتاريخ الإسلامي مليء بالشواهد التي كان فيها الدين بشقيه "النص القرآني والحديث النبوي" أداة من أدوات الصراع السياسي. ولعل أول توظيف للنصوص القرآنية في التاريخ السياسي الإسلامي، كان في أحداث الخلاف السياسي بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، حين عمل معاوية على إقناع الناس في معركة صفين، بأن حربه مع الإمام علي أمر مقدر من الله تعالى لا مناص منه بقوله "وقد كان فيما قضاة الله أن ساقتنا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض، ولقت بيننا وبين أهل العراق، فنحن من الله بمنظر، وقد قال الله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾"^(٢). وحين ظهرت بوادر هزيمة جيشه في تلك المعركة لجأ إلى رفع المصاحف على أسنة السلاح، داعياً الإمام علي إلى الصلح والاحتكام إلى كتاب الله، وتلا أحد رجاله قول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقاً مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾"^(٣)، وهو ما جعل الإمام علي يوافق على مسألة التحكيم^(٤).

ولا يختلف التوظيف السياسي للحديث عن النص القرآني، بل أن مجاله أوسع. إذ تعد أحاديث مناقب الرجال وفضائل البلدان من المواضيع التي تسابق النسابون

(١) نصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني. القاهرة، مكتبة مدبولي، ط الثالثة، ١٩٩٥م، ص ١٠٣.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٣. محمد عابد الجابري: المسألة الثقافية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١،

١٩٩٤م، ص ١٤٩.

(٣) آل عمران: آية ٢٢.

(٤) محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م.

إلى وضع الأحاديث فيها، وكثيراً ما بلجأ الساسة والمؤرخون إليها لتحقيق أغراضهم السياسية^(١). والتاريخ السياسي الإسلامي ملئ بالشواهد التي وظف فيها الحديث في النزاعات والصراعات السياسية.

كانت البداية الأولى لذلك عقب وفاة الرسول الله ﷺ حين اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة لهم، ووقع حينها النزاع بين المهاجرين والانصار حول من يخلف الرسول الله ﷺ، وكاد ذلك النزاع يصل إلى درجة الفتنة. إلى أن تدخل أبو بكر الصديق وفك ذلك الخلاف بما رواه من حديث رسول الله ﷺ " الأئمة من قريش"^(٢)، فكان ذلك الحديث قاعدة سار عليها الفقهاء المسلمون في اختيار الخليفة حيث أصبح النسب القرشي أحد شروط الخلافة عند الكثير منهم^(٣).

واستمر التوظيف السياسي للحديث النبوي في العهد الأموي، أثناء الصراع الذي دار بين آل البيت وبني أمية^(٤). فقد وظفت أحاديث انفضائل، التي تمدح الأشخاص والأماكن، والأمم، والقبائل، إذ عمل بني أمية على ترويح العديد من الأحاديث التي تمدح معاوية وتظهر فضله، في حروبه مع الإمام علي. ومنها حديث " الأئمة ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية"^(٥)، وحديث "اللهم علم معاوية الكتاب ومكن له في البلاد، ووقه العذاب"^(٦)، وغيرها من الأحاديث التي تظهر مناقب الأمويين^(٧).

وفي فترة الصراع الأموي - العباسي، كان الحديث من الوسائل التي لجأ إليها الطرفان لتحقيق المكاسب السياسية، حيث عملا على نشر وترويح الأحاديث التي من شأنها أن ترفع مكانة هذا الطرف وتحت من قدر خصمه السياسي.

فقد عمل الخلفاء العباسيون على نشر الكثير من الأحاديث التي تحط من مكانة بني أمية - والتي قيل أنها وردت على لسان رسول الله ﷺ ومنها حديث " رأيت بني

(١) أحمد أمين: ضحى الإسلام. ج ٢، ص ١٢٢.

(٢) ورد الحديث بلفظ "الأئمة من قريش، إذا أسترحموا رحموا، إذا عاهدوا وفوا، وإذا حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". مسند الإمام أحمد بن حنبل حديث رقم ١٩٤٠٤.

(٣) فؤاد النادي: موسوعة الفقه السياسي. ص ٧٧.

(٤) عبدالمجيد زراقت الشعر الأموي. ص ٦٧.

(٥) ذكره الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: محب الدين بن سعيد بن غرامه العمروي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م، ج ٢٧، ص ١٣٥.

(٦) نفس المصدر. ج ٥٩، ص ٧٥.

(٧) محمد عابد الجابري: مسألة الثقافة. ص ١٥٠.

مروان يتعاونون على منبري فساعني ذلك، ورأيت بني العباس يتعاونون على منبري فسرني ذلك" (١)، كما انتشرت في عهدهم - أي بني العباس - أحاديث رفعت من شأنهم، منها ما روي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ مخاطباً عمه العباس "فيكم النبوة والمملكة" (٢) وغيرها من الأحاديث (٣).

وفي فترة الدراسة سعت القوى السياسية المتصارعة إلى صبغ مواقفها السياسية بالصيغة الدينية لخدمة أغراضها وقضاياها السياسية. فقد اتخذت من الدين أداة ووسيلة من وسائلها الدعائية لإثبات شرعيتها في الحكم، ولتبرير حروبها، ونفي خصومها السياسيين، تجلّى ذلك في كتابات مؤرخي الطرفين.

فقد عملت تلك القوى على انتقاء ما يتوافق من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية مع واقع الصراع، و يخدم مفردات الخطاب السياسي المنتقاة التي تبناه كل طرف، والمتمثلة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب الخروج على الحاكم الجائر، لإثبات الإمامة في آل البيت وأحقيتهم في الحكم بالنسبة لأئمة الزيدية. و في طاعة الحاكم، وعدم الخروج عليه بالنسبة للدولة العثمانية.

كان مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أهم مفردات الخطاب السياسي ذي المضمون الاجتماعي الديني الذي عول عليه أئمة الزيدية في صراعهم مع العثمانيين، والركيزة الأساسية في دعوتهم، والمنطلق الأول الذي ضمن استمرار هذا الخطاب. فقد دعوا الناس في رسائلهم وخطبهم إلى وجوب إنكار المنكر، والمبادرة إلى تغييره، وشددوا على أهمية تطبيقه لإصلاح شأن الأمة، وأكدوا أن دعوتهم وخروجهم على العثمانيين تأتي من باب إقامة العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مستشهدين على ذلك بالعديد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تكرر ذكرها في كتابات المؤرخين المؤيدين لهم (٤).

(١) ذكره ابن عساکر: تاريخ دمشق. ج ٥٧، ص ٣٤٠.

(٢) نفس المصدر: ج ٢٧، ص ١٣٥.

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام. ج ٢، ص ٣٠.

(٤) عند توثيق الأحاديث من المصادر التاريخية سيكتفي بالأشارة بعبارة ورد الحديث عند المؤرخ، للدلالة على أن هذا الحديث ورد عند المؤرخ كذا في كتابه كذا، مع ذكر أخراج الحديث من كتب الصحاح، أو كتب الفقه والحديث الزيدية.

منها قوله تعالى ﴿وَلَتَكُنَّ مَنَّكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

وقوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

وقوله ﷺ "مروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر، ولا تكونوا مثل قوم ركبوا السفينة، فأعطي كل واحد مجلسه، فكان مع رجل منهم قدوم، فأخذ ينقب به السفينة، فقالوا ما تصنع، فقال مجلسي وحقي الذي لي، فإن نهوه نجوا جميعاً، وإن تركوه غرق و غرقوا"^(٤).

وقوله ﷺ " إنكم منصورون ومصيبون ومفتوح عليكم، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"^(٥).

(١) سورة آل عمران : آية ١٠٤ . ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرموزي: التبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري، ص٤٢٠ . المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة. تحقيق / أمة الملك الثور، ص٢٠٨، أحمد الشرفي : اللأئي المضنية. ج٣، ق ١٤٠ . أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن ق١١ .

(٢) سورة النحل: آية ٩٠ . ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ أحمد الشرفي : نفس المصدر. ج٣، ق١٣٧ . المطهر الجرموزي: الجوهرة . تحقيق : أمة الملك الثور، ص٢٠٨ . أحمد اللوزي: نفس المصدر. ق١٢ .

(٣) سورة آل عمران: آية ١١٠ . ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرموزي: نفس المصدر، ص٢٠٨، أحمد الشرفي : نفس المصدر. ج٣، ق ١٣٧ .

(٤) ذكره أحمد بن يوسف زبارة: أنوار التمام في تكملة الاعتصام بحبل الله المتين. عمان، مطابع الجمعية العلمية المنكية، ١٩٨٣م.. ج٥، ص٥٢٢، أحمد بن حنبل: مسند أحمد. حديث رقم ١٨٠٢٧. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة منيرة. تحقيق : أمة الملك الثور ص٢٠٩ .

(٥) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب. ص٤١٠. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة منيرة. تحقيق : أمة الملك الثور ص٢٠٩ .

وقوله ﷺ " أن رجلاً من بني إسرائيل كان يرى الرجل على المعصية فينهاه، ثم لا يمنعه ذلك أن يكون أكيله، وخليطه، فلما رأى الله ذلك ضرب بقلوب بعضهم على بعض، فلعنهم على لسان أنبيائهم داود وعيسى بن مريم. وكان رسول الله متكئاً فجلس وقال: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر، ولتأخذن على يد السفية، أو يلعنكم الله كما لعنهم" (١).

وربط أئمة الزيدية في رسائلهم وخطبهم - التي تكفل مؤرخيهم بتدوينها في مؤلفاتهم - بين القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأدية بقية العبادات من صلاة وزكاة وغيرها، فهو بذلك يعد فرضاً يجب القيام به لأكمال أركان الدين، وإن دعوتهم إلى العمل به هي مما يجب عليهم. وأستندوا إلى العديد من الآيات القرآنية التي تعزز ذلك. منها قوله تعالى ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢).

وقوله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣).

وقوله تعالى ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٤).

وقوله تعالى ﴿يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٥).

(١) ذكره يحيى بن الحسين الشجري: الأمالي الخميسية. بيروت، عالم الكتاب، ط الثانية، ١٩٨٢م ج٢، ص

٢٣١. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة تحقيق: أمة الملك النور، ص٣٧٥.

(٢) سورة الحج: آية ٤١. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ أحمد الشرفي: اللآلئ المضية. ج٣، ق ١٣٧.

(٣) سورة التوبة: آية ٧١. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد

الحكيم الهجري، ص٣٠٨. المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة تحقيق: أمة الملك النور، ص٧١١.

(٤) سورة الحج: آية ٤٠، ٤١. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق:

أمة الملك النور، ص ٢٦٦.

(٥) سورة لقمان: آية ١٧. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرموزي: نفس المصدر، ص ٢١٣.

كما شددوا في تلك الرسائل والخطب على ضرورة تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إتقاء سخط الله وغضبه، لأن في إغفاله وعدم الإلتزام به عصيان لله، واستحقاق لعذابه. مستشهدين على ذلك بالنص القرآني و بالأحاديث النبوية المؤيدة لذلك. منها قوله تعالى ﴿لَعْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٠﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦١﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ﴾^(١).

منها قوله ﷺ "لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو يسسلن الله عليكم شراركم، فيسومنكم سوء العذاب، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم حتى إذا بلغ الكتاب أجله، كان الله هو المنتصر لنفسه، ثم يقول ما منعكم إذ رأيتموني أعصى أن تغضبوا لي"^(٢).

وقوله ﷺ " يؤتى بأعوان الظلمة فيجعلوا في سرادق^(٣) من نار، ويجعل لهم أظافير من حديد فيحكون بها صدورهم حتى تبدو أفئدتهم فتحرق، فيقولون ربنا ألم نكن نعبدك، فيقول بلى ولكنكم كنتم أعواناً للظالمين"^(٤).

وقوله ﷺ ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، وهم يقدرون على أن يغيروا فلا يوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب"^(٥).

(١) سورة المائدة : آية ٧٨، ٧٩، ٨٠. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. ١١، المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك الثور، ص ٢٠٨. المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٣٠٦. أحمد الشرفي: اللآلئ المضئية. ج ٣، ق ١٣٧.

(٢) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب. تحقيق: عبد الله العزي، ص ٤٠٣، أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٣٨٨، سنن الترمذي: المجلد الرابع، ص ٤٦٨. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك الثور ص ١٩٥، ٣٧٥، المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٤١٦.

(٣) سرادق: السردق ما أحيط بالشئ والجمع سرادق. ابن منظور: لسان العرب. ج ١٠، ص ١٥٧.

(٤) ذكره القاسم بن محمد: الاعتصام بحبل الله المتين. عمان، مطابع الجمعية العلمية الملكية، ١٩٨٣م. ج ٥، ص ٤٣٥. ورد عند الحديث المؤرخ المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٢٨٩.

(٥) أخرجه ابن حبان: صحيح ابن حبان. ج ١، ص ٧٨، أحمد بن يوسف زبارة: أنوار التمام. ج ٥، ص ٤٥١، يحيى بن الحسين الهاروني: نفس المصدر. ص ٤١٠. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر =

وقوله ﷺ "أن الله أوحى إلى نبي من أنبيائه أنني معذب من قومك مائة ألف أربعين ألف من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم، فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار، فقال داهنوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا لغضبي"^(١).

وفي الوقت الذي مثل فيه مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظلم الجانب الاجتماعي في مضمون خطاب أئمة الزيدية. فإن مكانة آل البيت، واحقيتهم في الحكم والإمامة، ووجوب اتباع الناس لهم، مثلت الجانب السياسي في مضمون ذلك الخطاب. لذلك فقد دأبوا في رسائلهم وخطبهم على تأكيد تلك الأحقية، وبينوا أفضليتهم ومكانتهم المقدسة التي أختصهم الله تعالى بها، والتي أهلتهم تولى أمر المسلمين وفق ذلك المفهوم. مستشهدين على ذلك بالعديد من النصوص القرآنية.

منها قوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا﴾^(٢).

وقوله تعالى ﴿قُلْ لَنَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(٣).

وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٤).

وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٥).

=الجرموزي : الجوهرة منيرة. تحقيق : أمة الملك الثور ص ٢١٠. المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص ٤٢١ .
 (١) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب، ص ٤٠٤. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص ٤١٦ .
 (٢) سورة النساء: آية ٥٤ - ٥٥ . ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق : أمة الملك الثور، ص ١٩٦
 (٣) سورة الشورى: آية ٢٣. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرموزي : نفس المصدر. ص ٢٢٢ .
 (٤) سورة الأحزاب : آية ٣٣. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ الحسن الزريقي. سيرة الإمام شرف الدين ق ١٩. المطهر الجرموزي: نفس المصدر، ص ١٩٦ .
 (٥) سورة الأنبياء: آية ١٠٥. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن بن علي. ق ١١ .

وقوله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

كما وظفوا في رسائلهم وخطبهم تلك العديد من الأحاديث التي وردت في كتب الصحاح، وكتب الفقه الزيدي. والتي تخدم هذه القضية، وسارت عملية التوظيف في اتجاهات متعددة.

حيث عملوا في الاتجاه الأول منها على إبراز مكانة آل البيت الدينية والاجتماعية، التي اختصها الله بهم، مبينين فيها وجوب طاعتهم، ومحبتهم لنيل رضى الله، موضحين أيضاً أن حبهم ومولاتهم شفاعاة لمن زلت قدمه في المعاصي، ومؤكدين فيها على أن إيمان المرء لا يستكمل إلا بتأدية النصيحة لهم. مدللين على ذلك بالعديد من الأحاديث

منها بقوله ﷺ "أهل بيتي كالنجوم كلما أفل نجم طلع نجم"^(٢).

وقوله ﷺ أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، واحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي"^(٣).

وقوله ﷺ "أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي"^(٤).

وقوله ﷺ "ذُخرت شفاعتي لثلاثة من أمتي: الضارب بسيفه بين يدي ذريتي، والقاضي لهم حوائجهم عند ما اضطروا إليه، والمُحب لهم بقلبه ولسانه"^(٥).

(١) سورة البقرة: آية ١٢٤. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص ٤١٩ .

(٢) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب. تحقيق : عبد الله العزي، ص ١٩١. علي القرشي : مسند شمس الأخبار المنتقى من كلام النبي المختار. صنعاء، مكتبة اليمن الكبرى، ط أولى، ١٩٨٧م، ج١. ص١٣٣. ورد الحديث عند المؤرخ أحمد الشرفي : اللآلئ المضينة. ق ٢٠١. المؤرخ المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص ٦٨٦ .

(٣) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: نفس المصدر. ص ٤٥٤. علي القرشي: نفس المصدر. ص ١٣٣. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة: تحقيق : أمة الملك الثور. ص ٢١٧ .

(٤) أخرجه مسلم : صحيح مسلم. ج ١٥، ص ١٤٩، مسند الإمام أحمد : حديث رقم ١٨٩٠٦. ورد عند المؤرخ المطهر الجرموزي: نفس المصدر. ص ٦٥٣ .

(٥) ذكره يحيى بن الحسين بن القاسم : مجموع الرسائل الأصولية. ص ٥٠٧. علي القرشي: نفس المصدر. ص ١٢٤. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : نفس مصدر، ص ٢١٧ .

وقوله ﷺ "ما أحبنا أهل البيت أحد، فزلت به قدم إلا ثبتت قدم، حتى ينجيه الله يوم القيامة"^(١).

وقوله ﷺ "من أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدى زكاة ماله، وغض بصره، وسجن لسانه، ووضع معروفه، واستغفر لذنبه، وأدى النصيحة لأهل بيتي، فقد استكمل حقائق الإيمان، وأبواب الجنة له مفتحة"^(٢).

وفي الإتجاه الثاني أكدوا في تلك الرسائل والخطب على ضرورة موالات آل البيت، ووجوب طاعتهم واتباع من دعا منهم إلى إقامة الدين، وأزالة البدع، ومحاربة الظلم، وكل انواع المنكرات، وبيّنوا فيها أهلية آل البيت في توالي أمر المسلمين، فهم سفن النجا، الذائدون عن الدين من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين. مستندين في ذلك على العديد من الأحاديث.

منها قوله ﷺ " من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة كتابه، وخليفة رسوله"^(٣).

وقوله ﷺ " في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين، ألا إن أنتمكم وفدكم إلى الله، فانظروا من تفدون في دينكم"^(٤).

(١) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب، ص ٥٩١، يحيى بن الحسين بن القاسم: مجموع الرسائل الأصولية، ص ٥٠٧. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة: تحقيق : أمة الملك الثور. ص ٥٤٨.

(٢) ذكره علي القرشي: مسند شمس الأخبار. ص ١٢٣. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : نفس المصدر. ص ٧٢.

(٣) ذكره يحيى بن الحسين : الأحكام في الحلال والحرام جمعه علي بن أحمد أبي حريصه، مكتبة التراث الإسلامي (د. م) ط الثانية، ١٩٩٩م . ج ٢، ص ١٥٥، القاسم بن محمد: الاعتصام بحبل الله . ج ٥، ص ٤٠٧، الهندي : كنز العمال . ج ٣، ص ٧٧. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور ص ٢١٤ . المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري ، ص ٤١٩. أحمد الشرفي : اللآلئ المضيئة، ج ٣، ق ٢١ .

(٤) ذكره مجد الدين المؤيدي: لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار. صعدة، مكتبة التراث الإسلامي، ط أولى، ١٩٩٣م ج ٢، ص ٥٩٧. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور ص ١٩٦، ٢١٤.

وقوله ﷺ "إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي موكلاً يذب عنه، ويعلم الحق، وينوره، ويرد كيد الكائدين"^(١).

وفي الإتجاه الثالث أكدوا أن كرهه، ومخالفة، ومعاداة، ومحاربة آل البيت، أو حرمانهم من أي حقوق أقرها الله، وبينها رسوله، أو عدم مناصرة دعواتهم وأئمتهم، يعد مخالفة صريحة للإرادة الإلهية، والسنة النبوية، مبينين أن الله قد توعد بعذاب من يقترب مثل تلك الأعمال، فيما روي من أحاديث على لسان رسوله.

ومنها قوله ﷺ " من سمع واعيننا آل البيت فلم يجبه كبه الله على منخريه في نار جهنم"^(٢).

وقوله ﷺ " من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي، فليتول علياً من بعدي، وليتول وليه، وليتقيد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهماً وعلماً ، فويل للمكذبين بهم من أممي القاطعين فيهم حبلي، لا أنالهم الله شفاعتي"^(٣)

وقوله ﷺ " النجوم أمان لأهل السماء، واهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب أبلّيس"^(٤).

وقوله ﷺ " ما بال قوم إذا ذكر عندهم آل إبراهيم ﷺ أستبشرت قلوبهم، وتهللت وجوههم، وإذا ذكر أهل بيتي إشمأزت قلوبهم ، وكلحت وجوههم، والذي بعثني

(١) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير الوصول. ص ١٧٨، علي بن حميد القرشي: مسند شمس الأخبار. ج١، ص ١٣٣. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك الثور، ص ١٩٦. المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص٤١٧. أحمد الشرفي: ال اللألي المضينة. ق٢٠١

(٢) ذكره أحمد بن يوسف زيارة : انوار النمام. ج ٥، ص ٤٠٧ ، علي القرشي: نفس المصدر ج١، ص١٣٤. رد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص ٣٠٤. أحمد اللوزي : سيرة الإمام الحسن بن علي . ق٤٢.

(٣) ذكره يحيى بن الحسين الشجري: الأمالي الخميسية. ص١٣٦، القاسم بن محمد: الاعتصام بحبل الله. ج١، ص ١٦٠. علي القرشي: نفس المصدر. ج١، ص١٢٦. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك الثور، ص٦٥٣ المؤرخ المطهر الجرموزي : تحقيق عبد الحكيم الهجري ، ص٧٨٩.

(٤) ذكره القاسم بن محمد : نفس المصدر. ج ١، ص ١٥٧. علي القرشي: نفس المصدر. ص١٢٧. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة . تحقيق: أمة الملك الثور ص ٢١٨.

بالحق لو أن رجلاً لقي الله بعمل سبعين نبياً ثم لم يلقه بولاية أولي الأمر من أهل بيتي ما قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»^(١).

وقوله ﷺ " من أحب أن يملى له في عمره، وإن يُمتع بما خوّله الله، فليخلفني في أهلي خلافة حسنة، فمن لم يخلفني فيهم، بُتر عمله، وورد عليه يوم القيامة مسوداً وجهه" ^(٢).

وقوله ﷺ " مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب عليها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى، ومن قاتلنا آخر الزمان، فكأنما قاتل مع الدجال" ^(٣).

وقوله ﷺ " أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم" ^(٤).

وقوله ﷺ "سيرد عليّ يوم القيامة ثلاث رايات أحدها سوداء أشد من سواد الليل المظلم، تحتها خلق كثير وهم ينادون وأعطشاه وأعطشاه، قال رسول الله فأقول: من أنتم، قال: فينسون ذكري، قال: فأقول أنا محمد، قال: فيقولون نحن من أمة محمد، قال: فأقول فما خلفتموني في كتاب ربي وعترتي، لم تنصروهم ولم تجاهدوا معهم، قال: فأولي وجهي عنهم فيصدون عطاشاً إلى النار، قال ﷺ، ثم يرد عليّ راية أخرى أشد سواداً من الأولى وتحتها خلق كثير وهم ينادون وأعطشاه وأعطشاه، قال: فأقول من أنتم فينسون ذكري، ويقولون: نحن من أهل العدل والتوحيد، قال: فأقول أنا محمد، فيقولون: أما نحن من أمة محمد. قال: فأقول فما خلفتموني في كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، قال: فيقولون: أما كتاب ربك فضيعنا، وأما عترتك

(١) ذكره الإمام أحمد بن سليمان بن محمد: حقائق المعرفة في علم الكلام. صنعاء، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، ٢٠٠٣م، ج١، ص٤٧٤. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك الثور، ص ٧٢٣.

(٢) ذكره الإمام القاسم بن محمد: الاعتصام بحبل الله. ج١، ص١٣٩. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: نفس المصدر. ص٧٢٣.

(٣) ذكره علي القرشي: مسند شمس الأخبار. ص ١٢٥. ورد الحديث عند المؤرخ الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك الثور. ص٧٢٦. المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص٧٨٤.

(٤) روي عند الإمام أحمد بلفظ " نظر النبي ﷺ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم" مسند الإمام أحمد حديث رقم ٩٥٥٨، سنن الترمذي: ج١٠، ص٤١٧، حديث رقم ٤٠٣٧. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك الثور. ص ٧٢٣.

فقتلنا ومزقنا [يعنون أنهم أحرَبوا عترة رسول الله] قال: فأولي وجهي عنهم، ويصدرون عطاشا إلى نار جهنم، قال: ثم ترد عليّ راية أخرى لها نور يضيء ما بين المغرب والمشرق، وتحتها خلق قليل. قال: فأقول من أنتم، قال: فلا ينسون ذكري، ويقولون نحن من أمة محمد، قال: فأقول فما خلفتموني في كتاب ربي وعترتي أهل بيتي، قال: فيقولون أما كتاب ربك فحفظنا، وأما عتربك فنصرنا وأسينا بأنفسنا وأموالنا قال: فأقول صدقتم فيشربون شربة لا يظمى بعدها ويصدرون إلى الجنة، لا يقولون إن معهم جماعة من فسقة آل محمد^(١).

كما عمل أئمة الزيدية على التأكيد بأنهم الفرقة الناجية التي بشر بها الرسول ﷺ وذلك حين ربطوا في رسائلهم بين حديث الفرقة الناجية، وحديث الثقلين. فأوردوا رواية الحديثين في رسائلهم على النحو الآتي: قال رسول الله ﷺ "سنتفرق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها هالكة إلا واحدة" فلما سُمع ذلك من رسول الله ﷺ ضاق به المسلمون ذرعاً، وضجوا بالبكاء، وأقبلوا على رسول الله ﷺ وقالوا كيف لنا بعدك بطرق النجاة، وكيف لنا بمعرفة الفرقة الناجية، حتى يُعتمد عليها، فقال النبي ﷺ "إني تارك فيكم الثقلين ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله، وعترتي آل بيتي، أن اللطيف الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض"^(٢).

وفي حين مثلت دعوات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظلم، ومكانة آل البيت وأحقيتهم في الإمامة الجانب النظري في الخطاب السياسي الذي تبناه أئمة الزيدية، وعمل مؤرخوهم على تدوينه في مؤلفاتهم التاريخية، فإن الدعوة إلى الجهاد كانت بمثابة التطبيق العلمي لتلك الجوانب. فقد أكدوا في رسائلهم وخطبهم أن العثمانيين ظلمة، وفسقة، وكفرة، لأنهم لا يطبقون

(١) لم أجد له تخريج. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٢٨٤.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل: مسند أهل البيت. ص ٤٠٠، يحيى بن الحسين البزاروني: تيسير المطالب. تحقيق: عبد الله العزي، ص ٢٦٠. يرد هذا الحديث في معظم كتب الصحاح بلفظ "وسنتي" وليس "وعترتي". ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك الثور. ص ١٨٩، ٢٠٤. المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٤١٧. أحمد الشرفي: اللآلئ المضيفة. ج ٣، ص ١٤٠. أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن بن علي. ص ١٤٤.

شرع الله؛ ولا يحكمون بما أنزل، لذلك وجب قتالهم لإقامة الدين، ودرء المفسد، وبينوا أن في مجاهدتهم تحقيقاً للخير العدل، واستكمالاً لأركان الإيمان، مستشهدين في ذلك بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

منها قوله تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾^(٣).

قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾^(٥).

وقوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦).

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّثْلَ مَا أُبِيحَ لَكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ

(١) سورة المائدة: آية ٤٤. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ أحمد الشرفي: اللؤلؤ المضيئة. ق ١٤٢.

(٢) سورة المائدة: آية ٤٥. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ أحمد الشرفي: نفس المصدر. ق ١٤٢.

(٣) سورة المائدة: آية ٤٧. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ أحمد الشرفي: نفس المصدر. ق ١٤٢.

(٤) سورة الأنفال: آية ٣٩-٤٠. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك النور، ص ٢٠٧. المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة: تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٣٠٦.

(٥) سورة الصف: آية ١٤. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٣٠٤. المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة: تحقيق: أمة الملك النور، ص ٥٠٤.

(٦) سورة البقرة: آية ٢١٦. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٣٠٤. المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة: تحقيق: أمة الملك النور ص ٢٠٧.

شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ»^(١).

وقوله ﷺ " إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر" ^(٢).

وقوله ﷺ " سيكون بعدي أمراء يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يأمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن" ^(٣).

وقوله ﷺ " ما من نبي بعثه الله في أمة إلا كان له أمنه حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم تخلف من خلف يقولون ما لا يفعلون، أو يفعلون ما لا يأمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" ^(٤).

وسعى أئمة الزيدية في رسائلهم وخطبهم إلى تحفيز الناس على قتال العثمانيين، حيث بينوا ما أعد الله من جنات ونعيم لمن أستجاب لدعوة الجهاد، وتوعدوا في الوقت نفسه من تقاعس عن أداء هذا الواجب، بأن له خزيًا في الدنيا، وعذاباً في الآخرة. مستندين في ذلك على العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٥).

(١) سورة الحج: آية ٧٧، ٧٨. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة، تحقيق: أمة الملك الثور، ص ٢٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي: سنن الترمذي، المجلد الرابع، ص ٤٧١. ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٣٢٩. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: نفس المصدر، ص ٢١٠.

(٣) ذكره أحمد بن يوسف زبارة: أنوار التمام، ج ٥، ص ٤٥١. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: نفس المصدر، ص ١٩٥.

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٤٥٨، البيهقي: السنن الكبرى، ج ١٠، ص ٩٠. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: نفس المصدر، ص ٢٠٩.

(٥) سورة النساء: آية ٩٥. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة، ج ٣، ص ١٣٧.

وقوله تعالى ﴿إِلَّا تَتَفَرَّوْا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

وقوله تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(٢).

ومنها قوله ﷺ "المُعِين للظالمين كالمعين لفرعون على موسى"^(٣).

وقوله ﷺ " ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب"^(٤).

وقوله ﷺ " من لقي الله بغير أثر من الجهاد، لقي الله وفي إيمانه ثلثة"^(٥).

وقوله ﷺ " لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها"^(٦).

ولإنجاح حروبهم مع العثمانيين عمل أئمة الزيدية جاهدين على توفير المصادر المالية لتحقيق ذلك، حيث وجهوا دعوات صريحة في رسائلهم إلى ضرورة الجهاد بالمال، وأكدوا أن هذا النوع من الجهاد مقدم على الجهاد بالنفس، وعلى حب الأبناء والأبناء، فهو التجارة الربحية في الدنيا والآخرة. كما عملوا في الوقت نفسه على قطع التمويل والإمداد عن العثمانيين، وذلك بتحريض الناس على عدم دفع الزكاة، والضرائب، أو تقديم أي إعانات مالية لهم، وأعتبروا مخالفة ذلك نوعاً من اعانة الظالمين. مستندين في ذلك إلى العديد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

(١) سورة البقرة: آية ٢١٦. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرزموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق:

أمة الملك النور، ص ٢٠٧. المطهر الرجزموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٢٠٦.

(٢) سورة هود: آية ١١٣. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الجرزموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة

الملك النور، ص ٢٠٥. المطهر الرجزموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٥٩٦.

(٣) ذكره القاسم بن محمد: الاعتصام. ج ٥، ص ٥٥٧. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الرجزموزي:

النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٣٠٧.

(٤) محمد السعيد بسونوي: ومسوعة أطراف الحديث النبوي. ج ٩، ص ٩٦. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر

الجرزموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك النور. ص ٥٠٤.

(٥) أحمد بن يوسف زبارة: أنوار التمام. ج ٥، ص ٤٤٨. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرزموزي:

نفس المصدر: ص ٥٠٤.

(٦) ابن ماجة: سنن ابن ماجة. ج ٢، ص ٩٢٢. الهند: كنز العمال. ج ٤، ص ٤٤١. ورد الحديث عند

المؤرخ المطهر الجرزموزي: نفس المصدر: ص ٥٠٤.

منها قوله تعالى ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَظَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٤).

وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٥).

(١) سورة التوبة : آية ٤١. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الرجزموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص ٣٠٤.

(٢) سورة التوبة: آية ١١١. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الرجزموزي : الجوهرة المنيرة . ص ٢٤٣ ، أحمد الشرفي : اللآلئ المضئية. ج ٣ ، ص ١٣٧ . أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن بن علي. ق ١٢.

(٣) سورة الصف: آية ١٠-١١ . ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ أحمد الشرفي : نفس المصدر. ج ٣ ، ق ١٣٨ ، المطهر الرجزموزي : الجوهرة المنيرة . ص ٢٣٤ ، المطهر الرجزموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص ٣٠٥.

(٤) سورة الحجرات: آية ١٥. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الرجزموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق : أمة الملك الثور. ص ٢١٤.

(٥) سورة التوبة: آية ٢٤. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ المطهر الرجزموزي: نفس المصدر. ص ٢١٣. المطهر الرجزموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص ٣٠٦.

ومنها قوله ﷺ " من جبي درهماً لإمام جائر كبه الله على منخريه"^(١).
وقوله ﷺ "ينادي منادي يوم القيامة أين الظلمة وأعوان الظلمة، حتى من لاق لهم دواة، أو برى لهم قلماً، فيجعلون في تابوت من نار"^(٢).

وقوله ﷺ " أمراء يكونوا من بعدي لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم ، ولا يردون على حوضي، ومن لم يصدقهم على كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني، وأنا منهم وسيردون على حوضي، ومن الإعانة لهم تسليم الأموال إليهم"^(٣).

إن محاولة توظيف آيات الجهاد السابقة من قبل أئمة الزيدية في دعوة الناس لمحاربة العثمانيين. يضع تساؤل عن مدى توافق سياق هذه الآيات مع دعوة لأئمة تلك ؟

وقبل الإجابة على ذلك ينبغي الإشارة إلى أن أصل الدعوة في سياق الآيات السابقة موجه للمسلمين للجهاد في سبيل الله ضد أعداء الدين، والمحاربين له، وهذا لا يتوافق - إجمالاً - مع دعوة الأئمة الزيديين في محاربة العثمانيين. لأن العثمانيين مسلمون وممن لا ينطبق عليهم سياق تلك الآيات.

إلا أن ظروف الصراع السياسي وما تبعه من تبرير ديني، قد جعل كل طرف يصف خصمه بأوصاف تخرجه من الملة الإسلامية، وتجزئ محاربتة وقتاله. فقد كان العثمانيون - من وجهة نظر الأئمة - ممن يجوز جهادهم، فهم "ظلمة، بغاة، طغاة..."، وبالتالي ينطبق عليهم سياق الآيات السابقة. حيث تقمص الأئمة دور المؤمنين في تلك الآيات، ووضعوا خصومهم السياسيين موضع الخارجين عن تعاليم الدين الواجب مجاهدتهم بالنفس والمال، ومن هنا يمكن القول إن الجهاد في سياق الآيات

(١) ذكره الهادي يحيى بن الحسين: الأحكام في الحلال والحرام . ج ٢، ص ٥٣٨. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك الثور، ص ٢٠٦. المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٣٠٧.

(٢) ذكره القاسم بن محمد: الاعتصام بحبل الله. ج ٥، ص ٥٥٧. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٢٨٩.

(٣) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تفسير المطالب. ص ٤١٢. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: نفس المصدر. ص ٣٠٧.

السابقة يتوافق - من وجهة نظر الأئمة - مع دعوتهم، وأن هذا التوظيف للآيات القرآنية جاء منسجماً مع ذلك التوصيف.

لم يكتف أئمة الزيدية بذكر الآيات والأحاديث التي تدعو إلى الجهاد عامة ضد الظلم، بل أنهم وظفوا أحاديث تدعو إلى قتال العثمانيين بعينهم، ساعين من وراء ذلك إلى إقناع الناس بوجوب قتالهم تلبية للإرادة الألهية وفق ما ورد على لسان نبيه ﷺ، حيث انتقوا من التراث الإسلامي أحاديث جعلوا العثمانيين هم المعنيون والمقصودون بها، مستغلين في ذلك تشابه الأوصاف التي وردت فيها مع أوصاف العثمانيين.

ومنها قوله ﷺ " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً وجوههم كالمحان المطرقة"^(١) [يعني الترك] صغار الأعين دلف الأنوف، فمن وآلهم وأطاعهم فقد خرج من الإسلام حقاً، ومن عاداهم وباينهم وسعى في قتالهم وقاتلهم، فهو على دين الإسلام حقاً، فاحذروا غضب الله"^(٢).

قوله ﷺ " إذا كان آخر الزمان جاء بنو قيطور أعراض الوجوه، صغار الأعين، حتى نزلوا على شط النهر فنفرق أهلها إلى ثلاثة فرق. فرقة يأخذون أذنان البقر والسرية، وهلكوا [يعني هلكوا في دينهم لتركهم جهاد الترك]، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا [يعني يأخذون لأنفسهم الأمان فيكفرون]، وفرقة يجعلون ذرايهم خلف ظهورهم، ويقاتلون وهم الشهداء"^(٣).

إن توظيف أئمة الزيدية المفراط للأسانيد الدينية لدعم خطابهم السياسي الذي تبنيه لتبرير شرعية حربهم ضد العثمانيين، وتكفل مؤرخوهم بنشرها وترويج مضمونها في مؤلفاتهم التاريخية، كان نتيجة طبيعية أفرزتها وضعيتهم السياسية، التي حتمت عليهم إيجاز خطاب سياسي مقبول معزز بالأسانيد الدينية. فقد كانوا في

(١) المحان المطرقة: الوجوه العريضة. ابن منظور: لسان العرب. جـ ١٠، ص ٢٢٠.

(٢) مسند الإمام أحمد حديث رقم ٧٢٤٢، ابن حبان: صحيح ابن حبان: ج ٦، ص ٢٤٧. ورد الحديث عند المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٣٠١. أحمد الشرفي: التلخيص المضيق. ج ٣، ق ٢٠٢.

(٣) لم أجد له تخریج. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: نفس المصدر: ص ٣٠٨.

موقف المعارض الثائر الذي أشد ما يكون في عوز إلى سند ديني يمنحه الحق الشرعي في إعلان الحرب على خصمه.

وإذا كان هذا حال أئمة الزيدية، فإن وضع العثمانيون كان مغايراً تماماً. فقد رأى العثمانيون في دولتهم استمراراً تاريخياً لدولة الخلافة الإسلامية، وأن حكمها في الأقاليم التي سيطرة عليها هو حكم شرعي "سلطة شرعية" - كما أشرنا سابقاً - لذلك لم يعط العثمانيون هذا الجانب كثيراً من الاهتمام لتأكيد شرعية حكمهم. تجلّى ذلك في مؤلفات مؤرخيهم، حيث ندر توظيف الاستشهادات النصية فيها، فلم يصل أو يقارب مستوى التوظيف في مؤلفات مؤرخي المعارضة، ومعظم ما ورد فيها من استشهادات نصية أو نبوية، ما هو إلا اجتهاد شخصي من مؤرخيهم لتأكيد شرعية الحكم العثماني في اليمن.

فقد عمل مؤرخوهم - أي العثمانيين - على توظيف الأسانيد الدينية في اتجاهين متوازيين، ركزوا في الأول منها على قضية وجوب طاعة ولي الأمر، وعدم الخروج عليه، لأن في طاعتهم طاعة الله ورسوله، وفي الخروج عليهم معصية الله ورسوله. مدللين على ذلك بالنص القرآني و الحديث النبوي.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١).

و قوله ﷺ "السلطان ظل الله في الأرض"^(٢).

وقوله ﷺ "من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهم جمع فاضربوه بالسيف"^(٣).

وحديث رسول الله ﷺ الذي رواه الحافظ نعيم عن عمر بن الخطاب رضي عنه أنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن السلطان الذي ذلت له الرقاب، وخضعت

(١) سورة النساء : آية ٥٩. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ أحمد بن فيروز. ق- ٢٢.

(٢) الهندي: كنز العمال. ج٦، حديث رقم ١٤٥٨٩، ورقم ١٤٦١٥. ورد الحديث عند المؤرخ المطيب الزبيدي: بلوغ المرام . ق-٤٧.

(٣) أخرجه مسلم: ج١٢، ص ١٩٠، الإمام أحمد: مسند أحمد. حديث رقم ١٨٦٤٥. ورد الحديث عند المؤرخ عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية. ج١. ق-١٥٧.

له الأجساد ، ما هو . قال هو ظل الله في الأرض، إن أحسنوا فلهم الأجر والشكر، وإن أساؤا فعليكم الصبر، وعليهم الأصر، لا يحملنكم إنسان على أن تخرجوا من طاعته، فإن الذل في طاعة الله خير من الخلود في النار، ولولا هم ما صلح الناس، اللهم أصلح الأئمة، وأصلح رعاياها، برحمتك يا أرحم الراحمين^(١).

وفي الاتجاه الثاني سايروا الأحداث التاريخية، ووظفوا أسانيد دينية بما يتوافق معها، ويخدم في الوقت نفسه قضية تأكيد شرعية الحكم العثماني في اليمن، وبطلان ادعاءات أئمة الزيدية في أحقيتهم في الحكم. حيث استغلوا ظروف السيطرة السياسية والعسكرية، ومرحلة القوة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية. في التأكيد على أن العثمانيين هم عباد الله الصالحون، وأن سيطرتهم على الحكم، جاءت وفق الإرادة الإلهية.

مستدين في ذلك إلى قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٢).

ودلّوا على خيرية العثمانيين، حيث ربطوا بين قيام ولاتهم بالأعمال الخيرية مثل بناء المساجد، وتعبيد الطرق، وغيرها من تلك الأعمال، وقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾^(٣).

وبرروا الأخطاء السياسية التي ارتكبها بعض الولاة العثمانيين، وأوجدت نوعاً من عدم الثقة فيهم، بأن ذلك مقدر من الله سبحانه وتعالى، وأنه لا مرد لقضائه.

حيث برر المؤرخ الموزعي قتل الأمير عامر بن داود الطاهري، من قبل الوالي العثماني سليمان باشا الخادم بأن ذلك مقدر. واستند إلى قوله الله تعالى ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(٤)، وقوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾^(٥).

(١) ورد الحديث عند المؤرخ أحمد بن فيروز. قـ ٢٢.

(٢) سورة الأنبياء : آية ١٠٥. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ عبد الصمد الموزعي: الإحسان. تحقيق / المركز الفرنسي، صـ ١٤.

(٣) سورة التوبة : آية ١٨. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ عبد الصمد الموزعي: نفس المصدر. صـ ١٤.

(٤) سورة لإسراء آية ٥٨. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ عبدالصمد الموزعي: نفس المصدر. صـ ١٨.

(٥) سورة الأحزاب: آية ٣٨. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ عبدالصمد الموزعي: نفس المصدر. صـ ١٨.

ونظروا إلى الأعمال الحربية التي تبناها أئمة الزيدية ضد الدول العثمانية، على أنها إغواء عن طريق الحق، ووصفوا من يحرص عليها بأنه مثل الشيطان الذي أقسم على أن يغوي الناس لاتباع أمره. حيث أشار المؤرخ عبد الله بن داعر إلى أن موقف المطهر حين خالف الدولة العثمانية، وحرص الناس عليها، يشبه موقف إبليس حين أقسم على إغواء الناس، بدفعهم إلى ارتكاب المعاصي. ودلل على تشابه الموقفين في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَآتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(١).

واستثمر المؤرخ الموزعي الانتصارات التي حققها العثمانيون على جيش المطهر أثناء حصاره لهم في زبيد سنة ٩٧٥هـ/١٥٦٧م، بأن في ذلك النصر تأكيد على أن العثمانيين هم أصحاب الحق، وأن المطهر على باطل. مستشهداً بقوله تعالى ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

كما وظفوا النصوص الداعية للجهاد، حيث نظروا إلى الأعمال العسكرية التي يقوم بها العثمانيون ضد الخارجين عن طاعة السلطان، بأنها نوع من الجهاد على البغاة المفارقين للجماعة. مستندين في ذلك إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَظَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٣).

وفي نفس الاتجاه أيضا عمل مؤرخو السلطة على توظيف أحاديث فضائل البلدان والقبائل، التي تزخر بها كتب الحديث، لإظهار خيرية وفضل الدولة العثمانية، بهدف الدعاية وجلب الأنصار.

(١) سورة الأعراف: آية ١٧. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ عبد الله بن داعر: الفتوحات المرادية. جـ ١، صـ ٢٠٦.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٤٩. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ عبد الصمد الموزعي: الإحسان. تحقيق / المركز الفرنسي. صـ ٢٦.

(٣) سورة التوبة: آية ١١١. ورد ذكر هذه الآية عند المؤرخ عبد الله بن داعر: المصدر السابق. جـ ٢، صـ ٢٣٤.

حيث انتقوا الأحاديث التي وردت في كتب الحديث عن فضل الروم، وأسقطوها على الدولة العثمانية، مُستغلين في ذلك تشابه التسمية، فقد كان يطلق على العثمانيين اسم الروم نسبة للمكان الذي نشأت فيه دولتهم.

ولعل ما ورد عند المؤرخ المطيب الزبيدي من أحاديث حول ذلك في كتابه بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام يعد خير دليل. حيث صرح في مقدمة كتابه أن هذه الأحاديث هي مما ورد في فضل الروم. بقوله "مقدمة نذكر فيها ما ورد من الأحاديث المصرحة بفضل الروم، ودوام ملكهم السعيد"^(١).

ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ "تقوم الساعة والروم أكثر الناس"^(٢). وأستشهد المؤرخ المطيب برأي عمر بن العاص الذي بين فيه خصال الروم بقوله "إن فيهم لخصالاً أربع، أنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة عند مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وأجبرهم لمسكين ویتيم وضعيف، و خامسة حسنة جميلة أمنعهم من ظلم الملوك"^(٣). ومما ورد عند المؤرخ الزبيدي في ذلك أيضاً قوله ﷺ "فارس نطحة أو نطحتان، ثم لا فارس بعدها أبداً، والروم ذات قرون كلما ذهب قرن خلفه قرن إلى آخر الأبد"^(٤).

ومن تلك الأحاديث التي أستدل المؤرخ بها لتأكيد فضل الروم، وبقاء وديمومة دولتهم، التي عنى بها الدولة العثمانية "ما ذكره العلامة الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري قال: وأخرج أبو عبيد في كتاب الأموال من مراسل عمير بن أسحاق قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقیصر، فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه وأما قیصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعة ، فقال رسول الله ﷺ أما هؤلاء فيمزقون يشير إلى كسرى وأصحابه ، وأما هؤلاء فسيكون لهم بقیه"^(٥).

(١) المطيب الزبيدي : بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام. قـ٢.

(٢) مسلم : صحيح مسلم. جـ ١٨، صـ ٢٢. ورد الحديث عند المؤرخ المطيب الزبيدي : بلوغ المرام. قـ٢.

(٣) ابن الأثير: جامع الأصول من أحاديث الرسول. بيروت، دار إحياء التراث العربي، جـ ١٠، ١٩٨٤م، جـ ١٠، صـ ١٤٤. ورد الحديث عند المؤرخ المطيب الزبيدي: بلوغ المرام. قـ٢.

(٤) الهندي: كنز العمال، جـ ١٢، صـ ٣٠٣. أنظر المطيب الزبيدي: نفس المصدر. قـ٢.

(٥) القاسم بن سلام العروي الأزدي: كتاب الأموال. شرحه عبدالأمير علي المهنا، بيروت، دار الحدائق، ١٩٨٨م، صـ ٢٧ . أنظر المطيب الزبيدي: نفس المصدر. قـ٣.

وعلى الرغم من بعد السياق الزمني لفترة رواية هذه الأحاديث، والأحداث التي رُويت فيها، إلا إن المؤرخين قد عملوا على توظيف تلك الأحاديث لإيجاد المسوغات الشرعية للحكم العثماني، وهي عادة جرى المؤرخون على التفنن فيها، حيث يقومون بعمل إسقاطات للأحاديث النبوية، التي أختصت بفترة وأحداث معينة، على فترة وأحداث معاصرة لهم.

توظيف المفردات الفقهية والأدعية

كانت مسألة طاعة الحاكم، أو الخروج عليه من القضايا التي دار عليها محور الصراع السياسي والفكري بين أئمة الزيدية والعمثانيين. ولم يكتف طرفا الصراع بتوظيف القرآن والحديث النبوي لتأكيد صحة رؤيتهم حول تلك القضية فحسب، بل ركنوا أيضاً إلى الموروث الفقهي الزاخر بالتنوع والتباين، فانتقوا منه ما يتناسب مع توجههم الفكري والسياسي. ووظفوا ذلك الموروث فيما يمكن أن نسميه سياسة الإقصاء والإلغاء ونفي الآخر، حيث عمل كل طرف على اتهام خصمه السياسي بتهم تجعل منه مخالفاً للشريعة الإسلامية، وخارجاً عن الملة، كوصفه بالبغي والظلم والفجور، وأحياناً بالكفر وغيرها من التهم التي تجيز محاربتة وقتاله. وهو المبرر الذي سعى طرفا الصراع لإيجاده من وراء تبنيهم لتلك السياسة، في شرعنة صراعاتهم تلك.

فقد كانت تلك هي الوسيلة المتعارف عليها آنذاك لمواجهة الخصوم السياسيين، وتجريدهم من أي حقوق سياسية ودينية. وهي أشبه بما يعرف في وقتنا الراهن باسم الجريمة السياسية^(١).

انطلاقاً من ذلك شئ كل طرف حملات تكفير على خصمه السياسي، بوصفه بألفاظ ذات مدلول فقهي، أو تحمل أحكاماً فقهية، تنفي عنهم إسلامهم، وتخول قتالهم وتبيح دماؤهم. وتزخر المؤلفات التاريخية بالكثير من هذه الألفاظ والمفردات، التي

(١) محمد يونس: التكفير والدين والسياسة. القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ١٩٩٩م. ص ٩٩.

ذكرت إما على لسان الزعماء والقادة في رسائلهم وخطبهم، أو وُظفت مباشرة في كتابات المؤرخين عند وصف خصومهم السياسيين.

إن انتقاء وتوظيف هذه المفردات من قبل طرفي الصراع لم يكن عشوائياً، بل كان انتقاء مدروساً بدقة وعناية، فقد حملت كل مفردة أو مصطلح حكماً شرعياً، يتوافق مع الموقف الذي وُظف لأجله.

وعلى الرغم من صعوبة حصر تلك المفردات وفرزها وتصنيفها، ومعرفة أحكامها، إلا أن أخذ نماذج من تلك المفردات التي وردت في مصنفات المؤرخين، وتحليل مدلولاتها، ومدى تأثيرها في مجريات الصراع لا مفاص منه. خاصة وأن من أستخدمها هم من العلماء المطلعين على أحكام تلك المفردات. وقد تكرر توظيفها من قبل مؤرخي السلطة والمعارضة على حد سواء.

وقبل أخذ نماذج من تلك المفردات أو المصطلحات، ينبغي أن نشير إلى أن توظيفها من قبل طرفي الصراع قد سار في اتجاهين متوازيين. حيث وُظفت في الأول منهما مفردات تحمل أحكام شرعية واضحة، تجعل من يتصفون بها خارجين عن تعاليم الشرع، كوصفهم بالبغيظة أو الفئة الباغية، العصاة، الفاسدين.. وغيرها من الألفاظ. وهذا النوع من المفردات يحمل مدلولاً مباشراً، أو ما يعرف بالمنطوق به والمصرح به في معنى اللفظ.

وتزخر مصنفات المؤرخين بالعديد من تلك الألفاظ والمفردات التي وُظفت من قبل طرفي الصراع باتجاهاتها المختلفة. ومن أهم تلك المصطلحات التي وُظفت في الاتجاه الأول مصطلح البغيظة أو الفئة الباغية، أو أهل البغي، والضالين أو الفئة الضالة، والطغاة، المفسدين أو أهل الفساد.

فقد وردت هذه المفردات بشكل كبير في كتابات مؤرخي السلطة والمعارضة — على حد سواء — فيكاد لا يخلو مصنف من مصنفاتهم التاريخية، إلا وفيه ذكر لها، لذلك فقد حرص كل طرف على وصف خصمه بها، لما تحمله من معاني، وأحكام فقهية تحقق المآرب السياسية التي وُظفت من أجلها.

فالبغي معناه مجاوزة الحد والظلم والخروج على الحاكم، أو على من تثبت خلافته، أو إمامته، وبغى الرجل عدل عن الحق، والبغي هو الظلم^(١)، والفئة الباغية هي الفئة الظالمة، الخارجة عن الحق. وحكم البغاة في الإسلام حسب اتفاق العلماء هو قتالهم لدفع شرهم، ولا يعتبر الباغى كافراً باتفاق أئمة الدين^(٢). ويشدد المذهب الزيدي على حرب البغاة وجهادهم باعتبار أنهم أتوا الإسلام من معدنه^(٣).

والضلال ضد الهدى والرشاد، وهو سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب^(٤)، والضالون أو الفئة الضالة هم الهائمون الخارجون عن طريق الحق^(٥)، وحكمهم هنا حكم العصاة، بحسب نوع المعصية^(٦) والمتمثل هنا في حكم الخروج على الجماعة والطغاة هم من تجاوزوا الحد في الظلم والتكبر والعصيان، وحكمهم في الشرع أنهم كفار^(٧)، والفسدة أو أهل الفساد هم الذين لا يسعون في إصلاح الأرض، وحكمهم الشرعي يختلف بحسب نوع فسادهم، فالفساد في الدين كفر، والفساد في الأخلاق فجور^(٨)، والفساد في الأرض هو الكفر قولاً وعملاً، ومن عصى الله في الأرض وأمر بالمعصية فقد أفسد في الأرض، لأن الإصلاح يكون بطاعة الله والفساد بالمعصية^(٩).

إن أدراك طرفي الصراع ومنهم المؤرخون لمدلول هذا المصطلحات وحكمها الشرعي، هو ما جعلهم يوظفوها في صراعاتهم السياسي، لما تحمله من تبرير شرعي يجيز حرب وقتال من يوصف بها، وهو المبرر والذريعة التي عمل كل طرف على

(١) عبد الله فروان : الخروج على الحاكم الجائر في الفكر السياسي الإسلامي. صنعاء ، أوان للخدمات الإعلامية، (د.ت)، ص ١٠٨، صالح بن عبدالله حميد: نظرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم. دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط أولى، المجلد التاسع، ص ٤٠٨٥.

(٢) عبد الله فروان: نفس المرجع. ص ١٢١.

(٣) أشواق غليس : التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن. القاهرة، مكتبة مدبولي، ط أولى، ١٩٩٧م، ص ١٠٩.

(٤) محب الدين أبي فيض محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس: بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤م. ج ١٥، ص ٤٢٠.

(٥) إسماعيل بن كثير: تفسير بن كثير. بيروت، دار المفيد، (د.ت) ج ١، ص ٣٠.

(٦) صالح بن عبد الله حميد: نظرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم. المجلد العاشر، ص ٤٧٩٦.

(٧) نفس المرجع. المجلد العاشر، ص ٤٨٣٥.

(٨) نفس المرجع. المجلد الحادي عشر، ص ٥٢٣٧.

(٩) عبد الله فروان : نفس المرجع. ص ٣٩.

إيجادها لشرعة حربه السياسية، فحين يوصف أحد طرفي الحرب أو الصراع بهذه الأوصاف تصبح مسألة قتاله ومحاربتة واجباً دينياً. و تخول لخصمه السياسي الحق في حربه وجهاده.

وفي الإتجاه الثاني وظفت مفردات لا يقف مدلولها على فهم المنطوق منها، أو المصرح الذي تعبر عنه، بل لها مدلول ومعنى خفي، أو ما يعرف بالمسكوت عنه في معنى اللفظ^(١)، ولعل أشهرها مصطلح المجاهدين^(٢)، المسلمين، أو المؤمنين^(٣)، الشهداء^(٤)، والفرقة الناجية، وتزخر مؤلفات المؤرخين بالعديد من هذه المفردات أو المصطلحات، فلا يخلو مصنف من مصنفاتهم التاريخية إلا وفيه ذكر، أو إشارة لها.

فحين يصف أحد طرفي الصراع جنوده المقاتلين بالمجاهدين، فمدلول لفظ المجاهدين لا يقتصر على المعنى المصرح به، والدال على أنهم أصحاب الحق والمقاتلين في سبيل إحياء شريعة الله، بل يحمل مدلول آخر "خفي" يتمثل في وصف خصومهم بأنهم ليسوا من المجاهدين، بل هم من المحاربين لشرع الله، مما يعني نفي صفة الشرعية الدينية لحربهم، لأن الجهاد لا يكون إلا على غير المسلمين، أو على الخارجين على الدين. ينطبق الحال كذلك على كلمة المسلمين والشهداء، فحين يوصف المؤرخين أحد طرفي الصراع بهذه الأوصاف فهذا يعني أن خصومهم ليسوا من المسلمين، وأن قتلى خصومهم ليسوا من الشهداء.

ومن المصطلحات التي وظفت أيضاً مصطلح الفرقة الناجية بما يحمله من بعد ديني يجعل من يحمل هذه الصفة صاحب الحق، وغيره من الفرق الهالكة، أستناداً إلى الحديث النبوي المروي عن رسول الله ﷺ " أن أمة موسى أفرقت إلى إحدى وسبعين فرقة، فرقة ناجية، وسبعون في النار، وأفرقت أمة عيسى إلى اثنتين

(١) نصر أبو زيد: نقد الخطاب الديني. ص ٢٧.

(٢) أحمد اشرفي: اللآلئ المضئية. ج٣، ق ١١٤، عبد الله داعر: الفتوحات المرادية. ج٢، ق٤٤٤، مؤرخ مجهول: دولة الترك في اليمن. ق ٤٩. أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن. ق ١٤.

(٣) المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. ق ٢٧٤، أحمد الشرفي: نفس المصدر، ق ٣٨١.

(٤) مؤرخ مجهول: دولة الترك في اليمن. ق٣٦، أحمد الشرفي: اللآلئ المضئية. ج٣، ق١٥٨، عبد الله داعر: نفس المصدر. ج١، ق ٢١٠.

وسبعون فرقة، فرقة ناجية، واحدى وسبعون في النار، وإن أمتي ستفترق إلى ثلاث وسبعون فرقة، منه فرقة ناجية، واثنان وسبعون في النار»^(١).

حيث عمل كل طرف أثناء الصراع على وصف أنفسهم بأنهم الفرقة الناجية و يصف خصمه السياسي بأنه من الفرق الهالكة، ليكون هذا الوصف حجة له على خصمه.

وقد جاء توظيف هذه المفردات والمصطلحات من قبل طرفي الصراع، من باب الترويج والتضليل اعتماداً على ما في الموروث الفقهي من أسانيد تخدم قضاياهم السياسية.

ولم يقتصر دور المؤرخين على الترويج لتلك المفردات ذات الدلالات الشرعية في مؤلفاتهم التاريخية، بل عملوا على إضفاء نوع من الشرعية على زعماء طرفي الصراع، وذلك حين أحاطوا أسماء الزعماء السياسيين الذين انحازوا إلى جانبهم بهالة من الألقاب والأدعية التي ترفع من شأنهم، كما انهالوا على خصومهم السياسيين بأنواع من السب والشتم التي تحط من مكانتهم السياسية والدينية.

فلا يخلو مصنف من مصنفات مؤرخو السلطة أو المعارضة، إلا وفيه ذكر لمثل تلك الألقاب والأدعية، أو الشتائم. فقد كان أغلب مؤرخي السلطة يضيفون ألقاب التبخيم والتبجيل إلى أسماء السلاطين العثمانيين، ويصفوهم بأوصاف تنزلهم منزلة الخلفاء، ويصفون دولتهم بدولة الخلافة، وأضافوا ألقاباً وأدعية إلى أسماء الولاة العثمانيين، وأغلبها ألقاب تبين عدالتهم، وخيريتهم.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ج ٣، ص ١٢٠. روي هذا الحديث بمعنى آخر يختلف عما ورد سابقاً، فقد روي على النحو الآتي " ستفترق أمي على نيف وسبعين فرقة، كلها في الجنة إلا فرقة واحدة" العجلوني : كشف الخفاء. ج ١، ص ١٦٩.

و يشكك بعض الباحثين في صحة هذا الحديث، لأختلاف المعنى في روايته، ولأسباب أخرى منها:
— أنه يصور للأمة أن الفرقة قدرهم، وأنه قد قضى عليهم بالتمزق، ولا أمل لهم في النصره ولم الشمل، وليس امامهم إلا البغض الطائفي.
— أنه صنع جواز نفسية بين المسلمين، بحيث صار أتباع المذاهب يتعاملون فيما بينهم، وكأنهم من ديانات مختلفة.

— أوقع هذا الحديث كثيراً من الجماعات في هبائل التعصب.
— جعل للفرق شرعية تضليل بعضاً بعضاً . محمد عزان: كتاب المسار، حديث إفتراق الأمة تحت المجهر. صنعاء، مركز التراث والبحوث اليمني، ط أولى، ٢٠٠١م، ص ٢٨، ٢٦.

كما انهالوا في الوقت نفسه بالشتائم والسباب على الأئمة الزيدية، حيث وصفوهم بالمارقين، الملاعين، الشرذمة الفاجرة.. وغير ذلك.

في حين كان مؤرخو المعارضة يصفون أئمة الزيدية بألقاب، وأدعية تضيف عليهم نوعاً من القداسة، والمكانة الدينية، — على سبيل المثال كانوا يضيفون عبارة عليه السلام عند ذكرهم لأسماء الأئمة الزيدية "الإمام القاسم بن محمد عليه السلام". — فإنهم في الوقت نفسه كانوا يتبعوا أسماء القادة أو ولائها العثمانيين، — في كثير من الأحيان — باللعن والسب، مثل قولهم " أقماهم الله"، "لعنهم الله"، أخزاهم الله"، أو يصفونهم بالعلوج، وغير ذلك من الأوصاف.

وهكذا عمل طرفا الصراع على استغلال النصوص الدينية بما يخدم قضاياهم السياسية، خاصة القوة الزيدية التي عولت كثيراً على تلك النصوص، في تبرير حربها ضد العثمانيين، والتي عملت على نفي صفة الخروج والمروق عنها، وأن ما قام به أئمتها هو نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظالمين، والخروج عليهم. وعملت الدولة العثمانية على تأكيد شرعية حكمها، وأن طاعة الدولة من طاعة الله، واكتفوا بالآيات والأحاديث التي تؤكد هذه القاعدة.

الفصل الرابع

توظيف الكرامات "السند الغيبي" و الشعر في خدمة السياسة
من واقع كتابات المؤرخين

إذا كان طرفا الصراع " أئمة الزيدية - العثمانيون" قد اعتمدوا في خطابهم السياسي على النص الديني والدليل الشرعي، لإقناع المجتمع، خاصة فئة العلماء "النخب المثقفة" بشرعيتهم. فأنهم أيضاً حاولوا - بشكل أو بآخر - أن يقنعوا المجتمع عامة ويكسبوا تأييده، معتمدين في ذلك على الأساليب البسيطة، التي يسهل فهمها وتناقل أفكارها، ويكون لها تأثير في أوساط المجتمع الذي تخاطبه. فكانت القصص والحكايات الغريبة، التي نسجت حول شخصيات الزعماء السياسيين، ووصلت درجة المبالغة فيها إلى ما يمكن أن نسميه بالأساطير^(١) و الخرافات^(٢)، وكذلك القصائد الشعرية متعددة الأغراض هي وسيلتهم في ذلك.

فقد شجع طرفي الصراع الرواة والشعراء على صياغة تلك المرويات والقصائد بما يتوافق ورؤيتهم ومفاهيمهم. ومن ثم نشرها بين الناس لتحقيق مكاسبهم السياسية. آخذين في الاعتبار مدى أهميتها من حيث مخاطبتها للعاطفة، وسهولة انتشارها. إذ تعتمد في تناقلها على الرواية الشفهية.

يتضح اهتمام طرفي الصراع بهذه الوسيلة بما ورد منها في مؤلفات مؤرخيهم، التي صنفت إما بطلب منهم، أو بهدف إرضائهم والتقرب منهم، فلا يخلو مصنف من تلك المصنفات إلا وفيه ذكر لتلك المرويات المختلفة، ووصل اهتمام بعض المؤرخين بهذه المرويات إلى تخصيص فصول خاصة بها في مؤلفاتهم. كما وردت في تلك المؤلفات التاريخية العديد من القصائد الشعرية متعددة الأغراض.

(١) الأسطورة : هي حكايات تقليدية تلعب فيها قوى ما وراء الطبيعة أدوارها الرئيسية، ويؤمن أهل الثقافة التي أنتجتها بصدق روايتها، إيماناً لا يتزعزع ، ويرون في مضمونها رسالة سرمدية موجية لبني البشر. فراس السواح: الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية. دمشق، دار علاء الدين، ط أولى، ١٩٩٧م ص ٨ ، ١٥.

(٢) الخرافة : هي فكرة ليس لها أساس علمي واقعي، وهي عبارة عن تصور ذهني غير عقلائي، بل صورة لما يطلق عليه اللامعقول... وتقوم الخرافة على عنصر الأدهاش، وتمتلي بالمبالغات والتبويلات ، وتجري أحداثها بعيداً عن الواقع، حيث تتحرك الشخصيات بسهولة عن المستوى الطبيعي المنظور... وتتشابك علاقاتها مع كائنات ما وراثية متنوعة مثل الجن والعمالقة. خالد العفيري: التفكير الخرافي وعلاقته ببعض المتغيرات في المجتمع اليمني رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة صنعاء، ٢٠٠٢م، ص ٢٣ فراس السواح: المرجع السابق. ص ١٥.

توظيف الكرامات (السند الغيبي)

كانت الحكايات والقصص الغريبة التي لعبت قوى ماوراء الطبيعة أدوراً رئيسة فيها، من الوسائل التي أعتنت بها القوى المتصارعة، وشجعت الرواة — بطريقة أو بأخرى — على نشرها، كنوع من الحرب الدعائية التي لجأت إليها لتعزيز موقفها السياسي. فقد عملت على استغلال البعد الديني الذي أحيط بتلك المروييات في إضفاء نوع من القداسة على شخصيات من نسجت حولهم، وتأكيد وقسوف المشيئة الإلهية إلى جانبهم. فقد وصفت الأحداث الغريبة فيها تحت ما يعرف في الموروث الثقافي الإسلامي بالكرامات والبركات، وهذا الوصف له دلالة دينية، ولمن يختص به مكانة ومنزلة جلية.

فالكرامة : أمر خارق للعادة، غير مقارن بالتحدي، ودعوى النبوة^(١)، ويفرق المتصوفة بينها وبين المعجزات، فظهورها على بعض الأولياء من الاختصاص والتفضل كالرؤية الصادقة في المنام، وسماع خطاب من هاتف، وكالإلهام^(٢). والكرامات في الثقافة الإسلامية واردة ولم ينكرها الشرع، بل أكد عليها، ويذهب شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني إلى أن الكرامات أمر مشروع وممكن أن يقع، وأن يختص بها أفراد، تكون لهم منزلة عند الله، ولهم قدرات يستقوها من فضل الله. وحصر الإمام الشوكاني هذه الكرامات على أولياء الله الذين لهم صفات محددة، حيث يقول "إن الكرامات لا تكون إلا في أولياء الله"، وإستقى الإمام الشوكاني مكانة ومنزلة الولي مما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٤)، و من ما ورد في السنة النبوية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي قال فيه : قال رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى قال "من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب

(١) مرتضى الزبيدي: تاج العروس. ج١٧، ص ٦١٣.

(٢) جان شوفيني: التصوف والمتصوفة: ترجمة عبدالقادر قيني، بيروت، أفريقيا الشرق للطباعة، ١٩٩٩م، ص١٢١.

(٣) سورة بونس : الآية ٦٢.

(٤) سورة المائدة: أية ٥٥.

إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن أَسْتَعَاذَ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت، وأكره مسألته^(١).

كما حدد الإمام الشوكاني صفات الولي التي من أهمها "أن يكون مجاب الدعوة، راضياً عن الله عز وجل في كل حال، قائماً بفرائض الله سبحانه، تاركاً لمناهيه، زاهداً فيما يتكالب الناس عليه من طلب الدنيا، والحرص على رياستها، لا يكون لنفسه شغل بملاذ الدنيا ولا بالتكاثر فيها، ولا بتحصيل أسباب الغنى". ويرى الإمام الشوكاني أن الكرامات لا تنافي الشريعة الإسلامية، بل أن الشريعة تقر بها، وأن من ذهب إلى أن الكرامات الخاصة بالأولياء هي من باب الأفعال الشيطانية، أو التصرفات الإبلسية فإنه غير مصيب في ذلك، كما يرى في الوقت نفسه أن من لا يتصف بصفات الأولياء، وأمتك عملاً خارقاً للعادات، فإن هذا العمل ليس من الكرامات، بل هو من الولايات الشيطانية^(٢).

وقضية الكرامات واختصاص بعض الناس بها من القضايا الشائعة في الثقافة الإسلامية، حيث تزخر كتب التراث بالعديد من الروايات، ومنها كرامة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع جيش سارية^(٣)، فقد ورد في كتب التاريخ أن الخليفة عمر أثناء خطبته على منبر مسجد المدينة، أخذ يصيح يا سارية الجبل .. يا سارية الجبل، وبعد فترة وصل رسول جيش سارية، فسأله عمر بن الخطاب عن أخبار معركتهم، فقال يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا، فإذا بصائح يقول : ياسارية الجبل .. يا سارية الجبل فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمناهم^(٤). ومنها ما روي عن

(١) أخرجه البخاري : صحيح البخاري. حديث رقم ٦٣٥٥، ابن حبان: صحيح ابن حبان. ج١، ص٩٤٠، حديث رقم ٣٤٦، يحيى بن الحسين: تيسير المطالب. ص٥٤٩.

(٢) إبراهيم إبراهيم هلال : ولاية الله والطريق إليها. دراسة وتحقيق لكتاب قطر الولي في أحاديث الولي، للإمام محمد بن علي الشوكاني، القاهرة، دار الكتب الحديثة، (د.ت)، ص ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٥٦.

(٣) سارية بن زنيب بن عبدالله، من التابعين روى عن الرسول الكريم العديد من الأحاديث، وقد ولاه عمر بن الخطاب ناحية فارس. ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: طه الزيني، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٠م، ج٣، ص٩٨.

(٤) إبراهيم هلال : نفس المرجع. ص٢٥١ - ٢٥٢.

كرامة سعيد بن زيد^(١)، الذي عُرف أنه كان مجاب الدعوة، فقد ذكر أنه دعا على إمراة لما كذبت عليه بقوله اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، وأقتلها في أرضها، فعميت، ووقعت في حفرة في أرضها وماتت^(٢).

كما وردت في كتب التاريخ العديد من الروايات التي تظهر كرامات آل العباس، والتي عمل المؤرخون على ذكرها للتقرب حينها من الخلفاء العباسيين، ومنها: أن الخليفة عمر بن الخطاب أسسقى بالعباس عم النبي ﷺ عام الرمادة، لما أشد القحط، فسقاهم الله به، وخصبت الأرض، فقال عمر هذا والله الوسيلة إلى الله والمكانة منه. ومنها أن عبدالله بن العباس لما مات والناس في جنازته جاء طائر أبيض يقال له الغرونق فدخل في النعش فلم ير بعد^(٣). وغير ذلك من الروايات.

إن مفهوم الكرامات من منظور شرعي يبين ما يحتله صاحبها من منزلة و مكانة دينية قوية، فمن يختص بها هم أولياء الله، وأولياء الله يجب طاعتهم، وعدم معاداتهم، فهم حزب الله الغالبون، ومن عاداهم فهو معاد الله ورسوله، وفق النصوص الشرعية. ومن هنا جاء الربط بين مدلول مفهوم الكرامات، ومكانة من يختص بها من منظور شرعي، وتوظيفه سياسياً في أحداث الصراع، حيث تعد الرواة على وصف الأحداث الغريبة، في المرويات التي تخص القادة السياسيين بأنها كرامات. وهذا الوصف يجعل ممن أختص بها من الأولياء، الذين لهم مكانة ومنزلة كبيرة، ويجب طاعتهم، واتباعهم، وعدم محاربتهم، وفق منظور الثقافة الإسلامية. كما يضيف هذا الربط على أصحاب تلك الكرامات هالة من القداسة الدينية، لأهداف سياسية تمثل صفة الشرعية الدينية لتوليهم الحكم أهمها.

لذلك فقد أهتم طرفا الصراع " أمة الزيدية - العثمانيون " بتوظيف العديد منها، وفق ذلك المفهوم، باعتبارها وسيلة من وسائل التأثير التي كانت سائدة آنذاك لإثبات ملازمة السند الغيبي لهذا الطرف أو ذلك. تجلّى ذلك بورود العديد منها على

(١) سعيد بن زيد: هو أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، من السابقين إلى الإسلام، شيد المشاهد كلها مع رسول الله، ما عدا بدر، كانت وفاته سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م. ابن حجر العسقلاني: لإصابة. ج٤، ص١٨٩.

(٢) إبراهيم هلال: ولاية الله والطريق إليها. ص٢٥٢.

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام. ج١، ص٢٩.

صفحات مصنفات مؤرخي تلك المرحلة، والتي وصل الإهتمام بها لدى بعضهم، إلى أفراد فصول خاصة بذكرها في مؤلفاتهم^(١).

وعلى الرغم من تفاوت مستوى توظيف هذه الوسيلة الدعائية عند مؤرخي تلك المرحلة، إلا أن ذلك لا يعني اهتمام طرف بتوظيفها، وتجاهل الطرف الآخر لأهميتها. فقد لعبت الظروف التاريخية التي مرت بها القوى دوراً مهماً في سعي كل طرف للإستفادة منها.

لقد اعتنى أئمة الزيدية بتوظيف السند الغيبي في صراعهم مع العثمانيين، ظهر ذلك واضحاً بما ورد في مؤلفات مؤرخيهم من مرويات تحكي وقوع كرامات وبركات الأئمة. وجاء اهتمامهم بتوظيف هذه الوسيلة نتيجة ظروف سياسية واجتماعية أثرت وسهلت في الوقت نفسه اعتمادهم على مثل هذا الأسلوب في مواجهة العثمانيين. فقد مثل أئمة الزيدية القوة المعارضة "الثائرة" ضد الحكم العثماني في اليمن، وهذه الحالة السياسية تتطلب منهم امتلاك خطاب سياسي قوي ومؤثر، إلى جانب تمتع شخصياتهم بنوع من الكارزمية^(٢)، التي تتخذ من العاطفة وسيلة رئيسة للإقناع، دون اللجوء إلى القوة واستخدام العنف في حشد الأنصار، لخوض غمار حرب ضد عدو يمتلك خطاباً سياسياً قوياً، وآلة عسكرية قادرة على تثبيته وتدعيمه.

لذلك رُبطت الكرامات بشخصياتهم لإظهار تفردهم، ومكانتهم الدينية، ويبدو أن المكانة الاجتماعية الدينية التي كان يحتلها الأئمة في قلوب الناس، كونهم من سلالة بيت النبي ﷺ، قد ساعدت إلى حد كبير في إمكانية ارتباط شخصياتهم بالكرامات،

(١) أفرد الكثير من المؤرخين فصولاً خاصة بهذا الجانب، وتحت نفس المسمى في مؤلفاتهم التاريخية. أنظر المطهر الجرموزي: النبذة المشير. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٣١٠. الجوهرة المنيرة/ تحقيق أمة الملك الثور، ص ١٧٣، الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. ق ٥٢، أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن بن علي المؤيدي. ق ٥. أحمد الشرفي: اللائي المضيئة. ج ٣، ق ١٧٥.

(٢) الشخصية الكارزمية: لازلت كلمة الكارزما من الكلمات الغامضة، التي يعتبر غموضها سر سحرها، فهي قد تستخدم بمعنى الشخصية الساحرة، أو الشخصية الملهمة، أو الأسرة، تختص الشخصية المعنية بالكارزمية بأعتقاد أتباعها ومناقسيها بأن صاحبها يملك صفات خارقة، أو ملهمة، ويتوافق مفهوم الكارزما هنا مع مفهوم البطل، أو الرجل العظيم. بشير محمد الخضرا: النمط النبوي - الخلفي في القيادة السياسية العربية والديمقراطية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٩١، ٩٥.

وهذا الأمر أسهم — بشكل لا يمكن تجاهله — في تسهيل توظيف هذه الوسيلة في خدمة المصالح السياسية في ذلك الصراع.

وفي الاتجاه الآخر نجد أن العثمانيين ومؤيديهم، لم يهملوا توظيف الأسانيد الغيبية في التدليل على شرعيتهم بوقوف السند الغيبي إلى جانبهم، حيث وردت في مؤلفات مؤرخيهم العديد من المرويات التي تحكي وقوع كرامات وبركات لسلطين الدولة العثمانية، أو ولايتها في اليمن، وإن لم يصل مستوى ذلك التوظيف ما لدى أئمة الزيدية ومؤيديهم، فإن ذلك يرجع إلى وضع العثمانيين السياسي الذي كان ينظر إليه الكثير بما فيهم بعض أئمة الزيدية بأنه حكم شرعي.

وعلى الرغم من أن توظيف هذا النوع من الوسائل الدعائية كان بهدف إيجاد السند الغيبي، الذي يمنح بدوره تبريراً دينياً للأعمال السياسية والعسكرية لهذا الزعيم أو ذاك، ولمخاطبة العاطفة الدينية، لجمع الأنصار ومحاولة إقناع العامة من الناس بعدالة قضية هذا الطرف أو ذاك، إلا أن ما يثير الاهتمام في ذلك التوظيف أن أصحاب الشأن لتلك الكرامات لم يرووا بأنفسهم، أو يشيروا مباشرة إلى ما وقع لهم من كرامات، كما أنهم في الوقت نفسه لم يستكروا ما روي منها على لسان مؤيديهم.

ويبدو أنهم قد تعمدوا هذا الموقف، فهم حين سكتوا أو تغاضوا عن ما كان يروى، ويشاع من وقوع الكرامات لهم، فذلك يأتي من أدراكهم لأهمية هذه الوسيلة، وما يمكن أن يجنوه من وراء توظيفها في التأثير على الناس. وليس ببعيد أن يكون توظيفها بإيعاز منهم، أو بموافقتهم خاصة إذا ما علمنا أن أكثر المؤلفات التاريخية صنفت بطلب منهم، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية يمكن القول أن تحاشيهم ذكرها على ألسنتهم، أو التصريح بصحتها، كان من باب منع الشك والريبة فيهم. خاصة وأن هذا النوع من الوسائل الدعائية كثيراً ما يكون محل شك وانتقاد من قبل العلماء، وقد حدث أن تعرضت بعض تلك الروايات لمثل هذا النقد — على سبيل المثال — فقد شن المؤرخ عبدالله بن داعر حملة انتقادات لاذعة، لما كان يروج بين الناس، وورد في كتابات المؤرخين^(١) من حدوث كرامات خاصة بالإمام الحسن بن علي

(١) وردت هذه الكرامات عند المؤرخ الشرفي، والمؤرخ أحمد اللوزي، وسشير إلى ذلك لاحقاً

المؤيدي، والتي تدل على أحقيته في الإمامة والحكم. ومنها ظهور اسمه وصفته كإمام على أوراق الشجر، وفي الأحلام والرؤى وغيرها.

فقد علق ابن داعر على ذلك بقوله "هذا ولقد تمالي الناس عند دعوة الحسن بن علي من جبل الأهنوم، على نصرته بما قدروا عليه كما هو معلوم، وتوعوا في معاضدته أنواعاً وفنوناً، [...] وهتكوا في إقامة أمره كما يريد من أمرهم حجاباً مصنوعاً، وجاءوا بالآفات والزور [...]. فمنهم من فعل مناماً، وروى عن غيره أحلاماً، وزعم أن إمامه لسائر الأئمة إمام فهو أجلهم حالاً [...]. ومنهم من يقول رأيت اسمه مكتوب في الشجر والتمر، مرسوماً على الصفا وصمصم الحجر، ولقد سمعت بعض أشياعه، ومن زعم أنه أصدق أتباعه أنه رأى مكتوباً على حبة عنب أسم الحسن بن علي، وهذا أمر ظاهر الاستحالة معلوم الامتناع، ومع تقدير صحة ما رواه فإن ذلك بحيلة من أصحابه لخداع من سواه"^(١).

كما بين أن اعتماد الأئمة على هذه الأساليب كان لغرض الوصول إلى الحكم والرياسة وتوريثها في أبنائهم بقوله إن "الإعتماد على الخيالات من وجود أسمائهم على ورق الشجر والثمرات ليئتمسوا بذلك الرياسات، ويضعونها في أبنائهم وبناتهم، لبئس ما كانوا يصنعون، وويل لهم مما يفترون، وقبحاً لما يجتابونه لأنفسهم من عقد الرياسات، ويقولون هذا من عند الله، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون"^(٢).

إن هذه التشكيكات والانتقادات التي وجهها مؤرخ معاصر للأحداث، تبين وقوف أناس متخصصين وراء الترويج لتلك الدعايات، ونشرها بين الناس، لإحاطة من اختص بها بهالة من القداسة الدينية، وهذا التوظيف - كما أشار المؤرخ - هو توظيف سياسي بهدف الوصول إلى الحكم. ومن هنا يمكن القول أن من تولى هذا النشر والترويج هم من المتخصصين القادرين على فبركة تلك المرويات وجعلها قوة مؤثرة في توجهات ومواقف الناس. ولا ضير في القول أن الزعماء السياسيين الذين أختصوا بتلك الكرامات والبركات، قد أوكلوا مهمة توظيفها في صراعهم السياسي إلى أولئك المتخصصين. لأن توظيف مثل هذه الوسيلة عادة يحدث كما يقول

(١) عبد الله بن داعر: الفتوحات المرادية، ج ٢، ق ٥١، ٥٢.

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ق ٥١، ٥٢.

الدكتور فراس السواح انه خلال فترات الاضطرابات السياسية، يعمل المفكرون على الاستفادة من النزوع الأسطوري لدى الناس "فيعمدون إلى فبركة أساطير مدروسة بمهارة يضعونها تحت تصرف أساطين الإعلام من شأنها إسقاط الأحوال الأنفعالية عند الجماهير، ومصادرة محاكاتها المنطقية، لصالح نزعاتها غير العقلانية، ويعتمد هؤلاء على الاستفادة القصوى من طلال الكلمات، ومن الطابع السحري للغة، وينحتون مصطلحات ذات شحنة عاطفية هائلة تحرك الجماهير وتوجههم نحو الغايات المرسومة"^(١).

ويعتبر مؤرخو السلطة والمعارضة جزءاً من المتخصصين، الذين تحملوا مسئولية توصيل ونشر تلك الأفكار بأسلوب أدبي، بغرض التأثير، وتغيير توجهات ومواقف الناس، فهم بمثابة أساطين الإعلام الذين أشار إليهم السواح أنفاً. تجلّى ذلك بما أحتوته مؤلفاتهم التاريخية من مرويات تعددت فيها طرق إثبات ملازمة السند الغيبي لأطراف الصراع، ويمكن تقسيم تلك المرويات إلى صنفين. الصنف الأول: اقتصر دور المؤرخين فيه على إعادة صياغة القصص والروايات الغربية، والظواهر الخارقة التي فبركت حول شخصيات الصراع السياسي، بأسلوبهم الخاص، وتدوينها في مؤلفاتهم.

وفي الصنف الثاني لعب المؤرخون دوراً رئيساً فيه، وذلك حين عملوا على الربط بين وقوع الأحداث السياسية والعسكرية، وكذلك وقوع الظواهر الطبيعية والاقتصادية، وبين شخصيات زعماء الصراع، وعزوا ذلك إلى المشيئة الألهية، أو أنها من كرامات وبركات تلك الشخصيات لإضفاء نوع من القداسة حولها.

ومن الصعب إجمال كل ما ورد في مؤلفات المؤرخين من تلك المرويات بصنفيها، ونكتفي بذكر بعضها، لإيضاح كيفية توظيف هذه الوسيلة في الأحداث السياسية خلال تلك المرحلة. والأبعاد السياسية التي عملت القوى السياسية على قطف ثمارها من خلال ذلك التوظيف.

ففي الصنف الأول وردت مرويات تحكي وقوع أحداث غريبة و خارقة للعادة مثل: سماع أصوات مجهولة المصدر، وظهور رسوم على أوراق الشجر، وعلى

(١) فراس السواح : الأسطورة والمعنى. ص ٣٢.

لحم وعظام الحيوانات، وتجلي النبي في الرؤى والأحلام، واشتراك الحشرات والحيوانات في الأحداث، واستجابة الأديعة، وغيرها " والتي تظهر دلالات وعلامات، تؤكد وقوف المشيئة الإلهية إلى جانب أبطالها.

فقد أورد الكثير من المؤرخين قصة سماع الصوت الذي كان يردد في مآذن مدينة صنعاء أسم الإمام القاسم (يا إمام يا قاسم .. يا إمام يا قاسم) بتفخيم القاف، ولا يرى شيء من مصدر الصوت سوى طائر^(١).

إلا أن أكثر ما روي عند المؤرخين في ذلك، هي قصص الكتابات والرسوم التي وجدت على أوراق الشجر، وعلى لحم وعظام الحيوانات^(٢)، ومنها ما ذكره المؤرخ احمد بن شايح اللوزي، أنه شاهد بعد صلاة الجمعة في بلاد الأهنوم^(٣) مع خلق كثير رسماً جلياً على غصن شجرة جاء به رجل، فيها ما لفظه أمير المؤمنين الحسن بن علي^(٤). وأورد المؤرخ أحمد الشرفي أن القاضي جمال الدين علي بن محمد فاضل^(٥) من أهالي الأهنوم "رأى في ورقة من الرمان ما لفظه الحسن بن علي"، وأن الفقيه دغيش "رأى رسماً غريباً جلياً في ورقة من الهند"^(٦) ما لفظه الناصر لدين الله الحسن بن علي"، وأن السيد فخر الدين بن محمد بن إبراهيم شاهد " في حبة من

(١) أحمد الشرفي: اللأئي المضينة. جـ ٣، قـ ٢١٠، المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، صـ ٣١٥. ذكر صاحب تاريخ دولة الترك أن سنان باشا الكيخيا خرج بنفسه لمتبع الصوت، فرأى طائر أبيض على منارة جامع صلاح الدين بناي .. يا إمام يا قاسم .. يا إمام يا قاسم .. ، فعلم أنه أمر من الله وجب . أنظر مؤرخ مجهول: تاريخ دولة الترك. قـ ٢٦.

(٢) وردت الكثير من هذه القصص التي تكاد تكون متشابهة في العديد من مؤلفات التاريخية، والتي ربما نقلها المؤرخون من بعضهم، وقد أقتصر الباحث هنا على ذكر بعض الامثلة. أحمد الشرفي: نفس المصدر. جـ ٣، قـ ١٢٨، ١٣٢، أحمد بن شايح اللوزي: سيرة الإمام الحسن: قـ ٥ - ٦، المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة: تحقيق أمة الملك الثور، صـ ١٧٣ - ١٨٣ وفي النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، صـ ٣١٠ - ٣١٨.

(٣) ناحية من بلاد حاشد وتتبع محافظة عمران شمال صنعاء. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان جـ ١، صـ ١١٤.

(٤) أحمد اللوزي: نفس المصدر. قـ ٥. أحمد الشرفي: نفس المصدر. جـ ٣، قـ ١٣٠.

(٥) في هذا الجزء من الدراسة سترد العديد من أسماء الأشخاص الذين وقعت معهم الأحداث التي تؤكد كرامات الأئمة، أو الولاة العثمانيين، والباحث لم يعط ترجمة لتلك الشخصيات كونها شخصيات جانبية، وليست ذات أهمية في الدراسة، إلا أن ذكرها في متن الدراسة ضرورة لا بد منها لتأكيد الدقة في نقل الروايات، نظراً لورود العديد منها وتشابه مضمونها في مؤلفات المؤرخين، التي أعتد الباحث عليها في نقل تلك الروايات.

(٦) الهند: الذرة الشامية.

العنب ما لفظه أمير المؤمنين الحسن بن علي، وروي أن بعضهم استخرج الماء الذي في الحبة لزيادة التحقيق، فبقي الرسم على حاله بعد خروج الماء^(١).

وورد عند المؤرخ أحمد اللوزي، أنه وجد في بيت القاضي شرف الدين بن الحسن سنة ٩٩٩هـ / ١٥٩١م "ما لفظه الحسن بن علي بن محمد في أحد جانبي كبش، وفي الجانب الآخر، لقد علمه الله هذا"، وذكر أيضاً أن الشيخ عبد الله بن المعافا ذبح كبشاً أضحية في نفس السنة، فوجد في إحدى خصيتيه "ما لفظه بسم الله الرحمن الرحيم الناصر لدين الله الحسن بن علي"^(٢).

ومنها ما ورد عند المؤرخ أحمد الشرفي، أن الفقيه صلاح بن محمد روى أن رجلاً من بلاد الظاهر "جاء إليه بخصيتي كبش ذبحه في شهر رمضان سنة ٩٨٨هـ [١٥٩٠م] وفيها ما لفظه الحسن بن علي، وزيادة غلب ظنهما أنها أمير المؤمنين"^(٣)، ومما ورد عنده أيضاً، ما رواه السيد عماد الدين يحيى بن ناصر الغرياني، أن الشيخ عبد الله بن المعافى "وجد في خصية كبش ذبحه بعض جيرانه في السنة المذكورة (٩٨٩هـ / ١٥٩١م) ما لفظه لا إله إلا الله الحسن بن علي"^(٤)، كما ذكر أيضاً أن السيد يحيى بن الناصر وجد في خصية كبش ذبحه أضحية ما لفظه "الولي الحسن بن علي"^(٥)، وذكر المؤرخ مطهر الجرموزي أن السيد علم الدين بن نجم الدين "وجد في لوح أضحيته مكتوباً بخط بين الإمام محمد أمير المؤمنين"^(٦).

ومن القصص التي أوردها المؤرخون لإثبات المساندة الإلهية لزعماء وقادة القوى السياسية، تلك التي كانت الحيوانات والحشرات تلعب فيه دوراً رئيسياً، حيث كانت بمثابة الرسل، أو النذر الموجهة من الإرادة الإلهية، التي تعيد الحق إلى نصابه. منها ما رواه المؤرخ الجرموزي، من أن أحد أتباع الإمام المؤيد بالله وهو الفقيه هلال بن القاسم، حين غاضب الإمام المؤيد بكلمات، وخرج يريد للحاق

(١) أحمد الشرفي: اللآلئ المضينة. قـ ١٣١.

(٢) أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن. قـ ٥.

(٣) أحمد الشرفي: نفس المصدر. جـ ٣، قـ ١٣٠.

(٤) نفس المصدر. جـ ٣، قـ ١٣٠.

(٥) نفس المصدر. جـ ٣، قـ ١٣٠.

(٦) المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك انثور، صـ ١٧٥.

بالترك، وفي طريقه إليهم دخل سقاية ماء للشرب ، فإذا باب الساقية مُسد بثعبان عظيم فاتح فاه، فحاول الفقيه الدفاع عن نفسه، إلا انه أدرك أن لا طاقة له بذلك، فراجع في نفسه ما كان منه تجاه الإمام، وأستغفر الله وتاب من حينها، فما كان من الثعبان إلا أن انصرف عن الباب في تلك اللحظة. ومما رواه المؤرخ أيضاً أن الفقيه عبد الله بن إبراهيم بن سلامة، كان يحدث نفسه أن الإمام محمد المؤيد أقل من والده القاسم في العلم ولا يصلح للإمامة، حتى رأى في منامة رؤيا، ذكرها المؤرخ على لسان الفقيه بقوله " فرأيت كأني سرت أنا وبعض الأصحاب إلى مكان، فلما وصلنا بالقرب من ذلك المكان، فإذا نحن بحنش أبيض قصير يخرج من موضع ثم يدخل فيه مرة بعد مرة، وهو يتحنح مثل تتحنح الرجل، قال فرجمته بحجر فلم تصبه، فقال [يقصد الحنش] لولا حجار بلادكم لأكلتكم أحناش منع، قلت ما نسمع بمنع إلا أن يكون ينبع ، فقال الحنش ينبع منع، وأقسم الحنش بيمين نطق بها بالجلالة فقال : والله لقد قالت بإمامة محمد الإنس والجن"^(١).

ومن تلك الحكايات التي وردت عند المؤرخ أيضاً، ما أخبره السيد النفاضل صالح بن ناصر، أنه رأى قبل موت الإمام القاسم أن نملاً كثيرة خرجت من موضع في شهارة^(٢) حوالي بركة الطوف، تتادي المؤيد محمد .. المؤيد محمد"^(٣).

وعلى الرغم من تشابه حجم المبالغة في هذا النوع من المرويات مع غيرها، إلا أن الملفت للانتباه فيها، أن الحيوانات والحشرات التي لعبت أدواراً بطولية في هذه المرويات وهي "الكبش، الثعبان، النمل". سبق وأن لعبت أدواراً مهمة في حياة ومعجزات الأنبياء. كبش إسماعيل ، وثعبان موسى ، ونمل سليمان عليهم السلام، من هنا يمكن القول أن اختيار الرواة لهذه المخلوقات في رواياتهم وقصصهم كان اختياراً مدروساً بدقة وعناية، حيث عملوا من خلال اختيارهم لتلك على المخلوقات على إيجاد نوع من العلاقة بين معجزات الأنبياء، وروايات كرامات الأئمة. بهدف محاكاة الموروث الديني والثقافة الإسلامية في فكر الناس للتدليل على وقوع

(١) المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور . ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) مدينة شهارة تتبع محافظ حجة، إلى الشمال الغربي من صنعاء، وتعد من أشهر حصون اليمن. إبراهيم المقفي: معجم البلدان. ج ١ ص ٨٨١.

(٣) المطهر الجرموزي : نفس المصدر. ص ١٨١.

الكرامات لتلك الشخصيات، فيصبح أمر وقوعها غير مستبعد. لأنه سبق وأن قامت هذه المخلوقات بأدوار رئيسة في معجزات الرسل والأنبياء.

ومن الأساليب التي شاع ذكرها لدى المؤرخين لإثبات كرامات الزعماء السياسيين، رواية الأحلام والرؤى التي تناقل الناس أخبارها. ومنها ما كان يتجلى النبي ﷺ فيها ويتحدث مع أبطالها، وتعكس رواية هذه الأحلام المكانة المقدسة لهؤلاء الأشخاص، كما أنها تُعد دليلاً على المساندة الإلهية لهم، وأن حكمهم وأعمالهم تلقى قبولاً ورضاً من الله سبحانه وتعالى ومن نبيه ﷺ، وتعطي إحياء في نفوس العامة بصدق موقف من يظهر له النبي ﷺ.

ومن تلك الروايات ما ذكره المؤرخ الحسن الزريقي من أن رجلاً غريباً زار ذمار، أنه رأى الإمام شرف الدين وكان في بداية شبابه يصلي مع أبناء خاله في مشهد الإمام المطهر بدمار، فأخبر الناس بأنه رأى رؤية لأحد أولئك الشبان، فأدخلوهم عليه واحداً بعد الآخر ليتعرف عليه، حتى دخل الإمام شرف الدين فقال " هذا الذي أريده، رأيتُه واقفاً بين يدي رسول الله ﷺ ، وهو يقرأ عليه " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"^(١) ، فأستبشر والد الإمام رحمه الله بهذه الرؤيا"^(٢).

ومنها ما ذكره المؤرخ عبد الله بن داعر، من تجلي النبي ﷺ للسلطان مراد الرابع في الرؤيا التي رآها السلطان، أثناء حروبه مع الصفويين بقوله " فألقى رب العزة في قلب خليفته المؤمن المعتمد الغيرة على السنة، والغضب لله على من طغى وتمرد، وأراه في منامه حضرة النبي المصطفى محمد ﷺ [...] وحولته الخلفاء وأصحابه أرباب الهدى والرشد، فقال له أتعرف من هؤلاء أيها الخليفة الأمجد، انهم أصحابي نجوم الهدى ورجوم العدى العاصمة المانعة لمن لاذ بها وأنتجي، فيما لديك من حبي وحبهم، فليكن أخذك مبغضهم بالصارم المهند"^(٣).

(١) سورة الملك: آية ١ .

(٢) الحسن الزريقي: سيرة الإمام المتوكل على الله شرف الدين . ق ٥٢ .

(٣) عبد الله بن داعر: الفتوحات المرادية. ج١، ق ٢١٦ .

وذكر المؤرخ الجرموزي رواية مشابهة، بقوله " روى الفقيه صلاح بن علي البريشي أنه سمع الأمير الحسين بن الإمام القاسم يتحدث، أنه رأى قبل وقعة الأنودية أنه وصله خط من النبي ﷺ وعلامة الشريفة محمد ﷺ رسول الله، وفيه الآية " نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشْرٌ الْمُؤْمِنِينَ " (١).

ومما روي في ذلك ما أورده المؤرخ الشرفي "أن الفقيه الورع سعيد بن صلاح [١٠٠] رأى في منامه بعد قيام الإمام عليه السلام يقصد به الإمام الحسن بن علي [أن رجلاً ناوله كتاباً فقرأه، فإذا فيه هذا خليفة رسول الله القائم بأمر الله، قال : فقلت من المعني بهذا الكتاب، فقال : الإمام القائم الحسن بن علي" (٢).

ومن الوسائل التي أستخدمت بغرض تأكيد السند الغيبي إلى جانب القوى السياسية التي انحاز إليها المؤرخين، رواية تلك القصص التي لعبت القوى ماوراء الطبيعة (الجن) دوراً رئيسياً فيها. فقد ورد عند المؤرخ الجرموزي قصة تروي، دعم ومساندة الجن للإمام في حروبه مع الأتراك، ومفاد هذه القصة أن رجلاً من أتباع الإمام القاسم خرج ليحضر الماء لبقية الجنود، إلا أنه غاب لفترة ثم عاد وقد صار في حالة ضعيفة مُصفر اللون، قال الراوي " فسألناه عن خبره، وأين كان هذه الأيام وهو فارقنا على انه يسقينا الماء، فقال أتفق لي قضية، وهي أنني لما خرجت من عندكم، فلما هبطت إلى أسفل منكم، إلا وقد حملت فيما بين السماء والأرض حتى أوصلوني محل فلان [١٠٠] فأحضروني عند أمير الجان وشكاني قوم أنني قتلت منهم بأن وقعت عليهم مع النزول، [١٠٠] فقلت كيف ذلك ، فقالوا كنا محطين تحتكم، وكنا في محطة من الجن خرجنا للجهاد في سبيل الله، قال (الراوي) فحبسوه حتى سكنت فورتهم، وطلبوه وأبروه، وسمحوا له لأجل القتال مع الإمام القاسم" وعلق المؤرخ الجرموزي بأن ذلك من كرامات الإمام القاسم وما أتفق من إجتماع الجن والأنس على وجوب نصرته (٣).

ومنما رواه المؤرخ عبد الصمد الموزعي، من أن الله وقف إلى جانب العثمانيين في حربهم مع المطهر وأن جيشه أنهزم في أحداث سنة

(١) سورة الصف. آية ١٣. المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور . ص ٤٧٤.

(٢) أحمد الشرفي: اللؤلؤ المضيئة. ج ٣ ، ق ٢٨ .

(٣) المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص ٣٤٤ .

٩٧٣هـ/١٥٦٥م، في زبيد، بعد أن رمته مدافع كان يسمع صوتها من جهة مقبرة زبيد ولا يرى لها أثر، وأكد أن ذلك من قدرة الله، ومساندته للعثمانيين بقوله "وسمعت حينئذ من مقابر زبيد أصوات مدافع ترمي عليهم، من غير أن يرى شخص، فنصر الله العساكر السلطانية على الطوائف الباغية، وقتل من الزيدية يومئذ ما لا يعلم عددهم إلا الله، وغنمت العساكر أوطاقهم، واحمالهم وأثقالهم، وولوا على أديبارهم نفوراً، ولم يقدموا بعد ذلك زبيد، كأنما عليها حصن من حديد من عند الله الملك الحميد"^(١).

إن الروايات التي تحكي مشاركة الجن أو الملائكة في أحداث الصراعات ليست بالأمر الجديد، أو الغريب، فالتراث الإسلامي يحكي قصة مشاركة الملائكة إلى جانب المسلمين في معركة بدر، وهي من القصص التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والتي تظهر مساندة الله لرسوله في تلك المعركة وتثبيت أقدام المسلمين، ومن هنا يظهر وجود نوع من التقمص للقصة وللأدوار التي عمل المؤرخون على إستقائها من التراث الديني.

كما وردت الكثير من الروايات عند المؤرخين، والتي تظهر تدخل الظواهر الطبيعية من نزول أمطار، ووقوع صواعق .. وغيرها، في حياة الناس، وأن وقوع بعضها ما هو إلا من كرامات وبركات من وقعت لهم.

منها ما ورد عند المؤرخ الشرفي أن قبيلة آل قشيب^(٢) آووا طريداً، خصيماً للإمام شرف الدين "فلما سكن بين أظهرهم منعهم المطر، فقالوا ما لنا سبب إلا أن هذا الرجل الذي أويناه وهو خصم الإمام، فتعطفوا قلب الإمام بعقيرة عقروها في محطة الإمام [...] فشاهدوا المطر تلك الساعة فوق بلادهم، فلم يرجعوا إلا وقد سقاهم الله"^(٣). وذكر المؤرخ الجرموزي أن رجلاً من أهل الظاهر^(٤) سلم على الإمام القاسم بن محمد في مكان قفر وقال "يا مولانا أنا راعي غنم لي، وقد أضر بنا

(١) أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة. ج٣، ص٤٦.

(٢) أسرة مشهورة تسكن بلاد أنس جنوب صنعاء. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. ج٢، ص١٢٧٧.

(٣) عبد الصمد الموزعي: الإحسان. ص٢٦.

(٤) الظاهر: مديرية إلى الغرب من صعدة، تتصل بسهولة تهامة، وتتبع محافظة حجة. إبراهيم المقحفي: نفس

المرجع. ج١، ص١١٤.

القحط، وقلة الماء فأدع لنا، فتوجه القبلة ودعا والوقت قريب غروب الشمس، وما في السماء قزعة، فما جاء وقت العشاء، إلا وقد مُطر، وأرسلت السماء غرابيلها، وأقبلت السقايا بما فيها^(١).

وورد عند المؤرخ اللوزي أن الإمام الحسن بن علي المؤيدي أرسل أحد رجاله إلى بعض مشائخ عذر^(٢) لقبض الزكاة، فوصل إلى أحدهم وطلب ما عليه "فأمتنع وتكلم علي الفقيه كلاماً جافياً، فما لبث أن أرسل الله سبحانه صاعقة في ذلك الوقت أهلكت بعض غنمه، فسلم بعد ذلك ما عليه واعتذر من كلامه السابق"^(٣).

ونكر صاحب كتاب تاريخ دولة الترك أنه لما صعب على الإمام اقتحام حصن مدع^(٤) أرسل الله صاعقة على جزء من الحصن، وأحدث فتحة فيه دخل منها أصحاب الإمام، وأستولوا على الحصن^(٥).

ولم يكتف المؤرخين بذكر القصص التي وقعت مع غير المعنيين بها، بل أوردوا العديد من القصص التي حدثت مع أصحاب الشأن أنفسهم سواء كانوا من الأئمة، أو الولاة العثمانيين، وجاء ذكر هذه القصص تأكيداً للمكانة الروحية التي كان يتمتع بها أولئك الزعماء، وما حظوا به من كرامات وبركات، تظهر أحقيتهم ونصرة الله لهم، مما يوجب على الناس اتباعهم. منها ما اختص الله به الأئمة من استجابة الدعاء (وهي من صفات الأولياء).

فقد ورد عند المؤرخ أحمد الشرفي أن الشريفة مريم بنت الإمام المنصور بالله محمد بن علي السراجي، كان يعاودها ألم شديد، وأثناء زيارة الإمام شرف الدين منطقة الجراف^(٦)، دخلت إلى المنزل الذي كان يسكنه الإمام، وأخذت عمامته

(١) المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٣١٦.

(٢) عذر: قبيلة من حاشد إلى الجانب الشمالي من مدينة عمران. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. ج ٢، ص ١٠٣٣.

(٣) أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن بن علي. ق ٤٤.

(٤) مدع: منطقة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة تلا، شمال صنعاء. إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. ج ٢، ص ١٤٦٤.

(٥) مؤرخ مجبول: تاريخ دولة الترك في اليمن. ق ٩.

(٦) الجراف: كانت قرية شمال صنعاء والأن أصبحت جزء من صنعاء. إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. ج ١، ص ٣٠٨.

ووضعتها على رأسها، وسائر جسدها، وهي تقول "بفضل الإمام شرف الدين وسره وبركته، أن يذهب عني هذا الألم" فلم تنزع العمامة من يدها إلا وقد شفيت منه^(١).

وورد عنده أيضاً أن الفقيه محمد بن جابر كان يعتاده ألم في كل شهر منذ خمس عشر سنة، وحين سمع بدعوة الإمام الحسن بن علي قال " إذا كان هذا الداعي إمام حق شفاني الله، من هذا الألم، قال : فشفاه الله ولم يعد أبداً". ومنها أيضاً، أن شخصاً يسمى النعمي كان به شيء من الجنون فدعا له الإمام الحسن بن علي فشفي من حينها^(٢).

ومما ورد عنده أيضاً أن الإمام القاسم "دعا على رجل من ذي حسين من دهمه، أشار بيده إلى الثياب التي على الإمام وأصحابه، وتكلم بكلام فيه أذية للإمام، فسقط الرجل فغابت أصبعه في كفه، فندم الرجل وسأل الإمام أن يرضى عنه، ويدعوه فدعا له الإمام عليه السلام، فرجعت يده كما كانت من قبل صحيحة"^(٣)

ونكر الجرموزي " أن شخصاً كان يدعى يحيى أبو عروق من برط^(٤)، تبرأ من الإمام القاسم حين علم بقدوم الأتراك، فدعى عليه الإمام، ولم يلبث إلا أسبوعاً ومات"^(٥).

ومن تلك القصص وقوع حوادث غريبة لمن كان يتعدى على الأئمة، بالسب وغيره، دون أن يدعوا عليه، حيث فُسر كل ذلك بتدخل المشيئة الألهية، وأن ذلك من كراماتهم.

فقد ورد عند المؤرخ الشرفي أن رجلاً كان يصدر منه كلام في حق الإمام شرف الدين في حضور مجموعة من الناس "فغضبوا عليه ولاموه، وقالوا إن كان للإمام سر وبرهان كان كذا، فما إستتموا كلامهم إلا وقد سقط حجر عليه من جدار كانوا تحته، فطحنته ومات من ساعته"^(٦).

(١) أحمد الشرفي: اللآئى المضينة. ج ٣، ق ٤٥.

(٢) نفس المصدر. ج ٣، ق ١٢٩.

(٣) نفس المصدر. ق ٢٠٩.

(٤) برط: منطقة شمال شرق صنعاء، وتتبع حالياً محافظة الجوف. إبراهيم المقحفى: معجم البلدان. ج ١، ص

(٥) المطير الجرّموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص ٣١٠.

(٦) أحمد الشرفي: نفس المصدر. ج ٣، ق ٤٨.

وذكر صاحب تاريخ دولة الترك، أن رجلاً كان يسب الإمام القاسم، وفي إحدى الليالي أصابته رصاصة في فمه وسقط ميتاً، ولم يحدث فيه أثر الرصاص حتى فُتح فمه، فوجدوا الرصاصة قد طوت لسانه إلى حلقه، كما يطوى القرطاس، وسكنت في أقصى حلقه^(١). وروى المؤرخ الجرموزي أيضاً أن احد الأشخاص كان يسب الإمام المؤيد بن القاسم، " فقتل في الحرب، فأراد بعض المجاهدين أن يقطع رأسه، فوجد لسانه قد أخذته الرصاصة إلى موضع بعيد فبقي الناس يعجبون"^(٢)

وفي الصنف الثاني من تلك المرويات أسهم المؤرخون بشكل مباشر في فبركة أحداثها، حيث ربطوا وقوع الأحداث السياسية، والظواهر الطبيعية والاقتصادية بشخصيات الزعماء السياسيين، بما يمنحها هالة وقداية دينية كبيرة.

وقد شاع هذا النوع من الربط في مؤلفات مؤرخي السلطة، الذين كانوا أقل توظيفاً للسند الغيبي لخدمة الأغراض السياسية - كما هو الحال في توظيف الدين، وقد سبقت الإشارة إلى سبب ذلك - حيث أكتفوا بأضفاء نوعاً من الخيرية على الولاة العثمانيين، مبينين أن ذلك من بركاتهم، وهو مصطلح أخف من الكرامات. كما فسروا حدوث حالات الاستقرار السياسي في عهد الولاة الأقوياء، وما يتمخض عنها من وقوع نوع من الانتعاش الاقتصادي في حياة الناس، إلى أن ذلك من فضل وبركة أولئك الولاة.

فقد ذكر المؤرخ المطيب أن موت الأمير المطهر بن شرف الدين، كان من تدبير المشيئة الألهية لمساعدة بهرام باشا في حروبه "ومن السعادة لمولانا والحظ الأوفر، وإقبال الأيام له بمساعدة القدر، أن قدر الله تعالى في هذا العام الأزهر موت الملحد ملك الفرقة الزيدية مطهر"^(٣).

وأكد أن حالة الرخص التي كانت تقع في بعض الأقاليم في اليمن كان بفضل وبركة بهرام باشا. حيث قال "ومن عظيم بركته وحسن نيته (يقصد بهرام باشا) أنه

(١) مؤرخ مجهول : تاريخ دولة الترك . ق ٢٧ .

(٢) المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور، ص ١٧٨ . يوحى تشابه مضمون القصتين، مع إختلاف بطليهما، على أن هذا النوع من القصص - كما يبدو - كان رائجاً بين الناس، وكان يحدث إسقاطاً لمضمون القصة على الفترات الزمنية المختلفة.

(٣) المطيب الزبيدي: بلوغ المرام. ق ٣٠ .

كان قبل وصوله إلى المحل المذكور [يقصد مدينة زبيد] كان غلاء وشدة في السعر، فزال ذلك ببركة قدومه، وحصل رخص في الطعام وغيره في تلك المدة، وقال كذلك "فحل ركابه السعيد بها [يقصد مدينة القاعدة] ولم يبال بما تشعث من جوانبها، وحصل بتلك الناحية عند قدومه المبارك من الرخص في الأسعار ما لا يعهد قبل ذلك" (١).

كما وصف المؤرخ الموزعي أن الرخص والخير الذي عم اليمن عند قدوم واليها جعفر باشا بقوله "ومن سعادات هذا الوزير وكراماته، عموم الأمن والأمان في إقليم اليمن والإيمان، وحصول الأمطار في جميع الأكناف والأقطار، وصلاح الغلات والثمار، وكثرة الأرزاق مع رخاء الأسعار [...] في إقليم اليمن كأنه جنة عدن" (٢). وذكر أيضاً أن ما حصل من رخص في مدينة تعز، كان من بركة الوالي سفر باشا بقوله "وطابت حينئذ مدينة تعز بقدوم ولي أمرها الأمير سفر، وحصل الخير والبركة لمن بدا وحضر، وتحرك فيها البيع والشراء، وحلت الخيرات" (٣).

ووصف أحمد بن فيروز أن ما حصل من رخص في اليمن سنة ٩٦٣هـ / ١٥٥٥م، كان من بركة الوالي مصطفى باشا بقوله "فتوجه (يقصد مصطفى باشا) من الديار الرومية إلى الديار اليمنية، وذلك سنة ثلاث وستين وتسعمائة، فوصل إلى اليمن في أحسن حال وأنعم بال، وفي جهات اليمن الكثير من الخصب وصلاح الثمار ورخص الأسعار ما لا يوجد ولا يوصف، وذلك ببركة نية الباشا مصطفى المذكور وقدومه المبارك" (٤).

وهكذا كان البحث عن السند الغيبي من أقوى الوسائل التي وظفتها القوى المتصارعة لخدمة أهدافها السياسية، خاصة وأن توظيف هذا النوع من الوسائل، كان الهدف من ورائه استثارة الحماس الديني (العاطفة الدينية) لدى العامة، فملازمة الكرامات والبركات لشخصية الزعماء السياسيين يعزز من مكانتهم وسلطتهم الدينية

(١) المطيب الزبيدي: بلوغ المرام، ق ٥، ١١.

(٢) عبد الصمد الموزعي: الإحسان، ص ٨٤.

(٣) نفس المصدر، ص ١٥٣.

(٤) أحمد بن فيروز: مطالع لنيران، ق ٢٣.

والروحية، ويصنع حولها هالة من القداسة، والتي بدورها تمنحهم المشروعية السياسية في الحكم.

كما أن تبني المؤرخين مسئولية نشر وترويج هذه الوسيلة كان من باب الحرب الدعائية، التي شنوها ضد خصومهم، في إطار توظيف الجانب الفكري في الصراعات السياسية، التي مثلوا فيها ركناً أساسياً.

توظيف الشعر

أحتل الشعر مكانة كبيرة عند العرب، فهو كما قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه " الشعر ديوان العرب". وتأتي أهمية توظيفه في القضايا السياسية، لما لكلماته المنمقة والحكيمة من قوة تأثير، إلى جانب سهولة حفظه، وتناقل الناس لأبياته، التي عادة ما تتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل و يضرب به المثل. وتتحول القصائد الجيدة منه - في كثير من الأحيان - إلى برهان تاريخي، أو بديل عن التاريخ^(١).

أدرك أرباب السياسة حقيقة الشعر ودوره كسلاح معنوي في وجه الخصوم، وكناشر يؤثر في توجهات الناس، وكسجل خالد لا يفنى، ما جعلهم يحرصون على توظيفه لتنفيذ توجهاتهم السياسية، ونشر آرائهم والدفاع عن شرعيتهم كما شنوا بواسطته حملات دعائية معادية ضد خصومهم السياسيين. فحين يرغب أولئك الساسة في نشر فكرة، أو قضية معينة بين الناس، يوعزون إلى شعرائهم بأن يتبنوا تلك القضايا، ويصوغونها في قصائد تتضمن تلك الأفكار في إطار فني محبب، بغرض النشر والتأثير على أوسع نطاق^(٢). ولا يعد الشعر السياسي شعر مديح، بل هو دفاع من جهة، وهجوم من جهة ثانية، دفاع عن فكرة أو نظرية تعتنقها جماعة أو فرقة من الفرق، وهجوم على خصومها ومن يفتقون في المعارضة لها. فهو أشبه ما يكون بالبيانات السياسية التي تصدرها جهات معينة تتبنى فيها قضاياها السياسية وتدافع عنها^(٣).

إن توظيف الشعر في الصراع السياسي ليس بالأمر الجديد، فقد كان الشعر يحتل مكانة كبيرة في الصراعات السياسية والدينية، خلال فترات التاريخ الإسلامي المختلفة. فقد وظف في أحداث الصراع الذي دار بين المسلمين والكفار في مراحل

(١) عبد الله البردوني : اليمز الجمهوري. دار الأندلس، (د.م)، ط الخامسة، ١٩٩٧م، ص ٩٧، ٩٨. عبد المجيد زراقط الشعر الأموي. ص ٧٢.

(٢) عبد المجيد زراقط: نفس المرجع. ص ٣٢، ص ٧٢.

(٣) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي. القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٦م، ج ٧، ص

الدعوة الإسلامية الأولى. حيث أخذ الكثير من شعراء قريش في نظم القصائد الهجائية التي تطعن في الإسلام، وفي شخصية النبي ﷺ، وجاء رد الرسول ﷺ على ذلك بتشجيع شعراء المسلمين على مناصرته بشعرهم بقوله "ما يمنع القوم الذين نصرُوا الرسول بسلاحهم، أن ينصروه بألسنتهم"^(١). وأمر حسان بن ثابت بهجائهم بقوله "أهجم فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام؛ أهجم مع جبريل روح القدس"^(٢).

٣ ٢ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

وقد اعتنى الخلفاء الأمويون بالشعر وجعلوه نصب أعينهم، حيث أوصى الخليفة معاوية بن أبي سفيان بني أمية بضرورة الاهتمام بالشعر بقوله "اجعلوا الشعر أكبر همكم، وأكثر دأبكم". كما وضع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وصية حذرت فيها بني أمية من التعرض للشعراء بقوله "يا بني أمية أحسابكم أعراضكم، لا تعرضوها على الجهال، فإن الدم باق ما بقي الدهر"^(٣).

وكان الشعر من الأسلحة التي وظفت خلال فترات الصراع السياسي، حول قضية الخلافة والحكم بين العلويين من جانب والأمويين والعباسيين من جانب آخر. وتزخر كتب التراث بالعديد من القصائد الشعرية التي عبر فيها الشعراء عن مواقفهم سواء المناصرة، أو المعارضة لهذا الطرف أو ذاك. وأمثلة ذلك ما نظمه الشاعر أبو

الأسود الدؤلي من شعر مدح فيه آل البيت خلال صراعهم مع بني أمية بقوله

أحب محمداً حباً شديداً	وعباساً وحمزة والوصايا
أحبهم لحب الله حتى	أجىء إذا بعثت على هوى
هوى أعطيته منذ أستدارات	رحى الإسلام لم يعدل سوياء ^(٤)
بنو عم النبي وأقربوه	أحب الناس كلهم إليا
فإن يك حبهم رشداً أصبه	ولست بمخطئ إن كان غيا ^(٥)

ونظم الشاعر عبد الله بن قيس بن أبي الرقيات قصيدة في مدح بني أمية قال فيها:

(١) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ج ٢، ص ٤٧.

(٢) عبد المجيد زراقت الشعر الأموي . ص ٢٨.

(٣) نفس المرجع . ص ٢٢، ص ٣١ .

(٤) لم يعدل سوياء : لا مثيل له.

(٥) شوقي ضيف: نفس المرجع. ص ٣١٨.

ما نقموا من بني أمية إلا
وأنهم معدن الملوك فلا
وأن الفنيق الذي أبوه أبو
خليفة الله فوق منبره
يعتدل التاج فوق مفرفه
أنهم يحلمون إن غضبوا
تصلح إلا عليهم العرب
العاصي عليه الوقار والحجب
جفت بذاك الأقلام والكتب
على جبين كأنه الذهب^(١)

وحت الشاعر أبو عطاء السندي بني هاشم على ترك موضوع الخلافة والألتفات
إلى شؤون معيشتهم بقوله:

بنو هاشم عودوا إلى نخلاتكم فقد قام سعر التمر صاعاً بدرهم
فإن قلت رهط النبي وقومه فإن النصارى رهط عيسى بن مريم^(٢)

وفي فترة الصراع العلوي - العباسي شارك الشعراء بالعديد من القصائد التي
عبرت عن موقفهم تجاه قضية استئثار بني العباس بأمر الخلافة دون العلويين.
ومنها قصيدة دعبل الخزاعي التي قال فيها:

ملامك في آل النبي فإنهم
فيارب زدني من يقيني بصيرة
ألم تر أني من ثلاثين حجة
أرى فيئهم في غيرهم متقسماً
ولولا الذي أرجوه في اليوم أو غد
خروج إمام لا محالة خارج
يميز فينا كل حق وباطل
أحبائي ما عاشوا وأهل ثقاتي
وزد حبهم يارب في حسناتي
أروح وأغدوا دائس الحسرات
وأيديهم من فيئهم صفرات
تقطع قلبي أثرهم حسرات
يقوم على أسم الله والبركات
ويجيزى على النعماء والنقمت^(٣)

(١) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي. ج ٢، ص ٢٩٩.

(٢) شوقي ضيف: نفس المرجع. ج ٣، ص ٣٤٠.

(٣) شوقي ضيف: نفس المرجع. ص ٣٢٠.

وعلى نفس المنوال دافع الشعراء عن أحقيه بني العباس في الخلافة والحكم، بحجة أن صلتهم بالنبي أقرب من صلة العلويين، فهم بذلك أحق بتولي الخلافة. ومن تلك القصائد التي عبرت عن هذا الموقف السياسي قصيدة أبان بن عبد الحميد اللاحقي التي قال فيها:

نشدت بحق الله من كان مسلماً	أعم بما قد قتلته العجم والعرب
أعم نبي الله أقرب زلفه	إليه أم أين العم في رتبة النسب
وأيهما أولى بسه وبعهده	ومن ذال له حق التسرّات بما وجب
فإن كان عباس أحق بتلكمو	وكان علي بعد ذاك على سبب
فأبناء عباس همو يرثونه	كما العم لابن العم في الأثر قد حجب ^(١)

انطلاقاً من ذلك الموروث الأدبي، بادر طرفا الصراع في اليمن "أئمة الزيدية - العثمانيون" إلى توظيف الشعر في أحداث الصراع الذي دار بينهم لخدمة قضاياهم السياسية، فقد كانت مسألة إكساب الحكم صفة الشرعية الدينية هي جوهر الصراع الذي دار بين الطرفين، التي من أجلها سعى كل طرف إلى إيجاد المسوغات لإثباتها، ووظفوا كل الوسائل الدعائية ومنها الشعر لتحقيق ذلك.

فكانت القصائد الشعرية سواء التي نظمها المؤرخون بأنفسهم، أو نظمها غيرهم، وأوردوها المؤرخون في مؤلفاتهم، تمثل إحدى الوسائل الدعائية، التي روجت مضامين الخطاب السياسي للقوى المتصارعة بشقيها المؤيد للعثمانيين، أو لأئمة الزيدية. كما شكلت في الوقت نفسه نموذجاً للصراع الفكري الذي كان يدور بين النخب المتنفذة، والتي سعوا من خلالها إلى نشر وترويج خطابات من انحازوا إليه. وشنوا من خلالها حملات دعائية على خصومهم السياسيين.

فقد عمل مؤرخو المعارضة على إيراد العديد من القصائد الشعرية، التي تظهر مساوئ العثمانيين، وأفعالهم القبيحة، وما يرتكبه من منكرات توجب الخروج عليهم وقتالهم - من وجهة نظرهم - واصفةً تلك الأعمال بأنها تعطل الشريعة الإسلامية، وأن من يقوم بها هم طغاة، بغاة، فسده. وتضمنت العديد منها دعوة صريحة لآل

(١) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٢، ص ١٢٥.

البيت للقيام بدورهم التاريخي في إحياء شريعة الله، ومحاربة الظلم، وإعادة الحق إلى نصابه. فاتضمنت بذلك إحدى مفردات الخطاب السياسي عند أئمة الزيدية، والمتمثل في مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظلم.

ومن القصائد التي عبرت عن هذه الأوضاع قصيدة العلامة حسام الدين صالح بن عبد الله الغرباني، نختار منها هذه الأبيات.

ضاع الوفاء وضاعت بعده الهيمُ	والدين ضاع وضاع المجد والكرمُ
والجور في الناس لا يخفى معالمه	والعدل من حوله الأستار والظلمُ
وكل من تابع الشيطان محترمُ	وكل من عبد الرحمن مهتضمُ
وليس تلقى بهذا الدهر مؤتمنا	في نصحه لك إلا وهو متهمُ
يشاهدون ضلالات بأعينهم	وإن تجلى لهم وجه الصواب عموا
الغدر والمكر والأضغان طبعهم	والزور والغى البهتان نطقهمُ
والزمر والطار والرنات دينهم	كذلك الرقص والتصفيق والنغمُ
أحكامهم في أمور الدين منبعها	أراؤهم وكتاب الله بينهمُ
كأن آل رسول الله عندهم	لم يفرض الله في القرآن ودهمُ
لم يعرفون لهم حقاً بلى عرفوا	لكنهم تركوا الحق الذي علموا
إن صالحوا نقضوا أو عاهدوا نكثوا	أو ناصحوا خدعوا أو عوملوا ظلموا
وجملة الأمر أن القوم ليس لهم	على الحقيقة لا عهد ولا ذمم ^(١) .

وله أيضاً

يا سيدي يا أمير المؤمنين ويا	من شأن همته تدنو لها الهيمُ
كيف البقاء وأهل البغي في دعة	ونار جورهم في الأرض تضطرمُ
أليس ذكرهم أوهى قواعدهم	فبعد عزمكم لا شك تنهزم
فاصدع بأمرك إن الهيم منفرج	على يدك وحبل الجور منصرم ^(٢)

(١) المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٤١٠ - ٤١١.

(٢) أحمد الشرفي: الألكي المضينة. ج ٣، ق ٢١٩.

ومنها أيضاً قصيدة العلامة عز الدين محمد بن علي الشكايزي، التي وصفت تلك الأوضاع. نختار منها هذه الأبيات.

بشرى لنا أهل البيت بشرانا
فالحمد لله أسراراً وإعلاناً
من بعد يأس وقد كانت معطلة
والمنكرات على الأشهاد قد ظهرت
والقتل والصلب والتخزيق قد فعلوا
كذا الربا والزنا الخمر قد شربوا
والمرد في حلة النسوان قد شادوا
قد عمموا بمناديل لها هدبٌ
على قلانس فوق الروس تحسبها
والجاهل النذل يأتي كل مخزبة
والعالم الحبر لا تبدوا مسائله
والشرع قد طمست أعلامه فبقوا
قاضي الشريعة عالج ماله ثقة
يقضي بجهل لمن رشا ولوا كذبوا
تالله ماملة جاءت بذا أبدا
وأتى من عنى كفراً وزندقة

قد أدبر العسر حين اليسر فاجانا
حمداً يكون رضى الله سبحانه
معالم الدين والعصيان أفنانا
لا يستطاع لها رداً وكتماناً
وشحن الجلد بعد السلخ أتبانا
جهداً وباعوه في الأسواق أدنانا
عليهم من رفيع القر قمصانا
من الحرير وفيه الصبغ ألوانا
من كثرة الذهب المحبوك تيجانا
بين العوالم في الأسواق إعلانا
خوفاً كأن إكتساب العلم عصيانا
كل الخلايق بعد الطمس عميانا
دان على الدن لا ينفك سكرانا
شهوده وأدعى زوراً وبهتاناً
ولا حكموه لفرعون وهاماناً
كمثلة لا ولا من يعبد أوثاناً^(١).

ووجه الشعراء دعوات تحريضية من خلال هذه القصائد، إلى أهل العلم، أو من يختص بقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لإقامة العدل ومحاربة الطغيان، والبغي والفساد الذي يعم البلاد جراء حكم العثمانيين، موجّهين بذلك دعوات صريحة لآل البيت للقيام بتلك المهمة.

ومن تلك القصائد قصيدة الحسن بن حمزة بن علي، والتي وجه فيها الدعوة لآل البيت للقيام بأمر الدعوة، نختار هذه الأبيات.

(١) مؤرخ مجهول: تاريخ دولة الترك. ق ٦، المطهر الجرزموزي: النذرة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٥١٢.

والعلم تاه وباهما الجهل واللعب
 بدا غريباً فهاهو الآن مغترب
 حبر كريم عظيم حاني حذب
 ويمنح الوفر والمعروف إن طلبوا
 أما يقومون فيه بالذي يجب
 ما عذره في سكوت ماله سبباً
 إما نفاهم وإما أنهم غلبوا
 وما عليه إذا لم يفهم عتباً
 كما عضدناه في الأولى وقد وثبوا
 أئمة الكفر ما حادوا وما نكبوا
 والظلم والبغي جهراً ليس يحتجب
 والكفر بينكم والظلم يرتكب
 وبعضكم قال أخشى يلحق الأدب
 حتى يسزول ودين الله ينتصب
 وأبشروا بعذاب ماله عقباً
 ضيعتموها وأنتم سادة نجب^(٢)

الدين ضاع وضاهى الكفر والنصب
 وأصبح الدين في الدنيا كأولسه
 فهل يؤنسه منهم ويجذبه
 يدعوا إلى سبيل الخيرات إن رغبوا
 فقل لأعيان هذا الوقت كلهم
 فيسذكرون لمولانا وقائنا
 هلا أثار على الكفار فتنته
 يقوم بحربهم من كل ناحية
 ونحن يأناس والرحمن نعضده
 كذا أئمتنا لا قوا بأنفسهم
 فيا أولي العلم هذا الكفر بينكم
 أما تخافون ربي من سكوتكم
 ما بال بعضكم قد قال^(١) في ملل
 إن لم تقوموا على هذا بأجمعكم
 فويلكم يا حماة الدين ويلكم
 ما خصم سنة خير الرسل غيركم

كما وجهت قصائد تحريضية تدعو القبائل إلى محاربة العثمانيين، نختار منها بعض
 الأبيات من قصيدة العلامة عز الدين محمد بن علي الشكايزي. والتي دعا فيها القبائل
 إلى مساندة الإمام القاسم.

أين القبائل من بدو ومن حضر
 هم الأسود أسود الحرب ما قصدوا
 كحاشد^(٢) وبكيل^(٤) ثم خولانا^(٥)
 طاغ فأبقسوا له في الأرض إكنا

(١) قال: هنا بمعنى القبيلة.

(٢) أحمد الشرفي: اللائح المضينة. ج ٣، ص ١١٩.

(٣) حاشد: إحدى أكبر القبائل اليمنية وتمتد من صنعاء إلى بلاد صعدة في الشمال. إبراهيم المقحفي. معجم
 البلدان. ج ١، ص ٣٨٩.

(٤) بكيل: إحدى أشهر قبائل اليمنية وتتقسم إلى أربعة فروع، أرحب، نهم، مرهبة، شاعر. إبراهيم المقحفي.
 نفس المرجع. ص ١٩١.

(٥) خولان: من القبائل اليمنية المشهورة. إبراهيم المقحفي. نفس المرجع. ص ٥٨٧.

أبطالهم في ظلام الليل ما رقدوا
أيا قبائل لا تعصوا الإمام ومن
فقد دعاكم لما تحيوا به أبدا
دعا إلى الله في وقت قد انطمست
ولا برح غازي الأتراك سهرانا
ولي عليكم أطعمتم ذلك إعلانا
وتستحقوا من الرحمن رضوانا
فيه الحقوق كأن الدين ما كانا^(١)

ومن القصائد التحريضية التي دعت القبائل إلى مساندة الإمام القاسم، قصيدة

العلامة صالح بن عبدالله الغربياني، نختار منها هذه الأبيات.

ألا هل إلى نيل العُلا من يساعد
وهل بقيت في المسلمين حمية
أفيقوا عباد الله من غشواتكم
إمامكم المنصور قد أهدقت به
ترون سحاب الروميات وبرقها
وأنتم وقوف فسي البيوت كأنكم
أترضون هذا على إمام زمانكم
وهل لحسام المجد كف وساعد
إذا هي قد ذلت بكيل وحاشد
فليس سواء قاعسد ومجاهد
طوائف أهل البغي كيف التقاعد
وما برحت منها تحن الرواعد
بهائم ترعى أو نساء قواعد
وفيكم على عهدي حماة أمجد^(٢)

وإلى جانب ما ورد عند مؤرخي المعارضة من قصائد تبين مساوي
العثمانيين، ووجوب الخروج عليهم. فإن إظهار مكانة آل البيت، ودور أئمتهم في
إقامة الدين، وأحقيتهم في الإمامة، كانت أهم القضايا التي عمل المؤرخون على
إبرازها من خلال القصائد الشعرية التي دونوها في مؤلفاتهم التاريخية.

حيث أوردوا العديد من القصائد التي تظهر مكانة آل البيت الدينية
والاجتماعية، وبما أختصهم الله من شرف النسب، كونهم من سلالة البيت النبوي،
مبينين فيها وجوب محبتهم، والتعاطف معهم، لنيل رضى الله وشفاعة نبيه يوم
الحساب. ومن تلك القصائد التي عبرت عن هذه المكانة، قصيد العلامة صلاح بن
عبد الخالق الجحافي التي مدح فيها آل القاسم بقوله:

لهم فوق كل الناس عز ورفعة
أبوهم إذا الأباء تذكرها هاشم
فما أن يساوي بحرهم أبدا بحر
وعبد مناف حين ينمون والنضر

(١) المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٥١٥.

(٢) أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة. ج ٣، ق ٢٩٨.

وأقربهم عهداً من القاسم الذي
 أقام على الأعداء يوم قيامة
 إلى أن محى من حارب الدين كلهم
 فهذ مساعيتهم وهذي صفاتهم
 أولئك سادات كرام وشيعة
 لهم همم من دونها البر والبحر
 ولم بخل من رايات عسكره قطر
 وأفتنهم الأقياد والقتل والأسر
 فلا يكون في أذنيك عن سمعها وقر
 يطيب لهم أن يذكروا في الملا نشر^(١)

ومن تلك القصائد أيضاً قصيدة صارم الدين إبراهيم بن عامر بن علي، نختار
 منها هذه الأبيات.

وحبهم للدين كهف ومعقل
 وهم حبهم يوم القيامة راجح
 وهم بغضهم يوم القيامة مانع
 أبوهم رسول الله سيد خلقه
 وجدهم خير الوصيين كلهم
 وما قيل فيهم كان قولاً مصدقاً
 يتم به الإحسان من كل ما أتبرا
 إذا سأل الله العباد وكررا
 شفاعة خير المرسلين من الوري
 فإن لهم حقاً بهذا لمفخرا
 وأمهم الزهرا التي قد تخيرا
 إذا قيل في قوم سوهم لقد فرا^(٢)

وأوردا أيضاً قصائد بينوا فيها دور ائمة آل البيت في القيام بأمر الدعوة،
 وتحمل أعبائها، وما يبذلوه من جهود في الذود عن حياض الدين، وتجديد معالمه،
 ومحابتهم للظلم، والبدع، والضلالات.

منها قصيدة العلامة محمد بن عبد الله الحوثي في مدح الإمام القاسم.

وعد عن ذات اللما تغزلا
 القائم المنصور حقاً من غدى
 خليفة الله الإمام المنتضي
 فهو الذي أيقظ دين المصطفى
 وهو الذي أحيا رسوماً قد عفت
 أطلع شمساً للهدى منيرة
 وأذكر امير المؤمنين قاسما
 لمادة الجهل البسيط حاسماً
 سيفاً على هام العداصارما
 من رقدة وكان قبل نائما
 من ديننا وانهض المكارما
 وكان ليل الغي ليلاً قائما

(١) المطير الجرهمزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك الثور. ص ٤٥٠ - ٤٥١ :

(٢) نفس المصدر. ص ١٠٠٦.

نفى الضلال بالضياء والهدى من بعد ما قد كان جواً قاتماً
فكم زوى عن السورى مظالمأ وكم محى عن كهلهم مآثماً^(١)

ومن تلك القصائد ايضاً قصيدة علي بن حسين المسوري في مدح الإمام محمد بن القاسم.

وأقسم لولا انت لم يك للهدى نصير ولا للدين في النلس عضدُ
ولا للسورى راع بحق ولا لما تهدم من دار المكارم شائدُ
تحملت أعباء الإمامة بعد ما جرى ما جرى والموت للخلق حصدُ
وقمت بأمر لو تحمل مثله الجبال لذابت من نراها الجلامدُ
وأدحرت شيطان الضلال بدعوة لها نل نو بغى وأرغم حسدُ
وعز بها الدين الحنيف وأطدت بها منه من بعد انهيار معاهد^(٢)

ومنها أيضاً قصيدة وردت في كتاب تاريخ دولة الترك في اليمن، نظمها صاحبها في مدح الإمام القاسم، ونختار منها هذه الأبيات.

فما في السابقين له نظيرُ ولا في أهل دهر نحن فيهُ
رأه الله أهلاً للمعاني فقدمه الزمان على بنيه
وجدد الدين حتى لاح كوكبه للناظرين فطراه وأطراه
فالدين والملك والقوم قاطبة راضون عن سعيه والله والله^(٣)

كما أوردوا قصائد بينوا من خلالها أحقية آل البيت في الإمامة والحكم، وخاطبواهم بألقاب الخلافة، وأكدوا فيها أن منازعتهم ومحاربتهم عليها هو تعدٍ على حقوقهم المكتسبة.

ومن تلك القصائد، نختار بعض الأبيات التي وردت في مؤلفات مؤرخيهم، منها ما ورد عند المؤرخ الزريقي، والتي تخاطب الإمام شرف الدين بصفته خليفة الله.

(١) المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٣٤٠.

(٢) المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق/ أمة الملك الثور. ص ٢٣٩.

(٣) مؤرخ مجهول: تاريخ دولة الترك. ق ٢٦.

الذي نصر الدين الحنيف وأبدا
على أهله سيفاً مجرداً^(١)

خليفة رب العرش في أرضه
ودمر أحزاب الضلال ولم يزل

وعنده أيضاً

للفرق بين شكوره وكفوره
وقضت بأن الرشيد في توفيره
منذ كان خير سفيره^(٢)

هو حجة الله العظيم على الوري
وعلى خلافته البرية أجمعت
قله يد بيضاء اسداها على الإسلام

ومن تلك القصائد أيضاً قصيدة وجيه الدين المهدي بن محمد بن المهلا الشرفي، والتي نظمها في مدح الإمام محمد بن القاسم بن محمد، ونختار منها هذه الأبيات.

بدا واحد منكم مطالعة الفجر
وما منكم إلا إمام له الأمر
صليح بأمر الله أيامه زهر
خليفة رب العالمين هو البدر
وما ثوب^(٣) الداعي وما طلع الفجر
وجدهم المختار ما تلى الذكر^(٤)

فأنتم نجوم المجد إن غاب واحد
فما منكم إلا رئيس مُملك
لئن غاب منكم سيد قام سيّد
ففيكم أمير المؤمنين محمد
عليه سلام الله ما هبت الصبا
وآل كرام كم لهم من فضائل

ومنها أيضاً قصيدة نظمها الفقيه رضي الدين أبو بكر بن عبدالله الشافعي الحضرمي في مدح آل القاسم، نختار منها هذه الأبيات.

أصل التقى وذخيرة المتزود
وسواكم أخذ الخلافة معندي
أبدأ ولا يرضى لكل موحد
ركب الفساد مجاهراً بتعمد^(٥)

أنتم مصابيح الدجى سفن النجا
وعقيدتي أن الإمامة فيكم
والله لا يرضى القبيح لنفسه
والله ما خلق الفساد سوى الذي

(١) الحسن الزريقي : سيرة الإمام الحسن. ق ١٧٦

(٢) نفس المصدر. ق ٢٢٨.

(٣) ثوب : دعا إلى الصلاة. المرتضى الزبيدي. ج ١، ص ٣٤٢.

(٤) المطهر الجرموزي الجوهرة المنيرة. تحقيق / أمة الملك الثور، ص ١٠١٩، ١٠٢٠.

(٥) المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص ٨٨٣.

إن تلك الأبيات الشعرية التي أختارها الباحث، ما هي إلا نموذج للقصائد الشعرية التي وظفها أئمة الزيدية في صراعمهم السياسي مع العثمانيين، وعمل مؤرخيهم على نشرها في مؤلفاتهم التاريخية، والتي عبرت عن مفردات خطابهم السياسي في ذلك الصراع.

ومثلما زخرت مؤلفات مؤرخي المعارضة بمثل هذه القصائد، فإن مؤلفات مؤرخي السلطة لم تكن أقل شأنًا في هذا الجانب، حيث وردت في مؤلفاتهم العديد من القصائد التي تناولت فيها مكانة الدولة العثمانية، التي كانت في نظرهم تمثل امتداداً للخلافة الإسلامية، وحملت القصائد الشعرية تلك مضمون هذا التوجه، فخاطبت السلاطين بلقب الخلفاء، وأطلقت على الدولة العثمانية تسميات ذات مدلول ديني، فهي دولة الخلافة الإسلامية، دولة الجهاد حامية الإسلام. ويصعب بمكان أجمال تلك القصائد وحصرها، ونكتفي ببعض الأبيات الشعرية التي توضح الفكرة، والتي وردت في مؤلفات المؤرخين. منها هذه الأبيات التي وردت عند المؤرخ عبد الله بن داعر في مدح الدولة العثمانية:

هذه دولة المكارم والفخر	وكسا العُلا وأنس الأنام
هذه دولة المحامد والحمد	ونشر الثنا وطي أعلام
هذه دولة الأقيال	والفتح وأجتياح الطغام
من له دولة التواصل والبر	ورفع الكرام فوق اللئام
من له دولة الخلافة والعز	مراد الله خافق الأعلام
طلعت شمسها فأشرقّت الأرض	وكنا من قبل في إظلام ^(١)

وأورد في مدح السلاطين العثمانيين هذه الأبيات

سلطاننا الأعظم الخاقان من شرف	الخلافة في سرّ وإعلان
أحيا به الله ما قد مات من كرم	ومن وفاء ومن عدل وإحسان

(١) عبد الله بن داعر : الفتوحات المرابية. ج ٢ ، ص ٣.

وحاط سنة خير المرسلين به
كأنه كوكب يهدي السراة به
ورد ما فاتت من أمر إيمان
طرق الرشاد ويرمي كل شيطان^(١)

وورد عنده أيضاً

فهم شمس ليس تافل دائماً
وهم نجوم للهدى أراوهم (أرائهم)
لهم المقانب والكتايب والنداء
وهم بدور مالهن سواء سماء
وسيفوهم شهب لها استسعار
والمجد والايراد والاصدار^(٢)

كما مدح السلطان مراد الرابع بهذه الأبيات.

أنته الخلافة منقادة تجري إليه على أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
فلورامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها^(٣)

ولم يكتف المؤرخون بتدوين القوائد الشعرية التي تظهر الدولة العثمانية بمظهر دولة الخلافة الإسلامية فحسب، بل أنهم أوردوا قصائد تصف الخروج عليها بأنه نوع من العصيان، والفساد في الأرض، واصفة كل من يخرج ويتمرد عليها بأوصاف ذات مدلول فقهي وحكم شرعي تخرج صاحبها من الملة الإسلامية.

ومن تلك القوائد التي تبنت هذه الأفكار، ما ورد عند المؤرخ عبد الله بن داعر في ذم الخارجين على الدولة العثمانية، نختار منها هذه الأبيات.

كأنه ذكر مولانا ومالكنا
حامي حمى الدين حيف الملحدين
جم المعان مولى كل سلطان
مبيد المفسدين عظيم القدر والشأن^(٤)

وورد عنده أيضاً

بروق النصر لاح لها إبتسام
أنار لنورها يمن وشام

(١) عبد الله بن داعر : الفتوحات المرادية. ج ٢ ، ص ٢٥ .

(٢) نفس المصدر. ج ١ ، ص ١٦ .

(٣) نفس المصدر. ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٤) نفس المصدر. ج ٢ ، ص ٢٥ .

وشمس السعد والإقبال لاحت
بعون الله لنا كل سؤل
أزلنا المارقين وكل باغ
وذكر صاحب كتاب التيجان أبيات على ذلك النحو في وصف حروب عثمان باشا
على الزيدية بقولة

من غير أمهال ولا تحادي
يرعب أهل الزيغ والفساد
صار بالإبراق والإرعاد
عصابة العصيان والإفساد^(١)

وورد عنده أبيات تصف حروب سنان باشا على المطهر، نختار منها.

فسار مولانا الوزير عاني
مشتماً بالعدل والإحسان
يقتل أهل البغي والعدوان
في أكمل الأوصاف والمعاني
مشمراً في طاعة السلطان
فحط في قاعدة بالعاني^(٢)

كما ورد عند المؤرخ عيسى بن نطف الله أبيات شعر تصف أتباع الإمام القاسم
بالخارجين عن طاعة السلطان.

أما محمد الباشا الوزير أعادته
وكم كتائب نحو الخارجين عن
وكم عساكر هياها لحربهم
نفوس فأصمت وهي مرنان
الطاعات لم يحصها عدّ وحسيان
ملائك النصر فيما شاء أعوان^(٣)

إن نعت القصائد لكل من عادى العثمانيين، وأعلن الحرب عليهم، بأنهم بغاة،
عصاة، مفسدون، كان نتيجة الانطباع العام الذي ساد لدى المؤرخين وناظمي هذه
القصائد عن الدولة العثمانية ومكانتها الدينية. حيث نظروا إليها على أنها دولة
خيرية، وتسعى في صلاح الأمة، وتثبيت دعائم الدين. وأن اليمن في ظل حكمها في
أمن واستقرار، ورخاء وعدل. وأن إعلان بعض الأطراف في اليمن الحرب عليها
في ظل هذه الأوضاع ما هو إلا إنكار للجميل، ونوع من البغي والإفساد.

(١) عبد الله بن داعر : الفتوحات المرادية. ج ٢ ، ق ٣١ .

(٢) مؤرخ مجهول : التيجان الوافرة الثمن . ق ١٠ .

(٣) مؤرخ مجهول : نفس المصدر . ق ١٣ .

(٤) عيسى بن لطف الله : روح الروح . نشر / إبراهيم المقضي ، ص ٣٠٤ .

وقد تجلى هذا التوجه في العديد من القصائد الشعرية، التي نظمت في مدح
الولاة العثمانيين في اليمن، وما تتعم به اليمن من خير، ورخاء، وعدل، وأمن،
واستقرار في ظل حكمهم.

ومن هذه القصائد نختار بعض الأبيات التي وردت عند المؤرخ الموزعي في
مدح سفر باشا.

جاءت بتأييد لمولانا سفرُ	خلع السعادة والسيادة والظفرُ
بين الأنعام مناقب فيها اشتهر	أعني الأمير البيك من ظهرت له
وبحسن تدبير ورأي معتبر	فتح البلاد جميعها بشجاعة
من بعد أن كانت كنار تستعر	حتى أطاعت سهلسها وجبالها
وحسامه يرمي الأعادي بالشرر ^(١)	فأتى وأطفأ نارها بحسامه

كما مدح محمد بن سنان باشا بالأبيات الآتية:

وهو الكريم بن الكريم بلا مرا	فهو السنان بن السنان بلا خفا
أو جاء يوم الحرب كان غضنقرا	أن جاء يوم السلم كان غمامة
والشبل ليث إن أردت المخبرا	لكن شبل الأسد مثل أسودها
عن أن يجئن بمثله بين العرى ^(٢)	عقمت نساء العالمين جميعها

وورد عند المؤرخ عيسى بن لطف الله أبيات في مدح الأمير محمد باشا منها

ووفى به من نعمة للورى كبرى	سل الدهر ما هداه للناس من بشرى
وألبيه دين الهدى حلاً خضرا	وما نشرت أيامه من مطارف
ومن مكرمات شرقت أرضنا قدرا	ما واصل الإسلام فيه من الهنا
محمد باشا يقدم السعد والنصرا	من خبر وافا به عن محمد
قدوماً وأسرى الروح فينبأ أسرى ^(٣)	ملكنا به كل نعمة

ومدح المؤرخ المطيب الزبيدي بهرام باشا بالعديد من القصائد منها.

هو المقام الكريم القرم ملجانا	ملاذنا حسن الأخلاق والشيم
-------------------------------	---------------------------

(١) عبد الصمد الموزعي : الأحسان - ص ١٣٨ .

(٢) عبد الصمد الموزعي : المصدر نفسه. ص ١٠٨ .

(٣) عيسى بن لطف الله : روح الروح . نشر / إبراهيم المقحفي، ص ٢٩٦، ٢٩٧ .

الفراس البطل اللبث الهمام إذا
إن جاد أغنى الملا أو ذاد يوم وعا
وإن سرى فوق طرف خلته أسداً
شكراً له من جواد ما أمتطى فخطا

وقوله في نحو ذلك

ملكك البلاد بقهر وعز
وشردت من ظن أن قد ثوى
وأشرق بالبشر وجه الزمان
ولما ثويت تعز أسمت
ومهدت ما عاث في سوحها

وأورد المؤرخ عبد الله بن داعر أبياتاً شعرية تصف إعادة بناء مدينة عمران.
نختار منها.

رنا تصدعت الأشبال في الأجم
أفنى بسمر القنا من شاء من أمم
من فوق صقر أتى الأعداء بالنقم
إلا وأسرع يقفوا إثر منهزم^(١)

وخفضت من مال فيها لنشز
معاقل عز وما عنه تجزى
وماس سروراً بعطف وهز
وذل المناوي أسى عن تعز
بييض رقاق وإحكام وجز^(٢)

أيها الناس والقبائل طرا
كان يكفركم العبيادة لهما
عمروها في أربعين نهارة
لو عقلتكم وعرفتكم بهذا

ووردت عنده أبيات في مدح الوالي العثماني حسن باشا منها

أيّد الله مريع الإيمان
وأدام الفتوح والغزو والنصر
ملا القطر عدله فهي أمن
نال بالسعد كلما يشتهي
عمر الأرض عدله فلهذا
خلد الله فخره وعلاه

وعلا ركنه على الأركان
لوزير الخليفة العثماني
وأباد العدا بحد يماني
بأختصاص المهيمن المنان
سره قد سرى بكل مكان
وحماه بحق أي المثاني^(٣)

(١) المطيب الزبيدي : بلوغ المرام . ق ١١ .

(٢) المصدر نفسه . ق ١٠ .

(٣) عبد الله بن داعر : الفتوحات المرادية . ج ٢ ، ق ١١١ .

(٤) المصدر نفسه . ج ١ ، ق ١٢ .

وورد عند صاحب كتاب التيجان أبيات شعرية تصف ما عم اليمن من رخاء في عهد رضوان باشا.

وعمرّ الدور وشاد الأركان
وصار كل ظالم في خسران
فأعلنوا من حمدهم للرحمن
ووضاء كل مسكن بالسكان^(١)
فعدت البلاد مثل البستان
أما الرعايا حظهم في رجحان

إن القصائد الشعرية التي أنشأها الشعراء، ووردت في المصنفات التاريخية، تتضمن مواقف سياسية، وهذه المواقف ربما هي مواقف الشعراء أنفسهم تجاه هذه الأحداث، وعبروا عنها بهذه القصائد، أو قد تكون مواقف مملاة عليهم، عمل من خلالها أرباب السياسة على الاستفادة من هذا الفن وإقحامه في مجريات الصراع السياسي، بهدف التأثير في الرأي العام، لما للشعر من قوة تأثير كما أشرنا في بداية الفصل.

(١) مؤرخ مجهول: التيجان الوافرة الثمن، قس ١.

الخاتمة

يتضح بعد استكمال فصول الدراسة أن الظروف التاريخية التي مرت بها منطقة المشرق العربي في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي جعلت الدولة العثمانية تحتل مكانة سياسية مرموقة، وذلك بعد أن تحملت مسئولية حماية البحر الأحمر، والأماكن المقدسة في مكة والمدينة، من خطر البرتغالي. فقد تعامل العلماء وكثير من الحكام مع الدولة العثمانية على أنها دولة الخلافة الإسلامية، وخطبوا سلاطينها بلقب الخليفة، أطلقوا عليها العديد من التسميات التي تدل على تلك المكانة.

وإن وصول العثمانيين إلى اليمن كان في إطار الخطة الجهادية التي تبنتها الدولة العثمانية لمواجهة ذلك الخطر، وأن القوى السياسية في اليمن بصفة عامة رحبت بذلك الوصول. وما وقع من صراع بين العثمانيين و أئمة الزيدية كان له ظروفه الخاصة، وذلك بعد أن توغل العثمانيون في مناطق حكم الإمام شرف الدين، لإسباب سياسية واقتصادية، وشكل توغلهم تهديداً لنفوذ الإمامة، وهو ما دفع الإمام شرف الدين وأبنائه ومن آل القاسم إلى الدخول في صراع ضد الحكم العثماني أستمتر قرابة قرن من الزمان.

ورأينا في فصول هذه الدراسة كيف مر هذا الصراع بمراحل مختلفة، وكيف عمل الطرفان على الخروج من المأزق الديني كونهما مسلمان والحرب بينهم محرمة شرعاً، حيث تبني الطرفان شعارات وخطابات ذات مضامين سياسية ودينية لمحاولة تبرير تلك الحروب، وإيجاد المصوغات الدينية التي تظهر مدى التزام كل طرف بأحكام الشريعة الإسلامية، وتنفيذه للإرادة الإلهية، وفي الوقت نفسه نفي صفة الإسلام عن خصمه، وإظهاره بمظهر المخالف لأحكام الشريعة، ليتسنى له إعلان حق الجهاد ضده.

هذا الوضع الجديد للصراع دفع طرفيه إلى العودة إلى الموروث المتباين في الفقه السياسي الإسلامي، ليتخذ منه هذا الطرف، أو ذاك قاعدة له في بناء خطابه السياسي.

فأخذ أئمة الزيدية من موروث الفقه السياسي الزيدي، قاعدة لهم في بناء خطابهم السياسي، بما يحمله من ثوابت ومبادئ سواء ما يتعلق منها بأصول الدين، أو بشروط الإمامة، حيث أستثمروا بعض مبادئ ذلك الفكر، وصيروا منها ركائز أساسية في خطابهم الذي بنوا دعوتهم الدينية والسياسية عليه، بما يتوافق وظروف الصراع آنذاك. فكان مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أول تلك المبادئ التي أنطلقوا منها في صراعهم مع العثمانيين، وثاني تلك المنطلقات كان مبدأ اثبات أحقية آل البيت في الإمامة وتولي الحكم، وثالثها كان وجوب الخروج على العثمانيين، وجهادهم لأقامة العدل.

في حين تركز فكر وتوجه العثمانيين في محاور أو مبادئ أساسية تقوم على فكرة وجوب طاعة السلطان وعدم الخروج عليه، وأن الخروج يمثل بغي، وشق لعصى المسلمين، كما انه نوع من الفتنة التي يتوجب على صاحب الأمر محاربتها والقضاء عليها، ونظروا إلى أن أعمال ائمة الزيدية العسكرية ضدهم هي نوع من الفتنة، وأن الأئمة عصاة بغاة فسدة يجب محاربتهم.

وانطلاقاً من هذه الوضعية الجديدة عمل كل طرف على إشراك القلم إلى جانب السيف، وذلك حين شجعوا العلماء وخاصة المؤرخين إلى الدخول في معمعة أحداث الصراع لما يملكونه من قدرات علمية يستطيعون من خلالها إعادة ضياغة الادعاءات السياسية بتعابير دينية، تضيف نوعاً من الشرعية على الأعمال السياسية والعسكرية لكل طرف وتتفي عن الطرف الآخر شرعية ما يقوم به، ترتب على ذلك ظهور فئتين من المؤرخين، فئة ساندت العثمانيين " مؤرخي السلطة" وأخرى ساندت أئمة الزيدية " مؤرخي المعارضة" ولعبت العوامل الاجتماعية، والمذهبية، وكذلك الظروف السياسية التي مرت بها مراحل الصراع دوراً كبيراً في تحيز المؤرخين إلى كلا الطرفين.

ولم يكن غريباً أن يشترك المؤرخون في أحداث الصراع السياسي والفكري، فهم يمثلون جزءاً رئيسياً من تركيبة التيارين المتصارعين، وكانوا بمثابة وسائل الإعلام في وقتنا الراهن، خاصة وأن كثيراً منهم كانوا موظفين رسميين لدى القوى المتصارعة، وكتبوا مصنفاتهم التاريخية إما بطلب منهم، أو نتيجة انسجام مواقفهم وتوجهاتهم السياسية والمذهبية والسلالية مع مضامين الخطابات السياسية التي تبنتها

تلك القوى، فحملت مؤلفاتهم التاريخية صفة رسمية، وكان إسهامهم في الصراع الفكري جزءاً من عملهم، وتلبية لتوجهات أطراف الصراع، حيث حملوا على عاتقهم مسئولية نشر الخطاب السياسي والفكري للطرف الذي انحازوا إليه في مؤلفاتهم التاريخية، وشنوا في الوقت نفسه حملة دعائية ضد خصومهم السياسيين.

وقد دون مؤرخو السلطة والمعارضة أحداث تلك المرحلة من وجهات نظر متباينة. وكانت مؤلفاتهم بمثابة وعاء أستوعب خطابات القوى المتصارعة، وتجسدت فيها صور الصراع ووسائله المختلفة، وتبلورت فيها أوراق اللعبة السياسية التي راهنت القوى المتصارعة عليها لتحقيق أهدافها السياسية.

ومن خلال تلك المؤلفات نجد أن الصراع حدث بين الطرفين، عندما عملت الدولة العثمانية على مد نفوذها وتوسيع ممتلكاتها في اليمن، في إطار التوجه العام الذي تبنته تجاه الأقاليم الإسلامية لأسباب سياسية واقتصادية، وشكل ذلك التوسع تهديداً لطموح أئمة الزيدية في إقامة الدولة الزيدية في اليمن. فأصطدمت مصالح الطرفين ودخلا في صراع سياسي وفكري، ووظفا فيه الوسائل المختلفة من أسانيد دينية، ومرويات، وأشعار بهدف إيجاد الشرعية الدينية لتلك الحروب السياسية وصبغها بالصبغة الدينية.

فقد عمل الطرفان على العودة إلى النصوص الدينية "القرآن لكريم"، الحديث النبوي، والموروث الفقهي، لانتقاء وتأويل ما يتوافق منها — من وجهة نظرهم — مع خطابهم السياسي الذي تبناه، لإيجاد السند الديني لتدعيم وإثبات شرعيتهم. وسعوا من وراء ذلك إلى مخاطبة أهل العلم "النخب المثقفة" في المجتمع، التي يصعب إقناعها بشرعية هذا الطرف أو ذلك، وكسب تأييدها إلا بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة.

وكانت الحكايات والقصص الغريبة التي لعبت قوى ما وراء الطبيعة أدوراً رئيسة فيها، من الوسائل التي أعتنت بها القوى المتصارعة، تجلّى ذلك بما ورد منها في كتابات المؤرخين، فقد لجأت تلك القوى إلى توظيف هذه الوسيلة وشجعت الرواة — بطريقة أو بأخرى — على نشرها، كنوع من الحرب الدعائية لتعزيز موقفها السياسي. وسعت من وراء ذلك التوظيف إلى استغلال البعد الديني الذي أحيط بتلك

المرويات في إضفاء نوع من القداسة على شخصيات من نسجت حولهم، وتأكيد وقوف المشيئة الإلهية إلى جانبهم. بهدف تأكيد شرعيته وكسب الأنصار إلى جانبه. كما عمل الطرفان على توظيف الشعر في أحداث الصراع الذي دار بينهم لخدمة قضاياهم السياسية، فكانت القصائد الشعرية سواء التي نظمها المؤرخون بأنفسهم، أو نظمها غيرهم، وأوردتها المؤرخون في مؤلفاتهم، تمثل إحدى الوسائل الدعائية، التي روجت مضامين الخطاب السياسي للقوى المتصارعة بشقيها المؤيد للعثمانيين، أو لأئمة الزيدية. كما شكلت في الوقت نفسه نموذجاً للصراع الفكري الذي كان يدور بين النخب المثقفة، والتي سعوا من خلالها إلى نشر وترويج خطابات من انحازوا إليه. وشنوا من خلالها حملات دعائية على خصومهم السياسيين.

إن تدوين المؤرخين لتلك الوسائل في مؤلفاتهم التاريخية، وإن لم تكن أغلبها من صياغتهم وخيالهم ونظمهم، إلا أن اتفاق مضمونها مع توجهاتهم السياسية والفكرية هو ما دفعهم لنشرها، كما يحكي في الوقت نفسه قوة الصراع وأهمية تلك الوسائل في تجميع الأنصار، وانها أصبحت جزء من الأحداث الدائر حينها، ولولا أهميتها وقوة تأثيرها ما دونها المؤرخين.

وتجلت في كتابات المؤرخين درجة تفاوت ذلك التوظيف، إذ بدا واضحاً اعتماد أئمة الزيدية على توظيف كل الوسائل المتاحة حينها والمتمثلة في الدين والشعر والمرويات، وأن اعتمادهم على تلك الوسائل كان نتيجة للظروف السياسية التي كانوا يمرون بها، فقد شكلوا أو مثلوا قوة معارضة "ثائرة" ضد الحكم العثماني في اليمن، وهذه الحالة السياسية تتطلب منهم امتلاك خطاب سياسي قوي و مؤثر، يتمكنون من خلاله إقناع الناس بمشروعهم أو عملهم السياسي الذي يقومون به

في حين نجد أن الوضع السياسي للحكم العثماني في اليمن كان مختلف عن وضع أئمة الزيدية، فقد مثل العثمانيون قوة شرعية في نظر الكثير، وامتلك دولتهم آلة عسكرية قوية قادرة على تحقيق طموحهم السياسي وضرب مخالفيهم، لذلك لم يركز العثمانيين وأنصارهم بشكل كبير على قضية توظيف الوسائل خاصة الدين، أو المرويات بهدف إقناع الناس بصدق توجههم أو بشرعية حروبهم لأنهم — كما يبدو — لم يكنوا بحاجة إلى ذلك، وإنما جاء توظيفهم لتلك الوسائل مرتكزاً على قضية رئيسة

تمثلت في وجوب طاعة ولي الأمر، وعدم شرعية الحروب التي يخوضها أئمة الزيدية ضدهم.

انطلاقاً مما سبق يمكن الخروج بالتصور التالي.

عمد مؤرخو السلطة والمعارضة إلى إظهار إيجابيات من والوهم بصفاتهم أصحاب حق - من وجهة نظرهم - كما أبرزوا سلبيات خصومهم السياسيين وأقصوهم عن ذلك الحق أو الشرعية في الحكم. هذا التباين في موقف المؤرخين يبين أن ذلك الصراع لم يكن صراعاً بين حق وباطل، لأنه يصعب الحكم على أن كل الولاة العثمانيين هم من الفسدة، أو الظلمة، كما يصعب الحكم أيضاً على أن كل أئمة الزيدية هم أئمة عدل وحق والعكس صحيح. إلا أنه يمكن الحكم بأن ظروف وطبيعة الصراع كان لها خصوصياتها، ولكل طرف سلبياته وإيجابيته.

كانت قضية الحكم وتولي السلطة جوهر الصراع، وما دار من حروب بين الطرفين هي حروب سياسية في الأصل، وأن تاطيرها دينياً كان بهدف تبريرها ليس إلا. فقد عمل كل طرف على تأصيل ذلك الصراع فقهيّاً لأيجاد شرعية دينية تبرره، ومن أجل إيجاد تلك المبررات رجع كل طرف إلى الموروث الديني ليتخذ منه قاعدة لبناء خطاب سياسي يحقق من خلاله أغراضه السياسية.

لم يشكل الحكم العثماني لليمن بأي حال من الأحوال غزواً أو استعماراً، وإنما مثل نوعاً من بسط النفوذ والسيطرة، كما أن الحروب التي خاضها أئمة الزيدية ضد ذلك الحكم لم تأخذ أبعداً وطنية أو قومية، بل كانت حروب سياسية غلب على طابعها التوجه الديني، فلم يُنظر إلى العثمانيين، على أنهم دخلاء أو غرباء، بل كانوا يُعتون جزء من تركيبة المجتمع الإسلامي، ولم يرد في كتابات المؤرخين ما يشير إلى أن وصول العثمانيين وحكمهم لليمن يُعدّ غزواً، بل وردت إشارات بيّنت أن حكم الدولة العثمانية لليمن يمثل امتداداً لحكم دولة الخلافة الإسلامية، وهذه النظرة لم ينكرها حتى أئمة الزيدية أنفسهم، تجلّى ذلك بما ورد في مؤلفات مؤرخيهم من الرسائل التي خاطبت السلاطين بلقب الخليفة.

و نجد في الوقت ذاته أن كتابات المؤرخين سواء مؤرخي السلطة أو المعارضة لم تعتبر حروب أئمة الزيدية ضد العثمانيين بأنها حروب وطنية، أو قومية، بل

وصفتها بأوصاف ذات مفاهيم دينية، فقد أكد مؤرخو المعارضة أنّ تلك الحرب جهاد يهدف إلى إقامة الحق ومحاربة الظلم، في حين أكد مؤرخو السلطة أنّ تلك الحرب ما هي إلا سعي للحصول على السلطة وأنها بغية وشق لعصى الطاعة، وخروج عن طاعة السلطان.

دراسة وتحقيق مخطوطة

بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام

للمؤرخ/ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي الحنفي

ترجمة حياة المؤرخ المطيب

اتسمت الفترة التي عاش فيها مؤرخنا، بالصراعات السياسية والعسكرية، و ما نتج عنها من وقوع حالة صراع في الجوانب الفكرية والثقافية، حيث اشترك المؤرخون في ذلك الصراع من خلال تدوينهم لأحداثه، كل من وجهة نظره الخاصة.

ويُعد مؤرخنا المطيب أحد أولئك المؤرخون الذين عايشوا أحداث تلك الفترة، وتأثروا بها وأثروا فيها، فهو ممن أرخ لبعض مجريات تلك الأحداث (فترة حكم بهرام باشا ٩٧٨ - ٩٨٣ هـ / ١٥٧٠ - ١٥٧٥ م)، وكان من أشد المؤرخين تحيزاً إلى جانب العثمانيين، وإن أغفلته كتب التراجم سواء منها اليمينية أو الإسلامية، فهذا لا ينفي عنه ما اشتهر به من العلم، خاصة علوم العربية والفقه، ولا يقلل من مكانته الاجتماعية، فقد حظي مؤرخنا بشهرة علمية كبيرة في مدينة زبيد، فهو كما وصفه الرحالة الجابري^(١) في كتابه (سفينة السفر)^(٢)، حين زار مدينة زبيد سنة ٩٩٦ هـ / ١٥٨٨ م والنقى بمؤرخنا المطيب في مسجد الأشاعر بقوله "الشيخ الإمام سيويو اليمن وبهجة الزمن شيخ العربية، ورافع علمها الخافق وناشرها، وجامع أدواتها المتفرقة وحاشرها جمال الدين محمد بن يحيى المطيب الحنفي، طيب الله أنفاسه وحلا بثمار الفزايد غراسه، إمام برع في هذا الفن وأعرب عن مخابئه

(١) الجابري : هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الجابري المشهور بالجابري، تربي في حجر والده الشيخ محمد وتعلم على يده، وعلى يد غيره من العلماء، رحل إلى الهند وأخذ العلم عن الشيخ عبدالقادر شيخ وغيره، كانت وفاته ببلدة لاهور من الديار الهندية في ١٠ شوال ١٠٠١ هـ / ١١ يوليو ١٥٩٢ م. المحيي : خلاصة الأثر. ج ١، ص ٢٧٤، ٢٩٢.

(٢) هو عنوان كتاب الجابري كما أسماه هو بقوله " قد جمعت في هذا السفر ما يستعمله المسافر سفيده ويتخذه سميده، وعن لي أن أسميه سفينة السفر"، ولم أجد أي عنوان لهذا الكتاب في "صلابه" أوراقه الأولى، سوى إشارة كتبت بخط حديث سمته " تراجم رحلة الجابري " ويبدو أن هذه الإشارة كانت بخط المرحوم عبد الرحمن الحضرمي، لذا فضلت استخدام الاسم الذي سماه مؤلفه به، مختلفاً في ذلك مع مالكة المرحوم الحضرمي ، الذي أستخدمة كمصدر أساسي في كتابه زبيد مساجدها ومدارسها، وكتابه جامع الأشاعرة باسم " تراجم الجابري". أحمد بن محمد الجابري : سفينة السفر. مخطوطة محفوظة بمكتبة الأستاذ عبد الرحمن الحضرمي، بزبيد، منها نسخة بمعية الباحث، ق ٢.

وأنتن، وقصده الطلاب من كل فج، فألف قلوبهم بالألفية وتصرف إذ صرف عنهم الأفعال المخفية، فكانت أوقات تدريسه للقلوب شافية، ولكل قارئ ومستمع كافيته [...] وصار ابن مالك^(١) مملوكاً لديه، وابن هشام^(٢) كهشيم تذرؤه الرياح، وابن الخباز^(٣) شغل بخبزه وتتوره، وابن الحاجب^(٤) محتجياً بمرسلات ستوره^(٥).

شهد العلماء المعاصرين له بعلمه ومكانته في المجتمع، فقال عنه المؤرخ الجابري أيضاً "وحضرت مراراً مجالس تدريسه فما رأيت أفصح من منطقته وترسله للقراءة في الإملاء للتفسير وغيره، مع اللهجة البارعة المعجمة، والألفاظ المطيعة له في حال الإملاء"، وقال أيضاً "وكان باذلاً نفسه للإقراء، ولنفع المسلمين من الطلاب وحلقته مشحونة بالصغير والكبير والشريف والحقير، مع لطافة الأخلاق [فراغ في الأصل]، والنقش وطرح التكلف محيي اسمه ورسمه ولم يحب الظهور [فراغ في الأصل] اشتهر بظهور هذا الفن، وأنقاد له من بين الجمهور وكفاه شرفاً أن صيته بلغ الأفاق، وانه بهذا الفن وتفرد به بالعربية حصل له الاتفاق" وله الاستدراك البديع وقوة العارضة، وجميع فضلاء زبيد الآن وكتابتها، وفضلاتها وأدبائها يحفوا في هذا الفن عليه، وهو شيخ مفتح، قل من قرأ عليه إلا ونجب"^(٦). وقال عنه الإمام

(١) ابن مالك: محمد بن عيدا لله بن مالك الطائي الجبالي، أحد الأئمة في علوم العربية، ولد في جبان بالأندلس سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣ م، له مصنفات عديدة أشهرها الألفية في النحو، والكافية والشافية وله كتاب الضرب في معرفة لسان العرب وغيرها. توفي بدمشق سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ م. الزركلي: الأعلام. المجلد السادس، ص ٢٣٣.

(٢) عيدا لله بن يوسف بن أحمد، المعروف بابن هشام، من أئمة العربية، من تصانيفه مغني اللبيب عن كتب الأعراب، وعمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن حاجب، شذور الذهب. كان مولده سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٩م، ووفاته سنة ٧٦١هـ / ١٣٦٠ م. الزركلي: نفس المرجع. المجلد الرابع، ص ١٤٧.

(٣) أحمد بن الحسين بن أحمد الأربلي الموصلني أبو عبد الله شمس الدين بن الخباز، نحوي ضرير له تصانيف منها الغرة المخفية في شرح الدرّة الألفية وتوجيه اللمع شرح كتاب اللمع لابن جنبي. كان مولده سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م، ووفاته سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م الزركلي: نفس المرجع. المجلد الأول، ص ١١٧.

(٤) عثمان بن عمر بن أبي بكر أبو عمرو جمال الدين بن الحاجب، كردي الأصل ولد بمصر سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م، كان أبوه حاجباً فعرف به، له تصانيف منها الشافية في الصرف وجامع الأمهات في الفقه وغيرها. كانت وفاته سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٩م. الزركلي: نفس المرجع. المجلد الرابع، ص ٢١١.

(٥) أحمد الجابري: سفينة السفر. ق ١٠٥ - ١٠٦.

(٦) نفس المصدر. ق ١٠٦.

برهان الدين ابراهيم بن محمد جعمان "إن كان لـ ابن هشام وابن مالك ثالث فهو محمد بن يحيى المطيب"، وقال عنه العلامة محمد بن الصديق الخاص^(١)، "ما سمعنا بل ما رأينا مثل هذا الإنسان الذي انقاد له هذا الفن [يقصد اللغة العربية] ودخل تحت قيادته وبلغ فيه مراده"^(٢).

شغل مؤرخنا منصب القضاء والإفتاء في زبيد على المذهب الحنفي وتولى التدريس في مدارسها كالمدرسة الفاتنية^(٣) كما تولى إمامة جامع الأشاعرة والتدريس فيه إلى جانب التدريس في الجامع الكبير الظافري^(٤).

و تتلمذ على يد مؤرخنا مجموعة من علماء تهامة عامة، وزبيد خاصة و الذين نالوا شهرة واسعة، منهم العلامة برهان الدين ابراهيم بن محمد جعمان^(٥)، والعلامة حسين بن عبد الباقي الزاهر الزبيدي^(٦)، والعلامة الطيب بن أحمد الناشري^(٧) والعلامة أبو بكر بن أبي قاسم بن أحمد الأهدل^(٨).

(١) محمد بن الصديق الخاص من أعيان مدينة زبيد ومفتيها على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان كان على جانب عظيم من العلم، وله مكانة عند الباشوات العثمانيين، توفي سنة ١٠٥٤ هـ / ١٦٤٤م. محمد بن الطاهر البحر: تحفة الدهر في نسب الأشراف بني البحر ونسب من حققنا نسبه وسيرته من أهل العصر. مخطوط محفوظة بمكتبة الدكتور حسن الأهدل، ق ٨٠. الطيب بافقيه: تاريخ الشجر. ص ٤٤٧.

(٢) أحمد الجابري: سفينة السفر. ق ١٠٦.

(٣) عبد الرحمن الحضرمي: زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ. صنعاء، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، ٢٠٠٠م، ص ٦٣.

(٤) أحمد الجابري: المصدر نفسه. ق ١٠٦.

(٥) برهان الدين ابراهيم بن محمد بن ابراهيم جعمان، أخذ العلم عن مؤرخنا المطيب وكان من أحد تلامذته، وأجازته في الألفية والنحو وغيرها من العلوم، قال عنه صاحب تحفة الدهر "الإمام العلامة البحر الفهامة [...] برهان الدين ابراهيم بن محمد جعمان، مفتي مدينة زبيد [...] كان على جانب كبير من نشر العلم والتدريس، وإكرام الدارسين والوافدين، وكانت إليه رئاسة مدينة زبيد مسموع الكلمة مقبول الشفاعة" كانت وفاته ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤م. أحمد الجابري: نفس المصدر. ق ٨٠. محمد البحر: المصدر نفسه. ق ٣٤، المحبي: خلاصة الأثر. ج ١، ص ٣٩، عبد الرحمن الحضرمي: نفس المرجع. ص ١٩٢.

(٦) حسين بن عبد الباقي الزاهر الزبيدي. تتلمذ على يد مؤرخنا المطيب في علوم انقه، وهو من الأدباء الذين ذاع صيتهم في زبيد في الأدب والشعر. أحمد الجابري: المصدر نفسه. ق ١٠٧.

(٧) الطيب بن أحمد الناشري: هو من علماء آل الناشري من تهامة، لم أعثر له على ترجمة.

(٨) أبو بكر بن أبي قاسم بن أحمد الأهدل، من أشهر علماء تهامة، درس علم النحو على يد مؤرخنا المطيب، له العديد من المصنفات منها "النور الباسم في مناقب بني الأهدل، الأحساب العلية في الأنساب الأهدلية، نفحة المنديل بذكر بني الأهدل" كانت وفاته سنة ١٠٣٤ هـ / ١٦٣٤م. عبد الرحمن الحضرمي: جامعة=

وليس غريباً على مؤرخنا أن يحظى بتلك السمعة والشهرة العلمية، ويشهد له معاصروه بذلك، فهو سليل أسرة اشتهرت بالعلم، خاصة علم اللغة والفقه الحنفي. حيث ورد ذكر العديد من فقائها، وعلمائها في كتب التاريخ والتراجم، منهم العلامة علي بن عثمان المطيب الزبيدي الحنفي، الذي تولى رئاسة الحنفية بزبيد، وعمل مدرساً للفقه الحنفي بالمدرسة المنصورية السفلى بزبيد^(١) وخلفه ابنه العلامة محمد بن علي الذي عمل مدرساً في المدرسة المحالبية حتى وفاته سنة ٩٠٧هـ / ١٥٠١م^(٢)، ومنهم القاضي عبد الرحمن بن الصديق المطيب الحنفي الذي تولى القضاء بزبيد سنة ٩١٢هـ / ١٥٠٦م^(٣)، وكذلك العلامة أبو العباس أحمد شهاب الدين بن شيخ الإسلام محمد المطيب، الذي درس الفقه وعلم القراءات في المدرسة الياقوتية، والسابقية، والمحالبية، والوهابية وتوفي سنة ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م^(٤). وأشتهر من آل المطيب أيضاً الفقيه علي ابن أحمد المطيب الذي تولى إمامة جامع الأشاعر سنة ٩٤٩هـ / ١٥٤٢م بتكليف من مصطفى باشا النشار^(٥).

إلا أن أكثر من اشتهر من آل المطيب هو العلامة أحمد بن محمد بن يحيى المطيب الحنفي الزبيدي ابن مؤرخنا، وصفه المؤرخ المحبي بقوله انه "سيبويه زمانه وإمام سائر الفنون والآداب في أوانه، كان فقيهاً آلت الفتوى في مذهب الإمام أبي حنيفة إليه، وأمه الله بالحفظ، فكان بحراً زاخراً في جميع الفنون، وخصوصاً علم النحو ومتعلقاته، مع التحقيق الوافي والتدقيق الوافر أخذ عن والده وغيره [...] وعلاصيته وأشتهر أمره، وكانت وفاته في ذي القعدة

=الأشاعرة. مخطوط محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة صنعاء، ق-٢٧٠، محمد البحر: تحفة الدهر، ق

٣٤، الجابري: سفينة السفر، ق ٦٦.

(١) عبد الرحمن الحضرمي: زبيد مساجدها ومدارسها، ص ٢٠٨.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن الديبع: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد، تحقيق محمد عيسى

صالحية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط اولى، ١٩٨٣م ص ١٦٠، بافقيه: تاريخ

النشر، ص ٦٠.

(٣) ابن الديبع: نفس المصدر، ص ٢٠٥.

(٤) عبد الرحمن الحضرمي: نفس المرجع، ص ٣٢٢.

(٥) نفس المرجع، ص ٥٧.

سنة سبع وعشرين وألف بزبيد^(١). ومن مؤلفاته رسالة في النحو بعنوان "رسالة إعراب خصوص أقصى رتبة الوارد لفظها في دعاء الشيخ أبي حربة"^(٢).

وكما أشرت سابقاً، من أن مؤرخنا لم يلق حظه من الترجمة والتعريف، فلا يُعرف متى كانت وفاته على وجه الدقة، ولا توجد أي إشارات حول ذلك سوى ما ذكره العلامة الحضرمي في كتابه (جامعة الأشاعرة) حيث حدد تاريخين مختلفين لوفاته بقوله "العلامة محمد بن يحيى المطيب المتوفى سنة ١٠٠٧هـ — [١٥٩٩م] وقيل سنة ١٠٢٨هـ [١٦١٨م]"^(٣). ولا تُعرف المصادر التي اعتمد عليها الحضرمي في تحديده لهذه التواريخ.

اعتماداً على ما ذكره العلامة الحضرمي فإن التاريخ الأقرب إلى الدقة لوفاته المؤرخ المطيب هو عام ١٠٠٧هـ / ١٥٥٩م. لأن الفتوي على المذهب الحنفي في زبيد كانت من الوظائف التي شغلها المؤرخ، وانتقلت هذه الوظيفة إلى ابنه أحمد المتوفى سنة ١٠٢٧هـ / ١٦١٧م. فلو اعتبرنا أن وفاة المؤرخ كانت سنة ١٠٢٨هـ / ١٦١٨م، فكيف تؤول وظيفة الفتوى إلى ابنه ومورخنا مازال على قيد الحياة. كما أن وفاة أحمد بن محمد المطيب وهو ابن المؤرخ كانت سنة ١٠٢٧هـ / ١٦١٧م^(٤)، ومن الطبيعي والمألوف — ليست قاعدة — أن تكون وفاة والده قبل هذا التاريخ، لوجود فارق زمني بين الأب والابن.

لذلك فإن سنة ١٠٠٧هـ / ١٥٥٩م هي التاريخ الأكثر دقة الذي ربما يكون مؤرخنا المطيب توفي فيه.

وإذا نظرنا إلى ما تركه مؤرخنا المطيب من مؤلفات، نجد أن له استدراقات، على بعض علماء اللغة العربية مثل الإمام أثير الدين أبي حيان^(٥)، وابن هشام،

(١) محمد المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٦٥، ص ٢٩٢.

(٢) مجموع رقم (١٧)، المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، من ص ٢١ - ٣٩.

(٣) عبد الرحمن الحضرمي: جامعة الأشاعرة، ق ٢٥٥.

(٤) محمد المحبي: المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٥، ٢٩٢.

(٥) محمد بن يوسف بن علي أبي حيان الغرناطي الأندلسي أثير الدين أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتفسير والتراجم، ولد في غرناطة سنة ٦٤٥هـ / ١٢٥٦م، اشتهرت تصانيفه في حياته منها "البحر المحيط، طبقات نحاة الأندلس"، الزركلي: الأعلام، المجلد السابع، ص ١٥٢.

واين مالك^(١). إلا أن كتابه الذي بين أيدينا "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام" الذي دون فيه سيرة الوالي العثماني بهرام باشا في اليمن، يُعد أشهر مؤلفاته، بل به كانت شهرة مؤرخنا، لما رصده من أخبار تلك الحملة بتفاصيلها الدقيقة.

أسباب اختيار المخطوطة:

جاء اختيار الباحث لمخطوطة "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام" لتكون محلاً للدراسة والتحقيق في القسم الثاني من هذا البحث لإسباب عدة منها :
— أن هذه المخطوطة تمثل نموذجاً للمؤلفات التاريخية التي عاصر مؤلفوها أحداث الصراع السياسي بين الأئمة والعثمانيين، ودون فيها أخبار تلك المرحلة بأسلوبه الخاص.

— أنها تمثل موقف ووجهة نظر شريحة من المفكرين والمتقنين اليمنيين (في تلك الفترة) في الحكم العثماني لليمن، والتي لا يمكن — بأي حال — تجاهلها، وتؤكد في الوقت نفسه بأنه مثلما كان للعثمانيين أعداء في اليمن، فقد كان لهم حلفاء ومؤيدون أيضاً.

— تعد من المخطوطات اليمنية النادرة، التي يصعب على الباحثين — داخل اليمن — الأطلاع عليها، كونها نسخة وحيدة موجودة خارج اليمن، كما أن مؤلفها أحد المؤرخين اليمنيين الذين انحازوا إلى جانب الحكم العثماني، ولم يلقو حظهم من التعريف في كتب التراجم .

— أن هذا النوع من المخطوطات لم يلق حظاً من الدراسة والنشر من قبل الباحثين، مقارنة بتلك المخطوطات التي انحازت إلى جانب الأئمة الزيديين في صراعهم مع العثمانيين.

— بالإضافة إلى كل ما سبق، فإن اختياري لها جاء من باب الإسهام في نشر التراث، خاصة تراث تهامة الذي ما يزال الكثير منه حبيس المكتبات.

منهج المؤرخ:

إذا ما انتقلنا إلى منهج مؤرخنا وأسلوبه، فنجد أنه امتداداً لكتابات المدرسة الإسلامية في كتابة التاريخ ، حيث حرص المؤلف على ذكر الغرض من تأليفه

(١) أحمد الجابري : سفينة السفر. ق ١٠٦

للكتاب بقوله "ألف هذا الكتاب خدمة للحضرة الشريفة والمكارم العلية المنيفة من خصها الله تعالى بالرياسة الأنسية بالإستحقاق، والنفس القدسية الحاوية لمحاسن الأخلاق"^(١). ولذكر بعض أيامها في اليمن في عهد بهرام باشا "جمعت فيه بعض تاريخ بعض أيام الدولة العثمانية باليمن المعمور، وما وقع في تلك الأيام من الفتح المشهور، المنصورة بنبابة مولانا [...] بهرام باشا"^(٢)، وبين كيفية تقسيمه لكتابه إلى أبواب بقوله "ورتبته على مقدمة وتمة تلي ستة أبواب"^(٣) مضمناً أحداث كل سنة في باب.

إلى جانب تقسيم المؤلف كتابه إلى أبواب فقد قسم تلك الأبواب إلى فصول - عدا الباب الثالث - ولم يتبع أسلوباً موحداً في ذلك، فنجد أن الباب الأول أشتمل على أربعة فصول، والباب الثاني على ستة فصول، والباب الثالث لم يشتمل على أي فصل، والباب الرابع على خمسة فصول، والباب الخامس على خمسة فصول، والباب السادس على عشرة فصول، والباب السابع على عشرة فصول أيضاً، ويبدو أن المؤلف قد ركن في تقسيمه على غزارة الأحداث، فنلاحظ أن السنوات الأخيرة من حكم بهرام باشا قد كثرت بها الأحداث الجسام، فأكثر المؤلف من فصول أبوابها، بهدف إعطاء كل حدث ما يستحقه من الذكر، حيث أفرد للحدث الواحد فصلاً قائماً بذاته - في بعض الأحيان - في حين أن بعض السنوات لم يحدث بها ما يستحق الذكر فجاءت أبوابها خالية من الفصول كما في الباب الثالث أحداث سنة ٩٧٩هـ/١٥٧١م.

والتزم المؤرخ بطريقة الإسناد والتوثيق في نقله للمعلومات من الكتب السابقة بذكر عناوينها وأسماء ومؤلفيها - على سبيل المثال - "ومن ذلك ما ذكره العلامة الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري"^(٤)، كما رتب أحداث كتابه بطريقة الحوليات، فقد دون أحداث ست سنوات، وهي فترة حكم بهرام باشا، ونتيجة لإتباع المؤلف لطريقة الحوليات، فقد وقع في

(١) وردت هذه العبارة على غلاف المخطوطة. أنظر الورقة الأولى من المخطوطة.

(٢) النص : ق ١

(٣) النص : ق ١ - ٢

(٤) النص : ق ٢

مشكلة تقسيم الأحداث التاريخية. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد أورد في الباب الثاني في حوادث سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م، أن بهرام باشا جهز حملة عسكرية في ١٥ رمضان من نفس السنة، بقيادة مصطفى آغا بقصد الاستيلاء على حصون بلاد ريمة، ودنوة، وبلاد الجمعة، والسلفية وغيرها، و ذكر أنه تم حصار هذه الحصون لمدة سنة وشهر وسبعة عشر يوماً، وأن الله فتح لهم تلك الحصون^(١)، ثم انتقل بعد ذلك لسرد بقية أحداث تلك السنة، وفي الباب الثالث في حوادث سنة ٩٧٩هـ / ١٥٧١م استكمل الحديث عن هذه الحملة وأعطى تفاصيل دقيقة لكيفية الاستيلاء عليها، وما آلت إليه تلك البلاد، وتعامل بهرام باشا مع أهلها^(٢).

إلا أن ما ذكرناه سابقاً من اتباع المؤلف لطريقة الحوليات، ووقوعه في مشكلة تقسيم الأحداث لا ينقص من القيمة التاريخية للكتاب، فهو أشبه ما يكون بالتقارير السنوية التي تهتم حكومات الولايات بإصدارها، للإعلان عن أعمالها ومنجزاتها^(٣).

وأستخدم المؤلف منهج الضبط و التوقيت في سرده للوقائع التاريخية، فبدأ بذكر أحداث كل سنة من سنوات حكم بهرام بحوادث شهر محرم على النحو الآتي "الباب الثاني في ذكر ما أشتمل عليه سنة ثمان وسبعين، من الفتوحات وغيرها، لما كان في غرة محرم الحرام من السنة المذكورة"^(٤)، ثم يذكر ما وقع في بقية أشهر السنة مشيراً إلى السنة بقوله "من السنة المذكورة" أو مشيراً إلى السنة بلفظة (منها) للدلالة على أن تلك الأحداث هي في السنة نفسها، وكثيراً ما كان المؤلف يحرص على ذكر تاريخ اليوم الذي وقعت فيه الأحداث، بل أنه في أحيان كثيرة كان يحدد وقت وقوع الحدث بقوله "ثم نقل أعزه الله تعالى ركابه السعيد [٠٠٠] إلى محروس مدينة زبيد فدخلها نهار الخميس تاسع الشهر المذكور منها"^(٥) وكذلك بقوله "وفي

(١) النص : ق ١٩

(٢) النص : ق ٢١

(٣) سيد سالم : المؤرخون اليمينيون . ص ٥٣

(٤) النص : ق ٩

(٥) النص : ق ٤

السابع عشر من شهر ربيع الآخر منها توجه مولانا [١٠٠٠] إلى حصار مأخوذ حب ، فطلع بعدان نهار الخميس^(١) .

كما كان مؤرخنا متحيزاً للجانب العثماني، فكتابه هذا قد وضعه أصلاً لذكر بعض أيام الدولة العثمانية في اليمن، وظهر ذلك جلياً بإضافة ألقاب التعظيم والتفخيم، والأدعية عند ذكر أسماء السلاطين من آل عثمان أو ولاتهم، في حين نعت الزيدية وأمرائها بنعوت الإلحاد والتكفير، ووصف العديد من أفعال بهرام بأنها بتأييد إلهي، وجعل له الكثير من الكرامات وغير ذلك.

اتبع مؤرخنا المطيب المنهج الإسلامي في الاستشهادات خاصة الأحاديث النبوية، وبرز ذلك في الباب الأول في ذكر فضل الروم، فأورد العديد من الأحاديث الدالة على فضلهم ، أما الاستشهاد بالشعر فلم يستشهد بأشعار من سبقه ويبدو أن كل الأشعار التي وردت في كتابه هي من قرضه أو من نظم أحد أعوان بهرام باشا. لأنها تحاكي نفس الفترة التاريخية، ونظمت لمدح بهرام باشا، والإشادة بمنجزاته وانتصاراته وأعماله و غير ذلك.

ومن الملاحظ أن المؤلف لم يستشهد بأي آية قرآنية في كتابه، وهو ما لم يكن مألوفاً لدى مؤرخي تلك الفترة .

أما أسلوب المخطوطة فقد جاء مبسطاً اعتمد فيه مؤرخنا على السجع، فأكثر من إدخال الألفاظ التي ليس لها مدلول أو معنى يخدم السياق التاريخي للأحداث بقدر ما تخدم الناحية البلاغية لغرض التناسق السجعي للنص أما لغة المخطوطة فهي عربية فصحي، ولم يرد فيها إلا القليل من الألفاظ العامية سواء من حيث المعنى أو طريقة رسمها.

البحث عن نسخ المخطوطة:

بعد أن وقع اختياري لمخطوطة "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام" للمؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي، لتكون الجزء الثاني من هذه الدراسة، بادرت بالبحث عن أماكن نسخ المخطوطة في كتب مصادر التراث ، و فهارس

(١) النص: ق: ١٣

المخطوطات اليمنية، فبحثت في فهارس المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء، وفهارس دار المخطوطات اليمنية، فلم أجد أي ذكر لهذه المخطوطة كما بحثت في كتاب "مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني" للدكتور حسين العمري، وكتاب "مصادر التراث في المكتبات في اليمن" للأستاذ عبدالسلام الوجيه، وكتاب "المخطوطات اليمنية في مكتبة علي أمير" للدكتور محمد عيسى صالحيه. فلم أجد ذكر للمخطوطة في كل كتب مصادر التراث سابقة الذكر.

في حين ورد ذكرها في كتاب "مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي" للأستاذ أيمن فؤاد سيد^(١)، وفي كتاب "الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية" لـ كارل بروكلمان^(٢)، وفي كتاب "المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول" للدكتور سيد مصطفى سالم^(٣)، وكتاب "مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن" للأستاذ عبد الله محمد الحبشي^(٤)، وأجمعت كل هذه المصادر والمراجع، على ذكر نسخة وحيدة للمخطوطة وهي النسخة الموجودة في المكتبة الوطنية بباريس، وصورتها الموجودة في الخزانة التيمورية بدار الكتب في القاهرة^(٥). لذلك فقد اعتمدت على هذه النسخة الوحيدة واعتبرتها هي النسخة الأم، وحصلت على صورة المخطوطة من الخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة، وهي صورة منسوخة من ميكروفيلم للنسخة الأصلية.

(١) أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي. القاهرة، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية. ١٩٧٤م، ص ٢١٢ - ٢١٣. ذكر الأستاذ نجيب عقيقي في كتابه المستشرقون أن مخطوطة بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام قد نشرت في فرنسا سنة ١٨٤٣م بعناية Quatremere أيمن سيد: المرجع السابق. ص ٢١٣.

(٢) كارل بروكلمان: الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية. تحقيق: صالح بن الشيخ أبوبكر، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني ط ١، ١٩٨٥م، ص ١٩٨.

(٣) سيد سالم: المؤرخون اليمنيون. ص ٥٢.

(٤) عبد الله محمد الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن. أبو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠٤م، ص ٥٠٨.

(٥) النسخة الأصلية من المخطوطة موجودة في المكتبة الوطنية في باريس، ومنها صورة محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٢٢٨٩ تاريخ. سيد سالم: نفس المرجع. ص ٥٢.

وصف المخطوطة:

الوصف الشكلي : -

بحكم أن المخطوطة المتوفرة لدينا نادرة ووحيدة، فهي ستكون بمثابة النسخة الأم، و المخطوطة من الحجم الصغير ١٧،٥×٢٣،٥سم، وعدد أوراقها تسع وخمسون ورقة، وعدد الأسطر متساوي تقريباً في الصفحات بمتوسط ثلاثة عشر سطرأ في كل صفحة. عدا الصفحة الأولى و الأخيرة، وقد جاءت الورقة الأولى مليئة بالكتابات الشعرية، والأحاجي النحوية بأسلوب شعري ، وليس لها أي علاقة بموضوع المخطوطة، كما لم تشر من قريب أو بعيد إلى صاحب المخطوطة، أو إلى أي تمليكات لها، وهذه الأشعار جاءت من أعلى الصفحة إلى أسفلها.

على النحو الآتي .

للجنابي رحمه الله تعالى^(١)

ملكنا فكان العفو منا سجية فلمأ ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالمسا غدونا عن الأسرا نعفوا ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إنساء بالذي فيه ينضح
لبعضهم رحمه الله

لو كان للشمس ضوء غرتة لم يغتمض طرفها من الظل
مهذب ما رأيت طلعتة إلا رأيت الأنام في دجل
أريني جواداً مات [...] لعنني^(٢) أرى ما ترين أو بخيلاً مخد
لابن الصيرفي^(٣) في شيخه

سلم على شيخ النحاة وقل له عند سؤال من يجبه يعظم

(١) الأبيات السابقة ليست للجنابي، وإنما هي للشاعر أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صفي الدين المعروف بحيص بيص والمتوفى سنة ٥٧٤ هـ ١١٧٨م. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي : السوافي بالوفيات. بيروت، دار صادر، ١٩٩١م ، ج ١٥ ، ص ١٦٥ ، ١٦٨. والجنابي المذكور غير معروفاً لأن هناك أكثر من شاعر يحمل هذا اللقب.

(٢) الكلمة غير واضحة في الأصل

(٣) هناك أكثر من شخص حمل لقي الصيرفي من علماء النجوى، ولم أتمكن من التعرف على صاحب هذه الأبيات.

أنا إن سكتُ فأنتي أنا جازم وإذا جزمتُ فأنتي لم أجزم
 قل في الجواب بأن إن في شرطها جزمت ومعناها التردد فأعلم
 وإذا الجزم الشرط أن شرطية وقعت فإن جوابها لم يجزم
 علوم النحو جزماً في ارتفاع وبدر الدين هذا مساعد
 فإن ترد الأدلة واضحات على المطلوب فأرجع للشواهد

وله

علوم النحو أضححت في ارتفاع بدا جزم المعاند والمساعد
 على خفض العدول ونكر حال [...] ^(١) قد نصب الشواهد
 وفي الورقة الثانية ذكر أسم المؤلف بداخل شكل هندسي دائري كُتب بداخله
 الأتي "ألف هذا الكتاب خدمة للحضرة الشريفة، والمكارم العسالية المنيفة، من
 خصها الله تعالى بالرياسة والإنسية بالاستحقاق، والنفس القدسية الحاوية لمحاسن
 الأخلاق، العبد الفقير الحقير المعترف بالقصور والتقصير، محمد بن يحيى
 المطيب الحنفي الزبيدي، خدام العلم الشريف غفر الله له ولوالديه، ولجميع
 المسلمين أمين".

في حين ورد أسم المخطوطة في الورقة الثالثة في أعلى الصفحة اليمنى، بداخل
 إطار مربع الشكل على النحو الأتي "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام"، فقد
 كانت هذه الصفحة هي أول صفحات متن المخطوطة، أما الصفحة الأخيرة من
 المخطوطة، فليس بها أي إشارة إلى أسم الناسخ أو تاريخ النسخ، فقد ختم المؤلف
 كتابه بقوله "وفي اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور، توجه بالسلامة إلى مكة
 المشرفة من طريق البر، صحبته أمير اللواء الشريف محمود بك عين أمراء مصر،
 يسر الله طريقه على أجسن حال، وسهل عليه ما يرجو من صلاح الأحوال، وجمعه
 بكافة أهله، وفتح عليه ما يطلبه من كريم فضله"^(٢).

انتهى نص المخطوطة بهذا الشكل، ويبدو أن المخطوطة نُسخت بخط المؤلف
 نفسه، لعدم ذكر أسم الناسخ.

(١) غير واضحة في الأصل .

(٢) النص : قـ ٥٧

وأهتم ناسخ المخطوطة بالإعجام، ووضع علامات تشير إلى ذلك، فوضع نقطة أسفل حرف الدال لتمييزه عن حرف الذال، ووضع حرف حاء صغير أسفل حرف الحاء في الكلمة لتمييزه عن حرفي الجيم والحاء.

كما كتب بعض الكلمات باللهجة اليمنية العامية مثل (يقرونها) / (يقرؤونها) وكلمة (قرئت) / (قرأت)، وكلمة (فقراهم) / (فقرائهم).

في حين نجده يجمع بين الطريقة العامية، والعربية في كتابة بعض الكلمات مثل (قبائيل، طوائيف، البشائير)، فقد كتبت الهمزة المكسورة على حرف الياء في تلك الكلمات، كما اعتمد على كتابة بعض الكلمات على الرسم القرآني لها مثل (صلوة، زكوة أسحق، ثلثة، وغيرها)، أما كتابة الهمزات فلم يكن الناسخ دقيقاً في كتابته لها، فنجده يكتب كلمة (بالطف) بمعنى (بالطف)، وأحياناً كان يكتب الألف المقصور الفاء ممدود مثل أسرا بمعنى (أسرى) والمسما بمعنى (المسمى)، وكان الناسخ يضع الكلمات التي سقطت سهواً أثناء النسخ، أعلى السطر في المكان السذي كان من المفترض أن توضع فيه، ويكتب جوارها لفظة (صح) دليل على أن مكانها الصحيح هنا، كما كان يكرر بعض الكلمات دون أن يعالج ذلك التكرار، وقد أهتم الناسخ بالشكل الجمالي للمخطوطة، فرسم أطواراً للصفحات كتب بداخله متن المخطوطة، وواضح أن رسم الإطار قد تم قبل كتابة المتن، حيث اضطرت الناسخ أحياناً إلى كتابة بعض الكلمات خارج الإطار، وأحياناً يعمل على ضغط الكلمات وتصغيرها في السطر، حتى لا تخرج عن إطار الصفحة.

وفيما يخص ترقيم الصفحات، فقد أتبع الناسخ الأسلوب المتعارف عليه في عصره، وهو كتابة أول كلمة من الصفحة اللاحقة في أسفل الصفحة التي تسبقها.

وصف المضمون

روعت النواحي الجمالية فيها والفنية، فخطها واضح وجميل، ومكتوب بعناية فائقة، وقلت فيها الأخطاء النحوية والإملائية، كما وضع الناسخ فواصل بين الجمل عبارة عن نقاط سوداء، وفي الشعر فصل بين شطري البيت الواحد بنقاط سوداء أيضاً، وأستخدم الناسخ ألوان مختلفة - إذ لم تك تظهر بعض الكلمات بشكل واضح خاصة أسماء السلاطين وأسم بهرام باشا - وعمد الناسخ إلى كتابة لفظة "وفي"

بحجم كبير للدلالة على بداية يوم جديد، أو شهر جديد، وهو أسلوب فيه نوعاً من شد الانتباه. وكما ذكرنا سابقاً فقد أتبع المؤلف منهج الحوليات في كتابه هذا ، فقسمه إلى سبعة أبواب، ولم يضع عنوان لكل باب بل أقتصر على تحديد السنوات فكل باب يضم أحداث سنة - عدا الباب الأول - وبالرغم من حرص المؤلف على الإكثار من الحواشي خارج نص المتن، إلا أنها كانت بمثابة عناوين جانبية للنص، فهي - إلى حد كبير - تلخيص أو اختصار للنص، فقد اختزل المؤلف في تلك الحواشي أبرز الأحداث المدونة في كل صفحة، فعلى سبيل المثال، أورد المؤلف في الورقة (رقم ٣) أخبار فضل الروم والأحاديث الدالة على ذلك، وكتب حاشية لتلك الصفحة نصها " فضل الروم المزيد ودوام ملكهم السعيد "، وأحياناً كان يكتب المؤلف أكثر من حاشية للصفحة الواحدة ، إذا كانت أحداث تلك الصفحة كثيرة ومهمة، فعلى سبيل المثال أورد المؤلف في الورقة (رقم ٤٩) أخبار وصول مصطفى باشا ثم موته و أخبار أخرى ، وكتب حاشيتين نص الأولى "وصول الخبر بنزول مصطفى باشا بندر البقعة المعمور"، ونص الثانية "وصول الخبر بوفاة مصطفى باشا وما جرى بعد ذلك " .

منهج التحقيق والنشر:

لقد عمل الباحث قدر المستطاع على أن يلتزم بالمنهج العلمي عند التحقيق، فحرص عند النسخ على ضبط نص المخطوطة، وتوثيقه لإيصاله - بقدر المستطاع - إلى الصورة التي أرادها المؤلف، دون إحداث تغيير أو تبديل، إلا بما اقتضته الضرورة. وعلى سبيل المثال ، قد أضاف الهمزات إلى الكلمات التي تركها الناسخ بدون همزات مثل أمراً (أمراء) ، صلحاً (صلحاء) ، المسا (المساء) وهكذا. وقام الباحث بالتصحيح اللغوي لبعض الكلمات ، مثل أسرا (أسرى)، المسما (المسمى)، وهكذا ، وحرص أيضاً على وضع النقاط على التاء المربوطة وعلى غيرها من حروف الكلمات غير المنقوطة، وهي حالات قليلة، وتصحيح بعض الكلمات مثل سورة بمعنى (صورة)، أما الكلمات التي رسمها الناسخ بهمزة مكسورة وياء، مثل (قبائل، طوائف، كتائب) فقد أثبتتها بالطريقة الصحيحة في اللغة العربية بالهمزة (قبائل، طوائف، كتائب) .

وبالنسبة للكلمات التي كتبت بالرسم القرآني، فقد أثبتتها بالطريقة الصحيحة مثل (صلاة، زكاة، أسحاق، ثلاثة) وغيرها، وفيما يخص الحواشي التي هي جزء من النص - تحتوي المخطوطة على حالة واحدة فقط - فقد وضعها في مكانها الصحيح، وكذلك الحال بالنسبة للكلمات التي كتبت أعلى السطور في نص المتن، فقد أثبتتها في مكانها الصحيح، وقد أثبت تلك التصحيحات اللغوية، والإملائية، والفنية في متن المخطوطة دون الإشارة إلى ذلك في الهامش .

أما الكلمات التي رسمها الناسخ بالطريقة العامية، مثل قرين بمعنى (قرأت)، بقاء بمعنى (بقائه) ، فقد تركها الباحث في أصل المخطوطة، مع الإشارة إليها في الهامش، وفيما يخص الكلمات العربية غير المتداولة، واليمينية العامية مثل (اليازجية، ربعة، ختم، عطيف)، وكذلك الكلمات والألقاب العسكرية العثمانية مثل (اليازجية، الخنكارية، الجندكارية، آغاء، اللوند، وغيرها)، والتي وردت في المخطوطة بزخم كبير، فقد حرص الباحث على توضيح معانيها في الهامش، واستعان في ذلك باستخدام المعاجم العربية، واليمينية، العثمانية مثل (لسان العرب)، لابن منظور، و (معجم الألفاظ اليمينية)، لـ مطهرا لأرياني و(المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية) لـ سهيل صابان، وغيرها من المعاجم، وفيما يخص أسماء الشخصيات التي وردت في النص ، فقد تمت الترجمة لعدد كبير منها وضبطها في الهامش، واعتمد الباحث على أمهات كتب التراجم الخاصة بتلك الفترة مثل (خلاصة الأثر) للمحبي، و (البدر الطالع) للشوكاني، و (نشر العرف) لزبارة و(النور السافر) للعيدروس وغيرها.

ومما يلفت الانتباه هنا أن المؤرخ قد أورد أسماء الكثير من أسماء الباشوات والقادة، و أمراء الطوائف العثمانية، وشخصيات اجتماعية يمنية، أكثرها لم يكن له من الشهرة والتميز، ليدرج ضمن كتب التراجم المعروفة، الأمر الذي استدعى القيام بأعداد تراجم لبعض الشخصيات، من واقع كتب التاريخ التي اهتمت بذكر تراجمهم مثل كتاب (البرق اليماني) للنهر وای، و (الفتح العثماني) لـ سيد سالم، أو بالاعتماد على المخطوطة نفسها في إعداد تراجم بسيطة للشخصيات الأخرى، ووضحت ذلك في الهامش .

أما أسماء المواضع مثل القرى والعزل والمدن، والحصون والقلاع والوديان والقيعان والجبال، والتي أوردها المؤلف، وهي كثيرة بحكم أن معظم أحداث المخطوطة أحداثاً عسكرية، فقد حرص الباحث على توضيح المواقع الجغرافية لتلك المناطق معتمداً على الكتب، والمعجم المعروفة مثل (صفة جزيرة العرب) لـ الهمداني (مجموع بلدان اليمن وقبائلها) لـ محمد الحجري، (معجم البلدان والقبائل اليمينية) لـ ابراهيم المقحفي، وبعض المواقع تُركت دون تعريف نظراً لعدم العثور على تعريف لها في تلك المصادر، وربما يرجع ذلك إلى تغيير في أسماء المناطق أو اندثارها بعامل مرور السنين وغير ذلك.

ومن المميز للمخطوطة أن معظم الأحاديث التي أستشهد بها المؤرخ، قد وردت في الباب الأول وكما ذكرنا سابقاً. وقد قام الباحث بتخريج تلك الأحاديث من كتب الصحاح، وثبت كل ذلك في الهامش.

ومن المؤلف أن يستخدم المؤرخ التاريخ الهجري لتحديد زمن الوقائع، طول أحداث المخطوطة، وذلك نتيجة للثقافة والمنهج الإسلامي السائد آنذاك في كتابة التاريخ، ولذا فقد عمد الباحث إلى إثبات ما يقابلها بالميلادي في الهامش.

وقام الباحث بتقسيم النص إلى فقرات، واستخدم علامات الترقيم (النقطية، الفاصلة، علامات الاستفهام، والتعجب، وغيرها)، مما يسهل عملية قراءة النص واستيعابه، واستخدم الأقواس المختلفة لتمييز بعض النصوص، حيث وضع القوسين () للإشارة إلى الأحاديث النبوية، و القوسين المعقوفين [.....] مع خمس نقاط للدلالة على أن الكلمة غير واضحة من الأصل، وبالنسبة للفراغات الموجودة في الأصل، فقد وضع عبارة (فراغ في الأصل) بين القوسين للدلالة على ذلك. ووضع علامة التنصيص " " للدلالة على الاقتباسات. كما وضعت حرف [ق ...] مع رقم ورقة المخطوطة بين معقوفين للدلالة على بداية كل ورقة من ورقات نص المخطوطة.

وبهذا أرجو أن أكون قد وفقت بعلمي المتواضع هذا بما ينال رضى أساتذتي الإجلاء.

أهمية المخطوطة:

تناولت مخطوطة "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام" فترة مهمة من تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي - فقد شهدت اليمن فيه أحداثاً سياسية كبيرة، كانت بمثابة نقاط تحول في تاريخه، ففي النصف الأول منه انضوت اليمن تحت حكم الدولة العثمانية، وأصبحت إحدى ولاياتها، وما ترتب على ذلك من اندلاع الصراع السياسي، والعسكري بين العثمانيين والأئمة الزيدية، حيث استمر الصراع إلى أن تم إخراج العثمانيين من اليمن للمرة الأولى سنة (١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م).

ولم يقتصر الصراع على الجوانب السياسية والعسكرية فحسب، بل " وقع صدام آخر في النواحي الفكرية والثقافية ، إذ كان من طبعي أن يشترك القلم في المعركة القائمة حينذاك "، فانفردت مرحلة الحكم العثماني الأول لليمن بظهور فئتين من المؤرخين اليمنيين ، فئة انحازت إلى جانب الأئمة الزيديين، والأخرى إلى جانب العثمانيين^(١)، ولكل فئة توجهاتها الفكرية والسياسية الخاصة بها في كتابة تاريخ تلك المرحلة، وهذه الظاهرة الفكرية انفردت بها هذه المرحلة من تاريخ اليمن، إذ لم تشهد فترة الحكم العثماني الثاني لليمن ١٢٨٩-١٣٣٧هـ / ١٨٧٢-١٩١٨م - حسب علمي - أي صراعات في الجوانب الفكرية أو ظهور مصنفات تاريخية مؤيدة للعثمانيين. فقد كانت المصنفات التاريخية تكتب من طرف واحد وهو الطرف المؤيد للقوة الزيدية. (سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثاني).

وكما ذكرنا سابقاً من أن المخطوطة تمثل نموذجاً للمصنفات التاريخية التي انحاز مؤلفوها إلى جانب العثمانيين ، فقد دونت أحداث فترة حكم بهرام باشا لليمن (٩٧٨-٩٨٣هـ / ١٥٧٠-١٥٧٥م) .

وعلى الرغم من قصر هذه الفترة التي تناولتها المخطوط، إلا أن المؤرخ نجح في - إلى حد كبير - في رسم صورة واضحة للحكم العثماني في اليمن خلال تلك الفترة. حيث أبرزت المخطوطة الجوانب السياسية، والإدارية، والعسكرية، والاجتماعية، والاقتصادية لليمن خلال تلك الفترة.

(١) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون. ص ١٠.

محتويات المخطوطة:

النواحي السياسية:

شهدت الفترة (٩٦٣-٩٧٥هـ / ١٥٥٦ - ١٥٦٨م) تدهوراً لأوضاع الدولة العثمانية في اليمن، وذلك عقب ولاية ازدمر باشا - كما ذكرنا سابقاً - ووصل الضعف بها إلى خروج معظم بلاد اليمن عن سيطرتها، وانحصارها أواخر تلك الفترة في مدينة زبيد والمناطق التهامية^(١) الأمر الذي كلف الدولة العثمانية إعداد حملة عسكرية لاستعادة ممتلكاتها، فكانت حملة سنان باشا (٩٧٦-٩٧٨هـ / ١٥٦٩ - ١٥٧١م) . الذي تمكن من استعادة السيطرة على معظم أقاليم بلاد اليمن، حيث أخضع في بداية حملته المناطق الوسطى والجنوبية حتى عدن. في حين واصل أعماله العسكرية في المناطق الشمالية، فسيطر على صنعاء، ووصل بحملته إلى معاقل الأمراء الزيديين في ثلا وكوكبان، وتوصل إلى عقد صلح مع الأمير المطهر بن شرف الدين منتصف ذي الحجة سنة (٩٧٧هـ / ١٥٧٠م)^(٢).

في أثناء ذلك تمكن الأمير علي بن الإمام شرف الدين المتحصن في حصن حب من فك الحصار، وإنزال الهزيمة بالعثمانيين في تلك الجهات^(٣)، في الوقت الذي وصل فيه بهرام باشا إلى اليمن بعد تعيينه والياً بدلاً عن عثمان باشا، وعلى الرغم من قلة جنود حملته الذين وصل بهم من مصر^(٤)، إلا أنه لعب دوراً مهماً في إعادة السيطرة العثمانية على بعض المناطق اليمنية، فقد كانت الظروف التاريخية التي تمر بها اليمن آنذاك مهياًة للعب مثل ذلك الدور، حيث تولى حكم اليمن بعد سنان باشا الذي يعتبر الفاتح الثاني لليمن^(٥).

وتناولت المخطوطة أهم الجوانب السياسية والعسكرية لمراحل حكم بهرام باشا لليمن، منذ وصوله ميناء البقعة إلى أن غادر اليمن، والتي يمكن تقسيمها إلى مرحلتين.

(١) سيد سالم: الفتح العثماني. ص ٢٤٥ .

(٢) سيد سالم: نفس المرجع. ص ٢٨٤-٢٩٣ .

(٣) قطب الدين النهروالي : البرق اليمني . ص ٤٠٤ .

(٤) نفس المصدر. ص ٤٣٣ .

(٥) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون. ص ٥٤ .

المرحلة الأولى :-

– توطيد الحكم في المناطق الجنوبية والوسطى وإخضاع المتمردين .

فالمخطوطة تطالعنا بأعمال بهرام التي قام بها منذ أن وطأت قدماه أرض اليمن فمن خلال تتبع خط سير حملته التي بدأت من ميناء البقعة، ثم إنتقاله إلى زبيد إلى بلدة حيس، ثم موزع، وتوجهه إلى بلاد الحجرية، ووصوله إلى مدينة تعز نجد أنه قد عمل على إظهار هيبة الدولة العثمانية. وبث الرعب والخوف في قلوب أعدائه في تلك الأقاليم التي مر بها، التي أخضعها سنان باشا في بداية حملته وعين الأمراء عليها^(١) "فسار في أحسن نظام، وعسكره في العدد القوة على أكمل تمام، وسنجد العدل يخفق على رأسه، وكل بعيد وقريب قد خاف سطوته وبأسه"^(٢)، لذلك لم يخض بهرام باشا معارك حربية مهمة في تلك المناطق تجدر الإشارة إليها، وإنما أعاد ترتيب أوضاعها، بنشر العدل فيها – سنشير إلى ذلك في الجانب الإداري و الاقتصادي – وكانت المهمة الرئيسية التي كلف بها بهرام باشا آنذاك هي الاستيلاء على حصن حب، والقضاء على الأمير علي بن الإمام شرف الدين^(٣)، وقد بين لنا مؤرخنا المطيب خطوات بهرام باشا في ذلك، فذكر أن بهرام باشا بدأ أولاً بقتال القبائل الموالية للأمير علي في منطقة القاعدة، ثم توجه بعد ذلك إلى منطقة شبان التعكر، والتي – كما يبدو – أخذها مركزاً لإدارة عملياته العسكرية ضد الأمير علي بن شرف الدين. حيث دبر خطة لإحراق مخزن البارود في حصن حب "وكان من مبادئ الملك العلام، لمولانا صاحب الإنعام، أن الهمة الله تعالى أعمال التدبير في إحراق الجبخانة، فدبر الرأي إلى أن ظفره الله تعالى بإحراقها"^(٤). وتوجه عقب ذلك إلى منطقة بعدان لمحاصرة الحصن مباشرة، إلى أن تم الاستيلاء عليه في رجب ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠ م، وذلك بعد موت الأمير علي بن شرف الدين مسموماً في الحصن، وأشار المطيب إلى أن موت الأمير علي كان من توافق الحظ السعيد لبهرام باشا للاستيلاء على الحصن^(٥).

(١) قطب الدين النهروالي : البرق اليمني. ص ٢٣٣.

(٢) النص : ق ٨ .

(٣) قطب الدين النهروالي : نفس المصدر. ص ٤٣٨.

(٤) النص : ق ١٣ .

(٥) النص : ق ١٣ .

وما يؤخذ على مؤرخنا المطيب هنا، بحكم أنه كاتب سيرة بهرام باشا خلال فترة ولايته لليمن، أنه لم يعط تفاصيل دقيقة حول حادثتي إحراق مخزن البارود في حصن حب، وموت الأمير علي بن شرف الدين، كون الحادثتين قد تسببتا مباشرة في سقوط حصن حب، والذي يُعد من أهم إنجازات بهرام باشا العسكرية. حيث اكتفى بالإشارة إلى أن إحراق مخزن البارود كان من تدبير بهرام باشا، في حين نجد تفاصيل إحراق المخزن لدى مؤرخي الفترة نفسها، فالمؤرخان عبد الله بن داعر و النهروالي يوردان تفاصيل تلك الحادثة، و يُرجعا الفضل في إحراق المخزن إلى حُسن تدبير بعض الأسرى العثمانيين، الذين وقعوا في أيدي الأمير علي بن شرف الدين. ولم يشير إلى دور بهرام، أو تدخله في ذلك^(١).

ونجد الأمر نفسه في حادثة موت الأمير علي شرف الدين، حيث ذكر مؤرخنا موت الأمير علي دون إعطاء أي تفاصيل حول كيفية موته. في الوقت الذي نجد فيه أن مؤرخي الفترة نفسها، أكدوا ضلوع بهرام باشا في تسميم الأمير علي بن شرف الدين^(٢).

يبدو أن مؤرخنا المطيب قد عمد إلى أن ينسب بعض الأعمال العظيمة إلى بهرام باشا، ويغض الطرف عن أخرى قد تقلل -من وجهة نظره- من شأن ومكانة شخصية بهرام باشا العسكرية، والتي دائماً ما وصفها بالشجاعة، والكرم، والإقدام، وغير ذلك من الأوصاف.

ومهما كان الأمر، فإن بهرام باشا قد تمكن من الاستيلاء على حصن حب، وأنجز المهمة الموكلة إليه من قبل سنان باشا، ليوصل بعدها مهمة تثبيت السيطرة العثمانية على اليمن، والتي بدأها سنان باشا، وذلك بالقضاء على التمردات القبلية التي وقعت آنذاك.

وتطالعنا المخطوطة بجهود بهرام باشا التي بذلها في سبيل القضاء على التمردات القبلية منها والفردية، والتي قامت بها زعامات محلية، واتصفت تلك التمردات في مجملها بطابعها غير المنظم، الأمر الذي سهل لبهرام باشا القضاء عليها.

(١) قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. ص ٤٣٩. عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية. ج ١، ق ٢١٣.

(٢) عيسى بن لطف الله: روح الروح. نشر / المقحفي، ص ١٩٠. قطب الدين النهروالي: نفس المصدر

ص ٤٤١-٤٤٢. عبد الله بن داعر: نفس المصدر. ج ١، ق ٢١٣.

ومن خلال استقرائنا لتلك التمردات، نجد أنها اختلفت من حيث أسباب اندلاعها. فتمرد الماطري في منطقة السحول، وتمرد المنتصر العلاف^(١) في قفر حاشد، وكذلك الأمر في تمرد الشيخ أحمد قوس^(٢) في منطقة دمار. كل تلك التمردات تداخلت العوامل الاجتماعية (الفقر) والسياسية في تحريكها. حيث أقدم أصحابها على السلب والنهب، كما تأتي هذه التمردات في إطار الخطة التي تبناها الأمير المطهر بن شرف الدين، وذلك حين عمل على تحريض مشايخ القبائل على مهاجمة العثمانيين، وعرقلة تحركاتهم عقب الصلح الذي عقده مع سنان باشا^(٣).

في حين اختلفت أسباب بقية التمردات، حيث نجد أن تمرد المويه في جبلة^(٤) كان رد فعل لسقوط حصن حب في أيدي العثمانيين، وعدم وفائهم بوعودهم له، فالمويه كان أحد قادة الأمير علي بن شرف الدين في حصن حب، وتعاون مع العثمانيين في تسليم الحصن لهم بشرط تعيينه على رأس رتبة عسكرية في جبلة، إلا أن بهرام باشا لم يف بوعده الأمر الذي دفع المويه إلى إعلان التمرد، وحاول الاتصال بالأمير المطهر بن شرف الدين، وكذلك الحال في تمرد مشايخ بني مطر^(٥) الذين تجمعوا وأعلنوا التمرد على الدولة العثمانية، كما أن تمرد الشيخ العواضي صاحب حصن يفوز^(٦) الذي خرج عن طاعة السلطة العثمانية، وكذلك تمرد أهالي جبن بزعامة عمر الذرحاني، كان بسبب رفضهم دفع المال السلطاني^(٧).

وفي الوقت الذي اختلفت فيه أسباب تلك التمردات، فقد تباينت ردود أفعال بهرام باشا تجاهها، حيث استخدم القوة والبطش في إخماد بعضها، كما حدث مع تمرد مشايخ بني مطر، وذلك حين نكل بهم، وأستخدم وسائل تعذيب لم تكن تعرف من قبل مثل سلخ الجلد وحشوه بالنبتين، والطواف بتلك السلوخ المحشية على ظهور

(١) النص : ق ١٦ .

(٢) النص : ق ٤٢ .

(٣) عيسى بن لطف الله: روح الروح. نشر / المقحفي . ص ١٨٦ .

(٤) النص : ق ١٨ .

(٥) النص : ق ٢٧ .

(٦) النص : ق ٢٧ .

(٧) النص : ق ٣٩ .

الحمير في أسواق المدن^(١). وأحياناً كان يهاجم مناطق التمرد، ويشرد زعمائها كما حدث في مناطق جبن وحصن يفوز^(٢)، وفي أحياناً أخرى عمل بهرام على الدخول في تفاوض مباشر مع بعض المتمردين واستمالتهم، وأعادهم إلى طاعة الدولة العثمانية، وأخذ الرهائن منهم، كما فعل مع الشيخ أحمد قوس^(٣).

المرحلة الثانية :-

— توسيع ممتلكات العثمانيين في اليمن *

عاشت الدولة العثمانية في اليمن حالة من الاستقرار السياسي نتيجة لحملة سنان باشا، وعقد الصلح مع الأمير المطهر بن شرف الدين. هذا من ناحية، وموت الأمير علي بن شرف الدين والاستيلاء على حصن حب من ناحية ثانية، الأمر الذي مكن بهرام باشا من سحق التمردات القبلية التي اندلعت فيما بعد دون عناء، كما شجعت تلك الظروف على القيام بتوسيع ممتلكات الدولة العثمانية في مناطق لم تكن خاضعة من قبل لسلطتها.

فمن خلال استقرارنا للمخطوطة حول تلك الفتوح الجديدة التي أختص بها بهرام باشا - كما ذكر مؤرخنا - نلاحظ أن معظم التوسعات العسكرية قد تركزت في المثلث الممتد من جنوب غربي صنعاء إلى شمال غربي ذمار حتى حدود المنطقة النهامية وتشمل (حصون دونه، وريمة، وبلاد الجمعة، والسلفية، وحضن سماه، وحصن يفعان، وقلعة عتمة)^(٤)، يضاف إلى ذلك قلاع المخلاف الجعفري^(٥) (وهي بلاد السحول وبعدان حالياً)^(٦)، وكل تلك المناطق تتميز بخصوصيتها الزراعية، وهي في نفس الوقت مناطق مرتفعة شديدة الوعورة، وقد بالغ المؤلف حين قال إن هذه الأقاليم لم تفتح من قبل، وأن فتحها من خصوصيات بهرام باشا، فمن خلال تتبع خط سير العمليات الحربية لأردمر باشا في اليمن نجد انه قد بسط نفوذ الدولة العثمانية على مناطق (ريمة، عتمة، جهات وصاب، جهات سماه بني النوار) سنة ٩٦٠ هـ /

(١) النص : ق ٢٧ .

(٢) النص : ق ٢٨ .

(٣) النص : ق ٤٢ .

(٤) النص : ق ١٦ ، ٢٢ ، ٣٧ ، ٣٨ .

(٥) النص : ق ٢٩ .

(٦) ربما قصد بذلك بعض القلاع في ذلك المخلاف والتي لم تخضع من قبل لسيطرة العثمانيين .

١٥٥٣م^(١)، ويبدو أن المؤرخ أضاف أسماء هذه الأقاليم التي فسّحت سابقاً إلى جانب أسماء مناطق الفتح الجديد مثل (حصون دنوة، وبلاد الجمعة، والسلفية، وحصن يفعان) وذلك من باب التعظيم لأعمال بهرام باشا العسكرية .

ومن ضمن ما أظهرته المخطوطة في الجوانب السياسية، اتباع بهرام باشا لسياسة أخذ الرهائن من زعماء القبائل، وهو نظام أتبعته الدولة العثمانية في اليمن لضمان ولاء زعماء القبائل لها، وعدم خروجهم عن طاعتها .

وذكر المؤرخ أن بهرام باشا كان يطلب من مشايخ القبائل الرهائن من الرجال على جاري عاداتهم، ومن ضمن ما أتبعه بهرام في هذا الأمر إلزامه للرهائن، والمشايخ على المسير معه في حروبه^(٢) .

واهتم المؤرخ برصد وصول العديد من الوفادات إلى بهرام باشا، والتي اختلفت من حيث غرضها، فمنها ما كان تجديداً للولاء والطاعة للدولة العثمانية من قبل أمراء المناطق اليمنية المختلفة، فذكر مؤرخنا وفادة جعفر ابن صاحب الشحر (٩٧٨ هـ / ١٥٧٠م)^(٣)، ووفادة محمد بن الناصر صاحب الجوف سنة (٩٨٢ هـ / ١٥٧٤م)^(٤)، ومنها ما كانت بمثابة إعلان الخضوع للدولة العثمانية من قبل زعماء بعض القبائل، منها وفادة الشيخ احمد الحجري سنة (٩٨٠ هـ / ١٥٧٢م)^(٥)، ووفادة الشيخ أحمد القانفي سنة (٩٨١ هـ / ١٥٧٣م)^(٦) .

النواحي العسكرية : -

ولعل أهم ما تطالعنا به المخطوطة بهذا الخصوص، ذكر مؤلفها لتفاصيل دقيقة للمشاكل التي كانت تحدث في أروقة المعسكرات العثمانية في اليمن، ونوعية تلك

(١) عيسى بن لطف الله : روح الروح . تحقيق : إبراهيم المقهي، ص ١٤٩ .

(٢) النص : ق ١٠ . أتبع الدولة العثمانية نظام التثليث في الرهائن، ويقصد به اخذ ثلاث رهائن من ضمنها إمرأه . عبد الصمد الموزعي : الإحسان . ص ٦٤ .

(٣) النص : ق ١٥ . حرص سلاطين حضرموت على التوجه إلى صنعاء، أو غيرها لتجديد ولائهم للدولة العثمانية، ودفع الموال المقررة عليهم . سيد سالم : الفتح العثماني . ص ٤٨٧ .

(٤) النص : ق ٣٣ .

(٥) النص : ق ٢٦ .

(٦) النص : ق ٣٣ .

المشاكل، فمعروف أن معظم الجنود الذين وصلوا إلى اليمن وبقوا مع بهرام باشا، كانوا من جند حملة سنان باشا، والذين صدرت الأوامر ببقائهم في اليمن لحفظها. حيث عانى الجنود العثمانيون من مشاكل كثيرة منذ أواخر عهد سنان باشا، وتركزت معظم مشاكلهم في النواحي المالية، سواء ما يتعلق بالترقيات منها أو العلوقة^(١).

كما وفرت لنا المخطوطة معلومات، حول الطوائف العسكرية العثمانية التي كانت متواجدة في اليمن، وأسماء أمرائها، ومنها حمليان يمن، عزبان يمن، نوبخشيان مصر، الجشاريان يمن، الجشاريان مصر، بوفكيان يمن، الشاوشية، الدرك، اليازجية، الأنجشارية^(٢)، وهي تسميات عثمانية - سنوضح معناها في مكانها من النص - فقد كانت الفرق العسكرية العثمانية المتواجدة في اليمن تنقسم إلى ثلاثة أنواع من حيث الانتساب وهي :

— قوات تنسب إلى الباب العالي (الدركاة السلطانية ، أو الأعتاب الشريفة) .

— قوات تنسب إلى مصر، وهي القوات التي وصلت إلى اليمن من مصر مع حملة سنان باشا سنة ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م، حيث أبقت الدولة العثمانية على حوالي ثلاثة آلاف جندي في اليمن، عقب مغادرة سنان باشا، لحفظ الأمن، وبقيت هذه القوات على شكل طوائف مستقلة في الجيش العثماني، وحمل قادتها تسميات وألقاب تدل على انتمائهم إلى مصر (نوبخشيان مصر، جشاريان مصر)^(٣).

— قوات تنسب إلى اليمن (مرتب يمن)^(٤).

كما ورد في المخطوطة ذكر كميات الأسلحة، التي استولى عليها بهرام باشا في حروبه تلك، حيث عمد إلى سياسة انتزاع الأسلحة خاصة النارية منها من أيدي اليمنيين، لإضعاف مقاومتهم، وإجبارهم على الاستسلام، ولم يكتف بهذا، بل عمل

(١) النص : ق ٤٣ ، ٤٤ .

بدأت مشاكل جنود بهرام باشا منذ إرساله من مصر، فقد عانى جنوده الويلات، حيث كانوا مما لا سلاح له وباعوا ملابسهم من أجل الحصول على ما يسد رمقهم، فوصلوا زبيد وهم عرايا جياع . قطب الدين النهروالي : البرق اليمني . ص ٤٣٢ .

(٢) النص : ق ٤٨ — ٤٩ .

(٣) محمد صالحية : وثائق جديدة . ص ٦٢ . أنظر ملحق رقم ١٢ .

(٤) نفس المرجع . ص ٨٠ .

على إرسال جزء كبير منها إلى مصر^(١). فورد في المخطوطة تفصيلات دقيقة حول أسماء ، وأنواع وكميات الأسلحة المستخدمة آنذاك من قبل اليمنيين، فقد ذكر المؤلف المطيب أنه خلال الفترة من ٧ ذي الحجة سنة ٩٧٧هـ / ١٤ مايو ١٥٧٠م، إلى ذي القعدة سنة ٩٨٢هـ / مايو ١٥٧٤م ، استولى بهرام باشا على كميات من الأسلحة^(٢).

مفصلة على النحو الآتي :-

— من البنادق ٧٣٤٩ قصبية^(٣)

— من السيوف ١٠٣٩٠ سيفاً

— من الطوس ٨٠ ، من المزاريق ٣٠٢٣ ، ومن العطوف ١٠٠٠ ، ومن

الخوذ ٩٧ ، ومن الحافر ٨٠ .

وتم الاستيلاء على هذه الكميات على مرحلتين

— الأولى من ٧ ذي الحجة ٩٧٧ هـ إلى آخر صفر ٩٨٢ هـ^(٤)

— الثانية من جمادى الآخر ٩٨٢ هـ إلى ذي القعدة ٩٨٢ هـ^(٥)

ومن الملاحظ أن الكميات الكبيرة من الأسلحة النارية التي استولى عليها بهرام باشا من أيدي اليمنيين، يعكس حجم التسلح لديهم بهذا النوع من الأسلحة الذي لم يعرفوه من قبل، إلا منذ فترة قريبة، فقد دخل السلاح الناري لأول مرة إلى اليمن عند قدوم

(١) النص : ق ٤١ .

(٢) أورد المؤلف أن مجموع عدد البنادق ٧٨٢٨ بندقاً، ومجموع عدد السيوف ١٠٢٢١ سيفاً، في حين أن مجموع أعدادها الصحيحة ، هو ما ذكرناها ، وذلك بحسب ما ورد. النص : ق ٤٠-٤١ .

(٣) سنشرح تعريفات هذه الكلمات في الهوامش عند ورودها النص.

(٤) كمية الأسلحة في المرحلة الأولى على النحو الآتي : ٧٠ حصناً، ٦٣٣١ بندقاً، ٩٣١٧ سيفاً، ٣٠٢٣ مزارقاً ، ١٠٠٠ عطيفاً، ٩٧ خوذ ، ٦٠ طاسه. النص : ق ٣٨ .

(٥) كمية الأسلحة في المرحلة الثانية هي : ١٠١٧ بندقاً ، ١٠٧٣ سيفاً ، ١٠ طوس ، ٨٠ من الخيل . النص : ق ٤٠-٤١ .

ورد في الأمر (لم تذكر الجية أو الشخص الموجه له، ويبدو أنه موجه إلى والي مصر) بتاريخ ربيع أول سنة ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤م أن بهرام باشا جمع من العصاة في اليمن كمية من الأسلحة على النحو الآتي : ٦٢٣٠ بندق ، ٣٠٠١٧ سيف ، ٥٠٠ مزارق ، ٥٠٠ سكين. ويبدو أن هذه الكمية هي من ما قبض في المرحلة الأولى حيث يتضح ذلك من تاريخ الفرمان . أنظر وثيقة محفوظة لدى الأستاذ فؤاد الشامي، تحمل الرقم ١٧٨٠، تاريخ ربيع أول سنة ٩٨٢ هـ ، ترجمة محمود علي عامر. ملحق رقم: ١٣ .

المماليك^(١)، كما يظهر مدى شراسة القتال انداك بين العثمانيين واليمنيين المحاربين لهم .

النواحي الإدارية والمالية:

تطالعنا المخطوطة بتفصيلات دقيقة للنواحي الإدارية العثمانية في اليمن ، التي قلما نجدها في المصادر التاريخية اليمنية لنفس الفترة، فذكر المؤلف المشاكل التي كانت تحدث في صفوف الموظفين، و العساكر العثمانيين الأمر الذي يعكس مدى الخلافات والصراعات التي كانت تدور في أروقة الإدارة العثمانية في اليمن خاصة بين الولاة والدفترداريين، والذين كانوا بمثابة وزراء مالية في الولايات، ويحتلون المرتبة الثانية بعد الولاة^(٢). فنقل لنا مؤرخنا المطيب صورة مثالية لمثل تلك الصراعات ، والتي كثيراً ما كانت تحدث في تلك الفترة ، فذكر المؤلف أحداث فتنة دمار سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م حين طالب الجنود بالترقيات والحصول على العليق والجرابة (البخشيش)، وذلك حينما علموا بوفاة السلطان سليم الثاني وتولي السلطان مراد للحكم، وهي من العادات القديمة في الدولة العثمانية التي سنها السلطان محمد الفاتح، حيث كان يمنح الجنود هبات وعطايا وترفع مرتباتهم عند تولي سلطان جديد^(٣)، وكان الدفترالدار قد أخبرهم بذلك، وحرصهم على المطالبة بها، إذ يعد ذلك من مهماته^(٤). وما تلا ذلك من وقوع فتنة الجند، وقيام بهرام باشا بمعالجة الموقف حين أمر بتوزيع الأموال عليهم لإيقاف الفتنة^(٥).

كما ذكر أيضا أحداث الفتنة الثانية والتي تزعمها الدفتردار، والتي حرص فيها الجنود أيضاً على الخروج عن طاعة بهرام باشا، وأغراهم بدفع الجرايات والترقي،

(١) عيسى بن لطف الله : روح الروح. ص ٢٢.

(٢) سيد سالم : الفتح العثماني . ص ٣٩٠ .

(٣) نفس المرجع : ص ٣١٣ .

(٤) كان يتم تعيين وعزل الدفتردار من قبل نظارة المالية ، بعد أخذ رأي الوالي ، ومهام الدفتردار تنفيذ أحكام القانون المالي والأنظمة والتعليمات المالية ، والإشراف على تنفيذ الأحكام الواردة في الميزانية السنوية ببودها المختلفة من إيرادات ومصروفات ، والإشراف على التشكيلات المالية الموجودة بالولاية باعتباره المرجع الفني لهذه التشكيلات . عبد الكريم العزيز : التشكيلات المركزية . ص ٢١٠.

(٥) النص : ق ٤٣ - ٤٤ .

مما أدى إلى وقوع الفوضى في تلك الفترة^(١)، وقيام بهرام بمعالجة هذه المشكلة و يعكس هذا مدى التدهور الإداري الذي عاشته إدارة بهرام في فترتها الأخيرة، وهو الأمر الذي لم يستطع المؤرخ إخفاءه، على الرغم من محاولته اتهام العسكر والدفتردار بإثارة الفوضى و الفتن^(٢).

وقد سعى المؤرخ المطيب من وراء ذكر حوادث تلك الفتن والمشاكل إلى جانب كونها جزءاً من تاريخ الفترة، إلى إظهار دور الباشا بهرام في معالجة تلك القضايا . ومما أظهرته المخطوطة في هذا الجانب أيضاً إبراز السياسة التي أتبعها الدولة العثمانية في التقرب من الأهالي، والاستعانة بهم في إدارة شؤون البلاد في مختلف الوظائف سواء منها الإدارية، أو العسكرية، أو القضائية.

وتطالعنا المخطوطة بأهم إجراءات بهرام باشا في هذا المجال، فمنذ الوهلة الأولى لوصوله إلى اليمن عمل على تقريب العلماء والأدباء إلى مجلسه، وأختار مجموعة منهم لمساعدته في تسيير بعض أمور الدولة، فقد عين القاضي عبدالصمد بن عبد العليم المحرقي للعمل في الديوان السلطاني - في اليمن - وعين

(١) النص : ق ٤٦ .

(٢) ومما يلفت الانتباه أن الاضطرابات التي وقعت في صفوف الجيش قد وقعت في السبعة الأشهر الأخيرة من حكم بهرام باشا - من ١٤ ذي القعدة سنة ٩٨٢هـ / الموافق ٢٦ فبراير ١٥٧٤م إلى أوائل جمادى الأولى سنة ٩٨٣هـ / أغسطس ١٥٧٥م - وهذه الفترة تخللتها أحداث مهمة ، ففي ١٤ ذي القعدة ٩٨٢هـ - كان وصول الدفتردار إلى اليمن وحمل معه أخبار وفاة السلطان سليم الثاني ، وتولي السلطان مراد الثالث ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م ، و عزل بهرام باشا ، وفي هذه الفترة وقعت فتنة الجنود الأولى حينما طالبوا بمخصصاتهم المالية في مثل هذه المناسبة، وفي ٢٤ ذي القعدة من نفس السنة وصل مرسوم سلطاني بعزل بهرام باشا عن ولاية اليمن ، وتعيين مصطفى باشا فووقت فتنة الجنود الثانية بزعامة الدفتردار وفي ٥ ربيع الأول ٩٨٣هـ / ٢٠ يونيو ١٥٧٥م وصل مصطفى باشا إلى بندر البقعة ومات في اليوم الثالث من وصوله ، فتولى بهرام شؤون الولاية و كانت الفتنة قد وصلت إلى ذروتها فتمكن من إخمادها في أوائل جمادى الأولى من نفس السنة .

ومما سبق يبدو أن شخصية بهرام قد لعبت دوراً كبيراً في وقوع أحداث الفتنة ، فقد بدأت تلك الفتن منذ وصول إخبار عزله مباشرة ، وتواصلت إحداثها حتى وفاة مصطفى باشا ، دون أن يقوم بهرام باشا بإخماد أحداثها ، وحين تولى الحكم مرة ثانية عمل على ضبط الأوضاع وأخمد أحداث الفتنة. ويؤكد ذلك ما ذكره المؤرخ عبدالله بن داعر في حديثه عن بهرام عقب موت مصطفى باشا " فاطمأنت حينئذ نفس بهرام باشا ، وكأنه أستأنف الولاية ورجع إليه من أمره ما شاء [...] وأخذ في انتقام من عاداه قبيل ذلك من الأعيان والعساكر، ومن سعى في أمر محاصرته". عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية، ج١، ق ٢١٤.

أيضاً القاضي عبدالعليم الاحمر كاتب إنشاء في الديوان السلطاني^(١) ، كما قرب إليه القاضي أحمد بن عبدالرحيم التبريزي وجعله من خاصته، وأوكل إليه العديد من الأعمال الخيرية والإعمارية^(٢)، كما عين الشيخ أحمد الحجري والياً على الحجرية^(٣) وتعطينا المخطوطة تفصيلاً لإجراءات ومراسيم استقبال، وتوديع الولاة العثمانيين في اليمن، حيث اتبعت الدولة العثمانية إجراءات خاصة بهذا الشأن، فعند عزل الولاة كان يتم إبلاغهم بذلك، عن طريق مندوب يحمل معه مراسيم العزل، ومراسيم تعيين الوالي الجديد، فيجتمع الوالي المعزول مع كبار موظفي الدولة من الأغوات وقادة الجند، ويبلغهم بتلك المراسيم، ثم يختار نائباً له يسلمه الأموال الموجودة في الخزانة السلطانية، ويستعد للرحيل^(٤).

وأبرزت المخطوطة السياسة الإدارية التي سار عليها الولاة العثمانيون فيما يتعلق بإقامتهم للمخيمات، والمعسكرات السلطانية خارج المدن عند وصولهم، واتخاذهم لهذه المخيمات مقاراً لتسيير أمور الدولة، وتطوير بعض تلك المخيمات لتصبح مدناً - مثل مدينة ملحظ - أو مراكز لحكم الولاية، فذكر مؤرخنا نزول بهرام باشا في العديد منها، خلال رحلته من زبيد إلى نمار^(٥). كما أظهرت المخطوطة جانباً من العقوبات التي لم تك معروفة لدى اليمنيين المتمثلة في سلخ جلود - من تعتبرهم خارجين على القانون - وحشوها بالتبن والحشر، والتشهير بها في الأسواق، وعلى الرغم من بشاعة هذه العقوبات إلا ان مؤرخنا لم ينتقد بهرام باشا^(٦).

أما ما يتعلق بالنواحي المالية، فقد دأبت الدولة العثمانية على التأكيد حول مسألة تحصيل المال السلطاني - دون ظلم الأهالي - في رسائل (فرمانات) سلاطينها إلى ولايتهم^(٧)، وتطالعنا المخطوطة بأجراءات بهرام باشا بهذا الخصوص، إذ لم

(١) النص : ق - ٤ .

(٢) النص : ق - ٢١ - ٢٢ .

(٣) النص : ق ٢٧ .

(٤) النص : ق ٢٥ ، ٣٥ - ٤٥ ، ٥٦ - ٥٧ .

(٥) النص : ق ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ... ق ١٩ .

(٦) النص : ق ٢٧ .

(٧) أنظر ملحق رقم : ٨ ، ١٠ .

يتهاون في تحصيل تلك الأموال، فقد أتخذ إجراءات رادعة ضد من تلاعب، أو تباطأ في تسليمها من الأهالي، حيث عزل الوالي أحمد الحجري – والي الحجرية – وحبسه حين تأخر عن دفع المال السلطاني المشروط عليه^(١)، كما أرسل حملة عسكرية على منطقة جبن حين رفض أهلها دفع تلك الأموال^(٢).

النواحي الاجتماعية (المناسبات الدينية الأعمال الخيرية) .

لم يغفل المطيب النواحي الاجتماعية – المتمثلة بالأعمال الخيرية و المناسبات الدينية (المولد النبوي ، قافلة الحج) – في كتابه، فقد ذكر العديد من تلك الأعمال التي أهتم بها بهرام باشا وأحاطها بهالة من التعظيم.

حيث أتبع المؤرخ منهاجاً محدداً في حديثه عن تلك الأعمال، بالإشارة إليها عند ذكره لإحداث كل سنة بقوله "في ذكر ما اشتملت عليه سنة [...] من الفتوحات والصدقات، وغير ذلك"^(٣).

وترجع أهمية ما ذكره المؤرخ بهذا الخصوص إلى الطريقة والأسلوب الذي أتبعه بهرام باشا في توزيعه للصدقات، حيث أشار إلى أن عملية توزيعها كانت تتم بموجب دفاتر وسجلات خاصة بالحالات المستحقة^(٤). و أشار إلى بعض الأعمال الخيرية التي أقرها بهرام باشا في جامع الأشاعرة، التي تمثل جزءاً من تاريخ هذا الصرح التعبدي^(٥)، كما رسم المؤرخ المطيب صورة دقيقة لتفاصيل الطقوس الدينية الخاصة بإحياء ذكرى المولد النبوي في تلك الفترة ، فذكر أن هذه الاحتفالات كانت تقام ليلة الثاني عشر من شهر ربيع لأول، و تبدأ بقراءة القرآن الكريم ، وقراءة

(١) النص : ق ٢٧ .

(٢) النص : ق ٣٩ .

(٣) النص : ق ٢١ .

(٤) النص : ق ٢٢، ٣٥ . اشتهر العثمانيون بدقة التسجيل واهتمامهم بالسجلات والدفاتر الحكومية وذلك منذ قيام دولتهم ، فقد كان الولاة والعمال يهتمون بتسجيل التقسيمات الإدارية المختلفة ، وكذلك عنوا بتسجيل أسماء معولي الخزينة العامة من ملاك وفلاحين وتجار وبتسجيل أوجه الصرف المختلفة وغير ذلك. سيد سالم : الفتح العثماني . ص ٤٨٣ .

(٥) أمر بهرام باشا بكتابة مقدمة وتجزئة للقرآن الكريم وإلقائها بجامع الأشاعر وعين عشرة من الدارسين يقرؤونها بالختم كل صباح ، وأوقف عليها أوقاف وناظر يشرف على ذلك . النص : ق ٢٢ – ٢٣ ، ذكر عبد الرحمن الحضرمي أن هذه المقدمة مازالت تقرأ في الجامع المذكور إلى هذه الأيام . عبد الرحمن الحضرمي : زبيد مساجدها ومدارسها . ص ٥٨ .

المولد النبوي الشريف، ثم الدعاء للسلطان الأعظم ، وبعد ذلك يوزع للناس المأكول الحلو ويرش عليهم الروائح الطيبة^(١).

كما أظهر المؤرخ مدى اهتمام بهرام باشا بقافلة الحج (المحمل اليمني)، والذي يعد من التقاليد التي سار عليها الولاة العثمانيون، منذ ولاية مصطفى باشا النشار^(٢)، فوصف مدى اهتمام بهرام باشا بالمحمل الشريف من حيث تجهيزه وإعداده وتعيين أفراد الحج، وكسوة المحمل واختيار أميرها^(٣)، ومدى اطمئنان الناس للحج في ظل الدولة العثمانية^(٤)، ورصد مؤرخنا ست رحلات حج خلال عهد بهرام باشا، كانت أولها سنة ٩٨٧ هـ / ١٥٧٠ م، وأخرها سنة ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥ م^(٥).

النواحي الاقتصادية والعمرانية:

كان كتاب المطيب يشبه - إلى حد كبير - التقارير السنوية، حيث دون المؤرخ كل أعمال بهرام باشا وتحركاته، دون التطرق بشكل مباشر إلى الأوضاع الاقتصادية، فقد جاء حديثه عن الحالة الاقتصادية لليمن مقرونا بإنجازات بهرام وكراماته، فذكر حالات القحط، والغلاء التي كانت تمر بها بعض المناطق والمدن،

(١) النص : ق ٢٤ ، ٣٢

(٢) سيد سالم : الفتح العثماني. ص ٤٧٨ .

سُير أول محمل حج يمني في عهد الوالي العثماني مصطفى باشا النشار سنة ٩٦٣ هـ / ١٥٥٥ م. قطب الدين النهروالي : البرق اليمني . ص ١٢١ .

(٣) النص : ق ٣٠ . كانت إمارة قافلة الحج وفقا على أحد أمراء المناجق أو نائب الوالي ، أو لشخص يتفق عليه مجلس الولاية وينال ثقة المفتي والقاضي ولم يتولها أحد الإنكشارية. محمود عامر: قافلة الحج اليمني. مجلة الإكليل ، العدد الأول، ١٩٩٢م، من ص ٣٣ إلى ص ٤٥ . ص ٣٧ .

(٤) النص : ق ٢٠ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٣٤ . تنافس حكام الولايات العثمانية في الاهتمام بحجاج ولاياتهم، وغدت فترة بقائهم كالولاية رهنا بسلامة محمل الحج ذهابا وإيابا. محمود عامر : نفس المرجع . ص ٣٤ .

(٥) كانت مدة ولاية بهرام باشا لليمن سبعة سنوات سير خلالها المحمل ولم يتوانى في ذلك - لم يسير محمل سنة ٩٧٧ هـ - كونه تولى إمارة اليمن في أواخر شهر ذي الحجة - وهذا يعكس مد الاستقرار السياسي الذي عاشته اليمن خلال عهده حيث أصبح تسيير المحمل مقرون بمدى هدوء الأوضاع السياسية في الولاية ، وخلال الفترة الحكم العثماني الأول لليمن ٩٤٥ - ١٠٤٥ هـ / ١٥٣٨ - ١٦٣٥ م، لم تنتظم قافلة الحج اليمني بإدارة عثمانية أكثر من ثلاثين عاما وبشكل متقطع منها ستة أعوام في عهد بهرام باشا. محمود عامر: نفس المرجع. ص ٣٦ .

مشيرا إلى ما كان يعقبها من رخاء وخير بفضل قدوم بهرام باشا، فكان من الصعب استشفاف رؤية واضحة للأوضاع الاقتصادية من المخطوطة، دون إزالة غلاف المبالغات والكرامات التي أحاط بها المؤرخ تلك الأخبار .

من المعروف أن قدوم بهرام باشا إلى اليمن كان في إطار الخطة التي رسمتها الدولة العثمانية لإعادة سيطرتها على اليمن، حيث شهدت معظم المناطق التي استعادتها الدولة العثمانية خلال حملة سنان باشا، وبهرام باشا حروبا مع آل شرف الدين، وتعرضت معظم تلك المناطق لإعمال السلب والنهب من الطرفين المتصارعين، وخربت الحقول والمزارع أيضا. الأمر الذي أدى إلى وقوع حالة من القحط، والفقر في كثير من الأقاليم نتيجة تلك الأعمال، وأشار مؤرخنا إلى تلك الحالات في ثنايا حديثه عن تقدم بهرام باشا نحو تلك الأقاليم، منوهاً إلى أن قدومه ووصوله إليها قد أشاع الرخاء ، وأرخص الأسعار"ومن عظيم بركته وحسن نيته، أنه كان قبل وصوله إلى المحل المذكور (زبيد) غلاء وشدة في السعر، فزال ذلك ببركة قدومه، وحصل رخص في الطعام وغيره في تلك المدة"^(١).

ومما أشار إليه المؤرخ فيما يخص النواحي الاقتصادية، ذكره للنظام الذي اتبعته الدولة العثمانية في تحصيل أموال الأراضي في اليمن (الخراج)، إذ لم تقدم الدولة العثمانية على تقسيم أراضي اليمن إلى تيمارات، أو زعامات (خاصات)^(٢)، كما في غيرها من الأقاليم، ولجأت إلى اتباع نظام الضمان^(٣) (الالتزام)، و ما سببه من ظلم وإجحاف في حق الرعية إذ منح القائمين عليه فرصة استغلال الأهالي وجمع

(١) النص : ق ٥ .

(٢) حاولت الدولة العثمانية تطبيق نظام الإقطاع العسكري لأراضي اليمن ، لكنها فشلت لأن هناك أنظمة تنظمه منها ، أن كل ٨٠ - ٩٠ قرية تمثل تيمار ، وهذا يعني تعدد التيمارات والزعامات في اليمن أضافه لصعوبة أراضي اليمن (التضاريس) ، وترك الفلاحين اليمنيين - في أغلب الأحيان - للأراضي التي تستولي عليها الدولة العثمانية . لذا لجأت الدولة العثمانية إلى مبدأ الالتزام . محمود عامر: اليمن من خلال لاحتني محمد خليل أفندي. مجلة الإكليل، العدد الثاني، ١٩٨٩م، ص ٨٢.

(٣) الضمان: أتبع في اليمن نظام الضمان في جمع الخراج من الرعايا، وكان تفرض مقادير معينة من الضرائب على الأراضي والمواشي، وتبقى هذه الأرقام مسجلة في الدفاتر الخاصة، ويعمل بها دون مراعاة لتغير أحوال الناس، أو كمية الأمطار وحالات الجفاف، وما قد يصيب المزروعات من أمراض. سيد سالم: الفتح العثماني. ص ٣٦٢.

ثروات كبيرة على حسابهم^(١)، فعمل بهرام باشا على إزالة هذا النظام "خاصة في منطقة تهامة"، كما ألغى الضرائب غير المستحقة على نخل وادي زبيد ومدينة موزع، إذ كان الجباه يحصلون الأموال المقررة في سجلات الدولة من أصحاب النخيل، دون مراعاة حالة المواسم الزراعية، أو ما قد يصيب النخيل من أمراض أو أنه مازال مثمراً أو غير مثمر، حيث أقر بهرام باشا نظاماً رفع به ذلك الظلم عن كاهل الرعية، وذلك حين أمر بأن تكون الضرائب على النخيل المثمر، ويكون إحصاء النخيل سنوياً من قبل مجموعة من الأمناء أهل الثقة^(٢).

ومن إصلاحات بهرام باشا الاقتصادية قيامه بإقراض الطعام (البذور) للراعياء عند حاجتهم من مخازن الدولة على أن يردوا ذلك بنفس المقدار^(٣)، فهذا النظام يشبه في وقتنا الحالي (بنك التسليف الزراعي)^(٤)، كما ورد في المخطوطة ذكر أسماء العملة و المقاييس المعمول بها آنذاك، و سنوضح معانيها ومقاديرها في مكانها المناسب في التحقيق.

وفيما يخص الجوانب العمرانية، فقد ذكر مؤرخنا المطيب العديد من المآثر العمرانية التي أنشأها بهرام باشا، أو التي قام بتجديدها، منها على سبيل المثال لا الحصر بنائه لجسر عتمة، وقلعة في جهة ذراع الكلب، والسماسر والسدود^(٥)، وأشار إلى إصلاحاته في مدينة زبيد بتجديده لسور المدينة، وأصلاح النهر المار شرقي المدينة.

كما أورد المؤرخ معلومات تفصيلية حول ترميم الجامع الكبير في مدينة زبيد سنة ٩٨١هـ / ١٥٧٣م، فقد ذكر أن بهرام باشا كلف القاضي أحمد التبريزي بإعادة ترميم الجامع، ووصف المؤرخ خطوات ترميم الجامع. وتعود أهمية تلك المعلومات إلى أنها تمثل جزءاً من تاريخ الجامع ومراحل ترميمه^(٦).

(١) سيد سالم :- الفتح العثماني ص ٤٨٦ .

(٢) النص : ق ١٢ ، ٢٦ .

(٣) النص : ق ٥٥ .

(٤) سيد سالم : نفس المرجع . ص ٤٨٧ .

(٥) النص : ق ٥٥ .

(٦) النص : ق ٣٠ .

إلا أن أهم ما ورد عند المؤرخ في هذا الخصوص، ذكره لقيام بهرام باشا ببناء مدينة ملحظ جنوب مدينة ذمار، وهي المدينة التي أتخذها مقراً لحكمه، وتعد مخطوطة المطيب المصدر الوحيد - حسب علمي - الذي قدم معلومات حول هذه المدينة من حيث تاريخ بنائها، وأهميتها، والغرض من بنائها.

فذكر أن تاريخ إختطاطها كان في العاشر من شهر رمضان سنة ٩٧٨هـ / السابع من فبراير ١٥٧٠م، وأن عدد حروف أسمها قد طابق تاريخ بنائها - سنوضح ذلك في التحقيق - محدداً موقعها بجنوب مدينة ذمار، وأرجع المؤرخ أهمية موقعها لتوسطه ما بين صنعاء وتعز وعدن وبعدان وزبيد، وما والاها إلى جهات جازان وهو ما أهلها لتكون مقراً للباشا، ومركزاً لحكمه^(١).

وحدد المؤرخ المطيب بناء مسجدها بتاريخ شعبان من سنة ٩٨٠هـ / ديسمبر ١٥٧٢م^(٢)، وظل يكرر ذكر أسم ملحظ في المخطوطة على أنها كانت مركز حكم بهرام باشا، ومقراً لمعظم رجال دولته، وما كان يقع بها من أحداث ومشاكل. ولم ترد معلومات أخرى حولها لدى مؤرخنا، في حين تناثرت المعلومات عنها في ثنايا المصادر التاريخية، فذكر المؤرخ الموزعي أن بهرام باشا ضرب سكة نقدية عرفت باسم الملحظية "وضرب السكة المباركة في ملحظ، وهي المشهورة الباقية الآن مع الناس المسماة بالملحظية [...] ومحل أقامته هناك عمارات ابتناها الأمراء والأكابر الذين كانوا معه في مخيمه"^(٣)، وأشار المؤرخ عيسى بن لطف الله إلى سوق ملحظ بقوله "وتحزبت العساكر السلطانية على بهرام باشا، وعاثوا في الأنام ونهبوا سوق ملحظ، وكثر الخوف منهم"^(٤) كما ذكرها المؤرخ الجرموزي

(١) النص : ق ١٩ .

(٢) النص : ق ٢٩ .

(٣) عبد الصمد الموزعي : الأحسان . ص ٤٧ .

لم يرد ذكر خبر ضرب السكة الملحظية عند المؤرخ المطيب، على الرغم من أهميته إذ ليس من السهل بمكان أن يتعاقف عن مثل هكذا حدث، وهو الذي دون أدق التفاصيل عن أعمال بهرام باشا، وأنسبها هالة من التعظيم خاصة إذ ما علمنا أن التوجيهات السلطانية صدرت إلى بهرام باشا بضرب العملة على نفس المعيار الذي ضربت به في عهد سنان باشا. أنظر محمد صالحية: وثائق جديدة. ص ٨٤ .

أما تسميتها بالملحظية فربما تعارف الناس على تسميتها بذلك نسبة إلى مكان ضربها وذلك في فترة متأخرة عن عصر المطيب .

(٤) عيسى لطف الله : روح الروح . ص ٢٠٣ .

باسم ذمار الصغرى "بهرام باشا ولي على صنعاء وبقي في ذمار الصغرى، وأقطع كبار العجم"^(١)، في حين يعتبر المؤرخ الكبسي أول من ذكر خرابها، دون تحديد تاريخ هذا الخراب بقوله "سوق ملحظة قبلي قرن ذمار، وعدني مدينة ذمار، والمدينة حق ملحظة بجوار السوق وقد خربت"^(٢).

ومما ذكر سابقاً يتضح أن أركان المدينة (المسجد، السوق، مقر الحكم، مباني الحاشية، دار ضرب السكة) قد اكتملت في ملحظ، كي تنطبق عليها تسمية مدينة^(٣). وعليه فإن مدينة ملحظ تعد إحدى أقدم المدن - حسب علمي - التي أسسها العثمانيون لتكون مقراً للحكام والموظفين، فهي تتشابه من حيث غرض البناء مع مدينة بئر العزب بصنعاء، التي أسست في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي^(٤).

وتمثل المعلومات التي أوردها مؤرخنا (وغيره) عن مدينة ملحظ، أهمية كبيرة فيما يخص تاريخ مدينة ذمار السياسي والعمراني بحكم أنها أصبحت في تلك الفترة مركز حكم ولاية اليمن في عهد بهرام باشا.

وقد جاء اهتمام بهرام باشا بتلك الأعمال مُسيرة للنهج الذي سلكه الكثير من الولاة العثمانيين السابقين، والتي سعوا من ورائها - ومنهم بهرام باشا - لتخليد ذكراهم، و كسب سمعة طيبة بين الأهالي ومحاولة إرضائهم^(٥)، ومسايرة لتوجه الدولة العثمانية، التي شددت على ولايتها للقيام بمثل هذه الأعمال، سعياً منها لإقرار أوضاع اليمن^(٦).

(١) المطهر الجرزموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ص ٧٦٢ .

لم يرد تسميتها بهذا الاسم إلا عند الجرزموزي ، ولا ندرى هل فعلاً ، تعارف الناس على هذا الاسم فيما بعد ، أم أن المؤرخ أطلق عليها ذلك تجاهلاً منه لأسمها الذي أطلقه عليها بهرام باشا، فقد عرف عن الجرزموزي شدة تحامله على الدولة العثمانية وعلى ولايتها .

(٢) محمد إسماعيل الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية. القاهرة، مطبعة السعادة، (د.ت)، هـ . ص ١٩٢ .

(٣) جمعت تلك المعلومات حول ملحظ للتأكد من مدى انطباق كلمة مدينة على ملحظ، نظراً للهالة التي أحاط بها المؤرخ المطيب كل أعمال بهرام باشا.

(٤) محمد عبد العزيز يسر: الموروث الحضاري لمدينة صنعاء، جامعة صنعاء، ٢٠٠٤م ، ص ١١٦ .

(٥) أميرة المداح : العثمانيون والإمام القاسم. ص ٩٩ .

(٦) محمد صالحية : وثائق جديدة. وثيقة رقم : ١٥٢٠، أنظر ملحق رقم ١٢ .

ويبدو أن بهرام باشا قد نال رضا السلطنة العثمانية بما أنجزه من أعمال في المجالين العسكري والإداري، على الرغم مما تخلل ذلك من أحداث فتنة الجند وغيرها، إلا أن رضا السلطان عليه كان واضحاً ، فقد أرسل فرمان بترقيته ، وبمنحه خلعة وبرده، وزيادة معاشه ١٠٠٠٠٠٠ آقجة^(١).

(١) وثيقة محفوظة في مكتبة الأستاذ فؤاد الشامي، تحمل الرقم ١٧٨٠ ، بتاريخ ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م ، ترجمة محمود علي عامر. ملحق رقم ١٣ . الأقجة : هي وحدة النقد الفضية المركزية العثمانية وتزن ٧٣١,٠٠ غرام من الفضة الخالصة. محمد صالحية : وثائق جديدة. هـ . ص ٧٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[ق ١] الحمد لله الذي أضلع أنوار العدل ومهد أحكامه، وعمّر قواعده الفضل وأحكم نظامه، ورفع منار الأمن ونصب أعلامه، وهدم بنيان الجور وأزال ظلامه والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للعالمين المؤيدة شريعته الغراء بالخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، والأمراء العادلين وعلى آله وأصحابه والتابعين صلاة وسلاماً دائماً دائمين إلى يوم الدين. وبعد فهذا كتاب صغير الحجم بديع النظم عزيز الرسم قريب الفهم، جمعت فيه تاريخ بعض أيام الدولة العادلة العثمانية باليمن المعمور، وما وقع به في تلك الأيام من الفتح المشهور المنصورة بنيابة مولانا صاحب السعد الجديد والحظ السعيد، والرأي السديد والبطش الشديد من أخطى ظلمات الظلم بقطر اليمن، وأثار نواحيه بضياء عدله في هذا الزمن، وأطفأ نيران الفتن النائرة به والمحن، المبعوث من الحضرة السلطانية السليمية^(١). إذ هو عين أعيانها، وزعيم أنصارها، ورأس أعوانها سيف سلطان الإيمان والإسلام، رافع ألويته إلى فلك البدر التمام باذل الإحسان والإنعام مولانا بهرام باشا^(٢) أدام الله عزه على مر الأيام، وأسعد بدوام دولته العادلة جميع الأنام.

(١) السليمية : نسبة إلى السلطان العثماني سليم بن سليمان القانوني الذي حكم خلال الفترة (١٥٦٦-١٥٧٤م / ٩٧٤ - ٩٨١ هـ) وقد تولى الحكم خلفاً لأبيه، استولى الترك في عهده على قبرص من البنادقة واستعادوا تونس من الأسبان ، وقد أُنقذ وجود صدر أعظم لدولته هو محمد صقلي باشا الذي كان محتكاً سديد الرأي ، وقد خلفه في الحكم ابنه مراد الثالث. محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة ، مؤسسه فرنكلين للطباعة والنشر.(د.ت) ص١٠٠٠، حسين مجيب المصري : معجم الدولة العثمانية ، القاهرة، مكتبة الأنجلو ، ١٩٨٩م ، ص٩١.

(٢) بهرام باشا : هو ابن مصطفى باشا قره شاهين ، تولى بكتريكية اليمن سنة ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م ، وهو من أسرة لها باع طويل في حكم اليمن ، فوالده مصطفى باشا قره شاهين تولى بكتريكية اليمن خلال الفترة ٩٦٤ - ٩٦٨ هـ / ١٥٥٦-١٥٦٠م، وتولى أخوه ورضوان باشا بكتريكية اليمن أيضاً خلال الفترة ٩٧٢ - ٩٧٤ هـ / ١٥٦٤ - ١٥٦٦م ، وعرف عن بهرام باشا حسن السياسة ورفع المظالم عن الناس ، وقيل أنه خفف على الرعية ثلث المظالم ولم يفعل ذلك أحد قبله وصفه مؤرخنا المطيب بقوله " وكان مشتمل على جملة من المحاسن منها العلم ، والفهم وحسن التصور والرأي الصائب في السياسة واليد الطولى في علم الرقم والحساب " ، كما عرف عنه أيضاً شدته وقسوته في التعامل مع المعارضين له والتكبل بهم، قال عنه المؤرخ عيسى بن لطف الله " ثم أن بهرام باشا شير سيفه على قبائل اليمن ، وأظهر ما في صدره عليهم من الضغائن والإحن، وقتلهم غيلة وخفية قتلاً جاوز الحد " ، ومن مآثره اختطاط مدينة ملحظ خارج مدينة ذمار وذلك سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م ، وضرب السكة فيها والتي عرفت بالملحظية ، انتهت ولايته سنة ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥م، =

ألفته على ترتيب لطيف، وترصيف منيف، وجعلت مدار ضبطه على السنين ليسهل حفظه على قارئه كل حين، وربّته على مقدّمة وتنّمة تلي سنة [قـ٢] أبواب^(١) قاصداً بذلك التقريب على الجماعة الطلاب، وسميته "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا "بهرام"، مستعيناً على ذلك بالكريم الوهاب هو حسبي عليه توكلت وإليه مثناب.

مقدمة:

نذكر فيها ما ورد من الأحاديث المصرحة بفضل الروم المزيّد، ودوام ملكهم السعيد، من ذلك ما روي في صحيح مسلم عن المستورد القرشي^(٢) رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (تقوم الساعة والروم أكثر الناس)^(٣) قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : أبصر ما تقول، قال : أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال : إن قلت ذلك إن فيهم لخصالاً أربع، أنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة عند مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وأجبرهم لمسكين وبيّيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك.^(٤) أورده العلامة الحافظ ابن السديع

=وغادر اليمن متوجّه إلى مكة لأداء فريضة الحج، وحين وصل إلى الباب العالي واجه شكوى من أهل الدفتردار الذي قتله في اليمن ، وحبس بسبب ذلك. عبد الصمد الموسوعي : الإحسان، ص٣٥، ٣٣ ، المطيب الزبيدي : بلوغ المرام، قـ ٥٤، عيسى بن لطف الله : روح الروح، ص١٨٣، ١٩١، محمد الكبسي : اللطائف السنوية، ص١٨٩، عبدالله بن داعر : الفتوحات المرادية. جـ ١، قـ ٢١٤.

(١) ذكر مؤلف المخطوطة أنه قد رتب كتابه على مقدّمة وتنّمة تلي سنة أبواب إلا أن متن المخطوطة يحتوي على سبعة أبواب ، حيث جعل المؤلف من أحداث آخر شهر من سنة ٩٧٧هـ وهو شهر تولي بهرام باشا حكم اليمن باباً من أبواب كتابه ، الذي قسم أبوابه على عدد سنوات حكم بهرام باشا لليمن ، وهي ست سنوات ابتداءً من أوائل شهر ذي الحجة سنة ٩٧٧هـ إلى أواخر شهر شوال من سنة ٩٨٣هـ .

(٢) المستورد القرشي : هو المستورد بن شداد بن عمرو بن الأحب بن حبيب القرشي الفهري المكّي شهسـد فتح مصر وعاش بقية حياته فيها، ولأهل مصر عنه أحداث ، توفي بالإسكندرية سنة ٤٥هـ / ٦٦٥م. ابن حجر العسقلاني : الإصابة. جـ ٩، ص ١٨٠٠.

(٣) أخرجه مسلم: صحيح مسلم. جـ ١٨، ص٢٢.

(٤) المبارك بن محمد بن محمد بن الأثير: جامع الأصول جـ ١٠، ١٩٨٤م، ص١٤٤.

الزبيدي^(١) في تيسيره^(٢) في ترجمة فضل الروم أخذاً من جامع الأصول لابن الأثير^(٣)، ومن ذلك ما ذكره الثعلبي^(٤) عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني^(٥) قال : قال رسول الله ﷺ (فارس نطحة أو نطحتان، ثم لا فارس بعدها أبداً، والروم ذات قرون كلما ذهب قرن خلفه قرن إلى آخر الأبد)^(٦)، ومن ذلك ما ذكره الإمام المحدث ابن عبد البر^(٧) في ترجمة

(١) ابن الديبع: هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن علي بن سيف والديبع هو لقب لجده الأعلى علي بن سيف ومعناه بلهجة أهل النوبة الأبيض، كان مولده في محرم سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦١م بزبيد ونشأ بها ، حفظ القرآن وأشتغل في علم الحساب والجبر الهندسة و الفرائض و الفقه والعربية، وقرأ بمكة على السخاوي، وأخذ العلم من مشايخ قطره، و برع في فن الحديث وصنف التصانيف منها " تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول " في الحديث، و" قررة العيون بأخبار اليمن الميمون" ، و "بغية المستفيد من أخبار مدينة زبيد" في التاريخ وله أيضا مصنفات في العلوم الأخرى منها مصباح المشكاة وكتاب المعراج " توفي يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رجب سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م. الإلهام الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص٢٣٦. عبدالقادر العبدروس: النور السافر ، ص١٩٩.

(٢) وهو كتاب ابن الديبع " تيسير الوصول إلى جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ" وهو اختصار لكتاب "جامع الأصول من حديث الرسول ﷺ الذي ألفه الإمام أبو السعادات بن الأثير . عبد الرحمن بن الديبع : تيسير الوصول إلى جامع الأصول من أحاديث الرسول. القاهرة، مكتبة دار التراث، ج٣، ص ٥ - ٦.

(٣) ابن الأثير: هو أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري كان مولده سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م بجزيرة ابن عمر "أعلى الموصل" وله مصنفات مشهورة منها " جامع الأصول من أحاديث الرسول، و النهاية في غريب الحديث، والأنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف " و توفي سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م عن سبعين سنة. أحمد بن محمد بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م ج٤، ص ١٢٩ - ١٤١. جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي:طبقات الشافعية. تحقيق : عبدالله الجبوري، بغداد، مطبعة الإنشاء ، ج١، ١٩٧٠م ص١٣٠.

(٤) أحمد بن محمد بن أسحاق النيسابوري الثعلبي صاحب التفسير، من أشهر علماء عصره في علوم القرآن الكريم، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء توفي ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م . ابن خلكان : نفس المصدر. ج١، ص ٧٩.

(٥) يحيى بن عمرو الشيباني : ويقال الشيباني يكنى بأبو زرعه الشامي ، وهو ابن عم الإمام الأوزاعي ، و روى الحديث عن أبيه وعن الوليد بن سفيان ، و روح بن زنباع وغيرهم شهد غزوة القسطنطينية مع مسلمة بن عبد الملك ، و توفي سنة ٤٨هـ / ٦٦٨م ، و عمره خمسا ثمانون عاما. محمد بن سعد الزهري : الطبقات الكبرى . تحقيق : رياض عبد الهادي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، ط أولى، ١٩٩٦م، ج١، ص٢١٥.

(٦) الهندي: كنز العمال، ج١٢، ص٣٠٣.

(٧) ابن عبد البر : هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، إمام عصره في الحديث والأثر من أشهر كتبه " الاستيعاب وكتاب الدر في اختصار المغازي والسيرة كان "

دحية^(١) رضي الله عنه أنه بعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر ملك الروم، فآمن به^(٢) وأبت بطارفته أن تؤمن، فأخبر بذلك دحية رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: (ثبت ملكة)^(٣)، ومن ذلك ما ذكره العلامة الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني^(٤) في فتح الباري شرح صحيح البخاري [٣] قال: وأخرج أبو عبيد^(٥) في كتاب الأموال من مراسل عمير بن أسحاق^(٦) قال: (كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه، فقال رسول الله ﷺ (أما هؤلاء فيمزقون يشير إلى كسرى وأصحابه، وأما هؤلاء

مولده أخر سنة ٣٦٨هـ / ٩٧٨م، وتوفي بمدينة شاطبه شرق الأندلس سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م ابن خلكان : وفیات الأعيان. ج ٧، ص ٦٦.

(١) دحية: هو دحية بن فروة الكلبي، كان من كبار الصحابة لم يشهد بدر وشهد أحد وما بعدها من المشاهد وبقي إلى خلافة معاوية وهو الذي بعثه الرسول ﷺ إلى قيصر رسولا في الهدنة وذلك سنة ٦هـ / ٦٢٧م، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة . ابن عبد البر: الاستيعاب. ج ٣، ص ٢١٧.

(٢) لم يرد في كتب السير وتاريخ أن قيصر الروم آمن بالإسلام، أو بدعوة النبي، وكل ما روي حول ذلك، أن قيصر صدق دعوة النبي ولم ينكرها، وأظهر نوع من حسن الاستقبال لمبعوث النبي، واجابه بنوع من اللطف، وأكرم وفادته. وماورد الحديث عند المؤرخ حول ما ذكرته كتب السير بأن قيصر آمن بالدعوة، فالإيمان هنا لا يقصد به الدخول في الإسلام، بقدر ما يقصد به تصديق الدعوة وعدم إنكارها دون الإعلان في الدخول فيها.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: ج ١٢، ص ١٣٠، ابن عبد البر: نفس المصدر. ج ٣، ص ٢١٧.

(٤) شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني : هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد العسقلاني المصري، يعرف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه، كان مولده سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧١م بمصر، برز في العديد من الآداب والفنون أهمها علم الحديث نه أكثر من مائة وخمسين تصنيفاً أشهرها "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" وولاه الملك الأشرف برسباي منصب قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٣م، وقد عزل و أعيد إلى هذا المنصب أكثر من مرة، وكانت وفاته سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م. محمد بن عبد الرحمن السخاوي. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . بيروت، دار مكتبة الحياة (دت)، المجلد الثاني، ج ٢، ص ٣٦.

(٥) أبو عبيد : هو القاسم بن سلام، كان أبوه عبداً رومياً لرجل من هراة إشتغل أبو عبيد بالحديث والآداب والفقهاء وكان ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن، أقام ببغداد مدّة طويلة وتولى القضاء بطرسوس، وتوفي سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٧م، وهو أول من صنف في غريب الحديث ومن أشهر مصنفاته كتاب

الأموال، والمذكر والمؤنث، واداب القاضي . السبكي: طبقات الشافعية. ج ١، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٦) عمير بن إسحاق : مولى بني هاشم، عاش في المدينة ثم انتقل إلى البصرة وعاش بقية حياته بها، روى عنه أهل البصرة العديد من الأحاديث، ولم يروي عنه أحد من أهل المدينة شيئاً. ابن سعد : الطبقات. ج ٥

فسيكون لهم بقيه)^(١) ، وفي رواية أخرى بقية صالحه يشير إلى قيصر ملك الروم وأصحابه، ويؤيده ما روي أن النبي ﷺ لما جاءه جواب كسرى قال : مزق الله ملكه، ولما جاءه جواب هرقل وهو قيصر ملك الروم قال : ثبت الله ملكه. انتهى المنقول من الفتح الباري^(٢)، قالوا وبهذه الأحاديث يستدل على ثبوت ملك الروم^(٣) ودوامه.

(١) ابو عبيد : الاموال . ص ٢٧ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري . ج ٨ ، ١٢٧ .

(٣) أطلق المؤرخون العرب اسم الروم على الأتراك العثمانيين، لأنهم أقاموا في منطقة الروم البيزنطية، كما أطلقوا على السلاجقة هذا الاسم من قبل. نيلى الصباغ : دراسة وتحقيق كتاب المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. للمؤرخ / محمد بن أبي السرور البكري. لقاها، دار البشائر، اط أولى، ١٩٩٥م، هـ. ص ١٣٤.

وقد أسقط المؤرخ اسم الروم على العثمانيين في الأحاديث التي أستشهد بها على خيرية ودوام ملك الروم.

الباب الأول:

في ذكر ما اشتملت عليه سنة سبع وسبعين وتسعمائة^(١)، وهي سنة القدوم^(٢)، لما كان بتاريخ غرة ذي الحجة^(٣) منها. أنعم الله تعالى على المسلمين عموماً وخصوصاً بقدوم مولانا المقام العالي، صاحب المجد والمعالي، من أسعد الله بقدومه البلاد، وأصلح به أحوال العباد، وهدى به الخلق إلى طرق الرشاد، وأزال به المحل^(٤) عن الآكام^(٥) والوهاد^(٦)، وحصل به الأئس لجميع الأنام، وأستبشر بوصوله الخاص والعام صاحب الصلوات الجسام، والصدقات والإنعام مولانا بهرام باشا لازال مشمولاً بعين الملك العلام، قدم إلى بندر البقعة^(٧) المعمور، وصحبته العسكر المنصور، فأقام بها ثمانية أيام، فأنشرح بوصوله طوائف الإسلام، فقدم إليه في ذلك اليوم جمع كثير من عرب تلك النواحي، من الحاضر والبادي، على اختلاف طبقاتهم ومقاماتهم، فقابلهم بالإكرام والبشير، وأنسهم بألطف خطاب [قـ٤]، وأحسن ذكر، وبذل لهم المعروف والإنعام، وقررهم على ما بأيديهم من الأحكام، بإجراء عاداتهم لطلبهم ذلك استمراراً على ما مضى لهم في سالف الأيام، فأنشرح بذلك أهل مدينة زبيد^(٨) خاصها وعامها، لما سمعوا من تقرير قواعده وحسن انتظامها، وكان نصره الله تعالى بعد قدومه إلى البندر المذكور، أمر القاضي الأجل المحترم،

(١) تقابليها سنة ١٥٦٩م.

(٢) يقصد بها سنة قدوم بهرام إلى اليمن.

(٣) ٧ مايو ١٥٧٠م.

(٤) المحل: الجوع الشديد، أو الجذب الشديد. المرتضى الزبيدي. ج ١٥، ص ٦٨٥.

(٥) الآكام: جمع أكمة وهو الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله. ابن منظور: دار لسان العرب، ج ١، ص ٧٩.

(٦) الوهاد: جمع وهد وهو الموضع المنخفض من الأرض كأنه حفرة. ابن منظور: نفس المصدر، ج ٣، ص ٤٧٠.

(٧) البقعة: ميناء صغير غرب مدينة زبيد، وبجانب ميناء الفازة، وهي الميناء التي قدم إليها أبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. ج ١، ص ١٨٥.

(٨) زبيد: كانت تعرف قديماً بالحصيب وهي مدينة في وادي زبيد المشهور وأطلق اسم الوادي على المدينة وتقع بين بلدة بيت الفقيه ومدينة حبس، ويقال أن محمد بن زياد مؤسس الدولة بني زياد هو الذي أختطها في القرن الثالث الهجري. محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن. ص ٧٣٣، المقحفي: نفس المرجع.

ج ١، ص ٧٣٣.

المعزز المكرم عفيف الدين عبد الصمد بن الفقيه الفاضل عبد العليم المحرقى الحنفي^(١) والقاضي الأجل المحترم عفيف الدين عبد العليم بن محمد الأحمر^(٢)، بأن يلزما معاً مباشرة كتابة الإنشاء بالديوان السعيد السلطاني باليمن المعمور، ويكون القاضي عبد الصمد المذكور هو المقدم في ذلك، والأمر في المباشرة إليه، والقاضي عبد العليم المذكور في الخدمة الشريفة ثانياً عليه، فباشرا ذلك الأمر وقاما بما هنالك في بلاغة اللفظ بمحسنات اللفظ والنشر، بأمر مولانا صاحب السعادة غرة العصر فأحكم مولانا أيده الله تعالى بالبندر المذكور لأهل تلك النواحي القواعد وسن لهم سنن العدل على ما يطلبونه من الفوائد بأكمل زوائد.

فصل :

ثم نقل أعزه الله تعالى ركابه السعيد، وصحبته جمع من العساكر والعبيد، مشمول النظر بالرأي السديد، والبطش القاهر الشديد من الفعال لما يريد إلى محروس مدينة زبيد، فدخلها نهار الخميس تاسع الشهر المذكور منها. وهو يوم عرفة المبارك، فاتفق لأهل مدينة زبيد في ذلك الوقت عيدان عيد أضحاهم وأذكارهم، وعيد قدوم مولانا المبارك إلى ديارهم، وهذا اليوم الذي قدم فيه مولانا هو أفضل الأيام كما ورد في الحديث الصحيح^(٣) عن سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام . فأنس الناس بوصوله [ق٥] واستشرفوا لحصول الخيرات بدخوله، فكان مولانا

(١) عبد الصمد بن عبد العليم المحرقى الحنفي: - من قضاة زبيد ورجال العلم فيها قال عنة المطيب * والقاضي عبد الصمد حسن الخط بليغ اللفظ من قوم صلحاء ثقات أفاضل، و معشر أدياء أمائل وينزل الناس منازلهم ، ويأنس فقراهم ويجل علماءهم وأفاضلهم " وقد اختاره بهرام باشا ليكون إمامه في الصلوات الخمس على مذهب الإمام أبي حنيفة ، وكلف بكتابة الإنشاء بالديوان السيد السلطاني إلى جانب القاضي عبد العليم بن محمد الأحمر ، ثم كلفه بالإنفراد بكتابة الإنشاء بالديوان السعيد السلطاني بعد عزل عبد العزيز الأحمر . المطيب الزبيدي : بلوغ المرام . ق ٤ ، ق٤٤ .

(٢) عبد العليم بن محمد الأحمر: من رجال العلم بزبيد ، كلفه بهرام باشا سنة ٩٧٧ هـ / ١٥٦٩م بكتابة الإنشاء بالديوان السعيد السلطاني إلى جانب القاضي عبد الصمد بن عبد العليم المحرقى ، ثم عزله بهرام باشا من هذا المنصب فيما بعد . المطيب الزبيدي : نفس المصدر . ق ٤ ، ق٤٤ .

(٣) فضل يوم عرفه : عن عائشة رضي الله عنها إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبد من النار من يوم عرفه، انه ليغدو ويتجلى ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول : ما أراء هؤلاء " . مسلم : صحيح مسلم، ج٤ ، ص١١٧ ، ابن الأثير: جامع الأصول، ج٩ ، ص٢٦٣ .

عليهم أيمن قائم، ولسن العدل والأنصاف ملازم، فنادى مناديه في القطان^(١) والوفود. إذ حط بالمخيم المسعود ببذل الإنعام والإحسان، وأن الناس في أمان الله تعالى وأمانه، وأمان مولانا السلطان، فخاف من قدومه كل ظالم عنيد، وذل بوصوله كل شيطان مريد، بجميع نواحي ذلك القطر السعيد، فرتب فيه الأحكام بالتقعيد والتأكيد، وأظهر أمره بقهر حكمه في ذلك وبأسه الشديد، فورد عليه كل عالم مفيد، وطالب مستفيد من العلماء المفتين، والقضاة العادلين والفقهاء المبرزين، والأعيان من أهل البلاد أجمعين، فقابلهم بأحسن لطف، وأجلسهم إلى جنبه من غير تشديد ولا عنف، وأمضى لهم ما بأيديهم من الأحكام، وزادهم على ذلك ما تقر به نفوسهم من الخير والإكرام من الإعفاء والصدقات، وتقرير الوظائف في الأوقاف الخاص والعام^(٢). فانفصلوا عن مجلسه الشريف راضين ولمولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى وله داعين، ومن عظم بركته وحسن نيته أنه كان قبل وصوله إلى المحل المذكور غلاء وشدة في السعر، فزال ذلك ببركة قدومه، وحصل رخص في الطعام وغيره في تلك المدة.

وكتب للرعايا وأهل واديهها، وبواديهها مرسوماً شريفاً محكماً محرراً عالياً منيفاً، بالصدقات العميمة من الأيادي الكريمة، بأن يكون الحكم في أراضيهم ونخيلهم ودوابهم وقوانينهم، وغير ذلك من التسليمات بتلك الجهات، على ما قعده مولانا المقام الكريم الوزير سنان باشا^(٣) أدام الله تعالى أيامه، وعلى ما قعده مولانا

(١) القطان : المقبومون ، أو السكان . ابن منظور : لسان العرب . ج ٣ ، ص ١٢٣ .

(٢) الأوقاف نوعان : عام وخاص أو ما يطلق عليه الفقهاء خيري عام أو أهلي ذري ، والوقف العام ما كان على مصلحة عامة كالمدارس والمساجد ، والوقف الخاص ما كان للأقرباء أو الذرية . حسن علي مجلبي : الأوقاف في اليمن . مركز الشرعي للطباعة والنشر ، صنعاء ، ط أولى ، ٢٠٠٢ م ، ص ١٦ .

(٣) سنان باشا : تربي في السراي السلطاني في عهد السلطان سليمان القانوني ، صار أمير في سناجق ملاطية وقسطنطيني في الأناضول ، ثم في غزة وطرابلس ، ثم أصبح بكاريبيكياً لولايات أرض روم وحبش ومصر ، ثم قاد حملة اليمن سنة ٩٧٦ هـ / ١٥٦٨ م ، وتولى مصر ثانية بعد ذلك ، وقاد الحملة التي استعادت تونس سنة ٩٨٠ هـ / ١٥٧٣ م ، عاد إلى الأستانة وأصبح وزيراً ، وفي عهد السلطان مراد الثالث ثم تولى الصدارة العظمى بعد عودته من حملة بلاد فارس ، ومنذ ذلك الوقت حتى وفاته سنة ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥ م تولى الصدارة العظمى خمس مرات ، كما تولى قيادة الجيوش العثمانية خمس مرات أيضاً ، نال شهرة كبيرة حتى قيل أنه ثالث الصدرين العظيمين إلى جانب رستم باشا و محمد باشا المصوقلي . سيد سالم : الفتح العثماني . هـ . ص ٢٩٩ - ٣٠٠ ، نقلاً عن كاتب جليبي : فذلكة التواريخ . باللغة التركية ج ١ ، ص ٧٦ ، ٧٧ . محمد المحبي : خلاصة الأثر . ج ٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .

الوزير سليمان باشا^(١) رحمه الله تعالى سابقاً. وكان في ذلك التوقيت الرفق على المسلمين ففارقه [ق ٦] الجمع شاكرين ، ولشريف أمره طائعين، ففقد بالمخيم المنصور تجاه مدينة زبيد من الجانب الشرقي بالبستان الشهير بالوهابي، والناس بإقامته فيهم آمنون، ولطول مقامه في ديارهم راغبون، وفي اليوم العاشر من ذلك الشهر وهو أول أيام النحر منها، خرج مولانا أعزه الله تعالى من مخيمه السعيد قاصداً مدينة زبيد ليصلي في جامعها صلاة العيد، وكان الإمام بالجامع المذكور شخصاً شافعي المذهب . فأمر مولانا أيده الله تعالى، بأن يكون الإمام في ذلك العيد شخصاً حنفي المذهب، يصلي بالناس في الجامع المذكور، اعتناء منه بشريف طلبه أن يكون كمال الإقتداء، بإمام يصلي به على طريقة مذهبه، فأحضر شخصاً من فقهاء الحنفية من الأعيان، فصلى في الجامع المذكور بالناس على مذهب الإمام الأعظم النعمان^(٢). وخطب بهم خطبة متقنة أدى فيها جميع الأركان فحصل بذلك ظهور مشروعاته الحسان، لكون ذلك المذهب مذهب مولانا السلطان ، وعليه العمل في جوامع البلدان، ولم يصل في الجامع المذكور إمام حنفي قبل ذلك الزمان^(٣).

شعر

قدمت على المسرة والسعود مع الإقبسال والخير الجديد

(١) سليمان باشا: من خواص السلطان سليم بن بايزيد تولى عدة مناصب منها رئاسة الوزارة * الصدارة العظمى * عزل عنها بعد أن فشل في القضاء على البرتغاليين في البحر الأحمر في حملته المشهورة سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م، انسحب من الحياة السياسية وقضى بقية حياته في إقطاعه الخاص حتى وفاته سنة ٩٦٠ هـ / ١٥٥٣ م اشتهر عنه حبه لسفك الدماء حيث قتل الكثير من أمراء العرب منهم الأمير حاتم الحمزاوي ، والأمير عامر بن داود صاحب عدن . سيد سالم : الفتح العثماني . هـ . ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . ص ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٠ .

(٢) الإمام النعمان: فقيه الملة عالم العراق أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي النيمي ، مولى بني نيم الله ابن ثعلبه، ولد ٨٣ هـ / ٧٠٢ م، أدرك أربعة من الصحابة هم أنس بن مالك، وعبدالله بن أبي أوفى وسهل بن سعد الساعدي، أبو الطفيل عامر بن وائله، وعنى بطلب العلم وأرتحل في ذلك ، أما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه فإليه المنتهى . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ج ٥ ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .

(٣) ذكر صاحب كتاب زبيد مساجدها ومدارسها ، أن مصطفى باشا النشار في سنة ٩٤٩ هـ / ١٥٤٢ م أنشأ في جامع الأشاعر منبراً للخطبة ، وأمر أن تكون الخطبة والصلاة على المذهب الحنفي دون أن يشير. إلى مصدر معلوماته في ذلك، وهذا يخالف ما ورد عند مؤرخنا الذي عايش أحداث الفترة، واكد أن بپرام باشا هو أول والي عثماني أقام إمام حنفي في جامع زبيد . عبد الرحمن الحضرمي: زبيد مساجدها ومدارسها . ص ٥٧ .

وجلل كل إقليم وقطر
ولما أن حلت ركاب عز
بأرض زبيد تاهت واستطابت
وأشرقت القصور بها أفتخاراً
وماس نزيلها طرياً وسكراً
وأوى الدين إجلالاً وعزاً
وان السبل والدنيا أمثالاً
وأخصبت البقاع بكل خير
لتهن زبيد إذ حليت فيها
تدبر أمرها بأثم^(٤) رأي
ويهن نزيلها إذ صرت فضلاً
أدام الله قدرك في علو

سنى الأنوار للجذل^(١) المزيد
من الترحال في السفر البعيد
فدانت كل أرض عن زبيد
وأيد عزها خفيق البنود
فقل ما شأت في الصب^(٢) العميد^(٣)
ببهرام إلى ركن شديد
لفي أمن وفي عيش رغيد
وكانت قبل في جذب مبيد [قـ٧]
زعيم الملك بالبأس الشديد
وتقمع كل جبار عنيد
تجيب نداء المنادي من بعيد
مدى الأيام سعدك في خلود

فصل :

ثم توجه نصره الله تعالى بالعسكر المنصور إلى مدينة حيس^(٥) خامس عشر
من ذي الحجة^(٦) منها. وذلك بعد أن وصلته مراسيم كريمة من مولانا الوزير سنان
باشا، مضمونها انه يسير بالعسكر المنصور طريق لسان^(٧).

(١) الجذل : أصل الشيء ، يقال صار الشيء إلى جذله أي صار إلى أصله . ابن منظور : لسان العرب .
ج ١ ، ص ٤٢٥ .

(٢) الصب : العاشق المشتاق . ابن منظور : المصدر نفسه . ج ١ ، ص ٥١٨ .

(٣) العميد : المشغوف عشقاً ، وقيل الذي بلغ به الحب مبلغاً . ابن منظور : نفس المصدر . ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٤) أثم : أثم الشيء أي أصلحه ورممه . ابن منظور : لسان العرب . ج ١ ، ص ٣٧٥ .

(٥) حيس : مدينة مشهورة تقع إلى الجنوب من مدينة زبيد ، وتبعد عنها بحوالي ٣٥ كم ، وهي من أقدم المدن في

تهامة اليمن ، ازدهرت في عهد الدولة الرسولية ، وتشتهر بصناعة الأواني الخزفية البراقة المسماة

بالحياسي . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن : ج ٢ ، ص ٣٠١ ، إبراهيم المقضي : معجم البلدان

ج ١ ، ص ٤٥٦ - ٤٥٧ .

(٦) ٢٢ مايو ١٥٧٠ م .

(٧) لسان : موضع مشهور ما بين جبال حراز و مدينة الكبراء في تهامة . أبو الحسن الهمداني : صفة جزيرة

العرب . ص ١٠٩ ، ١١٠ ، محمد الحجري : نفس المصدر . ج ٢ ، ص ١٧٣ .

فأعمل مولانا صاحب السعادة رأيهِ السديد، ورأى أن يكون السير بهم من المخيم بزبيد إلى مدينة حيس، ثم إلى مدينة موزع^(١)، ثم إلى مدينة تعز^(٢). فكان هو الأصلح للعسكر المنصور، ووافق التدبير فيه المقذور، وأتم الله له بذلك أكمل السرور، وأصبح بسبب ذلك سعدة في ظهور، فساعده الله بصلاح الأحوال والتقرير، ولم يحصل عليه ضجر ولا تكدير أمدته الله تعالى بكل خير. فدخل مدينة حيس بجمع من الفرسان، وكل ضراب وطعان، حامى الحمى إذا حمى الوطيس، يشجع صاحبه بكل قول مشرح أنيس، وصاحب السعادة أيده الله تعالى زعيمهم في ذلك المقام، بكل أبيض يجلو بياضه سواد القتام^(٣) وتحتة من الخيول المسومة^(٤) كل مسرج^(٥) وملجم^(٦)، من أسقر^(٧)، ومججل^(٨) مسوم قد حل صهاها^(٩) كل شجاع ضيغم^(١٠)، يشتاق إلى النزال والطعان اشتياق المغرم.

فدخل مدينة حيس، وأقام يومين ونفذ أوامره بها، وقعد قواعد العدل لأهلها، وأنصف المظلوم من ظالمها، وقررهم على ما بأيديهم من المراسيم الشريفة، وعلى ما قرره الوزيران المذكوران، سنان باشا وسليمان باشا، فقرت بوصول صاحب السعادة خواطرهم، وطابت بتلك التفعيدات أنفسهم، لاسيما فضلائهم

(١) موزع : من المدن التهامية ، تقع إلى الشرق من مدينة المخا على بعد ٣٠ كم وجنوب غرب تعز ، اشتهرت في فترة ما قبل الإسلام ، حيث كانت تمثل نقطة إتصال بين المواني والمدن الداخلية ، ذكرت في النقوش القديمة باسم " موزا " ، وهي الآن مديرية من مديريات محافظة تعز . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن . ج ٢ ، ص ٧٢٤ ، إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . ج ٢ ، ص ١٦٨٣ ، الموسوعة اليمنية . ج ٤ ، ص ٢٩٠٠ - ٢٩٠١ .

(٢) تعز : مدينة مشهورة إلى الجنوب الغربي من صنعاء على مسافة ٢٤٥ كم عرفت بهذا الاسم منذ القرن السادس الهجري حيث سكنها توران شاه الأيوبي ، كانت تعرف قديماً ذي عدينة . محمد الحجري : نفس المصدر . ج ١ ، ص ١٤٥ ، إبراهيم المقحفي : المرجع السابق . ج ١ ، ص ٢٣١ .

(٣) القتام : الغبار والقنمة سواد ليس بشديد . ابن منظور : لسان العرب . ج ٣ ، ص ٢٠ .

(٤) المسومة : التي عليها علامة أو زينة . المرتضى الزبيدي : تاج العروس . ج ١٦ ، ص ٣٧٣ .

(٥) مسرج : السرج هو الرحال الذي يوضع على جانبي الخيل . المرتضى الزبيدي : المصدر السابق . ج ٣ ، ص ٤٠٢ .

(٦) الملجم : اللجام هو الحديد الذي يوضع في فم الخيل . المرتضى الزبيدي : نفس المصدر . ج ١٧ ، ص ٦٣٨ .

(٧) الأسقر : الذي به خمرة صافية . المرتضى الزبيدي : نفس المصدر . ج ٧ ، ص ٤٥ .

(٨) المججل : الخيل الذي في قوائمه بياض . المرتضى الزبيدي : نفس المصدر . ج ١٤ ، ص ١٤ .

(٩) صهاها : صبوة كل شيء أعلاه، وصهاها هنا بمعنى اعتلاها . ابن منظور : نفس المصدر . ج ٢ ، ص ٤٨٨ .

(١٠) الضيغم : من أسماء الأسد . المرتضى الزبيدي : نفس المصدر . ج ١٧ ، ص ٤٢٩ .

وكبراءهم فرخصت الأسعار [ق٨] عند وصوله إلى المحل المذكور، وحصل الجلب إليها من تلك النواحي لما شاع أنه لا ظلم في مخيمه المنصور.

فصل :

ثم في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة المذكور منها أرتحل مولانا صاحب السعادة بلغه الله من كل خير مراده ، من المخيم السعيد بحيس إلى تربة بني زيد^(١)، فسار في أحسن نظام، وعسكره في العدد القوية على أكمل تمام، وسنجد^(٢) العدل يخفق على رأسه، وكل قريب وبعيد قد خاف سطوة بأسه، والخلق كلهم مستبشرون بعدله وأنسه. فخيم بتربة آل زيد، وأزال ما بها من الظلم والضنك والكيد، وطاش عند قدومه عقل من ينتمي إلى مذهب زيد^(٣).

وعسكره المنصور في أكمل لامة^(٤)، من البيض والدروع الحديد، ومن سيوف تهابها الأعداء، وهي في الغمود تلمع، كما تلمع البرق في الليالي السود، فأقام بها يوماً وقرر قواعد العدل لأهلها، وأمضى أحكامه الشريفة لأحقرها وأجلها، فطابت به الخواطر وسرت به الأعين النواظر.

فصل :

ثم يوم في الثامن والعشرين من ذي الحجة المذكور منها. أرتحل مولانا صاحب السعادة العظمى، والمركز الأعز الأسمى، من تربة بني زيد إلى محروس موزع، وقد نصب له مخيمه السعيد بالجانب الأوسع. فدخلها وأحل ركابه السعيد بها، وأقام بها ثلاثة أيام، فأنشرح به جميع الأنام، وأمضى لهم ما هم عليه من قواعد العدل والأحكام، وأنعم عليهم غاية الأنعام، وقرّرهم على تقعيدات مولانا سنان باشا، وفتح

(١) تربة بني زيد : لم أعثر لها على تعريف، لعلها التربة الواقعة جنوب زبيد بمسافة ٩ كم، وأليها ينسب الفقيه يعقوب بن محمد التريبي المتوفى سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨٢ م. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. ج ١، ص ٢٢٧.

(٢) السنجد : كلمة عثمانية تحمل أكثر من معنى فهي العلم، الراية، الألوية، الناحية الإدارية، وأنت هنا بمعنى الراية أو العلم . قطب الدين النهروالي : البرق اليماني : ص ٧٨ .

(٣) مذهب الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهو أحد المذاهب الشيعية الأكثر اعتدالا، انتشر في اليمن نهاية القرن الثالث الهجري / العاشر الميلادي على يد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي. أحمد أمين : ضحى الإسلام . ج ٣، ص ٢٧١، نعمان شايف: الأمام الهادي . ص ١٤٤.

(٤) اللامة : عدة الحرب . المرتضى الزبيدي : تاج العروس. ج ١٧ ، ص ٦١٣.

الله على مولانا ونصره، وأيده بالفتح والظفر. ونظر إلى كافة الرعايا بأحسن نظر،
وعدل فيما نهى وأمر، فرخص سعر الأتعمة عند قدومه تلك البلاد، وحصل الرخاء
والخصب فيها لجميع العباد.

الباب الثاني:

في ذكر ما اشتملت [ق ٩] عليه سنة ثمان وسبعين وتسعمائة^(١) من الفتوحات وغيرها. لما كان في غرة محرم الحرام^(٢) من السنة المذكورة، ارتحل مولانا أيده الله تعالى من مدينة موزع قاصداً مدينة تعز، على طريق وادي الغيل فحط به في اليوم الثالث^(٣) من الشهر المذكور، فقدم عليه عرب تلك الناحية طائعين لأمره، خاضعين لسطوة قهره. ثم ارتحل من الوادي المذكور، إلى جهة الحجرية^(٤) في اليوم الرابع^(٥) منه، وحط بها فواجهه أهل تلك البلاد بالسمع والطاعة، فمهد تلك النواحي ووطأها، وافر أهلها على جاري عادتهم بها، ثم سار منها بالعساكر المنصورة والرايات المنشورة، إلى أن بلغ مدينة تعز في خامس شهر المحرم المذكور، فدخلها في ذلك اليوم بالخييل، والرجل الجراة وعسكره المنصورة في قوة وزيادة، بالبنادق والمدافع، التي غدت أهل تلك البلاد من خوفها منقاداً، وقد ألهمه الله تعالى النظر القويم، وصياغة^(٦) الرأي المستقيم، فأقام بها خمسة عشر يوماً، فقبض الرهائن من تلك البلاد، وأذل من رائه منهم مظهرًا للفساد، وجعلهم تحت الحفظ بالأغلال والأصفاد. وأمد من بها من أهل الصلاح والفضل غاية الإمداد، وأجرى لكل عالم بها ما يعتاد، وزاد من يستحق الزيادة من أهل الفضل على ذلك، فشكره الجم الغفير لحسن التقرير على ما هنالك، فلما سمع بقومه أهل جبل صبر^(٧) ظهر منهم الخوف والارتعاد، لَمَا شاهدوا البنادق والمدافع وفرسان الخيل الجياد، فأقبلوا جميعهم مستشفعين بالصَّوفه والسادة. وأذعنوا بالطاعة لمولانا صاحب السعادة، وسألوا من فضله الإمداد، والصفح عن من عرف منهم

(١) تقابلياً سنة ١٥٧٠ م.

(٢) يونيو ١٥٧٠ م.

(٣) ٨ يونيو ١٥٧٠ م.

(٤) الحجرية: منطقة كبيرة جنوب مدينة تعز، كان يعرف قديماً باسم المعافر، مدينتها القديمة حبا، وتتبعها حالياً عدد من الوحدات الإدارية، ومن بين جبالها الشهيرة، جبال حيفان، اليوسفيين، الأعروق. محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن - ج ١، ص ٢٣٢، إبراهيم المقحفى: معجم البلدان - ج ١، ص ٤٢٢.

(٥) ٩ يونيو ١٥٧٠ م.

(٦) صواب الرأي

(٧) جبل صبر: جبل مُطل على تعز، ويبلغ ارتفاعه ٣٠٠٠ متر من سطح البحر. محمد الحجري: نفس المصدر. ج ٢، ص ٤٦٢، إبراهيم المقحفى: نفس المرجع. ج ١، ص ٨٩٤.

بالبغي والعناد، وكان ممن واجه مولانا في تلك الأيام، من مشائخ المخلاف^(١) الشيخ الكبير عز الدين الحميدي^(٢) [ق ١٠] فأكرمه صاحب السعادة بما يليق بمنصبه وزيادة، لأنه عرف محبته للدولة العثمانية وانقياده، وكان ممن واجهه الشيخ الكبير دهشل^(٣) من مشائخ المخلاف أيضاً، مجيباً بحسن الطاعة والامتثال، وقابل مولانا أدام الله عزه بالخضوع والإذلال، والزم المذكورين أن يحضروا رهائن على جاري عادتهم من الرجال، والزمهما أن يسيرا معه بمن معها صحبه ركابه السعيد، حتى يكونا في الخدمة السلطانية من جملة الاتباع والعييد. فامتثلا لأمره، وسارا في جملة سفره، فقرت أحوال المسلمين بتلك البلاد، و أرغم الله انف كل عدو حساد، وبلغ الله تعالى مولانا أقصى المراد، وكان هذا من مبادئ نصر مولانا أيده الله تعالى بتوفيقه أمين.

شعر

ملكت البلاد بقهر وعز	وخفضت من مال فيها لنشز ^(٤)
وشردت من ظن أن قد ثوى ^(٥)	معاقل عز وما عنه تجزى
وعز الوجود وتاه ^(٦) افتخارا	وقد كان من قبل بالويل مرزى
واشرق بالبشر وجه الزمان	وماس سرورا يعطف وهز
ولما ثويت تعز اسمت	وذل المناوي أسا ^(٧) عن تعز
وتاهت بلقيالك واستبشرت	وأضحت بمثواك فخرا الطرز ^(٨)

(١) المخلاف: يقصد به المخلاف الجعفري وهو ما يعرف اليوم بالعدين، إب، المنيخرة، السحول. وقيل أنه عرف، بذلك نسبة إلى الجعافروهم ملوك تلك المنطقة قبل الإسلام. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. ج ٢، ص ٣٣٧. أنظر النص: ق ٢٨.

(٢) عز الدين الحميدي: لم أعثر له ترجمه. ويبدو أنه من كبار مشائخ المخلاف الجعفري. المطيب الزبيدي: بلوغ المرام. ق ٢٨.

(٣) الشيخ دهشل: لم أعثر له على ترجمة، ويبدو أنه من كبار مشائخ المخلاف الجعفري. المطيب الزبيدي: نفس المصدر. ق ٢٨.

(٤) نشز: ارتفع وعلا أو قام. مرتضى الزبيدي: تاج العروس. ج ١٥، ص ٣٥٢.

(٥) ثوى: طول المقام، وأثويت به أطلت الإقامة به. ابن منظور: لسان العرب. ج ١، ص ٣٨٧.

(٦) تاه: تكبر. مرتضى الزبيدي. نفس المصدر ج ١٩. ص ٢٢٥.

(٧) أسا: أي حزين. ابن منظور: نفس المصدر. ج ١، ص ٦٤.

(٨) الطرز: الجيد من كل شيء. ابن منظور: نفس المصدر. ج ٢، ص ٥٨١.

ومهدت ما عاث في سوحها
 وذا صبركم حوى اغلبا
 دنى خاضعا للظبا^(٤) والقنا
 وقاعدة العز كم قد حوت
 فحكّم رأيك فيها القنا
 وصهبان كم فيه من أصهب
 بقيت لذا الخلق أمنا له

ببيض رقاق وإحكام وجز^(١)
 ومادان حقا وتاد^(٢) بجزز^(٣)
 فذل لعلياك وأنقاد مخزي
 رجالا علوا في الوعى كل فوز
 واشفي الغليل بضرب وحز
 تعطل بالجبن عن رد رمز^(٥)
 تميز من شئت منهم بقرز^(٦)

فصل :

ثم بعد إن قرر بمدينة تعز القواعد، وصفى ما [١١] تكرر بها من تلك الموارد، توجه إلى القاعدة^(٧)، فوصل إليها يوم العشرين من الشهر المذكور منها، بالجيش العرمرم والعسكر الجرار، مشمولاً بعناية الملك القهار، ومعه من امالا يحصره حاصر، لا يحيط به ناظر. فحل ركابه السعيد بها، ولم يبال بما تشعت^(٨) من جوانبها وحصل بتلك الناحية عند قدومه المبارك من الرخص في الأسعار مالا يعهد قبل ذلك، وبعد أن حل بالمخيم المنصور في رابع وعشرين من المحرم^(٩) المذكور.

(١) وجز: سريع الحركة. ابن منظور: لسان العرب. ج ٣، ص ٨٨١.

(٢) تاد: بمعنى التأيي. ابن منظور: نفس المصدر. ج ١، ص ٣٣٧.

(٣) جزز: الجراز هو السيف القاطع النافذ، وجزز أي قطع. ابن منظور: نفس المصدر. ج ١، ص ٤٣٩.

(٤) الظبا: الظبة هو السيف أو النصل وما أشبه ذلك. ابن منظور: نفس المصدر. ج ٢، ص ٦٤١.

(٥) رمز: تصويت خفي باللسان كالهمس، وقيل إشارة أو إيماء بالعينيين والحاجبين، أو الشفتين. ابن

منظور: نفس المصدر. ج ١، ص ١٢٢٣.

(٦) قرز: القرز الأكمه، وهو الغلظ من الأرض، يعني هنا المكان الأمن. الزبيدي: تاج العروس. ج ١٥،

ص ٢٧٩.

(٧) القاعدة: مدينة ما بين مدينتي إب وتعز في وادي نخلان، وتتبع حالياً مدينة إب. محمد الحجري: مجموع

بلدان اليمن. ج ٤، ص ٦٤٤، إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. ج ٢، ص ١٢٣٩.

(٨) تشعت: تفرقت. ابن منظور: نفس المصدر. ج ٢، ص ٣٢٢.

(٩) ٢٩ يونيو ١٥٧٠ م.

اجتمع من القبائل بذلك المكان، العربيين^(١)، والأعمور^(٢)، وأهل صهبان^(٣)، الأزارق^(٤)، والشوافي^(٥)، وحبش^(٦)، والتعكر^(٧)، وذو السفال^(٨)، وبعدان^(٩) وغيرهم من عرب تلك البلدان، ومعهم قائد من قبل الزيدي المفسد علي^(١٠) ابن إمامهم الملحّد كونه مالكاً لحصن حب^(١١) المشهور باليمن المعمور. وكان قد حاز معاشير^(١٢) الحصن المذكور؛

(١) العربيين : مركز أداري من مديرية السباني في محافظة إب، يقع في المنطقة المعروفة قديماً باسم "لغيمّة صهبان". إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. ج ٢، ص ١٠٤٠.

(٢) الأعمور : عزلة في بلاد الحجرية . محمد الحجري : مجموع بلدان. ج ١، ص ٨٦.

(٣) صهبان : مخلاف مشهور من أعمال ذي السفال جنوب مدينة إب ، بجوار مدينة جبلة . محمد الحجري :

نفس المصدر. ج ١، ص ٥٤٨، إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. ج ١، ص ٩٢٣.

(٤) الأزارق : عزلة من ناحية السبره، وهي مركز أداري من مديرية السباني في محافظة إب . محمد الحجري :

نفس المصدر. ج ١، ص ٦٨، إبراهيم المقحفي : نفس المرجع. ج ١، ص ٥٥.

(٥) الشوافي : مخلاف من بلاد إب ، وتشمل جبل معود ، شعب يافع، بني محرم، البحرانيين ، ثوب أعلا وأسفل .

محمد الحجري: نفس المصدر، ج ٣، ص ٤٥٨، إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. ج ٢، ص ٨٨٣.

(٦) حبش : ناحية من أعمال مدينة إب ، وكانت حبش والعدين وذي السفال تعرف قديماً بذي الكلاع.

محمد الحجري: نفس المصدر. ج ٢، ص ٢٢٨، إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. ج ١، ص ٤١٢.

(٧) التعكر : جبل في العدين يطل على مدينة جبلة أعلاه قلعة حصينة كانت إحدى معاقل الصليحيين .

محمد الحجري: نفس المصدر. ج ١، ص ١٥٥، إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. ج ١، ص ٢٣٣.

(٨) ذي السفال : مدينة مشهورة ما بين مدينتي إب و تعز ، وهي من نواحي مدينة إب ويقال أنها قامت على

أنقاض مدينة ذي العلا . محمد الحجري : نفس المصدر. ج ٣، ص ٤٢٢، إبراهيم المقحفي: نفس

المرجع. ج ١، ص ٧٩٤.

(٩) بعدان : مخلاف في شرق مدينة إب وهو من أخصب مخاليف إب وبه العديد من الحصون منها حصن

حب، وبعدان الآن من مديريات محافظة إب. محمد المقحفي: نفس المرجع. ج ١، ص ١٨٠،

الموسوعة اليمنية. ج ١، ص ٥٣٤.

(١٠) علي بن الإمام : هو السيد علي بن الإمام شرف الدين ، ولد في رجب سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م ، أخذ العلم

عن والده وغيره وأشتهر بالعلم ، رشحه والده لولاية العهد بالأمامة من بعده ، فكان ذلك الأمر سبب

خروج أخيه المطهر عنطاعة أبيه ، ووقوع الصراع بين أبناء الإمام شرف الدين ، كانت وفاته

بحصن حب مسموماً سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م . الشوكاني: البدر الطالع . ج ١، ص ٤٥٨ -

٤٥٩ قطب الدين النهروالي : البرق اليمني ، ص ٩٥.

(١١) حصن حبّ : حصن معروف أعلى جبل بعدان في محافظة إب، ويعتبر من أمنع حصون اليمن ويبلغ

ارتفاعه حوالي ٢٢٠٠م عن سطح البحر. الحجري: نفس المصدر. ج ٢، ص ٢٦٦. المقحفي : نفس

المرجع. ج ١، ص ٤٠٠.

(١٢) معاشير : على وزن مفاعيل ، العشر ما يؤخذ من المال بقدر العشر أو نصف العشر، وهي أموال تجبي

للدولة. ابن منظور : لسان العرب . ج ٢، ص ٧٨٣.

وحصن بكتايب جيشه تلك الثغور، وبلغ عددهم نحو الثلاثين ألفاً، وأكثر من جمعهم في ذلك الشأن ونف، فقصدوا المخيم المنصور بالقاعدة، وكان غاية أمرهم أن عادت عليهم العائده. وخرج لهم صاحب السعادة أيده الله تعالى بطوائف العساكر المنصورة، بالخيول المسومة المخبورة والبنادق المشتعلة المنثورة، فقاتلهم من وقت الضحى، إلى بعد ظهر ذلك اليوم القتال الشديد، محفوظاً بالرأي السديد، فنصره الله تعالى عليهم وظهر طالعه السعيد، فقتل من القبائل المذكورة، ومن عسكر علي المفسد أكثر من مائة وعشرون نفساً، وأسر منهم خلقاً كثيراً وفر الباقون، ولم يثن أحد منهم إليه رأساً، وشتت جمعهم في كل ناحية، ولم يبق لهم من ذلك الجمع باقية. وكان ذلك بعد أن حمى الوطيس، واشتغل كل بنفسه عن كل نفيس، وإنهدم ما أحكموه ولم يثبت لهم [قـ ١٢] تأسيس، وصارت تلك الأماكن من جملة الممالك السلمية، وغدا أهلها من رعايا الدولة العثمانية، بهمه مولانا أيده الله تعالى. فأقام بعرضتهم^(١) واحد وأربعين يوماً، وفي تلك الأيام واجه الشيخ عز الدين الحميدي، والشيخ دهشل المذكوران أولاً برهائنهما، فسلماها إلى مولانا، فجعلت تحت التحفظ.

الشعر

أقام عمود العدل فيهم كأنه	عمود صباح قد تجلت غياهبه ^(١)
إذا القرت ^(٢) لاقى عضبه ^(٤) [.....] ^(٥)	رأى أن أدنى المشرفين ضاربة
وان صافح الخطي بضت ^(٦) كعوبة ^(٧)	دماً وندى إن باشرتھا رواجبه
ويخرج غضب الهند من غير مدخل	أذا زار حسماً والدليل مضاربه
فيصبح منه للسباع جماده	طعاماً ويسقي جامد الأرض ذائبه

(١) العرصة : كل موضع واسع لا بناء فيه - ابن منظور: لسان العرب. جـ ٢، ص ٧٣٥.

(٢) الغياهب : جمع غيبه، وهو الظلمة الشديدة - ابن منظور : المصدر نفسه. جـ ٤، ص ٦٥٣.

(٣) القرت : الدم - الزبيدي: تاج العروس. جـ ٣، ص ١٠٦.

(٤) العضب : السيف القاطع. ابن منظور: نفس المصدر. جـ ٢، ص ٨٠٢.

(٥) غير واضحة في الأصل.

(٦) بضت : بض الشيء أي سال. ابن منظور: نفس المصدر. جـ ١، ص ٢٢٢.

(٧) كعوبه : الكعوب مفاصل العظام. مرتضى الزبيدي: نفس المصدر. جـ ٢، ص ٣٧٥.

فَعَل دَمًا حَتَّى حَوْتَهُ مَعَارِبَةٌ
وَفِي حَسْمِهِ قَلْبٌ وَذَاكَ كِتَابُهُ
وَرَوَاذُ أَرْضِ النَّاكِثِينَ مَقَابِهِ^(١)

فَكَمْ رَبُّ يَوْمٍ أَطْلَعَتْهُ مَشَارِقُ
كِتَابِهِ حَسْمٌ غَدًا هُوَ قَلْبُهُ
نَهَابَةٌ مَرْتَادُ الْغَنَى رَوْضُ كَفِهِ
غَيْرُهُ

مَلَاذِنًا حَسَنَ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ
رَنَا تَصَدَعَتْ الْأَشْبَالُ فِي الْأَجْمِ^(٢)
أَفْنَى بِسَمْرِ الْقَنَا مِنْ شَاءَ مِنْ أُمِّ
مِنْ فَوْقِ صَقَرٍ أَتَى الْأَعْدَاءَ بِالنَّقْمِ
إِلَّا وَأَسْرَعُ يَقْفُوا إِثْرَ مَنْهَزِمِ

هُوَ الْمَقَامُ الْكَرِيمُ الْقَرْمِ^(٣) مَلْجَانَا
الْفَارِسُ الْبَطْلُ اللَّيْثُ الْهَمْسَامُ إِذَا
أَنْ جَادَ أَغْنَى الْمَلَا أَوْ ذَادَ يَوْمَ وَغَى
وَإِنْ سَرَى فَوْقَ طَرْفِ خَلْتَهُ أَسْدًا
شَكَرًا لَهُ مِنْ جَوَادٍ مَا أَمْتَطَى فُخْطَا

فصل :

ثُمَّ تَوَجَّهَ مَوْلَانَا أَبَدَهُ اللهُ تَعَالَى، مِنْ الْقَاعِدَةِ مَشْمُولًا بِالظَّفَرِ وَالنَّصْرِ، وَالغَلْبَةِ
وَالْقَهْرِ إِلَى شِبَانَ التَّعَكَّرِ^(٤)، ثَانِي يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ^(٥) مِنْهَا. عَلَى طَرِيقِ
النَّجْدِ الْأَحْمَرِ^(٦)، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَمَرَ مَوْلَانَا الْبَاشَا الْوَزِيرَ سَنَانَ أَدَامَ اللهُ عَلَيْهِ سَوَابِغَ
الْإِحْسَانِ، بِتَجْهِيزِ الْبَاشَا حَسَنِ^(٧) وَأَمِيرِ اللَّوَاءِ الشَّرِيفِ [١٣٠] مُحَمَّدٍ بَيْكِ^(٨) فِي

(١) مَقَابِهِ : أَقْنَبَ الرَّجُلُ إِذَا اسْتَخْفَى مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ غَرِيمٍ ، وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى الْمَخَابِي . ابْنُ مَنْظُورٍ : لِسَانِ الْعَرَبِ . ج ١ ، ص ٦٩٠ .

(٢) الْقَرْمُ : السَّيِّدُ الْكَرِيمُ . الْمُرْتَضَى لِزَبِيدِي : تَاجُ الْعُرُوسِ . ج ١٧ ، ص ٥٦٢ .

(٣) الْأَجْمُ : أَيِ الْمَحْصَنِ . ابْنُ مَنْظُورٍ : نَفْسُ الْمَصْدَرِ . ج ١ ، ص ٢٦ .

(٤) شِبَانَ التَّعَكَّرِ : مَنطِقَةٌ تَقَعُ فِي مَنْتَصَفِ الطَّرِيقِ بَيْنَ مَدِينَةِ إِبِ وَ النَّجْدِ الْأَحْمَرِ .

(٥) ٥ أَيْسُطُسُ ١٥٧٠ م .

(٦) النَّجْدُ الْأَحْمَرُ : وَهُوَ جَنُوبُ مَدِينَةِ إِبِ بِمَسَافَةِ سَيِّرَةٍ ، وَيَشْرَفُ عَلَى مَدِينَةِ الْجَنْدِ ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ تَرِبَتَهُ

مَحْمَرَةٌ . إِبْرَاهِيمُ الْمَقْفُطِيُّ : مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ . ج ٢ ، ص ١٧١٩ ، الْمَوْسُوعَةُ الْيَمَنِيَّةُ . ج ٤ ، ص ٢٩٤٩ .

(٧) الْبَاشَا حَسَنٌ : هُوَ السَّرْدَارُ الَّذِي عَيْنَهُ سَنَانُ بَاشَا عَلَى الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ تَقَاعَسُوا عَنْ دَعْمِ بَهْرَامِ بَاشَا لَمَّا تَكَاثَرَتْ

عَلَيْهِ الْعَرَبِيَّانُ عِنْدَ نَقِيلِ سَمَارِهِ فِي مَنطِقَةِ النَّجْدِ الْأَحْمَرِ . قُطْبُ الدِّينِ النَّهْرَوَالِي : الْبَرَقُ الْيَمَانِي . ص ٤٣٦ .

(٨) مُحَمَّدُ بَيْكٍ : وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ مَصْطَفَى بَاشَا قَرَةَ شَاهِينَ ، أَصْبَحَ دَفْتَرْدَارَ تَلِيمَنَ أَيَّامَ مِرَادِ بَاشَا ، وَقَعَّ فِي أَسْرِ

الْمَطْهَرِ وَذَلِكَ سَنَةَ ٩٧٤ هـ وَحَبَسَهُ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ الْأَتْرَاكِ ، وَأُطْلِقَ سَرَاحَهُ سَنَةَ ٩٧٧ هـ مِنْ قَبْلِ

الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ شَمْسِ الدِّينِ أَخُو الْمَطْهَرِ وَذَلِكَ حِينَ حَاصَرَ حَسَنُ بَاشَا حَصْنَ كُوكِبَانَ ، وَكَانَ الْهَدَفُ مِنْ إِطْلَاقِهِ

مَعَ بَقِيَّةِ الْأَمْرَاءِ هُوَ طَلَبُ الصَّلْحِ مَعَ الْعُثْمَانِيِّينَ . قُطْبُ الدِّينِ لِنَهْرَوَالِي : نَفْسُ الْمَصْدَرِ . ص ١٢٣ ، ١٨٣ ،

جمع من الفرسان، وان ينزلا بجبل إرياب^(١)، ويجتمعوا بمولانا صاحب السعادة، فامتثل الجميع ذلك، ونزلوا على وفق ما أمروا به هناك. وكان مولانا صاحب السعد قد مهد طريق النجد الأحمر، وسهلها وأغلق أبواب أهل الفساد واقفلها، وكان تدبير الأمر إليه في ذلك، ولم ينازعه أحد في تلك المسالك وجميع الأمراء تحت نظره، فأقام بشبان سبعة و اربعين يوماً. وكان من مبادئ إسعاد الملك العلام لمولانا صاحب الأنعام، أن ألهمه الله تعالى إعمال التدبير من إحراق الجبخانه^(٢) فدبر الرأي إلى أن ظفره الله تعالى بإحراقها، وهي جبخانه على بن الإمام، في آخر شهر ربيع الأول من ذلك العام.

فصل :

وفي السابع عشر من شهر ربيع الآخر^(٣) منها. توجه مولانا عظيم الشأن بمن معه من الأمراء، وأهل البندق والفرسان، إلى حصار مأخوذ حب، فطلع بعدان نهار الخميس. وأحاطوا على الحصن من كل ناحية، بعساكر منصوره لا تبقي لهم باقية، فوافق حظه السعيد، ونصره الجديد موت علي بن الإمام في يوم السادس والعشرين من الشهر^(٤) المذكور في حصنه، وكنتم المخذولون موته نحواً من عشرة أيام، ثم أظهره بعد ذلك، ولم يزل مولانا أظلع الله سعوته وعساكره السلطانية المنصورة، يقاتلونهم أشد القتال، ويضربون عليهم بالمدافع حتى ذلت منهم صناديد الرجال، فأذعنوا إلى تسليم الحصن قهراً وإنقادوا لطاعته فرقاً وذعراً، فقبضه مولانا نصره الله تعالى اليوم السادس من شهر رجب من السنة المذكورة^(٥). وكان مدة حصاره أيده الله تعالى خمسة وسبعين يوماً، وصار الحصن المذكور ونواحيه من جملة الممالك

(١) جبل إرياب : بكسر الهمزة، جبل يطل على نقيط سماره وهو من أعالي جبال اليمن، يرتفع عن سطح البحر ٣٠٠٠ متر ويبعد عن مدينة يريم بحوالي ٢٠ كم، وينسب إليه مراكز إرياب التابع لمديرية يريم. محمد

الحجري: مجموع بلدان اليمن. ج١، ص٦٨، إراهيم المقحفي: معجم البلدان. ج١، ص٥٢.

(٢) الجبخانه : كلمة عثمانية تعني مستودع السلاح. قطب الدين النهروالي : البرق اليماني. ص٧٦.

(٣) ١٩ سبتمبر ١٥٧٠ م.

(٤) ٢٩ سبتمبر ١٥٧٠ م.

(٥) ٥ ديسمبر ١٥٧٠ م.

السعيدة، والفتوحات الجديدة منتظماً في سلك المملكة السلطانية، والدولة الميمونة الخاقانية^(١) أعز الله تعالى أنصارها، وضاعف اقتدارها [ق٤٤].

وفي تلك المدة أقام مولانا صاحب الكشف والبرهان، والحكمة و الإتيقان، في أيام إقامته ببعدان، القاضي الأجل الأكمل الأفخم الأنبل العالم العامل الصالح الكامل عبد الصمد بن عبد العليم المحرقي، متصدياً على انفراده، بمباشرة التوقيع الإنشائي في الديوان السلطاني^(٢)، وذلك لموجب اقتضى عزل الموقع الثاني^(٣)، فقام في ذلك أتم قيام، وبأشر الخدمة بعفة واحتشام في رابع جمادى الأولى^(٤) من السنة المذكورة، كون القاضي عبد الصمد المذكور حسن الخط بليغ اللفظ، من قوم صلحاء، تقات أفاضل، ومعشر أدباء نجباء أمائل، ينزل الناس منازلهم، ويؤنس فقرانهم ويجل علمائهم وأفاضلهم، ومع ذلك كان أكثر كتب المراسيم في المدة الماضية بخطه، وعليه المعول في عمل الديوان وضبطه.

ثم بعد ذلك أختاره مولانا أيضاً أن يكون إمامه في الصلوات الخمس على مذهب الإمام النعمان، لكونه حسن الصوت بتلاوة القرآن، حافظاً للشروط الأركان، والفرض والواجب والسنة وطريق القياس، وأوجه الاستحسان، فصار يباشر الوظيفتين لازماً طريق الأمانة، معتمداً في خاصه أمره على العفافة و الديانة.

ثم بعد قبض الحصن المذكور مهدّ مولانا نصره الله تعالى أحوال أهالي تلك البلاد، وقمع الطغاة المتمردين بها وأهل الفساد، ورتب في الحصن المذكور جماعة من خاصة جنده الحافظين لميثاقه، الوافين بعهده، وجعل عليهم درداراً^(٥) موكلاً

(١) الخاقانية : الخاقان كلمة عثمانية تعني ملك أو وظيفة الملك أو الملكي. قطب الدين النهروالي: (البرق المياني). ص ٧٦.

(٢) الديوان السلطاني : وهو يعادل اليوم مجلس الوزراء ، وفيه ينظر في الشؤون المالية والإدارية والسياسية كما تعرض فيه الشكاوى للبت فيها . نجيب المصري : معجم الدولة العثمانية . ص ٩١.

(٣) الموقع الثاني: هو عفيف الدين عبد الصمد بن محمد الأحمر. المطيب الزبيدي: بلوغ المرام. ص ٧.

(٤) ٥ أكتوبر ١٥٧٠ م .

(٥) الدردار: كلمة عثمانية تعني رئيس حراس القلعة. قطب الدين النهروالي : البرق المياني. ص ٧٧ .

بحفظ تلك الدار، ففرق عليهم جوامك^(١) بالحصن المذكور، لأجل همتهم العالية، وعزمهم المشكور، وكان ذلك ثاني يوم قبضه^(٢)، بعد تفقد عسكره وعرضه. وبعد ذلك في يوم الحادي والعشرين من شهر رجب^(٣) منها. وهو بمخيمه بحب، وصلت إلى مولانا البشائر السارة والأخبار القارة معلنة بنصره، قاطعة بنفوذ نهيه وأمره، بوصول الأمير جعفر^(٤) [١٥٠] ابن صاحب الشحر إلى بندر المخا^(٥) لقصد مواجهة مولانا أسعده الله.

شعر

قدمت فما تنثني عن كذب	وفوقت بالحرب سهم الحرب
وجلت جهاراً على عصابة	بخيل فلم تغني تلك العصب
وأوطأت سربك أجسامهم	ودست إمتهاناً لتلك السرب
يظنوا المعقل تتجيبهم	إذا أمهم جيشك المنتخب
وقد صار عندك مثل الوهاد	صياصي ^(٦) المعقل ذلاً كحب
وأنى كبهرام حذباً على	وإن تاه في الجو هذا عجب
لعمري لقد صار من جنده	مليك الردى يقتضي ما أحب
فأهسلك جهراً علياً به	و أسقاه بالقسر كأس العطب ^(٧)

(١) الجوامك : جمع جاميكة وهي كلمة عثمانية تعني العطايا والمرقيات ، وفي الاصطلاح تعني الجراية الشهرية وتعطى من غلة الوقف. قطب الدين النهروالي: المصدر نفسه. ص ٧٦، أحمد السعيد: تأصيل ما ورد تاريخ الجبرتي من الدخيل. القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص ٥٩.

(٢) ٧ ديسمبر ١٥٧٠ م.

(٣) ٢٠ ديسمبر ١٥٧٠ م.

(٤) الأمير جعفر: هو جعفر بن السلطان بدر بوطويرق بن عبدالله، تولى حكم مدينة الشحر في عهد والده، ودخل في صراعات سياسية مع أخيه عبد الله الذي أقدم على اعتقال والدهما السلطان بدر، واستمرت هذه الصراعات حتى وقع الصلح بينهما سنة ٩٨٤هـ / ١٥٧٦م. محمد هاشم: الدولة الكثرية. ص ٨٧، ٨٨.

(٥) المخا: أحد الموانئ اليمنية القديمة على ساحل البحر الأحمر يبعد عن مدينة تعز ٩٨ كم إلى جبة الغرب، ويعود تاريخ إنشاء هذه المدينة إلى ما قبل الإسلام، فقد كانت من المدن الحميرية الرئيسية، ازدهرت **المخا** خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين السادس والسابع عشر الميلاديين، حيث كانت من أشهر الموانئ العالمية لارتباطها بتجارة البن، فقد كانت الميناء الرئيسي لتصدير بن اليمن، الذي عرف باموكا نسبة لبيا. وكانت خلال تلك الفترة تتم فيها المبادلات التجارية بنسبة أربعة أضعاف ما يتم في ميناء جدة. الموسوعة اليمنية. ج ٤، ص ٢٥٦٣ - ٢٥٦٤.

(٦) الصياصي: الحصون، كل شئ منيع. ابن منظور: لسان العرب. ج ٢، ص ٥٠١.

(٧) العطب: الهلاك. ابن منظور: نفس المصدر. ج ١، ص ٦١٠.

وكم تاه فيه عالياً ولم
ومن سعد بهرام أن الردى
فأحرق بالحصن بارودهم
فدانوا لذا العز واستصغروا
ولم يبق في الناس شخصاً عصي
لقد مهدت بك أقطارنا
أدامك ربك كهفاً لنا

فصل :

ثم في اليوم الثاني والعشرين من شهر رجب^(٢) انفرد منها نزل مولانا صاحب الأناة والاستقرار من حصن حب إلى جهة الظهر^(٣)، تجاه باب إب^(٤) المعمور. فمهد تلك البلاد، أصلح بها أحوال العباد، وقطع دابر أهل البغي والفساد، فأقام بها ثمانية عشر يوماً، وواجه بها الأمير جعفر ابن صاحب الشحر المذكور قبل ذلك، وكان وصوله سبباً لطاعة أخيه عبد الله بن بدر^(٥) أمير جهة الشحر^(٦) بعد أبيه لمولانا صاحب السعادة، فقابله مولانا بالبشر والإكرام، والإجلال والإعظام، وأعلى منزله، ورفع قدره، ونوه بطاعته وأظهر شكره [ق ١٦]، وصار جعفر وأخوه المذكوران، من جملة عساكر مولانا السلطان نصره الله.

وفي أيام أقامته بالظهر، ظهر شخص من الطغاة والمفسدين العصاة المتمردين اسمه الماطري^(٧)، فقطع طريق السحول، وبقي الناس من خوفه في تلك الأماكن تجول، وأنضم إليه جماعه من أبناء جنسه، لقطع المار بتلك الطريق وحبسه، فندب

(١) إنجذب : إنقطع أو قل. مرتضى الزبيدي : تاج العروس . ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(٢) ٢١ ديسمبر ١٥٧٢ م .

(٣) الظهر : حقل مدينة إب من جهة الغرب . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن . ج ٤ ، ص ٥٦٨ .

(٤) إب : بكسر الهمزة مدينة جنوب صنعاء بمسافة ٤٠ كم ، وهي قديمة الاختطاط ترجع إلى العهد الحميري

وإب من أجمل مدن اليمن . محمد الحجري : نفس المصدر . ج ١ ، ص ٢٠ ، إبراهيم المقفي : معجم

البلدان . ج ١ ، ص ١٠ - ١١ .

(٥) عبد الله بن بدر بوطويرق بن عبدالله بن جعفر ، اعتقل والده بدر سنة ٩٧٦ هـ / ١٥٦٨ م وسجنه في

حصن سيئون و نادى بنفسه سلطاناً على الدولة الكثيرة . محمد هاشم : الدولة الكثيرة . ص ٨٦ .

(٦) الشحر : إحدى أكبر مدن ساحل حضرموت ، عرفت بالشحر لأن سكانها كانوا جيلاً من المهرة يسمون

الشحرت . محمد الحجري : نفس المصدر . ج ٢ ، ص ٤٤٧ ، إبراهيم المقفي : نفس المرجع . ج ١ ، ص ٨٥٢ .

(٧) الماطري : لم أعثر له على ترجمة ، ويبدو أنه احد زعماء منقطة السحول .

له مولانا أسعده الله تعالى جماعه من ذوي البنادق والفرسان، والسيافه الماهرة في الضرب والطعان، فغزوه إلى مكانه ليلاً، فلم يستطع أن ينغزل عن تلك الفئه ميلاً، فهجموا عليه وقتلوا عصبته، وشتتوا شمله ومزقوا فرقته، وأوثقوه وولديه الكبيرين، وجماعة من عسكره، ووصلوا بهم إلى مولانا صاحب السعادة فحبسه أياماً، ثم قتله بعد ذلك بذنبه، لقطعه تلك الطرق ونهبه.

وفي تلك الأيام أيضاً ومولانا بالمخيم المذكور، وصلت الأخبار إلى مولانا بأن شخصاً يقال له المنتصر العلاف^(١)، وكان من كبار المفسدين، قد جمع طائفة من البيغاة القاطعين، وعقدوا جمعهم بقفر حاشد^(٢)، وألبوا تلك الفرق على الشر والمكائد، فغزوا جملة من قرى تلك الجهات، ونهبوا من بها وشتتوا شملهم أقبح شتات، وقطعوا الطرق وضيقوا على المارة، ولم يقر لأحد من المسلمين بسببهم قارة، فأرسل مولانا أدام نصره طائفة من العساكر السلطانية، والرؤساء العثمانية، مقدمهم أمير اللواء الشريف فيروز بك^(٣)، فهجموا عليهم بالقفر، وحصل بينهم وبين المفسدين حرب أجاج عليهم نيران الشر، وكان لعسكر مولانا العاقبة والنصر، فأخذوهم بيد العنوة والقهر، وقتلوا العلاف المذكور، ولم يبقوا من عسكره باقية، وصاحوا عليه بذلك، واخلوا نأديه، ووصلوا برأسه إلى ذمار^(٤) [قـ١٧] بعد حلول ركاب مولانا بتلك الديار، وكان قتل هذا المفسد سبباً لتشتيت المفسدين، وتفريق جمع المعاندين .

فصل :

ثم توجه مولانا أيدده الله تعالى في يوم الحادي عشر من شعبان^(٥) منها. سائراً من الظهار، متوجهاً إلى مدينة ذمار، فدخلها نهار الجمعة خامس عشر شعبان من السنة المذكورة.

(١) المنتصر العلاف : لم أعثر له على ترجمة ، ويبدو أنه أحد مشايخ منطقة القفر .

(٢) قفر حاشد: قرية من قرى قضاء يريم جنوب مدينة ذمار . محمد الحجري: مجموع بلدان . جـ٤، ص ٧٨١.

(٣) فيروز بك : أحد الأمراء العثمانيين تولى قيادة الجيش في حصار منطقة سماء ، ثم ولاية بهرام باشا على مدينة جبلة . المطيب الزبيدي . بلوغ المرام . قـ٣٤ ، قـ٤٩ .

(٤) ذمار : مدينة مشهورة جنوب صنعاء بمسافة ٩٥ كم ، يعود تاريخها إلى القرن الأول للميلاد، واشتهرت كواحدة من مراكز الأشعاع العلمي في اليمن . محمد الحجري : نفس المصدر . جـ٢، ص ٣٤١ ، إبراهيم المقفي : معجم البلدان . جـ١ ، ص ٦٤٩ .

(٥) ٩ ديسمبر ١٥٧٠م .

واجتمع مولانا الباشا بهرام، بمولانا المقام العالي عظيم الشان الوزير سنان نائب مولانا السلطان، فأستبشر مولانا الوزير بقدومه، اجتمع به، وأحاط بعلمه، إذ هو قريب العهد بالوصول من السدة العالية، وبيده أوامر وأحكام شافية مضمونها أن النيابة المطلقة السلطانية السليمية إليه باليمن المعمور، وأن يباشر الأمر في ذلك الإقليم على الوجه المشكور، فعرض عليه تلك الأحكام المعظمة، فأطاع ذلك الأمر وسلمه، واعتمد على منظوقه ومفهومه، فتقلد مولانا ذلك بخصوصه وعمومه، وقرت بولاية أعين المسلمين، وانشرح بدولته طوائف الموحدين، واستقامت بحسن سيرته شوكة أهل السنة والدين، وسقطت بسطوته القاهرة راية المعتزلة والملحددين، فانفرد مولانا بالولاية الباشوية السلطانية اليمنية، وصار جميع العسكر المنصور تحت أمره الشريف بالتولية السليمية، ففعد القواعد المحكمة، وأسس التأسيسات المعظمة. وأقاما نصرهما الله بذلك المحل، وتدبير أمر المملكة السلطانية، إلى مولانا الباشا بهرام بالعقد والحل، فانتشر خبر استقلاله بذلك في القرى والأمصا، ونفذت أحكامه الشريفة في تلك الجهات والأقطار، ثم سار مولانا الوزير سنان غره شهر رمضان^(١) من السنة المذكورة، على طريق بندر المخا، قاصداً الأبواب السلطانية فركب البحر من البندر المذكور. قابله الله تعالى بكل خير، ودفع عنه كل ضير [ق ١٨].

وفي هذه الأيام ظهر شخص أسمه المويه^(٢)، مظهراً للكيد والتمويه، وكان قبل ذلك رأس الرتبة الزيدية التي بحصن حب أيام دولة علي بن الإمام، وهو الذي سلم الحصن إلى مولانا، وأشترط لنفسه أن يكون آغا على العسكر الذين نزلوا من الحصن بجاميكة كبيرة، وأن يكون رتبة بجيلة^(٣) المعمورة. فامضوا له الأمر، وقرروه على ذلك في ذلك الثغر، وكان في الوقت منظوياً على العناد مصراً على الخيانة والفساد، ولم يزل يفسد القبائل ويكتب إلى أهل كل قرية، حتى أستمال قلوب طوائف منهم خفية، فكتب إلى رأسهم مطهر، فظفر بكتبه من غير اطلاعه، وأظهر الله تعالى حاله، وأوقعه في مخازيه، وأظهر وباله.

(١) ٢٨ يناير ١٥٧١م .

(٢) المويه : لم اعثر له على ترجمة، ومما ورد في النص فيو احد قادة الأمير علي بن الإمام شرف الدين، الذين خذلوه وتعاونوا مع العثمانيين، في إسقاط الحصن. المطيب الزبيدي: بلوغ المرام . ق ١٨ .

(٣) جبلة : مدينة مشهورة بالجنوب الغربي من مدينة إب وبينها وبين إب حوالي أربعة أميال تقريباً . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن. ج ١ ، ص ١٨٧ وإبراهيم المقحفي: معجم البلدان. ج ١ ، ص ٢٨٥ .

فبعد ذلك خرج من جبلة قاصداً مواجهة مولانا بدمار ، وهو في غدره على الإصرار، فوصل إلى جهة يريم^(١) في جمع كثير بشرٍ مُستطير، فعلم به مولانا نصره الله تعالى، فجرد له جماعة من الفرسان المبارزين، و السيفاة المضاربين، وأهل البنادق الصائبين، فسار الجمع المذكور ليلاً، فالتقوا ببلاد عنس^(٢) قريباً من طريق الملاوي^(٣)، فقاتله العسكر المنصور قتالاً شديداً، ونصر الله تعالى مولانا عليهم، وأيده تأييداً، وقتل هو وجماعة من أصحابه وقطعت رؤسهم، ووصل بها إلى الديوان السلطاني بدمار، ولم يزل مولانا أيده الله تعالى منصوراً، وعدوه الباغي ذليلاً مقهوراً، وهذه البشائر من سعود مولانا السلطان الأعظم الخاقان المكرم، واردة على يد مولانا صاحب السعادة أعاد الله عليه الخيرات، وأكثر له النعم والمبرات.

فصل:

ثم في عاشر رمضان^(٤) المبارك منها. إختط مولانا أسعده الله تعالى مدينة ملحظ^(٥) حرسها الله تعالى، وأمد أهلها من الخيرات بأوفر نصيب وحظ، ونقل ركابه السعيد [قـ١٩] من مخيمه الأول إلى المدينة المذكورة، لازال الظفر حالاً ببقعتها المشهورة. وكان في تسمية المدينة بالاسم المذكور تفاؤل بأن يكون ملحظاً للخير والبركة والنصر، وعدد حروف الاسم بالجمال^(٦) تاريخها، فكانت والله كذلك فطابق

(١) يريم : مدينة جنوب صنعاء في قاع الحقل بين نمار وب ، سميت باسم القبل يريم ذي رعين . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن . جـ ٢ ، صـ ٧٧٩ ، إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . جـ ٢ صـ ١٩٠٦ .
(٢) عنس : قبيلة كبيرة لها بلاد واسعة في مغرب مدينة نمار وشرقها ، وهي من نواحي مدينة نمار . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن ، جـ ٣ ، صـ ٦١٣ ، إبراهيم المقحفي : نفس المرجع . جـ ٢ ، صـ ١١٣١ .
(٣) طريق الملاوي هيطريق ما بين بلاد يريم ودمار من جهة الغرب . المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور ، صـ ٤٦٤ .

(٤) ٧ فبراير ١٥٧١ م .

(٥) مدينة ملحظ : وهي المدينة التي أختطها بهرام باشا سنة ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠ م لتكون عاصمة له ، والمدينة تقع شمال قرن نمار ، و جنوب مدينة نمار بجوار السوق ، أقام بها بهرام باشا لمدة خمس سنوات تقريباً ، وأبتنا فيها جامعاً ، وضرب العملة المعروفة بالملحظية ، وقد أقام الأمراء والأكابر عمارات فيها وخربت فيما بعد . المطيب الزبيدي : بلوغ المرام . قـ ١٩ ، عبد الصمد الموزعي : الأحسان . صـ ٤٧ ، محمد الكبيسي : اللطائف السنية . هـ . صـ ١٩٢ .

(٦) المدينة بنيت سنة ٩٧٨ هـ ، وبحساب الجمل نجد أن أسمها فعلاً يطابق تاريخ بناؤها ، لان حرف م = ٤٠ ، وحرف ل = ٣٠ ، وحرف ح = ٨ ، وحرف ظ = ٩٠ ومجموع هذه الحروف يساوي ٩٧٨ ، وهو =

الاسم المقصود، وأجتمع في ربعها الخيرات والسعود، و رخصت بها الأسعار، وجلبت إليها البضائع من جميع الأقطار، حتى صارت محط أمن للوافدين وملجأ خيراً للقاصدين، ومريحاً للغادين والرائحين، في تسميتها يُستتبط تاريخ اختطاطها من عدد حرفها، وهي مدينة متوسطة بين صنعاء وتعز وعدن وبعدان، وزبيد والتهائم^(١)، وما والاها إلى جازان، جديرة بأن تصير تحت المملكة العثمانية، ومقرراً لباشا الجهات اليمانية.

وفي خامس عشر شهر رمضان^(٢) المذكور. جهز مولانا الجيش العظيم، والعسكر العميم، من الرجل والفرسان السوابق، وما إليهم من أصحاب البنادق من العسكر الأروام، وعسكر تلك البلاد مغاربيها والمشارك قاصداً مأخوذ حصون ريمة^(٣)، ودنوه^(٤)، وبلاد الجمعة^(٥)، والسلفية^(٦) وغيرها من الحصون، وهي مائتا حصن وعشرون حصناً، ورأس العسكر المجلس السامي^(٧) مصطفى آغا^(٨)، صحبته

نفس تاريخ تأسيسها. عابد سليمان المشوخي : المخطوطات العربية مشكلات وحلول. الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ٢٠٠١م، ص٥٠.

(١) التهائم : هي القسم الواقع بين جبال اليمن والبحر من جهة الغرب والجنوب ، ويقال له غور اليمن . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن . ج ١ ، ص ١٥٧ .

(٢) ١٢ فبراير ١٥٧١م .

(٣) ريمة : بفتح الراء وسكون الياء وفتح الميم ثم الهاء، بلاد جبلية واسعة جنوب غرب صنعاء ، وتشمل جبال

الجبلي ، والسلفية ، الجعفرية ، كسمة، وبلاد الطعام . محمد الحجري : نفس المصدر. ج ٢، ص٣٧٧،

إبراهيم المقحفي معجم البلدان . ج ١ ، ص ٧٢٣ .

(٤) دنوه : حصن دنوه بكسر الدال في بني الضبيبي ببلاد ريمة. محمد الحجري : نفس المصدر. ج ٢، ص

٣٢٢، إبراهيم المقحفي : نفس المرجع. ج ١ ص ٦٢٥ .

(٥) بلاد الجمعة : وهي قرية في مديرية الجبي من أعمال ريمة. إبراهيم المقحفي : نفس المرجع. ج ١

ص ٣٥٢ .

(٦) السلفية : وهي ناحية من نواحي بلاد ريمة ، وتكثر فيها القلاع والحصون الأثرية المنيعه . محمد

الحجري : نفس المصدر. ج ١ ، إبراهيم لمقحفي : نفس المرجع. ج ١، ص ٨٠٤ .

(٧) المجلس السامي : هو لقب أستخدم في العصر الأيوبي يلقب به منهم دون الوزراء . حسن الباشا : الألقاب

ص ٨٥ .

(٨) مصطفى آغا : أحد أمراء الجيش العثماني ، تولى الإلتزام في منطق الحجرية . المطيب الزبيدي : بلوغ

المرام . ق ٣٩ .

جمع من مشايخ الجبال، فخيم العسكر المنصور بتلك النواحي عموماً، محاصرين لأهلها سنة وشهر وسبعة عشر يوماً، وحاربوهم الحرب الشديد، وفتح الله لهم الفتح الأكيد.

وفي ثاني عشرين^(١) من شهر رمضان المذكور منها واجه الشيخ صلاح^(٢) صاحب زبيد مولانا نصره الله تعالى، ودخل تحت أمره الكريم وملكه العظيم، وأطاع حكم مولانا وأستمع وأمتثل أوامره وعنّها ما رجع وسلّم ما تحت يده من القلاع، وأقبضهم رهينته وأشاع [ق ٢٠] الطاعة في ذلك وأذاع، فصارت قلاعه من جملة القلاع السلطانية، ودولته من سائر الدولة العثمانية .

شعر

كُسيَ الدهرُ هيبَةً ووقاراً	وجلالاً وعزّةً وأفتخاراً
لبسَ المجدُ تاجه فهو ملكٌ	من نُجينِ الجَمالِ صاغَ خمّاراً
فبكِ العصرُ خيرَ دهرٍ نقضى	فبنوه من السرور سكاراً
فاضَ هذا السرورُ في كلِّ فجٍ	لم يغادر من البسيطة داراً
أشرقَ الكونُ واستطار سناءً	وغداً ليُنسا البهيم نهاراً
حلتَ الشمسُ برجها فهو سعدٌ	شاملٌ من دنى و من قد تواري
لحظَ الطرفُ ملحظَ الخيرِ داراً	فأرتضها لنزله لا نمار
فَعَلتَ في الوجودِ قدراً وأدرت	بالذي شِدادَ قبلِ كسرى وداراً
كلَّ قصرٍ بها يفتخرُ أفتخاراً	أخجلَ البدرُ فأسْتجن ^(٣) سراراً
مثلَ دارِ النعيمِ بالحورِ و	الولدانِ أجزتَ في الدنا أنهاراً
ما رأتَ لها العينُ أصلاً	بل ولا دونها تداني أقتداراً

(١) الثاني والعشرين .

(٢) الشيخ صلاح: لم أعثر له على ترجمة، وهو من زعماء مدينة زبيد . المطيب الزبيدي: بلوغ المرام .

ق ١٩ .

(٣) أسْتجن: جنى الشيء ستر أو أختفى، و أسْتجن أي أسْتتر. ابن منظور: لسان العرب. ج ١،

زادها الجامع الكريم فخارا
مثل شمس النهار يزهو سناه
شاده صاحب السعادة قُربى
زاده الله رفعة وإقتداراً
مُحكّم الصنع لا تبارى شياراً^(١)
في معانيه ذا الأتنام حيارى
لكريم جزاءً عدناً قراراً
وتعالى جلاله إن يُبارى

ثم في شوال^(٢) منها. أمر مولانا صاحب الفضل والإنعام، أمير سنجق يحج بالناس إلى بيت الله الحرام وأسم الأمير المذكور يار علي، فسافر الأمير المذكور صحبة المحمل الشريف، في أجمل حالٍ من غير نكد ولا تعسف، وأمنت معه الناس، ولم يحصل في أيامه ضرر ولا بأس، فأمن الحجاج على أنفسهم وأموالهم حتى رجعوا من ذلك السفر إلى رحالهم .

(١) شياراً : الشيار بمعنى الحسان . مرتضى الزبيدي : تاج العروس . ج ٧ ، ص ٦٣ .

(٢) مارس ١٥٧١ م .

الباب الثالث:

في ذكر ما أشتملت عليه سنة تسع وسبعين وتسعمائة^(١)، من الفتوحات والصدقات وغير ذلك، وفي ثامن ذي القعدة^(٢) من السنة المذكورة [قـ٢١] قبضت حصون دنوة، وريمة و بلاد الجمعة، وما إلى ذلك عنوة وقهراً، وكان ذلك القبض على يد مصطفى آغا، وتلك الجهات لم تملك قبل ذلك. وأخرب من تلك الحصون جملة من الأماكن، وزنزل من كان بها من كل قاطن وساكن، وابقى منها شيئاً لم يخرب، وأصغر أهل تلك الجهات كغيرهم، وعليهم الضرائب تضرب، وقبض ما بأيديهم من البنادق والسلاح، وبقي المذكورون أسرى، لا فلاح لهم ولا نجاح، وصارت تلك القلاع المذكورة من جملة الممالك السعيدة، ورتب بها صاحب السعادة عسكره المنصور، واحكم تقعيده.

وفي ذي القعدة من السنة المذكورة، ورد أمر مولانا صاحب السعادة بلغه الله تعالى مراده على القاضي شيخ الإسلام علم الأئمة الأعلام، أعدل القضاة والحكام، صفي الدين أحمد بن عبد الرحيم التبريزي^(٣)، بأن يعد نخل وادي زبيد بالحد والاهتمام، ويخرج منها الشائز^(٤)، ويمحوه عن أسماء الأنام، وأن لا يسلم إلا في الصالح منه، فقام مولانا في عدده، وأخرج شائزه أحسن قيام، واستعان على ذلك بجمع أمناء معتبرين أعلام، من أهل الخبرة والمعرفة في ذلك الوقت بالاحتدام، فتم ذلك على أحسن نظام في مدة يسيرة من الأيام، فأصبحت الرعايا كأنما نشطوا من

(١) تقابلها سنة ١٥٧١ م .

(٢) ٥ أبريل ١٥٧١ م .

(٣) أحمد بن عبد الرحيم التبريزي: هو ابن العلامة عبد الرحيم بن محمد التبريزي، والذي عمل في خدمة

أزمر باشا، وكان من خواصه، وأهدى إلى الأمير المطهر بن شرف الدين كتاب " الأسباب والعلامات "

في الطب بخط مؤلفه ابن النفيس المصري، كانت وفاته سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ م، وكان صاحب الترجمة

من خواص بهرام باشا الذين أعتمد عليهم في إدارة الأمور الدينية والأعمال الخيرية، فقد كلفه بالعديد من

المهام منها، توزيع الصدقات على أهالي زبيد ومن المناطق الأخرى، إقامة المولد النبوي الشريف

بزبيد، وأهم عمل قام به حين كلف بهرام باشا بعد نخل وادي زبيد لإزالة الظالم على الرعية، وإصلاح

جامع زبيد وغيرها من الأعمال. فكان بمثابة الوزير لبهرام، وفي عهد مراد باشا ألقى عليه القبض وأودع

الدار الحمراء بصنعاء سنة ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م. عيسى بن لطف الله: روح الروح. ص ٢٠٨، تحقيق:

ابراهيم المقضي، يحيى بن الحسين: غاية الأمان. ج ٢، ص ٧١٨. المطيب الزبيدي: بلوغ المرام.

قـ ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٥، ٣٦، ٥٧.

(٤) الشائز: التالف.

عقال، لما أرتفع عنهم ذلك الظلم وزال، داعين لمولانا صاحب السعادة على ممر الأيام والليال، وكان رفع هذه البلية، عدالة صدرت من مولانا بغير استدعاء ذلك من رعيته، كما هو من قاعدته، وحسن سيرته ومقاصده الحسنة في أمر الرعايا وغيرهم، أثابه الله الثواب الجزيل، بالقصد الجميل.

وفي هذه السنة أمر مولانا صاحب المقام الجليل، والمجد الأثيل، أمير اللواء الشريف احمد بيك، بأن يسير أمير المحمل السعيد صحبة الحاج، فسار بالناس من [٢٢] غير تعنيف، ولا مشقه ولا تكليف، وكانت سيرته في سفره سيرة حسنة، وأمنت الناس في صحبته إلى أن دخل كل شخص وطنه.

الباب الرابع:

في ذكر ما اشتملت عليه سنة ثمانين وتسعمائه^(١) من الفتوحات والتمهيدات.
ففي أوائل المحرم^(٢) منها. أرسل مولانا صاحب السعادة المعظم المكرم صاحب الفضائل والنعم، صدقة جزيلة لفقهاء زبيد، وحيس وصالحيةا وفقراهما، فعمتهم تلك الصدقة بالإيساع، وأزالت عنهم ما ظهر بهم من الإقلال وذاع، فأغنت كل فقير معدم، وشملت كل عالم ومتعلم، وكانت الصدقة الواصلة إلى زبيد من الذهب الأحمر الجديد، وورد الأمر بصرفها على المذكورين إلى الإمام العالم العلامة صفي الدين، محب العلماء والطائبين كهف الفقراء والمساكين احمد بن عبد الرحيم التبريزي، أدام الله أيامه، لكون المذكور قد صار عيناً بتلك البلاد، وعليه المعول في تسهيل ما عسر من الأمور الشداد، فقسمها بين المذكورين بعد الضبط بالقلم، وأعطى كل شخص حصته حسب ما عين له مولانا ورسم هذا ما صدر من الصدقات بالمدينتين المذكورتين، و أرسل أيضا بصدقات عميمة، وأموال عظيمة إلى أهل بندر المخا وأهل عدن، وأهل مدينة تعز في السنة المذكورة فصرف على أهلها بمقتضى ما عين لهم .

فصل :

وفي أول محرم من سنة ثمانين وتسعمائه، ورد الأمر من الحضرة الشريفة، والمكارم العالية المنيفة إلى القاضي العلامة احمد بن عبد الرحيم التبريزي أدام الله تعالى أيامه، بأن يكتب من القرآن العظيم مقدمة من تجزئة ثلاثين جزءاً، ويجلدها أحسن تجليد، وتتخذ لها ربعة^(٣) خشب مضبوطة بالنحاس والحديد، ومقابلة الفاظها بالتصحيح والتحزيب^(٤) [قـ٢٣] والتجديد، وأن يعين عشرة أنفار دراسة يقرؤونها^(٥) بالختم^(١)، في صبح كل يوم جديد، وما يتبع ذلك من قراءة سورة يس

(١) يقابلها سنة ١٥٧٢م .

(٢) أوائل مايو ١٥٧٢م .

(٣) الربعة: خشبة قصيرة يرفع بها العدل على ظهر البحر. ابن منظور: لسان العرب . ج١، ص١١٠.

وهنا يقصد بيا نفس الشكل الهندسي ولكنه أصغر حجماً يوضع عليها المصحف الشريف.

(٤) أي تقسيم أجزاء القرآن إلى ستون حزباً. المرئضى الزبيدي: تاج العروس. ج١، ص٤١.

(٥) يقرؤونها

وتبارك والمعوذتين، والصلاة على النبي، ويهدون ثواب ذلك إلى حضرته الشريفة ﷺ، ثم إلى الصحابة والتابعين وجميع المسلمين، ثم يدعون بعد ذلك لمولانا السلطان الأعظم، والملك الخاقان المكرّم سليم شاه بن سليمان خان، ثم يدعون للمرحوم والد مولانا الموقّف المذكور مصطفى باشا^(٢)، ثم يعقبون بالدعاء للموقّف وأخيه رضوان^(٣)، وأهاليهم و أقاربهم بإصلاح الحال، ودفع ما يعتريهم من المكاه في العاجل والمال، وتكون المقدمة المذكورة للقراءة وفقاً بمسجد الأشاعرة^(٤) بزبيد، والدرسة المرتبون لذلك في المسجد المذكور، وبأن يشتري له أرضاً من أراضي الوادي بزبيد، يوقفها على المقدمة المذكورة [٢٤]. والقراء المذكورين، وعلى ناظر ينظر على ذلك المحل، وجعل النظر في ذلك إلى القاضي احمد المذكور، فأمتثل مولانا القاضي صفي الدين أمر ما وجه إليه، وقام بحسن الأداء فيما وجب عليه، فكتب مقدمة، فجاءت على الوصف المذكور بالكمال والتمام، مُصَحَّحة محكمة بالخط الحسن أي إحكام وجاء بجميع ما يتعلق بها من تجليدها وإحكام بنيتها، ثم اشترى أرضاً لذلك بوادي زيد تقارب ثمانين معاداً^(٥)، ومبلغ قيمتها نيف

(١) الختم : كلمة عامية مازالت دارجة الاستخدام في اليمن وتعني المصاحف ، ومفردها ختمه .

(٢) مصطفى باشا : عرف بقره شاهين لحنقه ونجابته في صغره ، وسمره لونه ، وهو من قدماء مماليك السلطان سليمان تربي في سراي السلطنة وتقلب في المناصب وترقى في المراتب إلى أن صار لالا السلطان بايزيد ثم تولى نيابة غزة، وبعد ذلك والياً على اليمن سنة ٩٦٣هـ / ١٥٥٦م، استمر في ولاية اليمن حتى عزل سنة ٩٦٧هـ / ١٥٦٠م، وغادرها إلى مكة ثم وصل إلى مصر فصادف وصوله وفاة والي مصر علي باشا ، فصار هو بكتريكيّاً على مصر . قطب الدين النهرواي: البرق اليمني. ص ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥ .

(٣) رضوان : هو ابن مصطفى باشا قره شاهين، عرف بالفروسية والشجاعة ، تولى بكتريكية اليمن سنة ٩٧٢هـ / ١٥٦٤م وكان قبل ذلك نائب غزة ، وفي عهده قسمت اليمن إلى ولايتين وأصبح بكتريكيّاً لآدهما، دخل في مشاكل مع محمود باشا ومراد باشا وعزل من منصبه سنة ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م وحبس فترة من الزمن بسبب تلك المشاكل ، ثم أعيد تعيينه بسنح غزة ، ثم بكتريكيّاً على الحشة. قطب الدين النهروالي : نفس المصدر. ص ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٧٤، ١٧٥ .

(٤) مسجد الأشاعر : وهو أحد أشهر مساجد اليمن وأقدمها ، بني بمدينة زيد في العام الثامن للهجرة، على يد الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري . عبد الرحمن الحضرمي : زيد مساجدها ومدارسها . ص ٥٤ .

(٥) المعاد: وحدة مساحة تساوي ٦٢مطول × ٦٢ م عرض أي ٣٨٤٤م مربع. الموسوعة اليمنية نجدة، ص ٢٨١٦ .

وعشرون مداً^(١)، بأوفى ثمن بعد التثمين والتقويم، وسلم إلى البائعين جميع أثمانها على الوجه الصحيح الشرعي بالحظ الأوفر القويم، وهم في ذلك البيع بالاختيار من غير إكراه ولا إجبار، وعين للمدرس المذكور بالمحل المذكور، جماعه من الفقهاء الأعلام والمواظبين على المباشرة لذلك على ممر الأيام، وأستمر إجراء المعلوم على المذكورين من الناظر القاضي أحمد [قـ ٢٥] المذكور يسلمه إليهم بالوفاء والكمال، وصار القائمون بخدمة ووظائفهم على احسن حال، وكتب بالوقف المذكور بصيرة^(٢) شرعيه عليها خطوط جماعة من حكام الشريعة المطهرة أصليين أصلاً بيد مولانا صاحب السعادة، والأصل الآخر بيد القاضي احمد المذكور، أعاد الله عليه بركة ذلك، وكان ابتداء القراءة المذكورة، يوم الثالث عشر من شعبان^(٣) من السنة المذكورة.

وفي شهر ربيع الأول^(٤) منها أمر مولانا أسعده الله تعالى بقراءة مولد النبي ﷺ، بمسجد الأشاعر بمدينة زبيد حرسها الله تعالى، على نظر القاضي العلامة صفى الدين احمد بن عبد الرحيم التبريزي، وأرسل إليه لأجل ذلك مالا يصرفه للإكرام على ما يقتضيه الحال في ذلك المقام، لما في ذلك من التبجيل والإعظام، إظهاراً لجاه نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، فقام القاضي المذكور في ذلك احسن قيام، ورتبه على أحكم نظام، جعل أولاً خمسين شخصاً من أعيان الفقهاء بزبيد، بعد أن بذل لهم البذل الحميد، يقرؤون خمس مقدمات من القرآن الكريم، ويعقبون ذلك بقراءة يسس وتبارك، وبالصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم، ثم يتبعون ذلك بالدعاء المشهور لختم القرآن الكريم، للشيخ أبي حربه^(٥)، المجربة تلاوته لكشف

(١) المد : وحدة وزن تساوي عشرين ثمن، وكل ثمن يساوي عشرة أزيد أو أصاع، وبذلك يكون المد الزبيدي يساوي ٢٠٠ صاع، ونصاب زكاة الحبوب يساوي مد ونصف المد. الموسوعة اليمنية: مؤسسة العفيف. ص ٢٧٩٣.

(٢) البصيرة : هي الحجة أو الشاهد. ابن منظور : نفس المصدر. ج ١، ص ٢١٩.

والبصيرة مصطلح يطلقه أهل اليمن على الوثائق الخاصة بالأرضي و العقارات.

(٣) ٢٠ ديسمبر ١٥٧٢ م.

(٤) يوليو ١٥٧٢ م.

(٥) الشيخ ابي حربه: هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الكميث بن سود بن الكميث المعروف بأبي حربة، سمي بذلك كونه أشار باصبعه إلى أحد الظلمة كهيئة الطعنة فقتله، له دعاء مشهور يعرف بدعاء أبي حربة جعله لختم القرآن، وله كرامات كثيرة كانت وفاته بقرية المريخة في زبيد سنة=

الكربة ، ثم يقرؤن المولد الشريف ، ويتبعون ذلك بالذكر والدعاء والحمد والثناء ، وتكون ليلة عظيمة، ذات حضرة كريمة، ويحضر في تلك الليلة الأمراء الكرام، والعلماء الأعلام وقضاة الإسلام ، والخاص والعام ، ويكون الدعاء فيها لمولانا السلطان الأعظم ، ثم لمولانا الباشا المعزز المكرم .

وفي شهر المحرم^(١) منها أمر مولانا أيده الله تعالى عدالة منه القاضي صفي الدين احمد بن [ق. ٢٦] عبد الرحيم التبريزي، بعدد نخل السحاري^(٢) وجهة وموزع وكان أكثر نخل تلك الجهات شائراً يابساً، فباشر ذلك على أحسن حال وأزال عنهم التسليمات الباطلة بسبب ذلك الشائتر، فشكرته الرعايا ودعوا لمولانا نصره الله تعالى.

فصل:

وفي جمادى الأولى^(٣) من السنة المذكورة، قدم على مولانا نصره الله تعالى الأمير أحمد الحجري^(٤) بمدينة ملحظ المعمورة، وكان قد طلبه قبل ذلك مولانا الوزير سنان، وتأخر عن الوصول إليه، غير مظهر للعصيان عليه، ولم يزل المرة بعد المرة بأمره بالوصول، فلم يتلق بباطن حاله أوامره بالقبول، إلى أن سافر الوزير المذكور، من الجهات اليمنية إلى الديار المصرية، وهو لم يصل إليه، ولم يمثل على الوقوف بين يديه، وكان حاله عدم المواجهة، مكتفياً بالمراسلة عن المشافهة، فاحسن مولانا صاحب السعادة التدبير في وصوله إليه واحكم بحسن السياسة ولطف الإحتيال حتى جاءه منقاداً لديه، بعد أن أتاه الرسول المأمور، يلزمه إلى مولانا الحضور، فدخل على مولانا بالتواضع والإحتشام، فقابلته بالإجلال والإعظام، وأنسه الأنس

= ١٢٢٣هـ / ١٧٢٤م أبي العباس احمد بن احمد بن عبد اللطيف الشرجي: طبقات الخواص أهل الصدق

والاخلاص. بيروت، دار الماهل، ١٩٨٦م ص ٢٧٤ - ٢٧٦.

(١) مايو ١٥٧٢م .

(٢) السحاري : بلدة في ساحل البحر الأحمر ما بين المخا والخوخة ، وتشتهر بزراعة النخيل . محمد الحجري: مجموع بلدان . ج ٢، ص ٣٠١ ، إبراهيم المقحفى : معجم بلدان . ج ١ ص ٧٧٢ .

(٣) سبتمبر ١٥٧٢م .

(٤) أحمد بن عبد الوهاب الحجري أمير منطقة الحجرية ، سجنه الأمير المطهر بن شرف الدين عندما اضطربت أحوال منطقتة سنة ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م ، دخل فيطاعة الدولة العثمانية في عهد بيرام باشا وصار أحد أعوانها. عيسى بن لطف الله : روح الروح . ص ١٦٨ ، سيد سالم : الفتح العثماني . ص ٤٦٤ .

التام، وأحسن إليه الأحسان العام، وأفاض عليه سوابغ الإنعام، والآن له الكلام، وكتب له مراسيم كريمة بالإجلال والإحترام، والرعاية الوافرة الأقسام، فأقام بمدينة ملحظ شهرين، لم يعتره بها ضرر ولا شين، تحت نظر مولانا من جملة الجند المنصور، محكوماً عليه ومن معه بالخدمة في المخارج وسد الثغور، ثم نزل الأمير احمد المذكور من المدينة المذكورة ثاني يوم من شهر رجب^(١) الحرام ناشراً الرايات والأعلام، صحبة جماعه من ابطال الأروام، ومعهم أمير سنجق ضرغام، فخيم بجهات الحجرية، ثم قبضوا بسعد مولانا تلك البلاد، وحصل غاية القصد والمراد، [ق ٢٧] وأذعن جميع أهلها بالطاعة والإنقياد، وكان ذلك من سعوته أسعده الله تعالى أي إسعاده، فتصرف بها الأمير احمد المذكور عاماً ونصف عام، بحكم التولية والإلتزام، فلما لم يسلم المال المشروط بالكمال والتمام، عزله مولانا عن ذلك وطلبه إلى الديوان السعيد، وأفتقد حسابه بعد التوبيخ والتشديد، فظهر عليه جملة من المال، وهو السبب الموجب لعزله عن تلك الحال، فأمر مولانا أيده الله تعالى بحبسه، فعقل بقلعة دمار كما عقل غيره من أبناء جنسه، وكان هذا هو الرأي التام، الوارد على احسن نظام .

فصل :

ثم في ثالث جمادى الأولى من السنة المذكورة، أمر مولانا أعزه الله تعالى بالتجهيز على طائفة تدعى بني مطر^(٢)، فمكنه الله تعالى منهم ونصر وقبض قلاعهم وكانت أربع قلاع، وكان من خبرهم أن جمعهم لما انتشر وطغى في البلاد، وأفسد في ذلك القطر أشد الفساد، جهز عليهم مولانا صاحب السعادة جمعاً شنت شملهم، وأفسد عليهم ما حكموه بالرجالة والفرسان، والبنادق المحرقة بالنيران، فأعانه الله تعالى عليهم ونصره، بخسن تدبيره المعبر، وذبحوا كل قزم منهم ذبح البقر، وأسر من كان قد هرب قبل ذلك ونفر، وأوثق خمسة من أشياخهم وأسر، فساخت جلودهم وحشيت بالتبن والحشر^(٣)، وجعل المذكورين عبره لمن اعتبر، و

(١) ٩ نوفمبر ١٥٧٢ م .

(٢) بني مطر: قبيلة مشهورة غربي صنعاء، كانت تعرف ببلاد البستان. إبراهيم المقهي. معجم البلدان.

ج ٢، ص ١٥٥٦.

(٣) الحشر: هي القشرة التي تلي الحبة " حبة الشعير أو القمح ". ابن منظور: لسان العرب. ج ١، ص ٦٤٢.

أركبوا تلك السلوخ المحشية ظهور الحمُر، وصيح عليهم بمدينة ملحظ يا من قد زأى وحضر، هذا جزاء من عصى مولانا السلطان وضر. أيد الله مولانا بالنصر والتمكين، وفتح له الفتح المبين، وكان فتح البلاد المذكور من خصوصيات مولانا صاحب السعادة .

فصل :

وفي شهر شعبان^(١) من السنة المذكورة، خرج الخائن العواضي^(٢) صاحب حصن يفوز^(٣) عن الطاعة السلطانية، والدولة العادلة العثمانية [ق ٢٨]، فجهز مولانا نصره الله تعالى عليه جنداً من صميم العسكر الباذلين نفوسهم لجلب الخير ودفع الشر، مقدمهم أمير اللواء الشريف فيروز بك، فقام مولانا أسعده الله تعالى على قدم الجد والإنتهاض، واركض له الفرسان في ذلك أي إركاض، وكل منهم يرى الطعان من أحسن الأغراض، و أعدوا له من العدد والسلاح ما لا يحصيه أحد من الناس، ولا يدخل تحت حفظ نظر ناظر ولا صاحب قياس، فأحاط العسكر المنصور بالحصن المذكور يضربون عليهم بالبنادق والمدافع، ولم يمنعهم عن العمل في ذلك مانع ، فأحرقوهم بالنيران، وشتتوا جمعهم حتى لم يستقر أحد ممن كان في الحصن بمكان، فعزم من بالحصن المذكور على رفضه، وأصبح المخنول في ذلّه ودحضه، ففر هارباً من يفوز في الفياقي والقفار، وكان من اعظم الغنائم له الفرار، ولم يلتفت إلى من كان تحت نظره من مُخَدَّرَات النساء والأولاد الصغار، وعزم أهل الحصن على تسليم الحصن بالكره لا بالرضى، وسلموا يفوز وما به من العدد، والسلاح بحكم القضاء، فصارت تلك البلاد من ممالك مولانا السلطان الأعظم والخاقان المكرم، بحسن تدبير مولانا صاحب الرأي السديد، والأسلوب الحميد، وكان فتح الحصن المذكور مع جهاته ، من خصوصيات مولانا صاحب السعادة نصره الله تعالى.

(١) ديسمبر ١٥٧٢ م .

(٢) العواضي: هو صاحب حصن يفوز لم أعر له على ترجمه .

(٣) يفوز: حصن بمنطقة عراس جنوب مدينة يريم . إبراهيم المقحفي: نفس المرجع . ج ٢، ص ١٤٤٥ .

فصل :

وفي شهر شعبان^(١) من السنة المذكورة، عمّر مولانا وفقه الله تعالى جامعاً بمدينة ملحظ وأكده، وأحكم عمارته وشيده، ووقفه ورتب فيه إماماً ومؤذناً ومقيماً وخطيباً. وأقام به جمعة في غرة شهر رمضان منها، فكان من المشاعر المحضورة^(٢)، وأماكن الفضل المشهورة، ومحلاً لإجابة الدعوات، ومهبط لأهل الصلاح والخيرات، يقصده الجَم الكثير من العباد المصلين والصلحاء [قـ ٢٩] الراكعين الساجدين، وهو من المساجد التي أسست على الطريقة السنية، والسنة المحمدية، وأرغم بذلك أنوف طوائف الزيدية، فصار مولانا ضاعف الله ثوابه داخلاً في عموم أصحاب هذه النعمة، المعنى بها في الحديث الصحيح الوارد عن سيد الأمة "من بنا مسجداً ولو كمفحص قطاة بنا الله له بيتاً في الجنة"^(٣)، فالحمد لله على جزيل إنعامه، وعظيم فضله وإكرامه.

فصل :

ثم جهز مولانا أيده الله تعالى في خامس شوال^(٤) منها. على جبال برع^(٥) الممتنعة، و معاقله المرتفعة، جماعه من أصحاب البنادق والفرسان، فجاءتهم من كل مكان وأحاطوا بقلاعهم، فأخذوهم قهراً وعنوة وشرودهم عن ديارهم، وقبض الجند المنصور القلاع المذكورة في ثالث شهر ربيع الأول من سنة إحدى وثمانين وتسعمائة^(٦)، وكان ذلك بعد أن مكث العسكر المنصور ملازمين للحرب والنزال،

(١) ديسمبر ١٥٧٢ م .

(٢) المحضورة التي يحضرها الناس، ولا يقصد بها المنوعة .

(٣) عن عائشه رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : من بنى مسجداً ولو قدر مفحص قطاة ، بنى الله له

بيتاً في الجنة، قالت : يا رسول الله وهذه المساجد التي فيطريق مكة ، قال : وهذه المساجد التي في طريق

مكة . الهندي : كنز العمال . ج ٨ ، حديث رقم ٢٣٠٧٧ . أحمد بن حنبل : المسند . ج ١ ، ص ٢٤١ .

القطاة نوع من الطيور، والفحص المكان الذي تفرخ فيه القطاة من الأرض، وهنا ضرب مثل مكان بناء

المسجد بمفحص القطاة بقصد أظهار أنه مهما كان المسجد صغيراً فإن الأجر كبير. ابن منظور: لسان

العرب . ج ٣ ، ص ١٢٤ ، ج ٢ ، ص ١٠٥٧ .

(٤) فبراير ١٥٧٢ م .

(٥) جبال برع : بضم الباء وفتح الراء ثم عيناً ، جبال تشرف على تهامة من الجهة الغربية من صنعاء

أرتفاعها حوالي ٢٤٠٠ م، وبرع مديرية من أعمال محافظة الحديدة. محمد الحجري: مجموع بلدان. ج

١ ، ص ١١٥ . إبراهيم المقحفي: معجم بلدان. ج ١ ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٦) ١٥ يوليو ١٥٧٢ م .

مدة أربعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً ، على ما ورد في صحيح المقال، فصارت تلك القلاع من ممالك مولانا صاحب السدة العلية ، بتدبير مولانا ذي الهمة الكافية . وفي هذه السنة جهز مولانا أسعده الله تعالى على قلاع المخلاف الجعفري^(١) بلاد الشيخ عز الدين الحميدي والشيخ عبد العزيز^(٢) صاحب الجبلين^(٣) والشيخ دهشل، وقلعة ريمة المخلاف، وما إلى ذلك، فقبضها مولانا بطالع سعوده، وسعد مولانا السلطان وجنوده نصره الله تعالى فهدم بعض تلك الحصون فصار قفراً، وأبقى بعضها مسكناً للجنود وذخراً، فصارت تلك البلاد من جملة الممالك السعيدة، المشمولة بالآراء الحميدة أسعد الله أيامها ونفذ أحكامها، وهذه القلاع لم تقبض فيما مضى من الأزمان ولم يك لأحد قبل ذلك عليها سلطان من دولة آل عثمان، وقبضها مما أنفرد به مولانا عظيم الشأن.

ومن السعادة [ق ٣٠] لمولانا والحظ الأوفر، إقبال الأيام له بمساعدة القدر، أن قدر الله تعالى في هذا العام الأزهر، موت الملحد ملك الفرقة الزيدية مطهر، وصح ذلك الخبر وانتشر، وأتضح وظهر، فسر مولانا لذلك وأستبشر، وحمد الله تعالى جمع أهل السنة وشكر، وإنخذل كل زيدي من ذلك المصرع وإقتهر، وفتح الله تعالى على مولانا ونصر، فالحمد لله على نيل المقصود، وحصول الظفر.

وفيهما أيضاً جعل مولانا صاحب السعادة العظمى، المركز الأعز الأسمى، أمير الحج مع المحمل الشريف السلطاني محمد آغا^(٤)، وأسند إليه الأمر في ذلك وفوضه، ورغبه في ذلك ونهضه، فقام في أداء ما فرض عليه، وحج بالناس فنالوا المقصود بين يديه.

وفي هذه السنة كسا المحمل الشريف كسوة جديدة، منسوجة بأنواع من الإبريسم^(٥) والذهب عديده، فألبس المحمل السعيد ذلك الكساء الجديد، وفي السنة

(١) المخلاف الجعفري: سقت الإشارة إليه في تعريف المخلاف.

(٢) الشيخ عبدالعزيز: لم أعر له على ترجمة. وهو كما ذكر صاحب المخطوطة شيخ منطقة الجبلين .

(٣) الجبلين: مركز إداري في مديرية العدين من أعمال محافظة إب. إبراهيم المقضي: معجم بلدان. ج ١، ص ٢٨٦.

(٤) محمد آغا : أمير عثماني اعتمد عليه بهرام باشا في تسيير قوافل الحج سنة ٩٨٠ - ٩٨١ هـ / ١٥٧٢ م -

١٥٧٣ م. المطيب الزبيدي : بلوغ المرام . ق ٣٠، ٣٤.

(٥) الابريسيم : كلمة فارسية وأصلها إيريشيم وتعني الحرير . محمد التويتجي: المعجم الذهبي فارسي -

عربي. بيروت ، دار القلم للملايين، ط أولى ، ١٩٦٩ م ، ص ٥٦.

المذكورة طلع أمير الحج المذكور محمد أغا بالمحمل الشريف، بعد عودة [عودته] من الحج، وكان طلوعه من مدينة زبيد إلى مدينة ملحظ بأمر مولانا أيده الله فلم يزل الأغا محمد المذكور، يسير بالمحمل السعيد في السهل والوعر، يدبر السفر به في ذلك بألف أمر، وصحبته الرتبة المعنية من أعيان العسكر، سائرين بسنجد ورايات تخفق، وسيوف وبنادق بتلك الطرق ترعد وتبرق، فدخل المحمل الشريف مدينة ملحظ، وكل أحد متعجب منه، والية بنظره يلحظ. (١)

وفي شهر ذي القعدة^(٢) منها، خرج مولانا أيده الله تعالى من مدينة ملحظ قاصداً جهة رداع العرش^(٣). ليحيط علمه الشريف بأحوالها، مع التفقد أحوال الرعايا والمستوطنين بها، فوصل إليها وواجه جميع أهلها، مستأنسين مستبشرين بقدمه سامعين مطيعين لأوامره الناطقة بالعدل ورسومه ولثياب [قـ٣١] الذلة والامتثال لابسين، ولمولانا صاحب السعادة خاضعين، فأقام بها نحواً من عشرة أيام، ورجع بعد ذلك إلى تخته^(٤) السعيد، مع الإعزاز والإكرام من الملك العلام، أدام الله عليه مديد الأنعام.

(١) النص مضطرب في الأصل.

(٢) مارتن ١٥٧٢ م .

(٣) رداع العرش : مدينة شرقي دمار بمسافة ٥٣ كم ، وهي من المدن التاريخية من أشهر معالمها قلعة رداع

التي يعود تاريخها إلى عهد الملك شمر يهرعش ، ومسجد العامرية الذي بناه السلطان عامر بن عبد

الوهاب الطاهري سنة ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م . إبراهيم المقحفي : معجم بلدان . ج١ ص ٦٨٢ .

(٤) التخت : كلمة فارسية تعني كرسي أو المنبر أو سرير السلطنة . محمد التوينجي : المعجم الذهبي . ص

الباب الخامس:

في ذكر ما اشتملت عليه سنة إحدى وثمانين وتسعمائة^(١)، من الفتوحات والتمهيدات والصدقات. ففي شهر المحرم^(٢) منها أرسل مولانا صاحب السعادة أدام الله تعالى عليه الخيرات وزاده مالاً جزيلاً يصرف في إصلاح ما تشعثت من عمارة الجامع الكبير بمدينة زبيد، إلى القاضي العلامة صفي الدين احمد بن عبد الرحيم التبريزي، ليصرفه في ذلك على الحكم المذكور من إصلاح البنين، وتعويض ما أختل فيه من البناء والخشب، فأمتثل ذلك الأمر الشريف، وقام في ذلك أحسن قيام، رغبة في الثواب الجزيل ومن غير تعنيف وهياً له العمال من المعالمة البناء، والنجارين وقطاع الأخشاب المهرة والحدادين، فشرع كل شخص منهم فيما هو بصدد، وأمضى عمله بالهمة والجهد بأحسن آلاته وعدده، ومضى على أثرهم عملة الجص الأكيد، فأصلحوا ما تشعثت من ذلك الإصلاح الشديد، ثم شرع في عمالة فرش الجامع المذكور، فكسي أحسن كسا وصار ما عزي منه مستور، فتمت تلك العمرة بحمد الله تعالى على أحسن نظام، وأتم أحكام في ثاني عشر جمادى الأولى^(٣) من السنة المذكورة، فدعا لمولانا أسعده الله تعالى جميع الأنعام، وشكروه على ما أسبل على جامع زبيد من الفضل والأنعام، وهذه الصدقة مما تفردت بها أيادي مولانا الكريمة صاحب الفواضل العظيمة، والصلوات العظيمة .

فصل :

وفي شهر المحرم منها أرسل مولانا صدقه جزيلاً ، ومواهب جميلة إلى القاضي العلامة صفي الدين احمد بن عبد الرحيم [ق-٣٢] التبريزي، يصرف ذلك على جاري العادة، وزاد على ما أرسله في العام الماضي احسن زيادة، فصرفها القاضي المذكور على العلماء والطلابين، والفقراء والمساكين ومشائخ الصوفية الصالحين بمدينة زبيد وحيس، وأرسل بصدقات أيضاً إلى أهل البلدان، كعدن وتعز والمخا وغيرهما، فانتفع بها فقراء أهل تلك الأمصار، وكان الكساء تزيد أثمانه في تلك الديار، بسبب انتشار تلك الصدقات على المستحقين من أهل الإعسار أثابه الله تعالى

(١) تقابلها سنة ١٥٧٣ م .

(٢) مايو ١٥٧٣ م .

(٣) ١١ سبتمبر ١٥٧٣ م .

على ذلك الثواب الجزيل بالقصد الجميل، وبعد أن تمت عمرة الجامع المذكور في التاريخ المذكور، أمر مولانا أبيه الله تعالى بقراءة مولد شريف يقرأ في الجامع المذكور، ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول منها، ويكون ذلك الحكم مرتباً على الترتيب المذكور في السنة التي قبلها، وكان ذلك على يد القاضي العلامة صفي الدين احمد ابن عبد الرحيم التبريزي ، فأصرف في ذلك المال الجزيل، لشراء شيء من المشموم^(١)، والمأكول الحلو لجميع الحاضرين، من السادة الأمراء والعلماء، والقضاة والصالحين، وكانت ليلة عظيمة القدر، ملحوظة بالقبول لما تحصل فيها من الدعاء والذكر، وهذه القرية مما تفرد بها مولانا أسعده الله تعالى .

وفي الشهر المذكور منها، أرسل مولانا أتابه الله تعالى جملة من المال إلى القاضي احمد المذكور ، يصرفه صدقة على الأشراف خاصة بمدينة زبيد، فأصرف ذلك القاضي المذكور على حكم ما قعد له من المقصد الحميد .

فصل :

وفي ثاني صفر^(٢) منها، جهز مولانا نصره الله تعالى على جهة حفاش^(٣) وملحان^(٤)، وعلى ما في تلك الجهات من الحصون والقلاع، وكان مبلغ عدد تلك القلاع مائة وأربعاً وعشرين بلا نزاع، فخرج عليها جمعاً من العساكر المنصورة وأهل البنادق، فحاربوهم الحرب الشديد، وخرّبوا [٣٣] عليهم التخريب، وكانت وقعة مشهورة، فقبض العسكر المنصور جهات حفاش وملحان، وشتتوا أهلها في كل ناحية ومكان، عنوه بالقدرة والإمكان، وإنقاذ أهلها بعد ذلك، وسلموا رهائن من جميع أهل تلك البلدان، فصارت تلك الأماكن من جملة ممالك مولانا السلطان، بهمة مولانا صاحب السعادة والبرهان، ومن أعجب ما أتفق في ذلك الأوان لمولانا عظيم

(١) المشموم : يقصد بها الروائح.

(٢) ٤ يوليو ١٥٧٣ م .

(٣) حفاش : جبل من أشهر جبال اليمن به قرى وحصون ، وهو من أعمال محافظة المحويت ويشرف على

منطقة تهامة . محمد الحجري : مجموع بلدان . ج٢ ، ص ٢٧٨ .

(٤) ملحان : سلسلة جبلية غربي المحويت تشتهر بصعوبتها ووعورتها، وهي من مديريات محافظة المحويت

وتشرف على تهامة . محمد الحجري : نفس المصدر . ج٢ ، ص ٧١٨ ، إبراهيم المقحفي : معجم

بلدان . ج٢ ، ص ١٦٣٥ .

النشأن، أن كان قبض تلك القلاع وجبال برع في يوم واحد من ذلك الزمان، وهذا من غريب الإتفاق، مما سعد به مولانا على الإطلاق.

وفي شهر جمادي الأولى من السنة المذكورة، واجه الشريف الأجل جمال الدين محمد بن الناصر^(١) صاحب الجوف^(٢) مولانا صاحب السعادة نصره الله تعالى، فحصل بمواجهته الأناضول العظيم، والنصر العميم، كون المذكور من أعيان رؤساء تلك البلاد، وصاحب البسطة والعظمة والإمداد، فكان في مواجهته كسر شوكة المفسدين، وذل على الطغاة الملحدين، وسلم ولديه وأخاه رهينتين للسلطنة الشريفة أعز الله أنصارها، وضاعف اقتدارها وجعلنا على الإحلال والإكرام بقصر صنعاء، وهذا من نصر مولانا أيده الله تعالى وفتح له الفتح المبين، وأعاد نفعه على جميع المسلمين .

فصل :

وفي أثناء السنة المذكور، أرسل الأمير عبد الرحمن بن المطهر^(٣) إلى مولانا بعد أن سمع و أطاع، ولم يخالف بنكث قول ونزاع، رهينته شخصاً من أولاد عمه، القائلين بقوله من أهل نجدته وعزمه، وصار الرهين المذكور مقيماً بدمار، تحت نظر مولانا المشمول بنظر العزيز القهار، وفيها أيضاً واجه الشيخ أحمد بن حسين

(١) محمد بن الناصر: هوجمال الدين محمد بن الناصر أحمد بن الحسين، من أشرف الجوف دخل في صراعات ومنافسات مع أمراء آل شرف الدين خاصة الأمير محمد بن شمس الدين ، صار من أنصار الدولة العثمانية في عهد بهرام باشا، وولاه سنجق رداغ، دخل في طاعة الإمام الحسن بن المؤيدي، وتولى حكم صعده، وتظاهر ببقاء ولائه للعثمانيين، وظل يحكم صعده باسم الدولة العثمانية، اصطدم بالعثمانيين حين شرع في محاولة الاستقلال بحكم المناطق الشمالية ، القي القبض عليه في عهد الوالي حسن باشا ، وأودع سجن الحمراء في صنعاء وبقي فيه حتى وفاته ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م . عيسى بن لطف الله : روح الروح . ص ٢١١، ٢٠٢، ٢١٤ ، سيد سالم : الفتح العثماني . ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٢) الجوف : منطقة شمال شرق صنعاء بمسافة ٤٥ كم عاى أطراف الربع الخالي، على الحدود الشمالية الغربية لمحافظة مارب . محمد الحجري : مجموع بلدان . ج ٢ ص ١٩٥ ، إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . ج ١ ، ص ٣٧٣ .

(٣) عبد الرحمن بن المطهر بن الإمام شرف الدين ، أقطعه والده بلاد حجة، فسكن ميين ، تصالح مع العثمانيين، حكم سنجق حجة باسم الدولة العثمانية ، قتل في منزله الحوضيين وكان قاتله ابنه عبد الرحيم ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م، وزعم أن قاتله احد عبيده فقتل به كانت وفاته. عيسى بن لطف الله : نفس المصدر . ص ٢١٩ ، إسماعيل الأكوغ : هجر العلم . ج ٤ ، ص ١٩٣٧ .

القائفي^(١) مسمماً ومطعياً، فاصطلح بمواجهته أحوال أهل تلك البلاد جميعاً، وكانت مواجهته على يد رسول مولانا الشريف احمد الناصر^(٢) المذكور بقلب [قـ ٣٤] خائف، فأمنه مولانا وأوقفه أحسن المواقف، وقرره مع أصحابه على بلده كون المذكورين قد صاروا من جنده، وتحت يده، فصلحت بذلك تلك البلاد، وقمع من بها من أهل الفساد، وصارت من ممالك مولانا السلطان المظفر بسعد مولانا ذي الحظ الأوفر.

فصل :

وفي هذه السنة جهز مولانا نصره الله تعالى على الجهة المسماة بالخلفة^(٣)، ولم تأخذه عليهم لجنايتهم عليه شفقة، فجهز عليهم الجيش القادم، ومسك شيخهم المسمى بمزاحم^(٤)، وصار تحت الحفظ الأكيد، والحبس الشديد، وصارت ديارهم من جملة الممالك السلطانية، وأهلها من جملة الدولة العثمانية أعزها الله تعالى.

وفي هذه السنة نزل بالمحمل السعيد، بأمر مولانا من مدينة ملحظ الى مدينة زبيد محمد آغا أمير الحج لقصد السفر به، فوصل به إلى المدينة المذكورة، وقرر على إمارة الحج فيها، فصار في تلك السنة على جاري عادته القديمة، وكان الأمير المذكور حسن السيرة، صافي السريرة، وكان مع جميع الأنام مشكوراً، وبلطيف التدبير في ذلك خبيراً، يدني إلى مجلسه جميع الفقراء، ويبذر لهم ما يسد جوعهم بما يحسن من القرا^(٥)، ولاشك في ذلك ولا مرأى، وأمنت السفارة بصحبته على

(١) أحمد حسين القائفي : شيخ قبيلة قانفة . قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . ص ١٧٩ .

وقانفة او قيفة هي فرع من قبيلة مراد وتسكن شرق بلاد رداع . إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . ج ٢ ، ص ١٣١١ .

(٢) هو الأمير الناصر أحمد بن الحسين ، صاحب الجوف ، دخل في حرب مع الإمام شرف الدين للسيطرة على صعدة ، ثم دخل قبطاعة الإمام شرف الدين ، وبعد ذلك انضم للعثمانيين في حربهم مع أولاد الإمام ، توسط في الصلح بين المظفر وازدمر باشا سنة ٩٥٩هـ / ١٥٥٢م ، توفي في حصن الزاهر بالجوف سنة ٩٧١هـ / ١٥٦٣م . عيسى بن لطف الله : روح الروح . ص ٨٢ ، ٨٨ ، ١١٠ ، ١٣٠ ، ١٤٨ ، ١٦٠ ، محمد بن علي الزحيف : مآثر الأبرار في تفاصيل مجملات جواهر الأخبار . صنعاء ، مؤسسة الإمام زيد ، ٢٠٠٣م ، ج ٣ ، ص ١٤٢٠ ، ١٤٢١ .

(٣) الحلقة : قرية في مديرية النادرة محافظة إب . إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . ج ١ ، ص ٥٧٨ .

(٤) مزاحم : لم أعثر له على ترجمة ويبدو من النص أنه شيخ قبيلة بلاد الحلقة .

(٥) القرا : إطعام الضيف والاحسان إليه . ابن منظور : لسان العرب . ج ٣ ، ص ٨٠ .

أموالهم، ولم يخافوا ما يحذرناه من تشتيت أحوالهم، فأمن الناس به في ذلك السفر حتى وصلوا إلى أوطانهم ، وكانوا في سفرهم وكانهم مقيمون بمكانهم .

فصل :

وفي شهر رجب^(١) منها جهز مولانا أمير الأمراء جيشاً من العسكر المنصور، لأخذ حصن سماه^(٢) المحصور، وصحبته جماعة من أعيان الأمراء الكرام، رأسهم الأمير الكبير فيروز صاحب الفضل والإنعام، وصحبه العسكر المنصور من المدافع والبنادق ما لا يحصى عدداً، ولا يقطع مداً، فحلّقوا على الحصن حلقة مانعة كافية، يضربون عليهم بالمدافع والبنادق حتى لم يبق منهم باقية، فهدمت [قـ ٣٥] بيوتهم وأحرقت قصورهم، فبقوا في ذلك الحصن بالذل مقهورين، وحكمهم في ذلك الحصن حكم المأسورين، لسبب أوجب ذلك حتى ضيق عليهم تلك المسالك.

(١) أكتوبر ١٥٧٣ م.

(٢) سماه: مخلاف مشهور من ناحية عتمة ينسب إليه آل السماوي. محمد الحجري: مجموع بلدان. جـ ٣ ،

ص ٤٣١ ، إبراهيم المقحفي: معجم بلدان. جـ ١ ، ص ٨١٠ .

الباب السادس:

في ذكر ما اشتملت عليه سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة^(١)، من الفتوحات المختصات به وغيرها .

ففي مستهل المحرم^(٢) منها أرسل مولانا أثابه الله تعالى صدقةً جزيلة، وحسنة جميلة من الذهب الأحمر، إلى القاضي العلامة صفي الدين أحمد بن عبد الرحيم التبريزي أمتع الله بحياته تُصرف على جاري العادة، حكم ما في الدفتر المذكور من ضبط الأشخاص المصروفة إليهم بأعيانهم، من العلماء والصلحاء والفقراء والمساكين، وخُدَّام ترب السادة الصالحين، وزاد جملة من المال خارجاً عن من عيّن في الدفتر، يصرفه القاضي على عامة الفقراء بمدينة زبيد وحيس، كل ذلك على نظر القاضي أحمد المذكور، فباشِر المذكور الأمر على حكم ما ذكر له أتم مباشرة، ومضى في ذلك العمل من أوله حتى بلغ آخره.

وفي شهر ربيع الأول^(٣) من هذه السنة، أرسل مولانا مالاً إلى القاضي أحمد المذكور بسبب الصدقة على خاصة الأشراف، فصرفه المذكور على المعين لهم على أكمل حال، وأوسع بال.

وفي الشهر المذكور أمر مولانا بقراءة مولد شريف في جامع زبيد، وأرسل مالاً يصرف في ذلك إلى القاضي العلامة أحمد بن عبد الرحيم التبريزي، وكان حكم الأمر في ذلك من التّعديد، و الترتيب على نمط ما تقدم من الموالييد.

وفي خامس ربيع الأول منها، وصل ابن العماري^(٤) إلى مولانا صاحب السعادة مسمِعاً مطيعاً متودياً^(٥)، والمذكور من أعيان مشائخ صعدة^(٦)، وكان وصوله على يد الأمير محمد بن الناصر في أربعة من الفرسان، و جماعة من أصحابه الأعيان، فحصل له من مولانا نصره الله تعالى الإكرام التام، والإنعام العام .

(١) تقابليها سنة ١٥٧٤م

(٢) إبريل ١٥٧٤م

(٣) يونيو ١٥٧٤م

(٤) ابن العماري : لم أعثر له على ترجمة، وهو كما ذكر المؤرخ المطيب من مشائخ مدينة صعدة .

(٥) متودياً

(٦) صعدة : مدينة تاريخية مشهورة شمال صنعاء ، وعرفت بهذا الاسم منذو الف سنة. ابراهيم المقحفي:

فصل :

وفي شهر ربيع الآخر منها، بعد أن [ق ٣٦] حصل على الشيخ احمد النوارى^(١) صاحب حصن سماه غاية الضيق والشدة، من الحرب في تلك المدة، أجاب بالسمع والطاعة، وبرز على قدم الاستطاعة، وأرسل إلى الأمراء بالمخيم المنصور، وهم أحمد بك، وعلي بك، وداوود آغا الأنجشارية^(٢)، والشيخ دهاس^(٣) شيخ جهة أنس^(٤) ليصلوا إليه وهو بحصنه، ليأخذ منهم العهد والميثاق من مولانا لأمنه، فوصلوا إليه إجابة لندائه، واستفهماً لما أظهره من دعائه، فعرض عليهم حاله وطلب من مولانا أن يؤمنه ويؤمن رجاله ونسائه وأطفاله، وأن يأخذوا له من مولانا صاحب السعادة أكيد العهد، ويسلم إليهم الحصن بما فيه، ويبلغ حضرة مولانا صاحب الظفر والسعد.

وكان ذلك في اليوم السادس من شهر ربيع الآخر^(٥) منها، فكتبوا إلى مولانا بمضمون ما ذكره منشوراً، وكان أمر الله بذلك قدراً مقدوراً، وأرسل صحبة الكتاب بثلاثة نقباء من أعيان حضرته، القائمين معه في نصرته، فوصلوا إلى مولانا يوم الحادي عشر من الشهر المذكور، فعرضوا على صاحب السعادة ما كتبه من المنشور، فأجابه مولانا نصره الله تعالى إلى جميع ما ذكر ووعده إن وفي بذلك أن يشملهم بأحسن نظر، فلما أن وصله الجواب بادر إلى القدوم إليه من غير تردد ولا إرتياب، فنزل صبح يوم الاثنين خامس عشر الشهر المذكور^(٦) إلى مولانا أمير اللواء الشريف فيروز بك فقابله بالإجلال والإكرام، وأنسه الأنس التام، وكسأه وأصحابه وأنعم عليهم غاية الأنعام، وأضافهم تلك الساعة، لما صدقوا فيما أظهره من حسن الطاعة.

(١) أحمد النوارى : شيخ منطقة سماه. عيسى بن نطف الله : روح الروح . ص ١٩٢، المطيب الزبيدي : بلوغ المرام . ق ٣٦.

(٢) الأنجشارية : وهي فرق عسكرية تكونت من أبناء رعايا الدولة الذين تم جمعهم وأعمارهم ما بين السادسة والخامسة عشر، من مختلف الولايات العثمانية، كان لهم عدا الحروب وظائف أخرى مثل حراسة الديوان اليمانيوني، والمحافظ على الأمن في استانبول. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية . الرياض، مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٠م، ص ٤٠، أحمد سليمان : تأصيل ما ورد . ص ٣١ .

(٣) الشيخ دهاس : لم أعثر له على ترجمة، وهو كما ذكر المطيب شيخ منطقة أنس .

(٤) أنس : منطقة واسعة في الشمال الغربي من مدينة ذمار . إبراهيم المقحفي: معجم بلدان. ج ١، ص ٩ .

(٥) ٢٧ يوليو ١٥٧٤م

(٦) ٦ يوليو ١٥٧٤م

وسار المذكور في ذلك اليوم صحبة أمير اللواء الشريف علي بك إلى مدينة ملحق فدخلها يوم الثلاثاء، وواجه مولانا صاحب السعادة في يومه ذلك، فقابلته بالأمن والأمان، ولم يحصل عليه نكد ولا تغيير شأن، وسلم القلعة مع ما فيها من العُد في ديوان مولانا السلطان [ق ٣٧] وكساه وولده وأصحابه، وأحسن إليهم غاية الإحسان، وبقي تحت نظر مولانا مقيماً بدمار، وصارت تلك البلاد وما إليها من جملة الممالك السعيدة السلطانية والدولة السليمية العثمانية، وهذا الفتح المذكور من خصوصيات مولانا صاحب الإحسان ، لأنه لم يقيضه أحد من سلوك العرب ولا من باشوات مولانا السلطان .

شعر

أجلبت كل مهندٍ وحسامٍ	بلسوا حظ دُعج وندن قوام
وبرزت في حلبات سبّك مفرداً	لا تتشي عن مقصد لمام
في السلم تهزئ بالمها متغزلاً	ومحارباً بالأجية ^(١) الضرغام
تحت النجاد عقدت منطقة لها	فينا [.....] ^(٢) شدة الفمقام
من فوق سابعة ^(٣) كصقر أجفلت ^(٤)	في كرها قدم إلى الإقدام
وفعلت فينا لا تعارض مثل ما	فعلت بنكات يد بهرام
باشا العساكر رأس كل مؤمرٍ	ذي العز في نقض وفي إبرام
إن جاد أغنى أو أغار فباسلُ	لله درك من حيا وحسامُ
ما يمت عزمات رأيك مقصداً	إلا أستذل ودان للإرغام
خَفَضَ وجاف المستحيل فأنه	ستطيعك الأقدار في الأحكام
تتوق صولتك العظيمة في الوعى	أسد الشرى فتظل في الآجام
لو حل باسك قوم عاد ما دنت	عن عزها في سالف الأيام
ولديك أوج الأرض مثل جضيضها	يعنو ^(٥) فلم يجنح إلى الأحجام

(١) الأجية : أج يوج أسرع في السير وهوول . ابن منظور : لسان العرب . ج ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٢) غير واضحة في الأصل .

(٣) سابعة : السوايح هي الخيل . ابن منظور : نفس المصدر . ج ٢ ، ص ٨١ .

(٤) أجفلت : جفل ذهب ، أجفلت أذهبت . ابن منظور : نفس المصدر . ج ١ ، ص ٤٧٢ .

(٥) يعنو : يظهر . ابن منظور : نفس المصدر . ج ٣ ، ص ٩١١ .

أيقضت من سخر الزمان بعقلهم
 رأسوا رعاغاً لا ثبات لرشدهم
 أصغرتهم يابن الأعظم رتبة
 فسماهم تاهت وعز شهابها
 أقصدتها أبطال جنودك ركضاً
 وطأت بها ما شذ عن اسكندر-
 [ق ٣٨] إن العظيم بن العظيم معظم
 فدنا إليك ولم يدن من قبله
 ولنعم مولى قد وفى بعهوده
 فليهنك الفتح العظيم وإن غداً
 نطق لك الأرجاء شكرياً بالثناء
 لازلت ترقى أوج كل سعادة

سحقاً لما لحظوه في الأحلام
 فهم طغام أصغروا لظغام^(١)
 كجزور^(٢) قوم قدمت لحمام
 وتعاضمت عن أن تنال الرامي
 تعدوا على الأوعار والآكام
 في أرض تبع شامخ الأعلام
 وموصل لأعظم بعظمام
 متمسكاً من عجزه بذمام
 أنت الكريم وفاء بلا إلزام
 مستصغراً في عزك المتسامي
 جهراً بذلك يا أجل كرام
 مقرونة من ذي العلى بسلام

فصل :

يشتمل على ذكر ما أخذ من البنادق المقبوضة من القلاع المحصنة المحفوظة، من سبع ذي الحجة سنة سبع وسبعين وتسعمائة، إلى آخر صفر الخير من سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة، كان المقبوض من البنادق في تلك المدة ستة آلاف وثلاثمائة وأحدى وثلاثون قصبية، ومن السيوف تسعة آلاف وثلاثمائة وسبعة عشر سيفاً، ومن المزاريق^(٣) ثلاثة آلاف وثلاثة وعشرين مزارقاً، و من العُطْفِ ألف عطيف^(٤)، ومن المقاليع عدد لا يحصى، ومن الخوذ سبعة وتسعين خوذة، ومن الطوس^(٥) ستين، وشيئاً كثيراً من آلات الحرب، ومن الحافر والخف ما لا يحصى

(١) الطغام : أزدال الناس وأوغادهم . ابن منظور : لسان العرب . ج ٢ ، ص ٥٩٦ .

(٢) انجزور : جزر الشيء قطعه، والجزر النحر، والجزور الناقة المنحوره . ابن منظور : نفس المصدر . ج ١ ، ص ٤٥٢ .

(٣) المزاريق : جمع مزارق وهو الرمح القصير . ابن منظور : نفس المصدر . ج ٢ ، ص ٨٤٧ .

(٤) العطيف : هو أصغر الفوس وأحدها ، وينخذ لقطع الأشجار الصغيرة ، كما يتخذ سلاحاً وجمعه عطوف .

مطهر الأريائي : معجم الألفاظ اليمنية . ص ٦٣٦ .

(٥) الطوس : الطاس نصف كرة مجوفة من النحاس أو الفضة يزان بها جواتب الطبنجة . سيد سالم : الفتح

العثماني . هـ . ص ٣١٢ . نقلاً عن شمس الدين الدين سامي : القاموس التركي .

عددا وأما عدد الرهائن والمستحفظ بها في تلك القلاع فشيئا كثيرا لا يحصى، فهم بتلك المعاقل محبوسون، وبالأغلال والقيود مُصَفَّدون، حسب ما يقتضي ذلك من تدبير المملكة السلطانية، والعادة القديمة العثمانية.

فصل :

وفي غرة جمادي الأول^(١) منها. خاطب أصحاب قلعة عتمة^(٢)، بالطاعة والامتثال مُسلمين قلعتهم مع ما فيها من العُدَد وصناديد الرجال، وصَدَرَ ذلك منهم بعد الإصغار والإذلال، ورأوا أن لا مخلص لهم إلا ذلك التسليم من الوقوع في النكال، طالبين من مولانا أسعده الله تعالى الأمن والأمان، وأن تكون بلادهم من جملة مملكة مولانا السلطان، فأرسلوا إلى حضرته الشريفة [ق ٣٩] ثلاثة أنفار من المشايخ الكبار، أحدهم من بني الغريب^(٣)، وثانيهم من بني بحر^(٤)، ثالثهم من بني جعفر^(٥)، فواجهوا مولانا صاحب الفضل والإحسان وطلبوا منه لأهل القلعة المذكورة الأمان، فأعطهم تفضلاً منه ذلك، وأنعم عليهم بجميع ما طلبوه في تلك المسالك، وأصدر صحبتهم المجلس السامي مصطفى أغا ملتزم جهة الحجريّة والمخلاف سابقاً من قبله، ليقبض الحصن المذكور، ويدبر بنظره الشريف أحوال تلك الثغور، فسار مع المذكورين إلى تلك الأماكن، حتى آنس به جميع أهلها من غائب وقاطن، فأعمل حسن تدبيره فيها، فأحكم بصائب رأيه وقبض تلك القلعة وما يليها، فقام في ذلك بهمة واجتهاد، وبذل عزمه في ذلك إلى أن مهد تلك الأماكن أحسن مهاد، وتَسَلَّمَ القلعة المذكورة بمقتضى شريف الأمر، ونزل أهلها صاغرين أذلاء تحت بد البسطة والقهر، فوصلت إلى مولانا نصره الله تعالى سادس ذلك الشهر البشائر المشرحة، والإخبار الصحيحة المصرحة بقبض تلك القلعة،

(١) ١٩ أغسطس ١٥٧٤ م.

(٢) عتمة: ناحية مشهورة في الجنوب الغربي من صنعاء وهي إحدى مديريات محافظة ذمار وتبعد عنها بمسافة ٥٢ كم. محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن. ج ٣، ص ٥٧٦، إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. ج ٢ ص ١٠١٤.

(٣) بنو الغريب: مخلاف ومركز اداري من مديريات ناحية عتمة غربي مدينة ذمار. محمد الحجري: مجموع بلدان. ج ٣، ص ٥٧٦، إبراهيم المقحفي: نفس المرجع ج ٢، ص ١١٧٤.

(٤) بنو بحر: مخلاف ومركز اداري من مديريات عتمة غربي مدينة ذمار. محمد الحجري: نفس المصدر. ج ٣ ص ٥٧٦.

(٥) بنو جعفر: اسم يطلق على الكثير من القبائل اليمنية. بيدوا أن المقصود بهم هنا من قبائل عتمة.

وانضمامها إلى الحوزة السلطانية ، فصارت هي مع ما فيها من جملة الممالك
العثمانية خلدَ الله تعالى مُلك مالِكها، وهذه من خصوصيات الفتوحات الحسان
لمولانا صاحب النصر والإمكان .

فصل :

وفي سادس الشهر^(١) المذكور منها. وصلت البشائر من ملتزم جهة خبان^(٢) أمير
اللواء الشريف يوسف بك . أنه دخل بلد جبن^(٣) عنوةً وقهراً، وقبض قلاعها وهي
اثنان ، ولم تقبض من قبل ذلك من ماضي الأزمان ، وكان ذلك بعد ان تمرد أهلها
عن تسليم المال السلطاني، ولم يمثلوا على القانون العثماني وخرجوا عن السمع
والطاعة حتى مُثل بهم اقبح شناعة، وفر رأسهم وهو عمر الذرحاني^(٤) إلى جهة
المشرق^(٥)، وصارت تلك البلاد في الحوزة السلطانية والمملكة [قـ ٤٠] العثمانية.

فصل :

وفي يوم الأربعاء من الشهر المذكور منها. وصلت الأخبار السارة، بالأمر
المنتظمة القارة، أن حصن يفعان^(٦) قبضة العسكر المنصور، بسعادة مولانا صاحب
السعي المشكور، وكان قبضهم إياه عنوةً وقهراً، فالحمد لله على ذلك ونثني له
الشكر، وهو من القلاع العالية المرتفعة، والمعقل الصعبة الممتعة، يحوم الطير
شاهق ذروته، و يحسر نظر قاصده قليلاً دون بلوغ قلته^(٧)، وطريق جهاته وعرة،
ومسالك سبله عكرة متعسرة، ولم يقبض الحصن المذكور أحد من ملوك الأنام، لا

(١) ٢٥ أغسطس ١٥٧٤م .

(٢) خبان : صقع مشهور به مزارع وعيون جاريه وقرى كثيرة ، جنوب شرق مدينة يريم ، ويعرف اليوم
بمديريات الرضمة والسدة . محمد الحجري: مجموع بلدان. ج ٢، ص ٣٠٤. إبراهيم المقحفي: معجم
البلدان. ج ١، ص ٥٥٨ .

(٣) جبن : بضم ففتح فسكون ، مدينة في الجنوب الغربي من مدينة رداغ بمسافة ٥٠ كم ، أتخذها الطاهريون
مسكناً لهم في القرن التاسع الهجري ، وهي من أعمال محافظة البيضاء . محمد الحجري: نفس
المصدر. ج ١ ص ١٧٨، إبراهيم المقحفي : نفس المرجع. ج ١ ص ٢٨٦ .

(٤) عمر الذرحاني : لم أعثر له على ترجمة ، وهو كما ذكر المؤرخ شيخ منطقة خبان .

(٥) مصطلح جغرافي تاريخي أستخدمة مؤرخو هذه الحقبة ، وقصدوا به الإمتداد الجنوب الشرقي إلى اقليم
حضرموت والكتل الواقعة إلى الغرب منها . وليد النود : الدولة القاسمية في اليمن . ص ٣٢٦ .

(٦) يفعان : حصن مشهور في بلاد السلفية في ريمة ، تنسب إليه عزلة يفعان . محمد الحجري : نفس
المصدر. ج ٤ ، ص ٧٨٥ ، إبراهيم المقحفي : نفس المرجع . ج ٢ ، ص ١٦٢٠ .

(٧) قلته الشئ رأسه ، والقللة أعلى الجبل . ابن منظور : لسان العرب . ج ٣ ، ص ١٥٥ .

من أمراء العرب ولا من باشوات الأروام، لكن أطاع مولانا وساعده الزمان، وخدمه النصر والظفر بكل مكان في كل أوان، فصار الحصن المذكور من جملة الممالك السعيدة، وأهله من خدام الدولة العادلة الحميدة.

فصل :

وفي شهر جمادى الآخر^(١) منها، أفنقد مولانا أيده الله تعالى بأكيد الافتقار، ومهد على سبيل عادته كل بلاد أحكم مهاد، وأستمر بنظره الشريف في ذلك الشهر من هذا العام، إلى أن انتهى ذلك في شهر ذي القعدة الحرام^(٢)، وذلك مما أختص به صاحب السعادة أدام الله عليه ما يعتاده من جزيل النعماء وزيادة، فقبض بحسن تدبيره في تلك المدة من السيوف ثمانمائة مُسَلِّمة، واثنين وخمسين سيفاً، مضافة إلى الجملة المتقدمة، فصار جملة المقبوض منها عشرة آلاف بيقين، مضمومة إلى مائة وسبعة وستين، ثم قبض بعد ذلك أربعة وخمسين فصح جميع المقبوض عشرة آلاف ومائتين وواحد وعشرين، وقبض مولانا من البنادق، ما فازت به قبضته غير الذي سبق ذكره من المقبوض وحررت عدته، سبعمائة بنادق بالتمام والكمال، مع سبعة وخمسين كما ورد في صحيح المقال، مضافة إلى المقبوض السابق في العدد من تلك العدد ثم قبض بعد ذلك مائتين وإحدى وستين فصحت جملتها سبعة آلاف وثمانمائة وثمانية [٤١] وعشرين بصريح القول المعتمد، وقبض أعزه الله تعالى من الطوس عشراً ضبطت بالعد، وألحقت إلى الجملة الستين التي كانت في المقبوض سبقت، فصار جملة المقبوض من الطوس سبعين، بعد أن كان مبلغ ذلك ستين، وكان المقبوض من الخيل اثنين وسبعين، قبض بعد ذلك ثمانياً منها فصار المبلغ ثمانين^(٣)، ثم أرسل مولانا بشريف رأيه الصادق، إلى الخزانة

(١) سبتمبر ١٥٧٤ م .

(٢) فبراير ١٥٧٤ م .

(٣) كمية المقبوض عليه من الأسلحة من ذي الحجة ٩٧٧هـ / مايو ١٥٧٠م إلى آخر صفر ٩٨٢هـ / مايو

١٥٧٤م هي: ٦٣٣١ بنادق، ٩٣١٧ سيف، ٣٠٢٢ مزارق، ١٠٠٠ عطيف، ٩٧ خوذة، ٦٠ من الطوس.

وكمية الأسلحة المقبوض عليها من بعد شهر صفر سنة ٩٨٢هـ / مايو ١٥٧٤م هي: ١٠٧٣ سيفاً .

١٠١٧ بنادق ، ١٠ من الطوس ، ٨٠ من الخيل .

أذن مجموع الأسلحة المقبوض عليها في فترة ولاية بهرام باشا ٩٧٧ - ٩٨٣هـ / ١٥٧٠ - ١٥٧٥م .

على النحو الآتي : ١٠٣٩٠ سيفاً ، ٧٣٤٨ بنادقاً ، ٧٠ من الطوس ، ٨٠ من الخيل .

السعيدة بمصر أربعة آلاف من البنادق مع ما أرسله من السلاح من سابق ولاحق، إلا ما اقتضاه رأيه الحسن، أن يكون بعضها موضوعاً في الخزانة السلطانية باليمن، فكان فيما ذكرناه قوة للمملكة السعيدة، وذل على الطائفة الباغية العنيدة .

فصل:

وفي الشهر المذكور منها خرج جماعة من البدوان، منفصلين عن طاعة مولانا السلطان واشتهر منهم نهب الركبان، وتخريب ما قصدوه من تلك البلدان من السرقة والنهب، وغير ذلك من أنواع البغي والطغيان، فتهياً مولانا نصره الله تعالى للخروج إلى قتالهم، وأن يهجم عليهم بغتة حتى يقصدهم في ديارهم، فاجمع أمره على ذلك بصحيح عزمه، وأظهر ذلك وأشهره بصريح حكمه ورسمه، وكان قد حصل من هؤلاء المفسدين في تلك الأيام اعتداء على قاضٍ وصل من حضرة مولانا صاحب الإمداد والإنعام، وصل بقضاء مدينة دمار، فدخلها يطلب منها قضاء الأوطار أمناً من المخاوف والأخطار، فعقيب ذلك دخلوا عليه جماعة من البدوان بالليل، فسرقوا أمتعته وجميع ما معه حتى صبروه عريان، فجاء القاضي يشكو إلى حضرة مولانا في الديوان السعيد، فشمّر مولانا بعلو همته قاصداً هؤلاء المفسدين، أن يوقعهم في شديد نعمته، فنصب لهم الحرب بآلاته مبيداً لهم بأنواع مهلكاته، فجمع لهم العسكر المنصور، ليصفي ما يكدر من مشارب تلك الثغور، فصار يحث عليهم بهمته العالية [٤٢] لا كلاً ولا متوانياً، ويسأل عن من صار على القاضي جانياً، فلما بلغهم أن مولانا أظهر أمره بذلك، دخلوا في طاعته خوفاً من الوقوع في تلك المهالك، فسلمت خوفاً تلك العصابة المفسدة، جميع ما أخذوه على القاضي من أمتعته المتعددة، بعد ستة أشهر من الزمان، ولأزموا الطاعة وزال عنهم ذلك العصيان، وجاء شيخهم أحمد قوس^(١) وصحبته شخص ثان، يطلب من مولانا صاحب البرهان الإنعام والأمان، وأن يكون في أمانه وأمان مولانا السلطان، فأجابه مولانا إلى ذلك، بعد أن سلم إليه رهائنه على عادتهم في تسليم ما هنالك، وصار المذكورون من رعايا مولانا السلطان، وعليهم ما عليهم في جميع تلك البلدان.

(١) أحمد قوس : لم أعثر له على ترجمة .

فصل :

وفي شهر شعبان^(١) المعظم منها، جهز مولانا أمير الحج بالمحمل الشريف السلطاني من القطر اليماني، وهو الأمير الكبير الرئيس الشهير أمير اللواء الشريف محمد قزلباش^(٢)، نزل من مدينة ملحظ المعمور، إلى مدينة زبيد ومعه عصابة من العسكر المنصور، فوصل إليها وأقام بها إلى شهر شوال^(٣)، هو ومن معه من صناديد الأبطال، فصار بعد ذلك بالحاج القاصد لبيت الله الحرام، صحبة المحمل الشريف على أحسن حال، وأكمل نظام مطمئنين غير خائفين على أمتعتهم وأموالهم، منشرحين بسفرهم السعيد مشاة وعلى رواحهم في محاملهم، بشريف بركة مولانا صاحب الفضل المزيد والرأي السديد .

فصل :

وفي الرابع عشر من شهر ذي القعدة^(٤) منها، ظهر الخبر الصريح من دفتر دار^(٥) مدعياً انه تلقى ذلك بالنقل الصحيح، أن مولانا ومالك عاصرنا الملك الأعظم العظيم سيد السلاطين السلطان المظفر سليم أنقل إلى رحمة ربنا الكريم خلد الله رفعته في أعلى درجات النعيم، ثم وصل العلم بعد ذلك باستقامة ولده بعده في السلطنة الشريفة العظمى [ق ٤٣] والملك الأغرّ الأخصّ المطاع الأسمى، مولانا ومالك عاصرنا السلطان المعظم، والخاقان المعزز المكرم، مالك بلاد العرب والعجم

(١) نوفمبر ١٥٧٤ م .

(٢) محمد قزلباش: هو الأمير محمد بن حسن أحد أمراء العثمانيين في اليمن ، عرف باسم قزلباش أي ذي الرأس الأحمر " قزل باش كلمتان تركيتان ، قزل تعني الأحمر و باش تعني رأس " تولى حفظ صنعاء حين عزل رضوان باشا ، ووقع في أسر المظفر سنة ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م ، وبقي سجيناً لديه مع مجموعة من الأمراء العثمانيين إلى أن أطلق سراحه سنة ٩٧٧ هـ / ١٥٦٩م في عهد سنان باشا ، توفي بالسجن في مدينة القاهرة سنة ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م . يحيى بن الحسين : غاية الأمانى . ج٢ ، ص٧٢٦ . قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . ص١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٣ ، ٣٤٥ . عيسى بن لطف الله : روح الروح . ص٢١١ ، عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية . هـ . ص١٩ .

(٣) يناير ١٥٧٤ م .

(٤) ٢٦ فبراير ١٥٧٤ م .

(٥) الدفتر دار : لقب عثماني يعني رئيس موظفي الواردات والخزينة في الولاية ، ومن مهامه الإشراف على تنفيذ الأحكام الواردة في الميزانية السنوية ، وعلى التشكيلات المالية الموجودة في الولاية . قطب الدين النهروالي: نفس المصدر . ص ٧٧ . عبد الكريم العزيز: التشكيلات المالية في الولاية . ص ٢١٠ .

ملك البرين والبحرين، سلطان الروم والعراقيين خادم الحرمين الشريفين مراد خان^(١) ابن سليم شاه، لازال قوله لأبواب الصواب مفتاحاً، ورأيه في ليل المشكلات مصباحاً، وهب الله له من الأعمال الصالحة أطولها، ومن النعم أجزئها، ومن مواعيد السعادة أعجلها، ومن موازن الأعمال الصالحة أثقلها خلد الله ملكة العظيم، وجعل الأرض بأسرها ملكه على سبيل التعميم أمين فشاع ذلك بين العسكر وذاع، وجرى بينهم حتى وقع منهم في خبايا الأسماع، وظهر من الدفتردار المذكور لكافة العسكر العثماني، إني قد جنتكم بمرسوم شريف سلطاني، محتوي على ما فيه لكم من الكفاية، يقبض ما تطيب به قلوبكم من العليق^(٢) والجراية^(٣)، فاجتمع جمع العسكر العظيم، من الحديث والقديم، ووصلوا من كل بدو وحضر، وتتابع كل منهم حتى غشوا حضره مولانا زمراً بعد زمر، وطلبوا من مولانا المشمول بعين الرعاية والتوفيق، معلوم خمسة أعوام من العليق، مُدْعِين أن ذلك من معلومهم المنكسر، فقام مولانا بهمته العالية وأنعم النظر، ولبس تاج الوقار لذلك وصبر، بعدان صدر من الجند الضرر الأليم، وظهر منهم الخلاف العظيم، يرمون بالبنادق النيرانية المحرقة، يسلون سيوفهم عن إغمادها، إلى غير ذلك من الأعمال المتشقة^(٤)، حتى وصلوا إلى جامع ملحظ وهم كذلك رامون، ولمخالفة أمره أعزه الله تعالى قاصدون، وبدر منهم هذا الأمر الشديد، وتتابع عنهم الخلاف حتى فعل كل منهم ما يريد، فتفرقوا ثبات عصباً عصباً [٤٤٤] وصار كل منهم ممثلاً حمقاً وغضبياً، فعظم ذلك الأمر وأعبأ، وثارت منهم الفتنة العمياء، يحار فيها صميم الرجال، ويهرم منها الشباب، ويشيب لها الأطفال، فلما رأى مولانا ما حل بالمسلمين من تشتت الأحوال أصرف عليهم جملة من المال، فأعطى الأنجشاري ستة عشر ديناراً من الذهب العين، وسلم

(١) مراد خان : هو مراد الثالث ، تملك سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م أستهل حكمه بمنع شرب الخمر في البلاد بعد أن منح بشرتها سلفه ، قتل خمسة من أخوته ليأمن منافستهم له على العرش ، كان على وفاق مع الفرنسيين والبنادقة ، وأبرم اتفاق مع إنجلترا ، دخل في حرب مع إيران وحقق انتصاراً عليها . مجيب المصري : معجم الدولة . ص ٣١٨ .

(٢) العليق : يطلق على مخصصات الجنود والعساكر والضباط من القمح . سهيل صابان : المعجم الموسوعي . ص ١٥٦ .

(٣) الجراية : الراتب . محمد التونسي : المعجم الذهبي . ص ٢٠٢ .

(٤) المتشقة : الشق الزدي من الأشياء ، والأعمال المتشقة هنا يقصد بها الأعمال الرديئة . ابن منظور :

لسان العرب . ج ٢ ، ص ٣٣٦ .

إلى كل فارس منهم ذهباً أربعة وعشرين، فبلغ الذي أعطاهم مالاً جزيلاً، ولم يجد عن ذلك الإعطاء لهم سبيلاً، فسكن أمرهم بعد ذلك وهان، ولزموا أنفسهم عن ذلك الخلاف والطغيان، والحمد لله الكريم المنان على صلاح بلاد مولانا السلطان.

٦٦٦٩٩٣

فصل :

وفي رابع عشر ذي القعدة منها، وصل العلم إلى مولانا معلنا بصريح عزله، فأظهر ذلك لأهل حضرته وخاصة أهله، فانشرح ذاته الكريمة بذلك، واشتأقت نفسه الشريفة إلى ما هنالك، لعلمه زاده الله توفيقاً أن كل متول معزول، بل كل حي عليها غاية أمره أن يزول، فعزم أمره الشريف إلى مواجهة مولانا السلطان، مثلباً الرجوع بعد ذلك إلى وطنه السعيد، إذ حُب الوطن من الإيمان، متصلاً إن شاء الله تعالى بكافة الأهل والجيران، ثم في ثامن عشر ذي الحجة منها، وصل متسلم من قبل المولى الواصل، إلى مولانا بشريف أمر جامع شامل، يُنبئ بتحقيق ما ذكر، ويخبر بما قرر وزبر وحرر، فأستمع أيده الله تعالى ذلك الأمر وأطاعه، أشهره لكل نفر من العسكر المنصور وأذاعه، نسأل الله بفضله أن يصلح البلاد والعباد، وأن يقمع عصابة البغي والفساد.

فصل:

وفي ثامن عشر من ذي الحجة^(١)، منها وصل الجناب العالي^(٢) محمد آغا المتسلم من قبل مصطفى باشا^(٣) إلى اليمن المعمور، وكان نزوله من بندر جازان، ولما وصل إلى بيت الفقيه [ق ٤٥] الكبير المشهور أسماً بالزيدية^(٤)، بلغه خبر ما جرى من العسكر من التعدي على حضرة مولانا بهرام باشا أعزه الله تعالى، فحينئذ بادر بالوصول إلى محروسة مدينة ذمار، وواجه حضرة مولانا الباشا أعزه

(١) ٢ مارس ١٥٧٤ م .

(٢) الجناب العالي : هو لقب استخدم في أواخر العصر الأيوبي لمخاطبة الوزراء في المراسلات . حسن الباشا : الألقاب الإسلامية . ص ٨٥ .

(٣) مصطفى باشا : عين بكاربيكيًا لليمن سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م بدلاً عن بهرام باشا الذي عزل، وحين وصل اليمن كان يعاني من المرض فمات في بندر البقعة في نفس السنة . عبد الصمد المومزعي : الأحسان . ص ٤٧ .

(٤) الزيدية : بلدة في تهامة تبعد عن الحديدة بمسافة ٦٥ كم ، سميت باسم قبيلة الزيدية إحدى فروع قبائل عك . إبراهيم المقحفى : معجم بلدان . ج ١ ، ص ٧٥٥ .

الله تعالى، وتلقاه بأحسن التلقي وكسائه وأحضر له الضيافة وأعلاه، ووصل بمرسوم كريم من حضرة مولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى إلى حضرة مولانا الباشا بهرام ، بأن يقف في البلاد و يحفظها و يضبطها إلى أن يصل مصطفى باشا إلى الديار اليمينية، فإذا وصل إليها سلم إليه البلاد ، ويتقدم إلى الباب العالي^(١)، فلما سلم المتسلم المذكور المرسوم إلى مولانا المشار إليه، اعتمد عليه ووقف في المحل الذي هو فيه، فعند ذلك أرسل دفتردار إلى المفسدين من العسكر الذين هم رأس الفساد، وأعيان أهل البغي والعناد، وقال لهم أن جماعة من العسكر قائمون بخدمة مولانا الباشا، والرأي أنكم تطلبونهم من عنده، وتخرجونهم قهراً حتى يبقى الباشا منفرداً وحده في ممالئكه، وبعد ذلك ننال منه ما أردنا، ويحصل لنا منه غرضنا.

(١) الباب العالي : محل إقامة الصدر الأعظم ، وفيه كانت تدار أعمال الدولة ، وكان يطلق عليه أحياناً باب باشا . محمد أنيس : الدولة العثمانية والمشرق . هـ . ص ٩٣ .

الباب السابع:

في ذكر ما اشتملت عليه سنة ثلاث وثمانون^(١) من الفتن، وقد دفع الله شرها ما ظهر منها وما بطن، ففي صبح يوم الخميس من شهر المحرم الحرام^(٢) وصل العسكر بأجمعهم إلى باب الديوان السعيد، فخرج إليهم الأمراء والأغوات وسألوهم عن مرادهم وقصدهم، فقالوا مرادنا جميع من كان من العسكر يخدمون الباشا يخرجون إلينا ويبقون معنا، ولا يقف عنده أحد من العسكر، فصرفهم الأمراء والأغوات عن مرادهم، وقالوا لهم أن هذا غير صواب ولا يمكن، وأن الجميع مماليك مولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى، فلم يقبلوا ذلك ووقع النزاع والقال والقييل، وارتفعت أصواتهم ولم يلتفت مولانا أيده الله تعالى لقولهم، وقال ما يمكن مني أني [٤٦] أسلم أصحابي إليكم هذا من المستحيل، فلما عرفوا أن هذا متعذر غير ممكن، قالوا إن واحداً من العسكر أصبح مقتولاً في بيته، وأن أصحاب الباشا هم الذين قتلوه، وطلبوا دمه من الباشا، فعند ذلك قال لهم مولانا أنتم طول الليل تدورون في المدينة وتطوفون في أزقتها، ولم يخرج أحد من طائفتي بالليل أصلاً وقطعاً، وأشدت النزاع ففيما بينهم من أجل ذلك، وبعد أن أشدت النزاع حصل الاتفاق، ووقع بينهم على أن الأغوات يكونوا يحرسون المدينة بالليل كل واحد من الأغوات يحرسها بجماعته، وأن كل شخص وجدوه بالليل يخرجون من حقه^(٣)، وأنقطع القول على ذلك، وانقضى الأمر على ما هنالك .

فصل :

ولما كان في عاشر شهر صفر^(٤) منها. أجمع الأمراء والأغوات وأعيان العسكر، وفكروا في عاقبة أمرهم، وذلك لما رأوه من أفعال الدفتردار القبيحة، بجمعه و تحشيد العسكر، استمالته لهم، وتصميمه على أنه يفتك بالباشا، وأنه يلي الحكم بعد الباشا ويبقى لونديا^(٥)، وتبقى الدولة

(١) تقابلياً سنة ١٥٧٥م

(٢) ١٧ أبريل ١٥٧٥م.

(٣) بمعنى أنه ليس عليهم أي حق أو حجة أن قتلوه .

(٤) ٢٢ مايو ١٥٧٥م

(٥) اللوند: كلمة فارسية تعني الحر المستقل المغامر والجندي المتطوع، أي نصف نظامي . أحمد سليمان:

تأصيل ما ورد . ص ١٥٠ ، قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . ص ٨٠ .

والعسكر لوندية كذلك، فلما رأى الأمراء والأغوات وأكابر العسكر، أن أفعال الدفتردار وقصده الخروج عن الطاعة الشريفة السلطانية أعزها الله تعالى، وأنه قد أغوى العسكر إستزلمهم، بحيث أنه كان من جملة قوله للعسكر اعني المفسدين منهم أنه لا بد من قتل الباشا، ثم بعد ذلك إذا وصل مصطفى باشا إلى الديار اليمينية قصدناه، ووصلنا إليه بدأ واحده وقتلناه، ويبقى الملك لنا وفي يدنا من غير منازع، ووعدهم بجوامك كثيرة، وزيادات جزيلة وبخشيش^(١) وغير ذلك، فلما ظهر ذلك منه للأمراء والأغوات وأكابر العسكر، عرفوا أن هذه الأفعال يؤول منها خروج البلاد من السلطنة الشريفة الخنكارية^(٢)، وأنها ترجع قبيلة وغريبة مثل ما كانت في الزمن الأول ويختل الأمر [٤٧] ويفسد، لأن الصلاح والسعد هوفي السلطان للحديث " السلطان ظل الله في الأرض"^(٣)، فإذا خرج الأمر عن نظر السلطان حصل الفساد في الأرض والله لا يحب عمل المفسدين، فحينئذ وصل المذكورون إلى الديوان العالي، ودخلوا على مولانا الباشا نصره الله تعالى، وشرحوا له الحال، وأوضحوا له المقال، وقالوا له ما بقي لناظر المذكور وقوف في هذه البلاد، وإن فساده قد عم، وإنه أستمال أكثر العسكر الجهل وهو يعدهم ويؤمنهم، وإن الصبر والسكوت على هذه الأفعال لا يمكن لأنه غير صواب، وأن خيانة المذكور قد ظهرت، فقال لهم الباشا الرأي ما ترجونه، فقالوا الرأي أن يخرج المذكور من دمار، ويعزم إلى مدينة صنعاء يقف بها إلى أن يصل مصطفى باشا، فقال لهم هذا الكلام هو المعقول وهو الصواب، فركب إلى عنده الأمراء والأغوات وعرفوه أنه يعزم إلى صنعاء يقيم بها إلى يصل مصطفى باشا، فقال لهم الدفتردار المذكور هذا الأمر لا يمكن ولا يكون هذا أبداً، وقام من ساعته، وجمع العسكر وشدت فرسانه خيلهم، وشد العسكر خيولهم وأخذوا أسلحتهم، ووصلوا إلى باب الديوان، والعسكر رافعون أصواتهم قائلين إن الدفتردار لا يخرج من مدينة دمار، ولا يعزم إلى

(١) البخشيش: العطاءات والهدايا التي تصرف للجند - محمد التونجي: المعجم الذهبي - ص ١٠.

(٢) الخنكارية: خنك كلمة فارسية معناها السعيد الموفق، وقيل أنها كلمة تركية بنفس المعنى، وهي لقب

للسلطان العثماني بمعنى السعيد الحسن الحظ - أحمد سليمان: نفس المرجع - ص ٩٠.

(٣) الهندي: كنز العمال ج٦ رقم (١٤٥٨٩) ورقم (١٤٦١٥). وهو بلفظ " السلطان العادل المتواضع

ظل الله ورمحه في الأرض، يأوي إليه الضعيف، وبه ينصر المظلوم "

صنعاء ولا إلى غيرها، بل يقف مكانه على ما هو عليه، فشرح لهم الأمراء والأغوات أن هذا الرجل مُفسد، وأن أفعاله تكون سبباً لخروج البلاد من يد السلطنة الشريفة، وأن أهل أطراف الثغور والحدود، قد منعوا أنفسهم عن تسليم الأموال السلطانية، والرعايا لا يؤمن مكرهم وغدرهم خصوصاً أهل هذه الديار، ولم يزالوا هم والعسكر من وقت الصبح إلى وقت الظهر في المخاصمة والمشاحنة، حتى وقع الاتفاق بينهم، على أن الدفتردار يقف مكانه بدمار، وأنه لا يتعاطى شيئاً من أمور السلطنة الشريفة وأن [ق ٤٨] الباشا هو الذي ينظر في صلاح البلاد، وقبض الأموال، وصرف الجوامك على أهلها وغير ذلك، على حكم الحال الذي كان عليها أولاً بموجب أمر مولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى وأن الدفتردار يبقى مقيماً بدمار، لا يتعاطى أمراً من الأحكام، وتفرقوا على هذا الكلام، واتفق رأيهم على هذا النظام .

فصل :

وفي يوم العشرين من شهر صفر^(١) منها، وصل الخبر بوصول مصطفى باشا إلى معمور بندر جده المعمور، فحصل بذلك الفرح السرور والانشراح والجبور، فعند ذلك نزل الدفتردار من دمار، إلى جهات اليمن بجمع كثيراً من العسكر المفسدين وأقام بذي سفال.

فصل :

وفي خامس عشرين من شهر صفر^(٢) منها، وصل بالي كيخيا من قبل مصطفى باشا المذكور، إلى اليمن المعمور، وذكر أنه فارق حضرته من بندر جده المعمور، ووصل بمراسيم إلى الكشاف^(٣) والعمال، والمشايخ تتضمن تحصيل ما يحتاج إليه من الجمال، وأن يُحضروا ذلك عند نزوله، فامتثل الكل لأمره، وبادر كل من المذكورين إلى تحصيل ذلك .

(١) ٢ يوليو ١٥٧٥ م .

(٢) ٧ يوليو ١٥٧٥ م

(٣) الكشاف: كانوا من العسكريين ذوي الرتب الكبيرة، ويتولى الكشاف أمور الأقليم والحكم فيه والأشراف عليه وحمايته، وكان يشرف على جمع الضرائب فيه. عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية. هـ . ص ١٦١، عيسى صالحية: وثائق جديدة . هـ . ص ٣٥ .

فصل :

وفي أواخر شهر ربيع الأول^(١) منها، وصلت الكتب من مدينة زبيد، إلى حضرة مولانا الباشا تتضمن وصول مصطفى باشا إلى بندر الصليف^(٢)، وأن قصده ينزل من بندر البقعة فعند ذلك طابت النفوس، وانشرحت الصدور، وأظهر مولانا الباشا بهرام التهيؤ والحركة للسفر، والنزول من جهات الجبال ، إلى جانب جهات تهامة لملاقاة مصطفى باشا، وألزم الكافة من أهل الأدراك^(٣) كاليازجية^(٤) و الشاوشية^(٥)، والمشائخ وأعيان العرب الذين هم ملازمون لخدمة الديوان العالي، العزم صحبته لمواجهة مصطفى باشا، ثم طلب مولانا الباشا بهرام الأمير علي بك، وأقامه نائباً بمحروس بمدينة ملحظ يضبط البلاد والعسكر، وكساه ققطاناً^(٦) حسناً شريفاً بسبب ذلك، وألزم الأمراء والأغوات [٤٩٠] والعساكر المنصورة الوقوف بذمار، عند الأمير علي بك المذكور، والذي وقف عنده من الأمراء الأمير محمد بك قزلباش، والأمير حسن بك، والأمير يوسف بك، ومن الأغوات مصطفى أغا نوبخشيان مصر^(٧)، وجعفر أغا جمليان يمن^(٨) وأسفنديار أغا عزبان يمن^(٩) الجميع بطوائفهم.

(١) منتصف أغسطس ١٥٧٥ م

(٢) الصليف : مدينة على شكل شبه جزيرة في تهامة مقابلة لجزيرة كمران . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن . ج ٣ ، ص ٤٨٣ .

(٣) الدرك : العساكر خاصة الذين يقومون بالحراسة . ليلي الصايغ : المنج الرحمانية : هـ . ص ١٠١ .

(٤) اليازجية : الجند الذين يراقبون السكر ويمنعونهم من مخالفة الأنظمة أو التعدي على أحد . قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . ص ٨٠ .

(٥) الشاوشية : جاويش أو شاويش نوع من الموظفين في الدولة العثمانية كانوا يستخدمون في وظائف مختلفة منها أبلاغ الأوامر والمهمات . سهيل صابان : المعجم الموسوعي . ص ٨٠ ، عيسى صالحية : وثائق جديدة . هـ . ص ٢٣ .

(٦) الققطان : أو الخفتان رداء له كمانطويلان يصلان إلى المرافق . عبد الصمد الموزعي : الإحسان . تحقيق /عبد الله الحشمي، هـ . ص ٥٢ .

(٧) نبخشيان : لم أعثر على معنى هذه الكلمة في ما توفر لدي من قواميس، يبدو أنه أسم لأحدى الفرق العسكرية العثمانية .

(٨) حمليان : هم المتطوعون في العمل مع الأنكشارية ، وأفرادها من الفرسان مهمتهم توطيد الأمن في الأقاليم وحراسة القلاع ، والأسم الأصلي لهذه الطائفة هو الجنليان " المتطوعين" وعرفت فيما بعد بالجمليان لأن أفرادها كانوا يستخدمون الجمال . أحمد سليمان : تأصيل ما ورد . ص ٧٠ عيسى صالحية : نفس المرجع . هـ . ص ٣٢ .

فصل :

وفي رابع شهر ربيع الآخر^(٢) منها، خرج مولانا الباشا بهرام نصره الله تعالى من مدينة دمار، وصحبته المشايخ بأجمعهم ، واليازجية والشاوشية ، وخرج في تشييعه الأمراء والأغوات، والعساكر المنصورة إلى البركة الحمراء وهي قدر فرسخ^(٣) من دمار، وتوجه الباشا المشار إليه بالسلامة حتى نزل يريم يوم رابع الشهر المذكور، ثم رحل من يريم ونزل بالمخادر^(٤) يوم خامس الشهر المذكور ثم رحل منالمخادر ونزل بسد مشورة^(٥) يوم سادس الشهر المذكور ، فعند نزوله بسد مشورة وهو رأس الشوافي الأسفل^(٦)، وصل إليه الأمير فيروز بك صاحب جبلة، والأمير شاة علي بك صاحب تعز، والأمير حيدر بك صاحب بعدان، وفي ذلك اليوم وصلت إليهم مرسيم من حضرة مصطفى باشا، تتضمن أنه نزل من بندر البقعة في خامس شهر ربيع الآخر^(٧)، فوقف مولانا بهرام باشا بسد مشورة يوم سابع الشهر المذكور، ثم رحل منه في يوم الثامن من الشهر المذكور، حتى نزل نجدية بلاد الشيخ عبدالعزيز^(٨) صاحب الجبلين ، فعند أن نزل مولانا عن فرسه، وصلت الكتب من زبيد، تتضمن أن مصطفى باشا توفي إلى رحمة الله تعالى ليلة الجمعة سابع شهر ربيع الآخر، وكانت وفاته ببندر البقعة المذكور، وحمل إلى محروس زبيد، ودفن بجوار سيدنا الشيخ الكبير طلحة بن عيسى الهتار^(٩) الولي المشهور.

(١) عزبان يمن : كان يطلق أسم عزبان على طائفتين من الجند العثمانيين إحداهما بحرية والأخرى برية وكان

جنودها يأخذون من بين أشد الشباب الغير متزوجين . أحمد سليمان : تأصيل ما ورد. ص١٥١.

(٢) ١٤ يوليو ١٥٧٥م

(٣) الفرسخ . وحدة لقياس المسافة تساوي ثلاثة أميال ٥٤ ، ٥٤ كم. الموسوعة اليمنية : ج٤ ص ٢٨١٢.

(٤) المخادر: بلدة تقع شمال مدينة إب وتبعد عنها بحوالي ٢٠ كم . إبراهيم المقحفي: معجم بلدان . ج٢ ،

ص ١٤٤٦.

(٥) مشورة : بفتح فسكون ففتح جبل على بعد ثمانية كيلومترات من مدينة إب . إبراهيم المقحفي : نفس

المرجع. ج٢ ، ص١٥٤٢.

(٦) الشوافي الأسفل : مخلاف في بلاد إب . محمد الحجري : مجموع بلدان . ج٣ ، ص ٤٥٨ .

(٧) ١٥ يوليو ١٥٧٥م

(٨) عبد العزيز : لم أعتز له على ترجمة ، وهو كما ذكر المطيب شيخ منطقة الجبلين .

(٩) طلحة بن عيسى الهتار: هو طلحة بن عيسى بن إبراهيم بن أبي بكر ابن الشيخ الكبير عيسى بن إقبال الهتار،

الولي الكبير العارف بالله صاحب الكرامات الخارقة، توفي سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م في مدينة زبيد ودفن

بها، وبنى على قبره قبة كبيرة، وقبرة مشهور ويزار ويتبرك به. أحمد الشرجي: طبقات الخواص. ص١٦٢.

فصل:

ولما وصلت الكتب بوفاة مصطفى باشا، عمل مولانا بهرام باشا نصره الله تعالى ديواناً حافلاً وأحضر الأمراء والأغوات الذين هم عنده، وهم الأمير محمود بك والأمير [ق ٥٠] شاة علي بك، الأمير فيروز بك، وأغا الجشاريان^(١) مصر، وأغا الجشاريان يمن، وقال لهم الباشا المشار إليه، الصواب أني أتقدم إلى محروس تعز، أقيم بها إلى أن يصل الجواب من الباب العالي أعلاه الله تعالى.

فصل :

وفي يوم الأحد تاسع الشهر المذكور^(٢) منها، نزل مولانا بجهات وحققات^(٣) بلاد الشيخ عز الدين الحميدي، فعند نزوله بوحقات، وصلت العروض من الأمير يعقوب بك بزبيد، ومن الأمراء والأغوات الذين كانوا نزلوا لملاقة المرحوم مصطفى باشا من سائر الجهات والقبائل والتهائم، تتضمن أن الدفتردار قد ظهرت خيانتة، وأنه لم يكتف بما قد فعله في دمار من الفساد، حتى أنه لما بلغه وفاة المرحوم مصطفى باشا، بادر بالوصول إلى مدينة زبيد، وطلب العسكر الجميع منهم الأولين الذين هم باليمن والعسكر الواصلين صحبة مصطفى باشا، وتحدث معهم بأنه يقبض مخلفات المرحوم مصطفى باشا، ويصرفها عليهم، وإن يكونوا معه يداً واحده سامعين مطيعين لما يأمرهم به، وأن الأمير يعقوب بك بزبيد والقاضي بها لما عرفوا منه ذلك، تقدموا إلى بندر البقعة وحملوا جميع المخلفات وادخلوها الغراب^(٤) الراسي في البحر، وبقيت الحوائج في البحر عليها مراد كيخيا المرحوم مصطفى باشا وعبيده، فحينئذ عمل مولانا الباشا نصره الله تعالى ديواناً وطلب جميع الأمراء والأغوات، واعيان العسكر وقرب^(٥) عليهم العروض، وتشاوروا في أمر

(١). الجشاريان : لم أعثر على معنى هذه الكلمة في ما توفر لدي من قواميس، يبدو أنه اسم لأحدى الفرق العسكرية العثمانية .

(٢) ١٩ يوليو ١٥٧٥ م .

(٣) وحققات : لم أعثر تعريف لها .

(٤) الغراب: وهو نوع من المراكب البحرية . قطب الدين لنهروالي: البرق ليماني. ص ٧٩ .

(٥) قرأت .

الدفتردار المذكور، فرجح الجميع منهم قتل الخائن المذكور، وان وقوفه وبقائه^(١) غير صواب، وان خيانتته قد ظهرت ، فعند ذلك تقدم الأمير شاه علي بك، والأمير فيروز بك واغا الجشاريان مصر، وجماعة من أعيان العسكر إلى محروس زبيد، فدخلوا زبيد يوم ثاني عشر شهر ربيع الآخر^(٢) وقت طلوع الشمس، فعند دخولهم [٥١] احضروه إلى قصر محروس زبيد ، بحضرة الأمير يعقوب بك بها، والأمير محمد بك بالزيدية ، والأمير والي جان بك القبودان، وجعفر اغا توفيكان^(٣) يمن، وخاطبوه بأفعاله القبيحة، وخرجوا من حقه، وقطعوا رأسه، ونادوا عليه في الأسواق، هذا جزاء من خان مولانا السلطان، وتمزق جمع العسكر المفسدين، الذين معه أيدي سبا وتفرقوا في كل ناحية وصلحت الأحوال بحمد الله تعالى .

فصل :

وكان دخول مولانا الباشا بهرام نصره الله تعالى، محروس مدينة تعز في يوم رابع عشر ربيع الآخر^(٤) منها، فأقام بها وعرض بسورة^(٥) الواقع إلى الباب الشريف أعلاه الله تعالى، ثم أرسل مولانا إلى العسكر الواصلين صُحبه المرحوم مصطفى باشا، و أمرهم أن يصلوا إليه، فوصلوا مع أعتهم فايق أغا إلى محروس تعز، فبعد وصولهم أمرهم ، مولانا الباشا نصره الله تعالى بالتقدم إلى محروس ذمار، مع أعتهم ليقموا بها عند الأمير علي بك، ومن عنده من العسكر، فلما وصلوا إلى ذمار، وقد كانوا سمعوا من الدفتردار المقتول أمر الترقى^(٦) والبخشيش، فالتقى المذكورون بالعسكر الأولين، وأتفق رأي الجميع، على أنهم يطلبون من الأمير علي بك بدمار ترقياً وبخشيشاً، فطلبوا منه ذلك في أوائل جمادى الأول^(٧) منها.

(١) بقاء : بقاءه

(٢) ٢٢ يوليو ١٥٧٥ م .

(٣) توفيكان يمن : التفكنجيان فرقة عسكرية أفرادها من الفرسان حاملي البنادق ويشكلون إلى جانبي الجمليان والشراكسة، طائفة السباهية. عيسى صالحية: وثائق جديدة. هـ. ص ٣٢، سليمان: تأصل ما ورد. ص ٥٥.

(٤) ٢٤ يوليو ١٥٧٥ م .

(٥) بصورة

(٦) الترقى : حصص تضاف إلى النواة التي يتألف منها إقطاع التيمار أو الزعامة ، وهي زيادة تصرف فوق رتبة الأبداء. عيسى صالحية : نفس المرجع. هـ . ص ٢٢ .

(٧) أغسطس ١٥٧٥ م .

فصل :

وفي أوائل الشهر المذكور، وصلت عروض الأمير علي بك بزمار ومن معه من الأمراء والأغوات، تتضمن أن جماعة من العسكر المفسدين صاروا يسعون بالفساد، وينهبون في الطرقات، وأنهم يطلبون ترقياً وبخشيشاً، فالترقي عموماً، والبخشيش لكل نفر خمسة وعشرين ذهباً، وقد فتحوا في هذا الكلام وشرعوا في تثبيت هذا النظام، وانهم قصدوا الأمير علي بك، والأمراء الذين معه إلى القصر، وطبوا منهم ذلك، فأجابهم الأمير علي بك، وقال لهم أني أمير والترقي لم يكن إليّ [٥٢] أمره، أما يكتب الترقّي الباشا لمن يستحق ذلك، وكذلك البخشيش ما يعطيه إلا السلطان على نظره وبرأيه، وبأي سبب تطلبون ذلك منّي، فقالوا أن مولانا السلطان سليم أنتقل إلى رحمة الله تعالى، واستقام ولده مولانا السلطان مراد نصره الله تعالى، وأن العادة لنا الترقّي والبخشيش عند ذلك^(١) فقال الأمير علي المذكور هذا ما قد جرت به عادة لا لكم ولا لعسكر مصر ولا لعسكر حلب ولا لعسكر الشام ولا لغيره من الولايات، فقالوا له لا بد من ذلك، ورموه بالبنادق، فقتل من أصحابه جماعة من البندق، بعد أن كسروا الأبواب، وحاصروهم من الصباح إلى المساء، وحبسوا أغا الجشاريان فائق أغا، وبعد ذلك وقع الاتفاق بينهم على أن الأمير علي بك يعطيهم تذاكر^(٢) بالترقي، فأعطاهم ذلك بسبب المداراة لهم ودفعاً لشرهم في تلك الساعة ففرقوا بعد قبضهم التذاكر .

فصل :

فلما كان نصف الليل بعد ذلك اليوم، خرج الأمير علي بك من القصر من محروس مدينة ملحظ، إلى خارج مدينة زمار، ونصب خيامه خارج المدينة فلما أصبح الصباح، وصل إليه الأمراء والأغوات وأعيان العسكر، وقالوا له ما السبب لخروجك من المدينة، فقال لهم السبب ما فعله العسكر بالأمس، وما أخذوه منّي من

(١) كان منح الهدايا والعطايا للجنود مع رفع مرتبتهم عند تولية سلطان جديد من العادات القديمة عند العثمانيين، فقد ظهرت هذه العادة في عهد السلطان محمد الفاتح "١٤٥١ - ١٤٨١م / ٨٥٥ - ٨٨٦هـ، وظلت مرعية الجانب حتى تم القضاء على الأنكشارية في عهد السلطان محمود الثاني ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦م " وكان الجنود يصرون على الحصول على هذه المنح دون مراعاة لأحوال الدولة المالية، ويلجأون أحياناً إلى التمرد والثورة للحصول عليها . سيد سالم: القتح العثماني. ص ٣١٣.

(٢) التذاكر : ما يكتب فيها للجنود من أدوات سلطانية وجوامك شريفة ، وتكون مقررة من الديوان . عيسى

صالحية : وثائق جديدة . هـ . ص ٦٠ .

التذاكر بالترقي، والحمد لله أنا أمير، ولم أكن باشا حتى أفعال الترقى للعسكر، فما أعطيتهم أمس ذلك إلا دفعا لشهرهم، كونهم قد تجمعوا من كل ناحية، فالآن إما رجّعوا التذاكر جميعها، وإلا قاتلتهم والله تعالى ينصر مولانا السلطان، فعند ذلك دخل بينهم الأمراء والأغوات وأعيان العسكر المنصور، ولم يزالوا [قـ٥٣] يلاطفونهم حتى سلموا التذاكر جميعها، ثم أنهم اجتمعوا مره أخرى، وقالوا لا بد لنا من البخشيش والترقي، ووصلوا بأجمعهم إلى الأمير على بك المذكور، والأمراء الذين هم عنده، وطلبوا منهم ذلك فأجابوهم، وقالوا أن هذا غير ممكن، فقالوا لا بد من ذلك، وإذا لم تعطونا قتلناكم، فلما صرحوا لهم بهذا الكلام طلبوا منهم المهلة، إلى أن يعرضوا إلى حضره مولانا الباشا بمحروس تعز، فعرضوا باجمعهم، الأمير على بك والأمراء الذين عنده والأغوات وأعيان العسكر، وشرحوا لمولانا أن العسكر مصرون على الفساد ولا بقي لهم انقياد، وأن قتالهم متعين، وأنهم صاروا يقتل بعضهم بعضاً، وأن كل شخص منهم كان لدية شئ من المال، قصدوه ليلاً إلى بيته وقتلوه، وأخذوا جميع ما معه، وأن صلاحهم متعذر، وأنه إذا لم يقع فيهم السيف لا يصلحون أصلاً وقطعاً، لكونهم قد خرجوا عن الطاعة الشريفة السلطانية اعزها الله تعالى، فلما وصلت عروضهم إلى حضره مولانا الباشا نصره الله تعالى، أرسل إليهم الجواب، بأن ينضبوا سنجق مولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى وينادوا على كافة العسكر، بأن كل شخص كان مطيعاً لمولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى، فليدخل تحت السنجق الشريف، وكل شخص منهم كان قد خرج عن الطاعة الجند كاريه^(١)، فليخرج إلى القتال والله تعالى ينصر مولانا السلطان الأعظم، ويؤيد عساكره، فلما وصل الحكم الشريف إليهم يتضمن ذلك، اتفق الأمراء والأغوات وأعيان العسكر المنصور، وركبوا خيولهم ولبسوا دروعهم، ونشروا السنجق الشريف السلطاني [قـ٥٤] واللواء المنيف الخاقاني، وتقدموا على المفسدين المذكورين، بعد النداء عليهم والإعذار، فكل شخص قاتل منهم قتل، والذي

(١) الجندكارية : (الجندارية) العسكر الذين يتولون الخدمة على باب السلطان. نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد الرسولي الوارف. تحقيق : محمد عبد الرحيم جازم. صنعاء المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية، ط أولى. ٢٠٠٣م، هـ . ص ٧٤.
ويقصد - ربما - بالجندكارية الخدمة العسكرية أو النظم العسكرية.

قتل منهم في ذلك اليوم ستون نفراً، وتمزقوا كل ممزق، تشتت شملهم وتفرق، وبعد ذلك طلبوا الأمان، وان يرجعوا إلى ما كانوا عليه، من الطاعة وحسن الانقياد، والقيام في الخدمة الشريفة السلطانية على الاستقامة الحسنه، فأعطوهم الأمان، وارتفع القتال، وصلحت الأمور وانتظمت الأحوال، وصدرت المراسيم الكريمة إلى الأمراء والكشاف، بان كل من كان عنده أحد من المفسدين يخرج من حقّه، لأن المفسدين من العسكر قد كانوا معروفين من بينهم، أشهر من نار على علم، وهذا الأمر معلوم، ظاهر غير مكتوم، وبعد ان قتلوا المذكورين إنتضمت أحوال العسكر، وسلكت الناس على قاعدة مرضية، محمودة العاقبة، وأمنت الطرقات، بعد أن كانوا أخافوا الناس بالتهب في الطرقات، والتعرض بالأذاء للمارواين السبيل .

تشتمل على جمل من محاسن مولانا صاحب السعادة اسعد الله تعالى به الوجود، وكبت به كيد كل حسود، وفضائله أشهر من أن تذكر، وأجلّ عن أن تحصى وتحصر، وكان أدام الله تعالى عزه مشتملاً على جملة من المحاسن منها العلم والحلم والفهم وحسن التصور، والرأي الصائب في السياسة واليد الطولى في علم الرّقم والحساب، وحسن التدبير في المملكة السعيدة.

يباشر جميع متعلقاتها بنفسه، موفياً بالعهد، يدني المشتكى إلى حضرته، ويعرض عليه شكواه من غير واسطة وينصفه عن ظالمه، وكان مُهذّباً لجماعته، ومربياً لهم أحسن تربيته، حتى أن كل واحد منهم، يشتمل على جمل من المحاسن من بذل الخيرات، وقضاء الحاجات وغير ذلك، وأما إصلاح البلاد على العموم، فمنها أن مدينة زبيد خربت من السراق حتى كثر فيها النهب، وظهر في [٥٥] أعيان أصحابها القتل، فأمنها الله تعالى بعد ذلك، بهمته العالية، بقتل جمع من أكابر اللصوص، فأمنت البلاد بعد ذلك، ولم يسمع بسرقة فيها بعده.

ومن ذلك تمهيد طرق الجبال الوعرة، وتسهيل الطريق وتوطئة تلك العقاب، وبناء طرّاق^(١) وجسور ممتدة على مياه تمر ببعض طرقها، كبناء جسر عتمه وغيره، كون المحل المذكور إذا كثر السيل به منع المارة عن السلوك فيه، وربما كان إذا أشد السيل صرع المسافرين وأهلكه، وقد مات جمع من ذلك، ومن ذلك بناء قلعه بجهة ذراع الكلب^(٢)، وإصلاح النجد الأحمر، إلى غير ذلك من بناء السماسر^(٣) وتعمير الأسداد وغير ذلك. ومن محاسنه أبطال الضمان بوادي زبيد أرضها ونخلها، وجعل أمناء يتخلصون المال بها على وجه العدل والإنصاف إلى غير ذلك من غير نكد على الرعايا ولا تعنيف، ولا ترسيم عليهم ولا

(١) طرّاق: طرق

(٢) ذراع الكلب: منطقة في الحدا بدمار. (إبراهيم المقفي: معجم البلدان، ج ١، ص ٦٢٤).

(٣) السماسر: جمع سمسرة ويطلق على المكان الذي كانت تجري فيه عملية السمسرة والتجارة ويتبادل فيه التجار البيع والشراء وتبنى السماسر على طرق التجارة، وتستخدم كمحطات، كما هو الحال في بلاد الشام فيما يعرف بالخانات. الموسوعة اليمنية: مؤسسة العفيف الثقافية ج ٣، ص ١٦٢١.

تعسيف، ومن محاسنه قرض الرعايا طعاماً من الأنبار^(١) السعيد برد مثله، وذلك من خصوصيات فضله، ومن مآثره الكريمة عمارة درب^(٢) مدينة زبيد بعد أن خرب، وسقط شيء كثير منه، وإصلاح النهر الذي هو شرقيها المشهور بالمجرى، وكان قد نصب ماؤه، وعمر ذلك بالأجر والنورة^(٣)، على يد القاضي صفي الدين أحمد بن عبد الرحيم التبريزي، إلى غير ذلك من المحاسن الشريفة الوافية، والمآثر الدائمة الباقية، وما ذكرناه في كتابنا هذا هو شيء حقير، وقليل من كثير .

فصل :

وفي يوم الأحد سابع عشرين شهر شوال^(٤) المبارك منها وصل محمد جاووش من الديار المصرية، وأخبر أن البلاد اليمينية توجهت إلى مراد باشا^(٥) من تاريخ عاشر شعبان المعظم منها، فحينئذ طاب خاطر مولانا اعزه الله تعالى وانشرح صدره بذلك وحصل له السرور، بخلاصة من [قـ ٥٦] اليمن المعمور عند ذلك شرع يسر الله حاله في نفسه السفر، إلى الباب العالي المحروس بالكبير المتعالي، وكان ذلك أوان سفر الحاج إلى بيت الله الحرام، فأختار وفقه الله تعالى أن يحصل الفضيلة بالحج ويتصل بتلك المشاعر العظام، أنجح الله له ذلك المقصد، وأناله جميع ما يؤمله ويقصد، فلما كان اليوم الثاني من شهر ذي القعدة منها . أحضر الأمراء وهم محمود بك وشاة علي بك، وفيروز بك، وحيدر بك، وخضر بك^(٦) ورضوان بك، وأغوات وأعيان العسكر المنصور، وشرح لهم أن قصده السفر إلى الباب العالي، وأن قصده الحج كون ذلك وقته، الخيار أن يجعل علي بك نائب مدينة تعز،

(١) الأنبار : الأكداش أو المخازن . ابن منظور : لسان العرب . جـ ٣ ، ص ٥٦٧ .

(٢) درب : سور . مرتضى الزبيدي : تاج العروس . جـ ١ ، ص ٤٨٣ .

(٣) النورة : مادة كلسية تستخدم في الطلاء . ابن منظور : المصدر نفسه . جـ ٣ ، ص ٧٤٠ .

(٤) السابع والعشرين : يوافق ٣٠ يناير ١٥٧٥ م .

(٥) مراد باشا : خدم محمود باشا المشهور الذي تولى اليمن ، وكان كتحده في مصر ، ثم صار حاكم

الحبشة، عينه السلطان مراد حاكماً لليمن ، فوصل إلى صنعاء سنة ٩٨٤هـ / ١٥٧٦م ، في عهده ظهر

الإمام الحسن بن علي المؤيدي ، عرف عنه حبه للعلم والعلماء وتقريبهم إلى مجلسه ، غزل عن ولاية

اليمن سنة ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م، كانت وفاته سنة ١٠٢٠هـ / ١٦١١م، ودفن في القسطنطينية . محمد

المحبي : خلاصة الأثر . جـ ٤ ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، سيد سالم : الفتح العثماني . ص ٣٢٢ ، ٣٣١ .

(٦) خضر بك : عينه سنان باشا درداراً على قصر صنعاء ، وقد عزله فيما بعد لممارسته الظلم على

الجنود . قُلب الدين النيروالي : البرق اليماني . ص ٣٨٩ .

لحفظ البلاد وضبطها، وخلص الأموال السلطانية وصرفها، إلى أن يصل الباشا المشار إليه، فيسلم إليه من الخزانة السعيدة ما كان موجود قدر خمسين كيساً، إلى غير ذلك من القفاطين، والسناجق السلطانية، وبالجملة جميع ما كان في الخزانة العامرة، سلمه إلى الأمير علي باشا بحضور الأمراء والأغوات الكرام وقضاة شريعة خير الأنام.

فصل:

وفي رابع الشهر^(١) المذكور منها . خرج مولانا أعزه الله تعالى بالسلامة من محروس مدينة تعز، قاصداً مدينة زبيد، وكان نزوله بالمخيم السعيد يسوم الثلاثاء سابع الشهر المذكور، فأقام به خمسة أيام، فحين أن حل ركب مولانا السعيد بالمخيم المنصور بظاهر مدينة زبيد، نبع ماء عين ذلك المجرى، وأنبثق بالسيل المزبد، فاخضرت بذلك الأشجار، وعمرت عند ذلك تلك الأماكن والديار، وتسوارى سيله حتى دخل المدينة المذكورة، وأستمر جارياً في مجراه على جاري عوائده المشهور، فطابت نفس الرعايا عند ذلك، وقرت عين أهل مدينة زبيد، لما جرى الماء في تلك المسالك، بعد أن كان قد [ق ٥٧] خرب ذلك المجرى وتعطل ودثر، وصار خالياً عن الماء مدة ثلاث سنين أو أكثر، وقد أصرف في عمارته المال الجزيل، ولم تجد العملة والعمال إلى ذلك الإصلاح سبيل، وهذا من سعادة مولانا وصلاح نيته، وشفقته الكريمة وغزير محبته لرعيته .

فصل :

وفي اليوم التاسع من الشهر^(٢) المذكور منها، أصرف مولانا ضاعف الله ثوابه زكاته الشريفة على الفقراء والمساكين، والأرامل والأيتام وسائر المستحقين، وكان صرفها على نظر مولانا القاضي العلامة العليم صفي الدين أحمد بن عبدالرحيم التبريزي الحكيم دفع إليه جملة من المال، فأصرفه على المستحقين بزبيد وغيرها من نوي الفاقة والعيال، فطاب بذلك كل فقير ضعيف، وزال عنه تعب النفقة، والكسوة ومشقة التكليف، وانتفع بها الجم الغفير، وعم ذلك النفع الجمع الكثير،

(١) ٥ فبراير ١٥٧٥ م .

(٢) ١٠ فبراير ١٥٧٥ م .

فحصل الدعاء لمولانا من العلماء والطلابين والفضلاء، وأصحاب العكف^(١) من المشائخ الصالحين، ووقعت تلك الصدفة موقعها في استحقاق ذلك الانتفاع، فسودع أهل مدينة زبيد تلك النعمة، وكانت والله خير الوداع ضاعف الله ثوابه وأحسن إلى بلدة مآبه.

فصل :

وفي اليوم الثاني عشر من الشهر^(٢) المذكور. توجه بالسلامة إلى مكة المشرفة من طريق البر، وصحبته أمير اللواء الشريف محمود بك عين أمراء مصر يسر الله طريقه على أحسن حال، وسهل عليه ما يرجو من صلاح الأحوال، وجمعه بكافة أهله، وفتح عليه ما يطلبه من كريم فضله.

(١) العكف : الأعتكاف والعكوف معناه الإلتزام والمواظبة والإقامة والعكف نوع من الأعماد الخاصة بالخناجر

المستخدمة في اليمن ، وتعرف أيضاً بالتوزة. ابن منظور : لسان العرب. ج ٢ ، ص ٨٥٣.

الموسوعة اليمنية . ج ١ ، ص ٦٤٨.

وهذه التوز عادة ما يستخدمها الفقهاء والعلماء والقضاة ، وربما قصدها المؤرخ حين وصف المشائخ والعلماء بأصحاب العكف .

(٢) ١٣ فبراير ١٥٧٥ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

ملكنا فكان العفو منا شجرة فاما ملككم مسان الدم البطح
وحالنا قديرا الاسار والاشا غدا واعلى الراس انتم ونحو
وحسبكم هذا تعاونا بيننا وكلنا انا بالذي فيه ينضح

لبيدتم رحمة الله

لو كان للشمس ضوء غير لم يغتمس طرفنا من الظل
مهدب ناريت فاهته الارابيه الزانم في رجل

اربي جوان امان خرا العينة اري ما نزي او جيرا الخلد

علم الخو فربا في ارتفاع	و بدد الدما في هذا مساعد
فان نورد الادلة والنجاة	على المطاوب فارجع الشواهد
علم الخواصحة في ارتفاع	وله
علم الخواصحة في ارتفاع	بل اجزم العائد والمساعد
على خفض اعداؤنا وكرهنا	له العين فماتت الشواهد

تاريخ التبريد في الحج
سار على الحج نخاه وقايد عند سوز مرعية عظم
ان ان سكت فانسى تجارم واد اجزمت فانسى المجرم
فان في تجارب ان في سفرها جرت ومعنا ما نورد فاقام
وان اجزم الشرا ان شرطية ومعت وان جوابها المجرم

1829

الصور الأولى من مخطوطة بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بيرام
للمؤرخ / محمد بن يحيى المطيب الزبيدي



الذوق والاعتقاد في العثمانية بالجنس المعتبر وما وقع به
 فذلك أيام من الشيخ المشهور المشهور بنينا بنينا
 صاحب سجلا الخديرة والحظ العبيد والرا والفتيد
 والظفر الشديدي من خلق طائب الظلم يقطر العن
 والاروق جدي بضمه عدل يروى في الآلة من واضنا بنون العن
 الباني يد والخرم العن عرب من خلفه انما طائفة العن
 اذ هو عين القباها وزعيمه انصاريهما ورا من علقها سيف
 سلطان اذ يومان واللاء سلام من رايح الرسيد والملك ابدك
 القاهر تاريا الايصار من مديني مضمونا
 ادم القديري على من الايام والاعتقاد يروى وابد الخديرة
 حبيبي اذ نام الشدة على شرب الطيب وترسيب
 منيف وجعلت مازضها على السنين البشطل حفظ
 على فاريد كنان من ورثته على منقذ بنينا بنينا

كتاب الفوائد

الحمد لله الذي اظلم نور الهدى ونعم الحكام
 وعمر قواعد الفضل وانصحه بفضائه ووقع منا
 الامر ونصبت افلامه وهما بنينا الخيرة ورا الـ
 طامدة وانضلق والبراه على سبيل الحق لتعوث برحمه
 بالعلمين وفانم العن من نور من رعد انما
 الخديرة ولا يذهب بين ولا يروى عديدين ونفا
 الديو صغابا ونفا عيش صلوة وسلاما في ربي
 الذين ويعبر منها كتابها غير الخيرة بنينا
 عزير بنينا ورثت منها بعض ايام

ملحق رقم (١)

رسالة الإمام شرف الدين إلى السلطان سليمان القانوني

المؤرخة بـ ١٧ شوال ٩٤٧هـ / ١٦ فبراير ١٥٤١م^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وإياه نعبد وإياه نستعين،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وسيدنا محمد الأمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين
الطاهرين، وبارك اللهم عليه وعلى آله كما صليت وباركت على آل إبراهيم، وعلى آل إبراهيم
في العالمين أنك حميد مجيد، ورضى عن الصحابة الراشدين.

من عبداً المتوكل على الله أمير المؤمنين وفقه الله لما يرضيه عنه أمين، إلى السلطان
الأعظم أعظم سلاطين المسلمين، والقائم بجهاد الكفار المتمردين سليمان شاه بن سليم كتب الله
إرشاده، وقدر إسماعاده في الدنيا والدين. سلام الله عليكم وإنا بحمد الله سبحانه وشكره (غير
واضحة في الأصل) ونسأله الهداية والرعاية والكفاية والحماية والإعانة، والإغاثة والإعانة من
شور أنفسنا من كل شر ذي شر من خلقه أجمعين.

ثم ننهي إليكم ما صار عليه أكثر أهل ولايات زماننا هذا في أقطارنا من قبل وصول
عساكركم إلى الجهات اليمنية والتهامية ومن بعد من تعدي حدود الشريعة المطهرة، وعدم
مراعاة معالمها المقررة، واشتغالهم بغير ما أمرتهم به على ما بلغنا من النظر في جهاد الكفار
وعدم التعرض للمسلمين في هذه الأقطار حتى أخرجوا قواعد الدين الحنيف، وأسمتوا الإسلام
أعداء من أهل الزيغ والتحرير. لا يراعون عهداً يعقدونه، ولا يحترمون عهداً يصنعونه حتى
خافهم كل واحد، وتجنبهم من كان يرجو ويرجى منه الإغاثة في الجهاد في سبيل الله الواحد
الأحد، وصار ميل أكثر أهل الجهات المتاخمة لبلاد الفرنج من بلاد الهند والسواحل والشغور إلى
جناب الكفار أكثر وهمتهم بما يصنعونه لهم في أمور دنياهم اعظم، فعظم الخطب في قتالهم
وتعذرت المعاونة والمخالطة على دفاعهم وهوانهم.

وقد كانت تقدمت منا إلى جنابكم الكريم مطالعات ومشافعات، ومنكم إلينا مكاتبات
ومراسلات على أيدي قصاد من خدمكم، وانتظرنا ما يأتي من قبلكم من جواب شريف وخطاب
زليف حتى وقع من ولايتكم في حدود جهاتنا عدوان وطغيان وقتل وهتك لأمان الله الملك
الرحمن، وكتبنا إلى أمير موسم العام الماضي موسم آخر سنة ست وأربعين، وإلى أميركم المقام

(١) الحسن بن محمد الزريقي: سيرة الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين. مخطوطة محفوظة بمكتبة آل
الهاشمي في صعدة، منها صورة محملة على قرص مدمج بمؤسسة الإمام زيد الثقافية.

الكريم في محروس مصر، وذكرنا له مطالعتكم فيما جرى منهم، ولم يزل تكرر الكتب والشكاة إلى أمير يبيد وعدن، فلم يكن من أمير زبيد إلا القيام بنفسه وجندكم المعد لجهاد أعداء الله سبحانه في مخالفة ذلك واليغي على ذرية نبيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإسعاده لأعداء الدين طهر الله سبحانه البلاد منهم على يد عبده وابن بيت نبيه فطلعوا بجنودكم على محروس تعز وكان منهم ما ربما قد بلغكم في العام الماضي، وبعد ذلك وقعت مكاتبة بينه وبين بعض أهل الخير رجل من (غير واضحة في الأصل) بني غسان مبارك شافعي، وبحب الخير والسعي للصالح على يد رجل بينه وبينه صداقة من الفتنة الأولى التي كانت في زبيد، فكتب له من والي زبيد مناشير بالأمان والإرکان، والموجهة إلى زبيد للخصوص في الصلاح، وحقق الدماء وسكون الدهماء، والاستغلال بالأمر الأهم من المعاونة على جهاد هؤلاء الكفار كل واحد بجنده وإستطاعته، وكتب الرجل الساعي ذلك (غير واضحة في الأصل) من جيشه ما وقع عليه فسار إليهم إلى زبيد، وأعلمنا هو وغيره، أنه بلغ إلى زبيد قاصداً من جانبكم الكريم إلى جهتنا أن إلى والي زبيد منعه، وكتبنا إلى والي عدن في ذلك، ورجع جوابه أن يراجع، فإن ترك قاصدكم يصل إلينا، وإلا كان شاهداً لنا عليه، فلم يكن من والي زبيد إلا الاستمرار على منع القاصد، وكتب إلينا وإلى والي عدن بأنه يخفي القاصد إلا إذا سلمنا إليه البلاد، ومكنه فيما صرنا نراه منه من الجور والظلم والفساد.

وبلادنا هذه بلاد شحيحة أمطارها خراجاتها حقيرة، لكن قد طهرناها بإعانة الله سبحانه من أهل الظلم والعدوان، وأجرينا قواعد الدين والإيمان، ورفعنا عنها المنكرات، وأمنا فيها السبل الطرقات، وعمرنا فيها معالم الشرع، من جميع أهل المذاهب المهديات على ما يحققه لكم إذا طلبتم التحقيق أهل العلم من أهل المذاهب الأربعة، ممن في جهاتنا وجهات زبيد وعدن، إذا أمنوا من شقاية أهل الجهل عليهم، وفي الجهات التي تولى عليها غيرنا خلاف ما ذكرناه لكم في جهاتنا، من كل ما ذكرناه مما لايسع شرحه الكتاب، وقد علمه رب الأرباب، ثم أن والي زبيد تعدى في حق ذلك الغساني الواصل إليه في أمان الله سبحانه وأمانكم حاطكم الله وأرشدكم، وبعد توقيفه له على فراشه ومعاشه أشهراً عديدة، لم يجعل له أن يرجوعه إلى بيته وأهله فسمع بعض كلام بقية بقيت عنده من الباطنية الذين أحل دمهم الله سبحانه على أيدينا، فأمر بقتله على باب مدينة زبيد، وقطع رأسه وتركه عقير في الخلا أياماً، حتى أن بعد ذلك بدفنه، فوجدوه سالماً من الوحوش، وجسده على ما قتل عليه من الصحة والسلامة وهو كان من أهل الخير رحمه الله والصدق ممن يعد في عليين، ثم بعد ذلك لم يزل يوثب على حدود بلادنا ويقم هؤلاء البغية من الباطنية الكفرة الرافضية، الذين كفرهم أعظم من كفر اليهود والنصارى بإجماع أهل الأمة المحمدية، وكتب لهم الولايات برجوع بلادهم التي طهرها الله سبحانه من رجسهم، ونزه من خبثهم ونجسهم وقد حرر في باطن هذا الكتاب ما نرجو وقوف نظركم الكريم عليه، بعد أن (غير واضحة في الأصل) من حرب أميرهم الذي كتب له الولاية وذكر انه جعل له سنجقاً من

سنأجيبكم التي كان الواجب عليه أن يشرفها عن مس مثل هؤلاء الكفار وصارت أحواله وأحوال ولاته على هذا البيان في الاشتغال بنكاية أهل الإيمان والإضاعة لما أمر به من السعي في المعاونة على جهاد أهل الكفر والطغيان، حتى بلغنا تجهيز هؤلاء الفرنج أقماهم الله سبحانه وأرداهم، ودفع عن الإسلام والمسلمين ضرهم، وأذاهم فخالطنا من أئهم ما (غير واضحة في الأصل) الله سبحانه ووددنا أن نشارك في الجهاد لهم بما يمكننا ويدجل في وسعنا من الجهاد بأنفسنا حيث نمكّن وبالسعي والوعظ والحث لمن بعد رأيه يسمع ذلك من أهل الحدود المتاخمة للشغور، فمنع من ذلك ما عرف من هؤلاء الولاة من الهتك لمن خالطهم، والفتك بمن داخلهم، والله المدافع والمرجو للعطف على المسلم، وعدم تعدي من تعدي حدوده، فما يرجع إلا أهل الدين.

وقد أحببنا مطالعتكم بهذا الكتاب حتى تعرفوا أنه لم يكن منا إلا الدفاع عن الحوزة، بعد أن بذلنا كل ما طلبتموه منا، في كتبكم السابقة، من إصلاح السبل وجلب الأرزاق إلى جهاتكم، والمعونة والمساعدة لما يمكن ويجعل لنا المساعدة إليه لم نمنع إلا ما يجب علينا الله سبحانه منعه (غير واضحة في الأصل) تعرفونه أنتم ومن ينظر الله سبحانه حقيقة لأمرتمونا ودعوتمونا إليه، ثم أنه بلغنا أنكم أرشدكم الله (غير واضحة في الأصل) من رحج لكم رفع أيدي أهل البيت والحسينيين من ولاة الحرمين الشريفين، وهذا أمر لا نراه لكم ولا نعرف منه عاقبة محمودة للمسلمين، لأنهم عليهم الاعتماد في حماية البلاد وقد صاروا فيها ممكنين باستقرارهم فيها مما لا يتمكن منه غيرهم من أهل (غير واضحة في الأصل) ونحن نحفظ مما يحفظ من وصايا أسلافنا الطاهرين قدس الله أرواحهم في عليين، أن علياً عليه السلام كان مما أوصى به ولده الحسن عليه السلام أنه قال له : الزموا حرم الله الشريف، فأنكم إن فارقتموه لم (غير واضحة في الأصل) هذه الأمة ، فأحببنا نصيحتكم حتى لا يقع على الأمة مخوف على أيديكم، ونحن نعرف أنهم قد يتعدون حدود الله في بلادهم، ولا نزال نحن والأئمة قبلنا نعظهم ونرحمهم فالذي نراه لكم أرشكم الله تقريرهم على عوايدهم، وعدم تغييرهم، وإذا أعنتمونا على دفع المنكرات من جهاتكم وكانت أيدينا وأيديكم في ذلك فنحن نرجو أن يكون ذلك بسعادتكم، الله المسؤول أن يوفقنا وأياكم لاتباع مرضاته، واجتناب معاصيه ويحفظ الإسلام والمسلمين كل شر وضر، بحق ذي كل حق لديه أنه حميد مجيد، وصلى الله على محمد وعلى آله كثيرًا، والسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تابع ملحق (١)

رسالة الإمام شرف الدين إلى السلطان سليمان القانوني

٧٦٧
 تعلم عبادت كل من هم يتطوع النشأة طوال
 وجود الخدم من أمة صفة أو من الأندلس لتنتال الاستبداد
 وجودها باجود استعدادهم فانه الحق من له الاحتفال
 وقت العنت على ناس طرقت بسببه التفتا والحوالة
 لم يزل بعض الهمة بالمواصي ماله غير بعضه اعمال
 ظهر الارض من عتبه البز أبا ذرا الا لظفاه عنقوا لوال
 ثم خاف الله طرقتا وكذا مذقت مشهور في الخيال
 كبحر من بركة ما نعت مشها بعد عن جاز لا لا
 ورا أهليا الصغار انجلى وحسن لسانهم انكالا
 ما نام الهدى والكر نظاما بعد فكر وهو شجر حلال
 من جرح وحادم لثقتهم ورفصامته وده وكنة
 كبر الله كبره وبعركه وهو لا سكره حنة حلال
 ومن الجور والكنية منه ان بولت ديارون الأبرار
 وجودا رضا من الترم قوم بعد كل انرون حلال
 هرتونه ربحا محبات أهل مكر وخذعة جهال
 فافترس به بالسوء انفا من بكر الامصار والآفاق
 يابون وسلم ما هب البرح وهما سلاف حمر ناد السالك

٧٦٨
 هذا طرقت كان كسبه الامام عليه السلام الرضا عن يوم محقق
 نا كما هو ولانه الدين ربيد محمد من العبدان وعاد ذلك
 ما نعت عليه الماطرة هذا الكينات العظيمة لسان من كل من خط
 به الله كسبه عليه السلام يوم الاحد التاسع عشر من
 شهر سوال من سنة سبع واربعين وسبع مائة بالهجرة السعدية
 سنة الله الرحمن الرحيم احمد بن محمد العالمين والسهران
 لا اله الا الله الملك الحق المبين وانا لله نعبد وانا له نستعين واسمعه
 ان محمدا عبده ورسوله سيدنا سيدنا سيدنا سيدنا سيدنا سيدنا سيدنا
 اله الطيب الطاهر ويا رسول الله صل على اله وعل على
 صلواتك اللهم على آل الزهراء العالين ابي محمد محمد
 وصلى الله الصحابة الراشد من
 من عبد الله الموقر على الله امير المؤمنين وقده الله
 لما رصده بجمه امين الى السلطان الاعظم اعظم سلا
 المسلمين والعالم كما د التفتار المبرور حسان ساه من سلم
 كسبه از سادة وندرا سعادته في الدنيا والدين سلام الله
 عليك وانا محمد الله كانه وسكره الساب ولساله الهداية
 والرعاية والكفالة والحماية والامانة والامانة
 من سرور العسا ومن كل ذي شر من خلقه اجمعين

ملحق رقم (٢)

مرسوم السلطان سليمان القانوني إلى الأمير المطهر بن شرف الدين الوارد من الباب العالي على يد مصطفى باشا.

المؤرخة بـ ١٠ اشوال سنة ٩٥٧هـ الموافق ٢٣ أكتوبر ١٥٥٠م.

(صورة المرسوم الواردة في كتاب البرق اليماني: للمؤرخ قطب الدين النهروالي^(١)).

هذا مثالنا الشريف السامي السلطاني، وخطابنا المنيف العالي الخاقاني، لازال نافذاً بالعون الصمداني واليمن الرباني إلى الأميري الكبير الهمامي الظهيري العوني النصيري الحسيني النسبي، فرع الشجرة الزكية، طراز العصاية العلوية، نسل السلالة الهاشمية، السيد الشريف مطهر بن شرف الدين نخصه بسلام أتم، وثناء أعم، ونبدي لعلمه الكريم أنه لا يزال يتصل بمسامعنا الشريفة إخلاصه لأعتابنا، وقيامه بقلبه وقلبه بمرضاة سلطاننا، وبمقتضى ذلك كان حصل شكرنا التام على مناصحته، ورضانا الشريف العام على حسن خدمته، ولما برزت أوامرنا الشريفة بتعيين وزيرنا الأعظم، إلى البلاد الهندية، لافتتاح ممالكها من أيدي ظلمة الرعية، إحياء لسنة الجهاد، وقطع دابر الكفر أهل الفساد، وأستبشر بذلك كل مسلم وصار فرحاً مسروراً، (وكان أمر الله قدراً مقدوراً)، فرجع وزيرنا المشار إليه فوجد طائفة من اللوند العنيد يتصرفون في قطر زبيد، وأزداد ظلمهم على الرعية وأهل البلاد، وعم ضررهم كل باد وناد وسعوا في الأرض بالفساد، فأستنقذ الرعايا من أيديهم، وأوجف بخيله ورجله عليهم، وأضاف تلك الممالك إلى ممالكنا المعمورة، وأدخلها في سلك أمصارنا الواسعة والموفورة، وعاد إلى أعتابنا الشريفة ومعنا منكم، ومن والدكم مكاتب، تتضمن الطاعة لسلطاننا الإخلاص لتباعد مرضاتنا، وتعاقبت مكاتبات والدكم بإظهار الطاعة، وبذل الإخلاص والصدق والاستطاعة، إلى بلغنا بعد ذلك عنهما إظهار الخلاف، وركوب جادة مادة البغي والاعتساف، وصار يقع بينهما وبين أمراة الخلاف الكبير، والأوضاع التي يعم ضررها الأمور والأمير. وذا عين اخطأ، الذي يترتب عليه رواح الأرواح، ويؤول إلى الخسران بعد النجاح والفلاح، ولا يخفى على من عقل وفهم { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } وإن مقامنا الشريف السلطاني قد ملك بعون الله ولطفه الصمداني بساط بسيط الأرض شرقاً وغرباً، وضبط الأقاليم الواسعة بعداً وقرباً، وصار سلطاننا القاهر كالإبريز المصفي والخلاصة العسجد المستصفي، ورقم سجل سعادتنا بآيات العز والنصر، وعقد لنا نواء السلطنة على كافة أهل العصر، أدام الله تعالى فخرنا على سائر الملوك بإقامة فرض الجهاد في سبيل الله إلى يوم العرض تلك فضل الله يؤتيه من يشاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، وعساكرنا المنصورة حينما سلكت ملكك، وأينما

(١) قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. ص ١٠٩ - ١١١.

حلت عقدت، وفتكت وسفكت، لا يعجزهم ديار ولا يبعد عليهم ديار، فإن أشرنا أشرنا أمرنا أن يتوجه من عساكرنا شردمة قليلون نحو مائة ألف أو يزيدون، بكامل الاستعداد من الآلات والزاد، وتتبع العسكر بالعسكر والجيش بالجيش الكواسر يكون أولهم في بالبلاد اليمنية وأخرهم في مملكتنا المحمية السنية ولا نحتاج إلى أن نعرفكم على قدر سلطاننا وسديد عزمنا وشديد أركاننا وتشييد أركان دولتنا فإن أكابر الملوك ذوي التجان وأهل القوة والإمكان خاضعون لدولتنا الشريفة قهراً مطأطئون برؤوسهم في أعتابنا جبراً وقصراً، وذلك ظاهر لكل احد معلوم وشهوراً بين الناس غير مكتوم، لكن غلب جانب حلمنا عليكم وعطفت مراحمننا الانتفات إليكم لأنكم من سلالة خير البشر ومن آل بيت النبوة الميامين الغر، فلزم على ناموس سلطنتنا العالية، ووجب على ذمم هممنا السنية أن نعرفكم بعقبى الأمور قبل أتساع الخرق، وانتشار الحال ونعلمكم بما يؤول إليه الحال في الاستقبال بحسب المال، وأن الجبل الذي تحصن به وطن أنه ينجيه، فهو محظ الخيال، وعين المحال، وأن تدميره في تدبيره جهل أو عالم {لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ} ^(١)

أين المفر ولا مفر لهارب *** إلا ظلال البيض والأرماع

وقد برزت أوامرنا الشريفة السلطانية بتعيين أمير الأمراء الكرم صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد عناية الملك العلام مصطفى باشا دامت معاليه (باشا) ^(٢) على العساكر المنصورة، وصحبته ثلاث آلاف من المشاة الرماة المجهزين معه بحر، وألف فرس تجهزت بين يديه برأ، ويسير معه أمير الأمراء الأكرم المختص بمزيد عناية الملك العلام أزدمر باشا دامت معاليه، بالجيش اليمنية، والجنود النوبتجية، فعند وصول عساكرنا المنصورة إلى تلك الديار وتوجههم إلى حظ ^(٣) المحطات وترتيب الحصار، إن وصلت بنفسك إلى مصطفى باشا، وقابلته بقلب منشرح، فلك الأمان، وتكون من الفائزين، وتتلو مراحمننا عليك (لا تخف ولا تحزن أنك من الأميين) وتعم عليك عواطفنا بما تستحق من ممالك غير معارض في ذلك ولا منازع فيما هنالك وإن تكبرت وجهلت وما عرفت، (أتينا) ^(٤) بجنود لا قبل لك بها، وأخرجناك من حصنك نليلاً، وأخذناك أخذاً وببلاً، ودخلت في قول أصدق القائلين {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} وصرت بعد الوجود إلى عدم وندمت حيث لا ينفع الندم، وقد حذرناك حنواً،

(١) وردت في نص الرسالة "عصم" الصحيح "رحم".

(٢) هكذا جاءت في نص الرسالة.

(٣) هكذا جاءت في نص الرسالة. وربما هي تلك وليس "حظ".

(٤) هكذا جاءت في نص الرسالة. وربما هي "أتيناك".

وتعطفاً عليك، وأذرنالك تلتظاً وإحساناً إليك، وخاطبتناك في هذا الباب بألفظ خطاب، فاختر لنفسك ما تراه، ومثلك لا يدل على صواب، وعلامتنا الشريفة أعلاه حجة ناطقة لاعتماد مضمونه وفحواه.

حرر ذلك ي دار الإسلام قسطنطينية الكبرى، في عاشر شوال سنة سبع وخمسين وتسعمائة.

مرسوم السلطان سليمان القانوني إلى الأمير المطهر بن شرف الدين الوارد من

الباب العالي على يد مصطفى باشا.

المؤرخة بـ ١٠ اشوال سنة ٩٥٧هـ الموافق ٢٣ اكتوبر ١٥٥٠م.

(صورة المرسوم الواردة في وثيقة المركز الوطني للوثائق)^(١)

هذا مثالنا الشريف السامي وخطابنا المنيف السلطاني الخاقاني العالي الكبير النصيري الهمامي المطهري الشريف، الحسيني النسبي، فرع الشجرة الزكية، وطراز العصاة العلوية، نسل السلالة الهاشمية، الشريف المطهر بن شرف الدين نخصه بسلام أتم، وثناء أعم، ونبدي لعلمه الكريم أنه لا يزال يتضمن مسامعنا الشريفة إخلاصه لدينا وقيامه بقلبه وقالبه بمرضاة سلطاننا انقياده إلى جانبنا، ومقتضى ذلك أنه حصل شكرنا التام والثناء العام على مناصحته، ومكانته ولما برزت أوامرنا الشريفة سمعته مطيعة وزيرنا الأعظم سليمان باشا نغمده الله برحمته نفذ إلى البلاد الهندية، لفتح تلك الولاية السندية إحياء لسنة الجهاد وقطع دابر الفساد والعناد، وأستبشر بذلك كل مسلم وصار فرحاً مسروراً، ووقع ما قدره، وكان أمره قدراً مقنوراً، فرجع وزيرنا المشار إليه، فوجد طائفة من اللونده تملكوا بلاد زبيد من مملكة السيم، وحصل منهم غاية المشاق، بالإيذاء للرعية، وأزداد ظلمهم على العباد والبلاد وعم ضررهم كل باد وناد، فنتبع أثرهم وقطع دابرهم وأستغذ الرعايا من أيديهم، وصارت مملكة زبيد من جملة ممالكنا الشريفة، وعاد إلى أعتابنا المنيفة، وأبرز من يده مكتوبكم ومكتوب والدكم يتضمن فيهما الإخلاص في سلطاننا وأنها صاروا من أتباعنا ومن اللاندين بأعتابنا، ثم عقب مكاتبة والده على باب سعادتنا، وأبلغت بغدنا وأمثال ذلك وصل إلينا وحصل عندنا لهم زيادة المحبة والمصادقة والموافقة، وتحققنا ما كان يبلغ عنهما على السنة المترددين على أعتابنا الشريفة من تلك لذار، وأنها صاروا من توابعنا ومملكتهما من جملة ممالكنا، وبلغنا الآن عنهما خلاف ذلك، وتغير ما كاتبانا به في السابق، مثل غير مطابق وأنه وقع بينهما وبين أمراء أمرنا الشريف وعسكر ديننا

(١) وثيقة بالمركز الوطني للوثائق بصنعاء . تحت رقم ١/٨٩

الحنيف بتلك البلاد خلاف كثير عنيف، ووقايح عم ضررها الأمير والمأمور، وهذا عين الخطأ المحض المترتب عليه ذهاب الأرواح لمن كان له عقل وفهم { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } فلأن مثالنا الشريف السلطاني قد ملك بساط الأرض شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً وصارت سلطنتنا القاهرة الشريفة كالأبريز المصطفى والخلصة المُستصفي، ورقم سجل سعادتنا هذا بآيات النصر، وختم لنا العز في شرقها والغرب على أهل العصر وأستديم فخرنا على سائر الملوك على إحياء الجهاد إلى يوم العرض، "إذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، وعساكرنا المنصورة أينما انخرطت فرطت، وأينما سقطت لقطت، وحيثما سلكت ملكت، وأينما حلت عقدت، وأينما سلكت فتكت، لا يعجزهم صغير ولا كبير، ولا جليل ولا حقير، ولو شئنا لبعثنا من عساكرنا المنصورة شردمة قليلون نحو مائة ألف أو يزيدون مُشاةً وركباناً، من البر والبحر، لأوامرنا وأمرنا ممثلون ونقوي عددهم بالاستعداد ونشدهم بالقوة والآلة والزاد، ونتبع العسكر بالعسكر وعلى البحر والبر، ونلحق الجيش بالجيش من كل أسود وأحمر. حتى يتصل أول عسكرنا بأخرهم، وواردهم بصادرهم، ويكون أولهم في البلاد اليمنية وأخرهم في مملكتنا المحمية، ولا نحتاج نعرفكم على قدر سلطاننا، وتشييد أركان دولتنا، وشديد عزمنا فإن الملوك ذوي التيجان، وأصحاب القوة والإمكان لا يزالون خاضعون لهيبتنا الشريفة قهراً عليهم مطأطين رؤوسهم خشية مما يحل بهم عند المخالفة، وذلك مشهور ومعلوم ظاهر ليس بمكتوم، لكن غلب حلمنا عليه من تعجيل النكاية إليه كونه من سلالة سيد المرسلين ومن آل بيت النبوة المطهرين، ولازم على ناموس سلطنتنا الشريفة، ووجب علينا أن ننهبه قبل أتساع الخرق عليه، وأن نعرفه بعقبى الأمور مما يحل به، ويصير إليه وكونه إلى الجبال يتحصن بها عند الزوال، وزعم أن ذلك ينحبه وهذا عين المحال وتدبيره تدميره على كل حال، وأمر يطول عليه في كل حال جهل ذلك أو علم (لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) {

أين المفر كلا لا وزر *** ولا لها رب من سلطنتنا الشريفة مفر

وقد اقتضت أراذلتنا السنية وأوامرنا الشريفة بتعيين افتخار الأمراء الكرام ذوي القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد رعاية الملك العلام مصطفى باشا دامت معاليه، وحرست حضرته، ونفذت كلمته لا باشا على العساكر غيره، وصحبته ثلاث آلاف من جنودنا المنصورة بالله تعالى من البر مُشاةً، ورُماتاً، وحماتاً، وركباناً. معونة لأمير الأمراء الكرام ذوي القدر والاحترام أزدمر باشا دامت معاليه، وحرست حضرته، وهيأنا أيضاً مثلها بعدتها وعليها واحتياجها من البحر، فعرض على مسامعنا الشريفة مصطفى باشا المشار إليه بأن نؤخر تجهيز الخيول المذكورة إلى حين يتوجه إلى تلك الجهات اليمنية، والنظر في الأحوال وما أهل تلك الأقطار عليه من الحال، فإذا وقع من أحد خلاف واحتاج الخيول المذكورة فيجهز إلينا بطلبين ويصلن إليه على ما يحب إلى ما يجب، فأخرنا ذلك إلى أن يعود الجواب بتحقيق هذه

الأخبار عن الإمام وولده، ومن لديهم من النظار. فحال وصول مصطفى باشا إلى تلك الديار، واستقراره بتلك الأقطار، لا بد أن تحضر لخدمته ممثلاً لكلمته وتقابلته بقلب منشرج وصدر مُنفسح، وتمشي إلى تحت سناجقنا الشريفة، وتدخل تحت طاعتنا العظيمة المنيفة، وتكون من عساكر المنصورة متضمناً لأمرائنا المذكورة على قلب رجل واحد غير متعاس ولا متقاعد. فأن مصطفى باشا المشار إليه باشا عساكر المنصورة، وخليفة في أمرنا وكلامه وأمره من أمرنا ونهيه من نهينا، ومن أطاعه فقد أطاعنا ومن خالفه فقد خالفنا، ونعوذ بالله من المخالفة وعدم الانقياد والمؤالفة فالفكر المطهر في نفسه وينظر في عاقبة أمره قبل حلول رميته، وينتبه من رقدته ويصحوا من غفلته، ويفيق من سكرته. فإن فعل ذلك وأنضم إلى سلطتنا الشريفة فقد رحم نفسه، وصان منهجه ويرى في دولتنا العادلة كل جميل، وكل رعاية وبلوغ أمنيته مع الزيادة إلى حد النهاية، فقد أمرنا مصطفى باشا المشار إليه بأن دخل تحت طاعتنا ومشى على الاستقامة لدينا، وأنضم إلى عساكرنا المنصورة أن ينعم عليه من أمرنا الشريف بما يستحق من في مملكته مستقلاً به غير معارضة له في ذلك، ولا منازع له فيما هنالك فحيث فعلت فأنت من الفائزين لا تخف ولا تحزن أنك من الأمنيين أنك اليوم لدينا مكين " أمين، وأن حصل والعياذ بالله مخالفة ذلك، واستمر على العناد والظلال والمخالفة [غير واضحة في الأصل]، فيصير ذنبه برقبته ويهلك نفسه بيده {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ويدخل في قول أصدق القائلين {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} ويصير بعد الوجود إلى عدم ويندم حيث لا ينفع الندم، وقد حذرناه رافة به وتحنا عليه بإصدار هذا الكتاب إليه، وإذا خالف أتيناه بجنود لا قبل له بها وأخرجناه منها ذليلاً لا ملجأ له من سلطتنا إلا إليها، لمن سالمها ظلاً ظليلاً، وعلى من خالفها عذاباً وبيلاً، ومثله لا يدل على الصواب فاليعتمد ذلك وعلامتنا الشريفة حجة عليه والسلام .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين آمين ...

صورة من رسالة السلطان سليمان القانوني إلى الأمير مطهر بن شرف الدين

اجساد ملوك تزارو قبايكة بآية سلطان سليمان بن محمد خان أميرهم خان هفت تری
خانانده بجزیره مطهر امیر شرف الدین بیگ برکله اولوغا نامه الیه بفرستد
مقدون جمله نظامت صورت بنفسی بیده تاریخ فرستد و کور الخدیوینا روجه
نقل اولمشد.

قدا خان الشریف السی رحطابنا الیف السلطان الخاقانی العالی الیکبری العزیز
الواسی المظفر الشریف الخیر النسبی فریح السجدة الزکیه و طراز العصابة القلویه نسلا مولده
الایامیه الشریف المظفر امیر شرف الدینه تخصه بسلام اتم و کمال اعم و نبوی لعلمه اکبریم انه
لا یرال بخصمه ساعفا الشریفه اخلاصه لیدنا و قیامه بقلبه و قلبه بمرضات سلطاننا و الخیاره
اف بنابنا و رضختن ذلك انه حصل شکرنا انا هم و انسا و العلم عن ساصحه و مطابته و طابرت
اولمنا الشریفه سابعیه مطعیه و وزیرنا الاعظم سلیمان باسا نغده انه برحه نغالی البلاد
الیهیه نفتح نکت الیهیه السیه اجازة الجهاد و قطع الیه الفساد و العناد و الشکر بک
کلم مستهم و صادرها سرورا و دفع مافدها و کان امراه قدرا مقدورا فرجع وزیرنا الفکار الیه
فرحه طائفة اللوزة نملو بوزیریه من المملکة الیمانیه و حصل منهم غایة المنافع بالایجاد
لرحبه و انه و انظر امیرهم علی العباد و البلاد و هم ضررهم کمل و اذ و نادر فتح انا هم و قطع انا هم
و استغفد الیه باسایهم و صارت مملکة زیدیه من مملکة سلیمان الشریفه و عاونه الیه سلطاننا الشریف
و ابرز منه بده کتوبهم و کتوب و الیکم تخصه فیهم الاصل فی سلطاننا و انما صار منه انما عاونه
و منه اللوکیمه باعنا انهم عقب مکانة والده علی باب سعادتنا و ابلغت بعدن برسالة و کتوب
و حصل عندهم زیادة الحجة و المحارقه و الموافقة و تحقیقا ما کان به یبلغ عنهما علی انة
الیه و رفیع علی غنانا الشریفه من ملک الدیار و انما صار منه تدابیرا و مملکة ما منه صمد ما کان
و یبقا الان عنهم فکلف ذلك و تغیر ما کاننا به فی اسامیه کل غیر مطابقه و انه و رفیع علیها
و بیه امراء امیرنا الشریفه و عکد و بنا الخیف نکت البلاد خاصه کید خیفه و و نایم عم ضررنا
الویبر و الامور و انما عبه الخطا و الخوفن المشرعیه و لهاب الازواج منه لکان له عنن و انهم و انما ع

لا يغير بقدر حتى يغيروا ما في قلوبهم . فان اذن سألنا الشريف الملك في قد ملك ساط الاضحة شرفنا
 وغربنا وبعداً وثرباً وصداق سلطاننا الفكرة الشريفه كما يريد المصفا والخاصة المنصفا ونتم سبل
 سعادتنا هذه بايات النصر وهتم لنا العز في شرقنا والغرب على القل العصر واستتم فخراً على سائر
 الملوك على جوار الخلد الى يوم العرصه . " نودك فقل انه يؤتبه منه يسار واراد ان يقع الزمان منه في اليوم
 وعسكرنا المصوره انما انحلت خزانة وايضا سقطت نقطت وصيا سقطت مائة وايات دون عقرنا
 وايضا سقطت انكثت لا يعجز لهم صيف ولايسر ولاهين ولاهيف وارسلنا لعماد مدينه لوانا المصوره شرفنا
 في يومنا حرمائة الفه ابريزيون سائنا وركبنا من البحر والبر لاوارنا وامرنا انصارنا بوقفوا . ورتبنا
 وقتلهم بالهزة والذرة والزراد ونسج العسكر العسكر وعهد البحر والبر ونحوه الجيسه بالجيسه من ذل اسود واهجر
 حتمه يمين اول شركنا ما خذلهم وواراهم بصادقهم ويكون اولهم في البعد والجماد وكذا في سلكنا المحميه
 ولا تخداج نعزهم على قدر سلطاننا وتسيه اركان دولتنا وسيد بجزنا فان المليون ذوق الشبان وسحاب الفعوه
 والاوليان لا يذنون فاصدعون سبيتنا الشريفه قهرنا عليهم سلطانهم رؤسهم غشيه ما يحملهم غنا الخزانة
 وذوق شبرور وروهم طاهرين بآلهم . لقد ملكت عننا عليه من تعبد الطبايع اليه كرايه يذوقه سيد المرسين
 ومن كل بيت النبوه المطهرين . ولزم على ناصون سلطاننا الشريف وجعلنا ان تنسب قبل تراج الخرد عليه
 وان نعده بعضنا الامور ما حمل . وبصير اليه وكونه الى الجبل تخيمه على عهه الزوال وزعم ان ذلك سخي
 وانه حينه حال ونسبهم نسبه على كل حال وامر بجلد عليه في كل حال صحت ذلك اليوم . لا اعلم
 وهذه حينه حال ونسبهم نسبه على كل حال وامر بجلد عليه في كل حال صحت ذلك اليوم . لا اعلم
 اليوم منه مراره الاله رحيم . ايه المضر كلاله لاداره . ولا اظن به من شرفنا الشريف بعد وقد اقتضت
 اذرتنا اسبه وامرنا الشريف نسبه افتقار الامرار الكرام ذوى القدر والاهتمام جيا صيا لاف والاهتمام
 المختص بجزيرة رعاية افوك العليم . مططفه باتا ذات معونه وصحت حضرتته ونفقت كانه لايات
 على الصارعيه وصحة قدر تادئة الاذن منه جهنا المصوره بالله تعالى من شرفنا ذات معونه وصحت حضرتته
 وكذا ذات معونه لا يبر الامرار الكرام ذوى القدر والاهتمام ازور باتا ذات معونه وصحت حضرتته
 وهياتنا ايضا سلبا معونه والى فضل وايضا سلبا من البحر فعيه على ما رنا الشريف مططفه باتا الى اليه
 بان نوضه فخيرنا الجول المذكوره الى حبه بوجه الى تلك المخرات البينه والنظر في الهواء وما جعل نعت
 الاقطار عليه من حال فما ذابوع منه حدان واصحاب الجول المذكوره فحينئذ البيا بطبيعه ويطهده
 ايه على ما يجب الى ما يجب فاحرنا ذلك الى ان يعود الجول تخفيه لفته لاصار عه الامام وولده

وسمه لديهم منه الظاهر فكل رسول مطلق يأتى السابلية الى تحت الديار واستفاده تحت الاقطار
 لا بد ان تحضر تحت منتهى الكثرة ونقابه بغير تسرع وحده منفع ونسب الى تحت سابقا الشريف وتحت
 تحت طاعتنا العظيمة الملقبة وتكونه من عاكر المصوبه شخصيا لا ملائمة المذكوره وهو ان يجرى واحد غير
 شفا من ولا شفا من فانه مطلق يأتى السابلية يأتى عاكر المصوبه وفائدة أوامرنا وأمرنا وأمرنا
 عدونا ونسب من نينا وسمه اطا عدونا طافا وسمه عاكره فقط خالفا وموردنا من السابلية الخايرة والسم
 الانقياد والوفاء فاليفما الظهور في نفسه وينظر في عاقبة امره قبل حاول منسبه ونسبه من رتبه
 ويصحو من غفلة ورضيه من كونه فانه فعل ذلك وانظم الى سوطنا الشريفه فتم منسبه وهما مناجاة
 ويراني ودنا العادله كل حين وكل رعابه ويبلغ ائبته مع الزيادة الى حد السابلية فانه سنا الزيادة مطلقا
 يأتى السابلية باننا اذا دخلت تحت طاعتنا وتنا على الاستقامة لدينا وانظم المرد والكرام المصوبه ان ينعم
 عليه من الزنا الشريف بما يستحقه من في مملكته مستفديه من غير معاينه له في ذلك ولذا ابرج اليها الكفاية
 فويت فعدت فانت من الفاضله لا تخف ولا تخزن انك من اللابيه انك اليوم لدينا مكسبه منه وان حصل
 وانعاز باننا من العاقبة ذلك واستمر على الصدا والظلال والمخالفه والخيال فيصير ذم برقبته ويريد نفسه
 بيده « وما ظننا بهم ونحن كما نوا انفسهم نطمعون » ويصل في قول عدده اننا ائبته « مجنون يوزنهم
 بايديهم وايدى المؤمنين » ويصير بعد الوجود الى العلم ونسب من حيث لا ينفعه العلم وقد حذرنا به باننا
 ونحننا عليه باصداره انفسنا له واننا خالف اننا يكون لا تقبل له بل واخرضا من لا يريد الا محاله
 منسقطنا ابوابنا منه سالما ظفد ظفيد وعلى رجا لفظا عننا ما يريد ونسب لا بد من على الصواب فاليفض
 ذلك وسمنا الشريفه حجة عبد والسمك والوهراء ولا توتة الاباء العلم العظيم ومضى في ذلك ١٤٤

بسم الله والحمد لله رب العالمين

١٤٤

١٤٤

ملحق رقم (٣)

جواب الأمير المظهر بن شرف الدين على المرسوم السلطان سليمان القانوني

المؤرخ في رجب سنة ٩٥٨هـ الموافق يوليو ١٥٥١م^(١)

نور الله شمس الإسلام وأطلعها، وفجر عين معين الشريفة النبوية وأنبعها، ولألا كواكب الدين الحنفي وأسطعها، وأعلا مراتب الملة البيضاء ورفعها، وأزال جموع الظلم والعدوان وزعزعا، وآلف بين قلوب المسلمين، وجمعها، بدوام أيام مولانا السلطان العظيم، والملك القاهر الباهر الحليم، القاطع بمسيوف عزمه عنق كل جبار أثم، الهادي بأوامره ونواهيته إلى الصراط المستقيم، بتقدير العزيز العليم، المتسم بحماية آل الرسول، وأبناء فاطمة البتول وسلسلة النبي الكريم، اليأسط عليهم عدله فلا ينالهم حر الجحيم، فهم راتعون في ظلال إحسانه ظلاً من النعيم، له نبت وسيم، الذي أوتي الحكمة ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، والله يؤتي ملكه من يشاء من فضله العميم، شمس الخلافة وقمرها المضيء في الليل البهيم، ظل الله في الأرض، القائم بسنته وفرضه، ودينه القويم، والحجة الواضحة للخلق على التعميم، أمين الله على خلقه وخليفته القائم بحقه فهم راتعون في رياض أمانه، وكارعون في حياض امتنانه، التي لا يشوب صفوها الدهر السليم، سامي الفخار، وزاكي الأصل والثمار، السابق في الحساب الصميم، الكاف لأكف من تجافي عن الهداية، وسلك مسالك الغواية، وكان له في الجلالة الصميم، التي لا تحصى صفاته بتعداد، ولو كان الشجر أقلاماً والبحر مداداً، وأسأل بذلك كل خير عليم، الخندكار الكبير، والخاقان الشهير، السلطان الأعظم سليمان بن سليم .

يهدى إلى مقامه الشريف نجائب ركائب التحية والتسليم، من الله الكريم ورحمته الطيبة وبركاته الصيبة، الموصولة بنعيم دار النعيم، حرسه تعالى جنبه العالي، وحرمة المحترم من صروف الأيام والليالي بما حفظ به الآيات والذكر الحكيم.

وبعد فإنه ورد من تلقائه أطال الله للمسلمين والإسلام في بقله، مرسوماً سطعت بالمسرات أقماره، وتضاحكت في عزصات المجد كمامه وأزهاره، وجرت في جداول رياض السعد أنهاره، وتحامد على شرفه ليل الزمان ونهاره، فوجدناه أشقى من الترياق، وأشهى من الأثمد في دمع الأحداق، يتبلج بالمسرات، تبلج البرق ويتحلب بالخيرات تحلب الودق، يفوق اللؤلؤ المنثور منثوراً، ويفضح شقائق النعمان زهوراً، ويجعل ممدود الزمان عليه مقصوراً، فتعطرت الأنديس

(١) قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. ص ١١١ - ١١٦.

بنشره، وأعلنت الأنفس بحمده وشكره، وهبت في البوادي والأمصار نسيم ذكره، ودخلت الناس أفواجا تحت نهيه وأمره.

حبذا مدرجاً كريماً جليلاً زانه منشى كريم جليل
لفظه الدر في سمو وفحواه ومعناه سلسل سلسيل
وإذا المدرجات كانت ملوكاً فهو فيها وبينها إكليل
مدرج فيه للعقول غدو ومراح ومسرح ومقيل

فله أنامل رصعته بجواهر البلاغة، وضمنته ما يعجز عنه " قدامه " و ابن المراغة ، فلو
رأه الملك الضليل لطأطأ خاضعاً، أو ليبد البليغ لخر ساجداً وراكعاً.

وعرفنا ما ذكره سلطاننا سلطان الأمم، مالك رقاب العرب العجم، المختص بحماية الحرم
المحترم، من الإحاطة بطاعتنا لجلاله، وجولاننا تحت لواء قوله وأفعاله، فالحمد الله الذي وفقنا
لطاقته، وذاذنا عن السلوك في مخالفته وأنالنا بذلك الحظ الأسنى، والنصيب الأوفر الأهنى في
الخيرات والحسنى، ونرجو أن شاء الله نيل الشرف الكامل والمآرب، ونجح المنى والمطالب،
ومن تمسك بعروتكم الوثقى فاز بمطالبه، وحاز غاية القصوى في مآربه ورفع له الدرجات
السامية العاليسة، وتم له كل سؤل ومأمول وأمنيته، ويحضى بكل عيشة هنية، راضية مرضية
وهذه طريقة معروفة، وسنة مألوفة لا تميل عن الوفاء، ولا تكدر عن ذلك الشرب ما صفى،
كيف وطاعتكم من طاعة الملك لخالق، ومعصيتكم تظلم منها المغارب والمشارق، ونحن من
مودتكم على يقين، ونرجو أنكم ل اتصغوا أذناً لكلام الفاسقين، ولا تهملوا رعاية الصالحين
المتقين، ولا تقطعوا حقاً لذرية النبي الأمين، وأبناء علي الأنزع البطين، كرم الله وجهه في
عليين { قُلْ نَأْسَأْلكُمْ عَلَيْهِ أَجْزَأُ إِلَّا الْمُؤَدَّةُ فِي الْقُرْبَى } وذلك هدي الكتاب المبين، وأنتم أولى
برعاية ما أمر الله به أن يرعى، ويقر من عين النبي الكريم عيناً وسمعاً، فكم مالكم من محامد
مذكورة، ومفاخر مشهورة، ومعالي حميدة منشورة، تؤمل أن تسقوا بحسامها (غير واضحة في
الأصل) الوشاة، وتقطعوا طرق الواصلين بالأكاذيب والوشاة، وتردوا كل كابد لا يراقب الله
ولا يخشاه.

والذي نقله إليكم أرباب الزور ذو الأفك من الناس، والفجور من تحولنا عن طاعة السلطان
الأعظم، ومخافتنا لما سبق من مودتنا وتقدم كذب يعلمه الداني والفاصل، ومن المين الذي لبابه
قلة الاختصاص وحاش لله وكلا أن نرضى مخالفة، أو نميل عن الأحوال السالفة، أو ننكر تلك
المعارف العارفة، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور، أو نكون ممن تعدى الحد بعد الطور، إن
تقاعدنا عن طاعتكم يجب السعي إليها بالفور، وإن تأخرنا عن أوامركم نكون كمن أشتري
الضلالة بالهدى، وتحول عن موافقة الإسلام إلى الرداي، وآل رسول الله ﷺ أعرف الناس
بالصواب، وأدراهم بمعاني السنة والكتاب { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } ومن

نسب إلينا خلاف ما ذكرناه فهو خبيث نبيث، فتقوا منا بالمودة الراسخة أطنابها، والمحبة الشامخة قبابها.

والذي أشرتم إليه في شأن الخطاب وبطاقة الكتاب، فمخالفتنا لعاكركم المنصورة، وكتائبكم الواسعة الموفورة، ليس له صحة ولا ثبات، ولا كان لنا إلى حربهم تعد ولا إلتفات، بل قصدونا إلى هذه القطار والجهات، وجلبوا علينا أتراكاً وأرواماً، وهتكوا أصلحاً كانت بيننا وبينهم وذناباً، وما راعوا لأوامركم الشريف فينا أحكاماً، وضيّقوا علينا مسالك المعيشة خلفاً وأمامنا، ورمونا بمدافع لا يرمى بها إلا الذين يعبدون أصناماً، ولم يعلموا أننا ممن أوجب الله لهم رعاية واحتراماً، ومن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً، فدافعنا عن أنفسنا وأولادنا ما أمكن الدفاع، ودرأنا عن محارمنا وترك الرد عنها لا يستطيع، ونحن في مهاجر يسير، ومكان يأوي إليه الضعيف البائس الفقير، لا ينافس من اعتصم به واعتصم على طاعة ربه، ولو أن عساكركم المنصورة الأكلوية المستلمة عن صروف الأفضية، وجهوا همهم العلية وعزائم الصلابة القوية إلى الجهات الكفرية، لنالوا من الخير نيلاً عظيماً، وسلّكوا إلى سبيل السعادة صراطاً مستقيماً، وأصلوا أفئدة الكفار ناراً جحيماً، وأدركوا من فضل الله جنة ونعيماً، بيد أنهم تشاغلوا بحربنا عن جميع الحروب، وفوتوا بذلك كل عرض ومطلوب، وأهملوا جهاد الكفار حتى سقط الجنوب، وهبت من ديار الإسلام للشر صباً وجنوب، وحين وصل المرسوم الشريف والمثال الكريم، والخطاب الوسيم طبنا به نفوساً وسلكتنا به من الأوس محلاً مأنوساً، وخدمت نيران الحرب وغلت أيدي الطعن والضرب، فقر منا بما قررتموه كل قلب، فإن أمتل من حوالينا من الأمراء والأكابر لما صدر منكم من النواهي الأوامر، وثبتوا فيما ذكرتموه من الموارد والمصادر، فذلك البغية المقصودة، والضالة المنشودة، والدرة الثمينة المفقودة، والغنيمة العظيمة الشاملة المحدودة، وأن خالفوا أوامركم الكريمة المطاعة، وقابلوا نواهيكم اللازمة بالإضاعة، فحسبهم من عذابكم الوبيل، ما تعدونه لمن خالفكم من التكيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكنا نود أن نرسل إلى الأبواب الشريفة، والأعتاب الفخيمة الزليفة رسولاً ينهي إليكم حقائق الأمور، ويرفع إلى مسامعكم الكريمة من عين المقذور ما تكن القلوب منا الصدور، إلا أن هؤلاء الذين يلونا سدوا علينا وقطعوا من التواصل أوصلاً، وقعدوا لرسلنا كل مقعد بكرة وأصالة، وصدوهم عن الوصول إلى أبوابكم العالية عن الأبواب، ومنعوهم عن مناهج الذهاب والإياب، فلوا كان منهم ما نريد لكان صدر إلى أبوابكم الشريفة، منا في كل حين من نريد، وحين وصل وكيلكم الباشا مصطفى، إلى هذه الجهات اليمينية، والديار التي هي لسيوف قهركم محمية، بسط عدله في اليمن، وأحمد نيران الفتن، وأصلح الأمور ما ظهر منها وما بطن، وأطلع على الحقائق، ويعرفكم من حالنا السابق، وما نحن عليه بحمد الله من حسن المساعي والطرائق، وكرم الأصول الشريفة والمعارق.

وقد أرسل إلينا قصاداً بالظاهر منها والمستور، ولعل الله سبحانه يهيئ قدومه إلى صنعاء، ويحيي به دينا لئله وشرعنا، ويقطع به دابر من خالفكم وخالف أمركم قطعاً، ولعمري انه لرجل عظيم، وذو شأن فخيم، قد فاقت شمائله، وراققت أوصافه ومخائله، فهو بكل خير وجود، ويحمل من طاعتكم ما يشق على غيره ويؤود، فأنه تعالى يجعل سعيه مشكوراً، ويشرح بأعماله من الأمة قلوباً وصدوراً، ويدفع بعنايته عن الإسلام والإيمان شروراً، ويملئ الأفتدة والنفوس حبوراً، إن شاء الله تعالى وسروراً، جرى ذلك في شهر الله الأصعب، رجب المرجب سنة ثمان وخمسين وتسعمائة.

ملحق رقم (٤)

وثيقة (حكم) رقم ٧١١^(١)

تاريخ الوثيقة : ٥ جمادى الآخرة ٩٧٣هـ / ٢٩ ديسمبر ١٥٦٥م.

حكم إلی مراد بك بکلربکی الیمن

لما كانت ولاية الیمن على درجة من الأتساع، فقد تقرر بغية ضبطها وربطها أن تقسم إلی (بکلربکیتین) وأثنی عشر (سنجق)، وتم تعريف المقاطعات الموجودة داخل هذه الاثنی عشر (سنجقاً) وبمزید من عنايتنا تم توجيهها إلیک على سبیل (البکلربکیة) ولأجل إعلامک فی هذا الصدد تم إرسال حکمی الشریف، وأرسلت الدفاتر الخاصة بالمقاطعات و(السنجق) التي تم فصلها وتعيينها لک، وتم أيضاً تعيين ولاية صنعاء بسناجقها، ومقاطعاتها إلی رضوان السلحدار السابق، وقد أمرت عندما يصل هذا (الحکم) أن تقوم بالتصرف بسناجقها، ومقاطعتها على سبیل (البکلربکیة) كما هو مسطور بالدفاتر المخصص لذلك، وأن تكونا کلاکما قلباً واحداً، ورأياً واحداً في خدمة البلاد ونشر الطمأنينة، والرفاهية بين البرايا والرعايا، والعمل بجد ورجولة في خدمة الدين ودولتنا (الهاميةونية)، وأن تسعيا وتجداً في توفير وتکثیر المال (الميري) على أن تكون أمر التحصيل للأموال من أعمالک، ومن هذه الناحية عليك الاهتمام بمصلحة البلاد والعباد، وأن تقوم بالصرف وبمقدار كاف إذا ما طلب المشار إلیه، فلا تجعله يقع في ضيق .

ملحق رقم (٥)

وثيقة (حكم) رقم ٤٤^(٢)

تاريخ الوثيقة (الحکم) غرة صفر ٩٧٥هـ / ٧ أغسطس ١٥٦٧م.

حكم إلی بکلربکی الیمن مراد باشا

فيما يتعلق بأن رضوان باشا بکلربکی صنعاء يتنازع مع أبناء وسائر القبائل بلا فائدة، أن العربان ينتصرون عليه، وقد انتزعوا منه قنقه وسائر الأماكن، وأن البکلربکیة في خطر لأن الأعداء متعاونين فيما بينهم، لأن أمراء البکلربکیة ليس لهم هم سوى جمع المال، ومن المؤكد أنهم يظلمون الأهالي ويسلبونهم خيراتهم، وحتى الأموال التي يرسلهم رضوان باشا تصادر هناك، وأنه هو نفسه ليس في نيته أمر جمع المال، وأنه يعامل الناس بالرفق والعدالة، بل على العکس فإن المال الذي يجمعه لنفسه بحکم منصبه سوف ويؤخذ هو الآخر.

(١) عامر : النظم الإدارية . ص ١٠١ - ١٠٢

(٢) عامر : النظم الإدارية . ص ١٠٥

ملحق رقم (٦)

وثيقة (حكم) رقم ٦١١^(١)

تاريخ الوثيقة (الحكم) : ٢٩ جمادى الآخرة ٩٧٥ هـ / ٣١ ديسمبر ١٥٦٧ م

حكم إلى بكربكي اليمن

فيما يتعلق بأنه قد تم تعيين الوزير مصطفى باشا سرداراً (قائداً عاماً) لأجل تأديب العصاة وضرورة العمل معاً بالاتحاد والاتفاق (ونحذركم من) ظلم الأهالي أو (التعدي على مواشيهم)، أو أخذ مأكولاتهم مجاناً من أي شخص.

ملحق رقم (٧)

رقم الوثيقة (الحكم) : ٦٠٣^(٢)

تاريخ الوثيقة (الحكم) : ٢٩ جمادى الآخرة ٩٧٥ هـ / ٣١ ديسمبر ١٥٦٧ م

إلى الوزير مصطفى باشا الذي عين سردار لليمن

فيما يتعلق بأن الشيخ الذي يدعى (مظهر) قد قام بعصيان باليمن، وأنه حاصر صنعاء وهزم بعض العساكر التي سارت إليه، ولهذا فقد أعطيت القيادة لك مع رتبة الوزارة، وكذلك أحضرت إليك أعداد كافية من الأنكشارية والسباهية في الشام .. وأنه تم تعيين أربعة أمراء سناجق من اليمن وعساكر المنفرقة، وأغوات الشاديشية وألف جونكي، وأنه تم أعداد سائر المهمات، وأنه عند وصولك إلى اليمن أن تتفحص الأموال، وتسترذ القلاع التي استولى عليها العدو بالصورة المناسبة، وتطمئن الأهالي وتعمل على إزالة البدع التي استحدثتها البكربكية القدامى، وتعمل على توحيد بكربكية اليمن وصنعاء، وتعيين عثمان باشا ابن أزدمر عليها جميعاً، وأنه أرسل عدد ١٠٠ فرمان أبيض على بياض ذو طغراء، وعدد ٣٣ فرمانات ذو طغراء مذهبة.

(١) عامر : النظم الإدارية . ص ١٠٦ . وثيقة محفوظة بمكتبة الأستاذ فواد الشامي ، ترجمة محمود علي

عامر .

(٢) عامر : النظم الإدارية . ص ١٠٦

الملحق رقم (٨)

رقم الوثيقة (الحكم) : ١٩٢٢^(١)

رقم الصفحة التي فيها الوثيقة (الحكم) : ٦٩٦

تاريخ الوثيقة (الحكم) : ٢١ صفر ٩٧٦ هـ / ١٤ أغسطس ١٥٦٨ م

خطاب السردارية بالوزير سنان باشا المرسل إلى اليمن

براءة تعيين مباركة :

إن ولاية اليمن بلد فتحته بواسطة قواتنا الخسروانية ثمظفرة، وفي الوقت التي غدت فيه من ملحقات بلادنا المحروسة، نرى مفسداً يدعى مطهر قد خرج علينا ومعه كثير من الأشقياء العرب، واستولى على بعض القلاع والنواحي بقصد إهانة وإذلال أهل الإسلام وجماعته، ولما كان من الواجب تأديبه وقطع دابره، أعدنا لذلك عساكر لا تحصى وجنوداً غيورين من ولاية الشام ومصر، من البر والبحر، وتم إرسالها بالفعل، ولما كان يلزم لهذه العساكر لمنصورة سرداراً عظيم القدر، عالي المقدار، كان بكربكي مصر السابق ووزيرنا الأكرم، حامل الدستور المكرم والمشير المفخم، نظام العالم، ومدير أمور الأمة بفكره الثاقب وزبيري سنان باشا، يسر الله له ما يريد وما يشاء بما له من الحظوة والشجاعة، ومنتهى الكياسة والرئاسة والشهامة ما يجعلنا نعتمد عليه، وبناءً عليه فقد عيننا المشار إليه سرداراً على العساكر التي نسم إرسالها قبل ذلك وجعلناه قائداً للعساكر والجنود والأمراء هذه البراءة .

وأمرت بناء على فرماني الجليل القدر، العظيم الشأن، أن لا يتأخر لحظة ولا يتراخي في القيام بواجبه، ولتتوكل على عناية الحق جلّ وعلا، ويتوسل بالمعجزات الكثيرة بحضرة سيد الكائنات وفخر المخلوقات، عليه أفضل الصلوات والتسليمات، فيتوجه بالعساكر المعينة إلى الولاية المذكورة، وعندما يصل إلى هناك يتحرى أمر الأعداء ذوي النوايا السيئة والعقول المفسدة، الخيالات المكسدة فيتجسس عليهم ويسعى للوقوف على أحوالهم وأخبارهم .

وعليه كذلك أن ينظر في استعادتها سواء من ناحية القلاع أو الحصون أو القرى التي استولت عليها عساكر المطهر، ولأماكن الأخرى التي سيطرة عليها.

ثم عليه أن يشرع في إعداد الترتيبات والطلائع لهذا الفتح، ويكون في الخدمة والرفاقه بالصورة المناسبة، ويعمل برأي واحد وفكر واحد لصيانة الدين والدولة مع بكربيكة اليمن

(١) محمد عيسى صالحيه: وثائق جديدة عن حملة سنان باشا . حوليات كلية الآداب ، الحولية الثامنة ١٩٨٧ ، ص٢٢-٢٤ ، عامر، محمود علي : النظم الإدارية العثمانية في اليمن. الإكليل، العدد الثاني، سنة ١٩٨٩، من ٩٦ إلى ١٢١، ص١١٣، ١١٤.

وصنعاء وسائر العساكر المنصورة، وعليه أن يسعى ويجتهد لتحقيق كل ما يببض الوجوه، وعلى الجميع أن يبذلوا كل ما في وسعهم وجهدهم في سبيل ذلك، وليعلم الجميع من البكربكة المتواجدين في ولاية صنعاء من الزعامات وأرباب التيمار، الإنكشارية والجونلية والقباطنة والرؤساء المرسلين مع الدستور الهمايوني بالبحر، وغيرهم من سائر الناس جميعاً، والصغير والكبير والشريف والوضيع من العساكر المنصورة المعينة للخدمة المذكورة، أن المشار إليه قد عين عليهم قائداً ورئيساً للعسكر، وليحذروا من مخالفة كلمته بوجه من الوجوه أو عصيان أوامره، وعليهم أن يكونوا في الخدمة حسب الرأي الذي يراه مناسباً.

ولن يُغفر لمن خالف أو عصى كائناً من كان أن يعاقب سواء أكان من الأمراء أو الزعامات أو أرباب التيمار أو طائفة القول .

وكل من يتواجد منهم في الرفافة ترسل له الجاميكة والترقيات حسبما يستحق، ولكل من يفوز بخدمته المبرورة في سبيلنا ويقوم بالرفافة سواء من السناجق أو من غيرهم بما يمكنه أن يقوم به وسيكون تحت نظرنا وموضع رضانا الشريف .

وبناءً على ذلك، فعلى كل فرد أن لا يتخلى عن غيرته وحميته الإسلامية، وليكن الجميع طالبين للجهاد في سبيل الله، ويبذلوا جهدهم في سبيل الدين والدولة حتى ينالوا علوة على المثوبة العظمى، السعادة في الدنيا والآخرة، وينالوا من عنايتنا الخسروانية، وعليهم أن يتضرعوا إلى واهب العطايا جل شأنه حتى ينتصر الدين وتنتصر الدولة ويهزم أعداء الملة والسultan، ويظلوا مقهورين على الدوام .

وليكن الجميع سواء أثناء رحلة المشار إليه إلى هناك، أو عند مباشرته لتأديب الأعداء على كمال البصيرة والانتباه، وليحذروا ويتجنبوا الغفلة سواء في البر أو البحر من الأعداء على أسطولنا السلطاني المرسل بعساكر الإسلام مخافة أن يلحق به ما يؤدي شرف وناموس السلطنة، والعباد بالله تعالى، فليكن الجميع حذرين منتبهين.

وعلى الجميع من أمراء مصر والجونلية والجراكسة وغيرهم، والإنكشارية والشاوشية، ووكيل دفتر دار الشام الشريف، جولاك أحمد دام مجده وزعيم الإنكشارية وسائر الزعماء وأرباب التيمار وغيرهم، ومن قد عين قبل ذلك من الأمراء، الذهاب إلى اليمن وهم : يعقوب وسليمان، وكلايبي زاد حسين، و محمود، وحمزة، وعلي أحمد الصغير، وأميرالاي غزة السابق علي دام غزة، وجميع من كانوا بصحبة مصطفى باشا أن يذهبوا إلى اليمن مع وزير المشار إليه سنان باشا، فيتواجدوا في لخدمة والرفافة بالصورة التي يراها مناسبة .

وإن شاء الله تعالى عندما يعود المشار إليهم وقد أنجزوا مهمتهم، وأرجعوا الأمور إلى نصابها، فإنهم سيكونون موضعاً لمختلف أنواع عنايتنا العلية الشاهانية وينال كل واحد منهم حسب استحقاقه ما نراه من الرعاية، هذا للعلم .

ملحق رقم (٩)

وثيقة (حكم) رقم ٥٤٢^(١)

تاريخ ذي الحجة ٩٧٨هـ / أبريل ١٥٧٠م

حكم إلى الوزير سنان باشا

فيما يتعلق بالخطاب الواصل من بهرام بكربكي اليمن المتعلق بفتح اليمن، وسحق العصيان الذي قام به (المظهر) منتهزاً التأخير في حصار قلعة كوكيان، فقد تم بعد ذلك السيطرة على الأمور، كذلك وبناءً على أشعاره هو نفسه تم عليه الإحسان بسيف مذهب وخلعة فأخرة وزيادة (ساليته) إلى ١٠٠٠٠٠ أفجة، وذلك مكافئة له على أعماله، كما وجهت إليه ولاية اليمن، ومملك مصر على أنها من ملحقاتها، وكذلك بضرورة الحفاظ على البلاد وحماية الرعية والعمل على زيادة الأموال، وحسن إدارة العسكر وضبط الأمور باليمن وتأمين الرعية، وتأمين حاجتها العسكرية والمالية، والقيام بالمساعدات التي تلزم لصالح الحجاز هذا للعلم وضرورة العمل بموجبه.

وأنة لمن الأمور الجديرة بالاهتمام، إبقاء الثلاثة آلاف جندي المردفة بكم في اليمن، فدعهم هناك حتى صدور أوامر شريفة بإقدام غيرهم، بدلاً منهم، وينوبون في الخدمة عنهم، فأياك أن تخلي ولاية اليمن من الجند كلية، لأنه بدون وجود الجند يحتمل اندلاع الفتن وظهور الفساد من جديد، وعليك أن تكتب فتعلمنا بعدد ما تبقى في اليمن من طائفة القبول (الجند)، وأن تسجل أسمائهم في دفتر فتمهره وتبعث به إلى طرفنا.

(١) عامر : النظم الإدارية . ص ١٠٩

ملحق رقم (١٠)

رقم الوثيقة (الحكم) : ٧٧١ (١)

الصفحة التي فيها الوثيقة : ١١١٠

تاريخ الوثيقة (الحكم) : ٧ رمضان سنة ٩٧٨هـ / ٣ فبراير ١٥٧١ .

حكم إلى بكربكي اليمن

يعرب مضمونه بأن الدستور المكرم وزيرى سنان باشا المرسل لإصلاح حال اليمن حالياً (أدام الله تعالى إجلاله) ، عندما ينتهي من إصلاح الولاية وتحريرها (أي إحصائها) وتعرف مواردها ومصارفها، وينجز كل ذلك، وإذا ما هم بالعودة إلى سدة سعادتنا، فقد صدر أمرى بأن القولية الذين رافقوه، سواء أكانوا من قولية مصر أم غيرها، فيعودون معه، وأما الثلاثة الأف قول المردفة نجدة له، فعليها أن تبقى هناك لحماية البلاد وبناء على ذلك، فقد أرسلت حكمتنا الهمايوني إلى المشار إليه، وأمرت عندما يصل هذا الحكم بأن ينهض المشار إليه، تنفيذاً لأوامري الشريفة، للعودة إلى سدة سعادتنا وبصحبتة القولية التي رافقته حينذاك، أما القولية التي سجلت بعد ذلك، وأرسلت إلى اليمن سواء أكانوا من قولية مصر، أو أرسلت أخيراً فتبقى لحماية البلاد، وعليك أنت بأن تسجل ما بقي هناك منهم في دفتر وتمهره وترسله مع المشار إليه.

ملحق رقم (١١)

رقم الوثيقة (الحكم) : ٧٩ (٢)

رقم الصفحة التي فيها الوثيقة (الحكم) : ٣٧

تاريخ الوثيقة الأحد ٢٣ رمضان ٩٧٨هـ / ١٩ فبراير ١٥٧١م.

كنت قد أبلغتكم بأن الإصلاحات وشؤون تحرير (إحصاء) اليمن لمعرفة عوائده ومصاريفه قد انتهت، وأن البلاد قد تطهرت من الأشقياء العرب ، وأسنتب الأمن فيها، وأنه ما من ضرورة لبقاء هناك، ثم أنك تريد العودة إلى سدة سعادتنا أنت ومن أقبل معك من العسكر المظفر إلى اليمن، ما عدا الذين لحقوا بك فيما بعد، فأنهم سيبقون حتى قدوم من ينوب عنهم في الخدمة، فأمرت إذا كان إصلاح وتحريير ولاية اليمن قد نجز بأن تعود — حسب الأوامر الشريفة السابقة — أنت ومن كان تحت قيادتك من العساكر المنصورة من مصر إلى اليمن، إذا كانت إصلاحات ولاية اليمن ومهمة إحصائها لمعرفة العوائد والمصاريف قد نجزت بالفعل، ولك أن تسلك من الطريق ما تراه الأنسب والأصوب سواء أكان ذلك براً أو بحراً .

(١) صالحه : وثائق جديدة عن حملة سنان . ص ٦٢ .

(٢) صالحه : وثائق جديدة عن حملة سنان . ص ٦٤ - ٦٥ .

الملحق رقم (١٢)

رقم الوثيقة (الحكم) : ١٥٢٠ (١)

رقم الصفحة التي فيها الوثيقة (الحكم) : ١٠٢٦

تاريخ الحكم (الوثيقة) : يوم الجمعة في ٢٢ ذي الحجة سنة ٩٧٨هـ / ١٧ مايو ١٥٧١م.

أعلمنا وزير ي سنان باشا - أدام الله إجلاله - بخطاب أرسله إلى سدة سعادتنا جاء فيه أنه حتى الثلاثة آلاف عسكري المسلحين بالبنادق، والذين سبق وأن صدر الفرمان بأرداقهم من مصر المحمية لا تعطى لهم المساعدات ولا العلوقة ولا لبنادق الكافية.

وأنه قد تم أعداد ما بين خمس مائة إلى ست مائة بندقية فقط، ومن الموجب (المؤن) ما لا يكفي لأكثر من ثلاثة أشهر، وأبلغنا أنه عندما وصلت العساكر المنصورة إلى محل حرض تقابلت مع العصاة من الأعراب انتهت بإنخذالهم وهزيمتهم بعناية الإله القادر، كما أنبأنا أنه تخابر مع عساكر الإسلام في صعدة فاستمالهم حيث تم التعاون والاتفاق، فأحرقت القلعة مع الجبخانة وتم إخضاعها وفتحها وخسر الملاعين الخاسئين .

وأنت بما هو مركز في جبلتك من حسن الشجاعة والتدبر والشكيمة، والجرأة فقد أظهرت ما ينتظر منك، وصدر حكمي الهمايوني بترقية مائة ألف أجرة علاوة على الساليانه التي تتصرف بها، وقد وقع ذلك محل رضانا، لقد تم إخضاع ولاية اليمن بسيوفنا المظفرة، ودمر العصاة المردة الجفافة الموجودون في تلكم الديار، وبما أن الرعايا ودائع خالق البرايا، تستظل بحمايتنا ويكف سعادتنا، والصلح مع العربان المناحيس على وشك العقد، فإن البكربية كانوا قد أهملوا وتكاسلوا عن حسن معاشره طائفة العربان، وحفظ وحراسة لبلاد، وضبط وصيانة الرعية، وتعمير المدائن والبلدان وترقيه العباد، ولم يعطوا الوظائف لمن يستحقها بل منحوها للطامعين، فقاموا بظلم الرعايا والبرايا وتعدوا عليهم وجاوروا وظلموا العربان الذين يريدون السلامة، فكان ذلك سبب في الثورة والاضطراب، مما اضطرنا لمعاودة فتح البلاد وإخضاعها وتطهيرها من أشقياء العربان، فعين سنان باشا سرداراً على العساكر، وسير لإصلاح ذلك، وأن شاء الله وبعناية لباري، يتم إخضاع القلاع والبقاع وسائر القرى والضياح، وتتطهر البلاد من العصاة والطغاة والعربان المفسدين، ويعيدهم عساكرنا لحظيرة طاعتنا وعبوديتنا، والمأمول أن يمتنع احتمال الاضطراب مرة أخرى، وألا يقع الإهمال في حماية البلاد، ولا يحدث أمر مناف للصلح والإصلاح .

(١) صالحيه : وثائق جديدة عن حملة سنان . ص ٦٩ - ٧١ .

وجملته فلا تغض النظر عن تلك البلاد، فاستقرارها وانتظامها من أقصى أماننا ومرامنا، وإعتمادنا الهمايوني على موفور شهامتك وجرأتك، وحدة ذكائك وقد كتبت حكمي الهمايوني بحسن التدبر وطلب إرسال العدد الكافي من القولية وكذا الواجب وكل ما يلزم لذلك، ولأجل شؤون اليمن خاصة، وحتى يظل القادمون والذاهبون من الحجاج والبريد وغير ذلك في أمان من قطاع الطرق وغيرهم من المفسدين، فقد أسند أمر حفظ وحراسة الطريق من ولاية ينبع والحجاز حتى وصاب إلى صاحب الأمانة شريف مكة المكرمة الشريف حسن (دامت معاليه) فأرسلت إليه خطابنا الهمايوني للتعاون بهذا الخصوص .

وأمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تقوم بالتخاير مع المشار إليهما بهذا الصدد، فتقوم بطلب ما يلزم سواء من ناحية المهمات والقولية أو الواجب بما يتعلق بأمر اليمن من المشار إليه - يعني سنان باشا - وعليك أن تستعين أيضاً بالشريف المشار إليه بخصوص ما يلزم للتعاون والمحافظة، وعليك أن تكون عادلاً وتطبق الشرع الشريف في حفظ، وضبط وحماية المدن والأمصار والنواحي والأقطار، والقلاع والبلدان، والقرى والحصون اليمنية، وأن تسهر على أمن الرعايا والبرايا ورفاهيتهم وزيادة أموالنا، وحسن المعاملة مع العريان، وأحذر كل الحذر من كل ما يسبب الاضطراب والثورة، وأن تسعى بكل سعي حميد لضبط الولاية المذكورة .

حكم بالبريد من أستانبول إلى مصر إلى مكة المكرمة

ملحق رقم (١٣)

رقم الوثيقة (الحكم) ١٧٨٠ (١)

تاريخ الوثيقة (الحكم) ١ ربيع أول ٩٨٢ هـ / ٢١ يونيو ١٥٧٤ م.

فيما يتعلق بأنه طالما قد علمنا أن والي اليمن قد قبض على العصاة، وجمع من القبائل والمشايخ : ٧٠ حصاناً ، و ٦٢٣٠ بندقية ، و ٣٠٠١٧ سلاحاً " سيفاً " ، و ٥٠٠ مزارق ، و ٥٠٠ سكين ، فقد صدر الأمر بمنحه خلصة وبردة، وزيادة معاشه ١٠٠٠٠٠٠ أقة.

(١) وثيقة محفوظة بمكتبة الأستاذ فؤاد الشامي ، ترجمة محمود علي عامر .

الملحق رقم (١٤)

وثيقة (حكم) رقم ١٠^(١)

تاريخ الوثيقة (الحكم) : ١٠ محرم ١٩٩٦هـ / ١٢ ديسمبر ١٥٨٧م.

حكم إلى شمس الدين اغلو أحمد حاكم كوكيان باليمن

لقد أرسل إلينا الدستور المكرم ... الخ الوزير حسن باشا خطاباً، يعلمنا فيه أنه منذ وصوله وهو يراك دائماً من أهل الوقوف في الحرب، التي حدثت هناك، وأنتك معه في كل الخصوصيات ليل نهار، وخاصة في هذه المرة عندما تحركت عروق الفتنة، والفساد لمن اعتادوا الخيانة (الأعداء) ، وكنت مجدداً ساعياً في القبض عليهم بحسن التدبير، والتعقل في محاربة الذين أتخذوا لأنفسهم مبدأ الحنث بالوعد والعهد، كما عرضت علينا بخدماتك المبرورة، والمساعي المشكورة مع عروض المشار إليه بحقك، تأتي إلينا على الدوام وعلمنا أنك تعرض عبوديتك لكمال الصداقة، والاستقامة لعتبة سعادتنا ببيض الله وجهك في الدنيا والآخرة، سلمت ودمت، وإذا كان الأمر كذلك، فقد كان لك منا مزيد العطف العلية الخسروانية، وأرسلت إليك مع حكمنا الهيمايوني المقرون بالسعادة ثوب خلعة يورث البهجة وسيف مذهب يليق بك، وأمرت عندما يصل حسين آغا، أن تقوم على الخلعة الشاهانية، وتلبسها بكمال التعظيم والإكرام، ووقور التحشم والاحترام وتتمنطق بالسيف، ثم عليك بعد ذلك أن تجود بالنفس والنفيس، في سبيلنا الهيمايوني بالصورة التي يراها المشار إليه مناسبة، وعليك النواجد في الخدمة والرفاقية، ولسوف تجد في مقابل خدماتك فيما بعد أيضاً مظهراً لكل أنواع عنايتنا العلية الخسروانية، وأنه منذ بداية فتح الولاية المذكورة وحتى الآن لم تتيسر مثل هذه الفتوحات العظيمة، لواحد من الوزراء والبيكرية الذين أرسلوا إلى تلك الديار، والحمد لله تعالى الذي هدانا، إذ استطاع وزيرنا المشار إليه أن يسعى في سبيلنا الهيمايوني، ويأتي بعناية (الله تعالى) بكثير مما يبببض الوجوه، ولما كان يلزم فتح بعض الممالك أيضاً الواقعة في الطرف الشرقي من تلك البلاد، وتعيين قائد للعسكر فقد أعطيت البراءة، بأنه سوف يكون من مقبولنا الهيمايوني إذا ما منحنا المناصب العلية والمعاشات والزيادات، حسبما يراه مناسباً لكل من يشارك في الحروب في سبيل القبض على هذه الأماكن بأحسن الوجوه، أن تقوم بموجب شهامتك وشجاعتك وفراستك، بالانترام بكل خدمة فتأتي بالمبرر والمشكور منها وسواء أنت أو توابعك ... فسوف تكونون مظهراً لكل أنواع عنايتنا الخسروانية ...

(١) عامر : النظم الإدارية . ص ١١٩

الملحق رقم (١٥)

صورة ورقة من مخطوطة بلوغ المرام في تاريخ مولانا بهرام

المورخ : محمد بن يحيى المطيب الزبيدي

كَانَ تَبَارِجَ عُرَى دِي الْحَجْدِ مِنِّي أَنَعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى
 السَّيِّدِ عَشِيمٍ وَخَسِيئَةٍ قَدِيمٍ مَوْلَانَا الْمَعَارِفِ النَّاسِ
 صَاحِبِ الْحَجْرِ وَالْمَعَالِي مِنْ أَيْدِي اللَّهِ بِقُدْرَةِ الْإِلَادِ
 وَأَصْلِحْ بِدِخَالِ الْعِتَادِ وَيَهْدِي بِدِخَالِ الْخَلْقِ إِلَى صِرَاطِ السُّبُلِ
 وَأَزَالِ بِدِخَالِ الْحَقِّ عَلَى الْإِكْرَامِ وَالْوَهَادِ وَحَصَائِرِ الْبِلَادِ
 لِحَيْبِ الْإِنَامِ وَأَسْتَبْرِ بِوُضُوءِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ صَاحِبِ
 الصَّلَاتِ الْحَسَامِ وَالصَّدَقَاتِ وَالْإِنْعَامِ
 لِأَزَالِ سَمَوَاتِ الْعَيْنِ الْمَلِكِ الْخَالِدِ وَالْمَرْحُومِ
 الْمَشْكُورِ الْمَعْبُودِ وَصَحْبَةِ الصِّدِّيقِ الْمَشْهُورِ وَوَامِ
 خَيْرِ مَا بَدَأَ بِأَمْرٍ وَأَخْرَجَ بِوُضُوءِهِ طَوَائِفَ الْأَيْسَلَامِ بِمَقَامِ
 بَيْتِ الْمَنَابِتِ الْبُرْجِيِّ كَكَبِيرِ مَرْحَبِ بَيْتِ الْفَوَاحِشِ
 مِنْ لَحْظِ عَيْنِ رُفُو تَمْرِ الْحَدِيثِ حَتَّى يَدُورَ قَدَامَهُ
 مَا يَبِينُ لِي كَمَا رَوَى عَنْهُ رَسْمُ الْبَلِّ حَقَابِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تابع الملحق رقم (١٥)
 صورة ورقة من مخطوطة التيجان الوافرة الثمن
 المؤرخ : مجهول

وكان مولانا الوزير يلقب في سنة ١٠٠٠ هـ صاحب التيجان
 حتى لقد من أرض اليمن أهله لما إليه قد كثر
 مقامه في حارة أو من ثم عمر إلى الأعمق من
 ملك في بلاد الوزير سنة ١٠٠٠ هـ
 جيش والعسكر بعد ذلك
 فاستولى على اليمن في سنة ١٠٠٠ هـ
 في سنة ١٠٠٠ هـ
 في سنة ١٠٠٠ هـ
 في سنة ١٠٠٠ هـ
 في سنة ١٠٠٠ هـ
 في سنة ١٠٠٠ هـ
 في سنة ١٠٠٠ هـ
 في سنة ١٠٠٠ هـ

الملحق رقم (١٦)

صورة الورقة الأولى من مخطوطة: كتاب مطالع النيران.
وينسب فيها كتاب التيجان الوافرة الثمن وبلوغ المرام
إلى المؤرخ: محمد الزبيدي

تخلص منسوخه
ورأى في
الخطوط
على

كتاب مطالع النيران باليمن

وتيجان الوافرة الثمن
و بلوغ المرام لمحمد الزبيدي

ببإذن الله وأمرهم اليقين

أحمد بن يوسف بن محمد بن...

عاش في سنة...

و...
و...
و...

فان...

الفرق بين...
الفرق بين...
الفرق بين...
الفرق بين...
الفرق بين...

ملحق رقم (١٧)

السلطين العثمانيون الذين عاصروا الحكم العثماني الأول لليمن

١٥١٢ - ١٥٢٠ م	السلطان سليم الأول
١٥٢٠ - ١٥٦٦ م	السلطان سليمان الأول (القانوني)
١٥٦٦ - ١٥٧٤ م	السلطان سليم الثاني
١٥٧٤ - ١٥٩٥ م	السلطان مراد الثالث
١٥٩٥ - ١٦٠٣ م	السلطان محمد الثالث
١٦٠٣ - ١٦١٧ م	السلطان أحمد الأول
١٦١٧ - ١٦١٨ م	السلطان مصطفى الأول
١٦١٨ - ١٦٢٢ م	السلطان عثمان الثاني
١٦٢٢ - ١٦٢٣ م	السلطان مصطفى الأول (للمرة الثانية) .
١٦٢٣ - ١٦٤٠ م	السلطان مراد الرابع

ملحق رقم (١٨)

قائمة بأسماء الولاة العثمانيين في اليمن

١٥٣٨ - ١٥٤٠ م	الأمير بهرام (في عدن)
١٥٣٨ - ١٥٤٠ م	الأمير مصطفى (في زبيد)
١٥٤٠ - ١٥٤٥ م	مصطفى باشا النشار
١٥٤٦ - ١٥٤٧ م	أويس باشا
١٥٤٧ - ١٥٤٩ م	فرهاد باشا
١٥٤٩ - ١٥٥٤ م	أزدمر باشا
١٥٥٥ - ١٥٥٦ م	مصطفى باشا النشار (للمرة الثاني)
١٥٥٦ - ١٥٦٠ م	مصطفى باشا قره شاهين
١٥٦٠ - ١٥٦٥ م	محمود باشا
١٥٦٥ - ١٥٦٧ م	رضوان باشا
١٥٦٦ - ١٥٦٧ م	مراد باشا
١٥٦٧ - ١٥٦٨ م	حسن باشا
١٥٦٨ - ١٥٦٩ م	عثمان باشا
١٥٦٩ - ١٥٧٠ م	سنان باشا الوزير
١٥٧٠ - ١٥٧٥ م	بهرام باشا
١٥٧٦ - ١٥٨٠ م	مراد باشا الوزير
١٥٨٠ - ١٦٠٤ م	حسن باشا الوزير
١٦٠٤ - ١٦٠٧ م	سنان باشا الكبخيا
١٦٠٧ - ١٦١٦ م	جعفر باشا
١٦١٦ - ١٦٢١ م	محمد باشا
١٦٢١ - ١٦٢١ م	أحمد فضلي باشا
١٦٢٤ - ١٦٢٩ م	حيدر باشا
١٦٢٩ - ١٦٣٥ م	احمد قانصوه باشا

ملحق رقم (١٩)

الأئمة المعاصرون للحكم العثماني الأول

- *الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين ١٥٠٦ - ١٥٥٧ م
- *الإمام المطهر بن شرف الدين ١٥٥٧ - ١٥٧٢ م
- *الإمام الحسن بن علي المؤيدي ١٥٧٨ - ١٥٨٦ م
- *الإمام القاسم بن محمد بن علي ١٥٩٧ - ١٦٢٠ م
- *الإمام المؤيد محمد بن القاسم بن محمد ١٦٢٠ - ١٦٤٤ م

جدول رقم (١)

مؤرخو السلطة (المنحازون إلى جانب العثمانيين)

اسم المؤرخ	مولده	كان حياً إلى سنة	وفاته
محمد بن يحيى المطيب	مجهول	١٠٢٦ هـ / ١٦١٦ م	مجهول
عبدالله بن صلاح بن داعر	مجهول	١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م	مجهول
عبدالصمد الموزعي	مجهول	١٠٣١ هـ / ١٦٢٠ م	مجهول
أحمد بن يوسف بن فيروز	مجهول	١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨ م	مجهول
عيسى بن لطف الله	٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م		١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م
مؤرخ مجهول	مجهول	١٠٢٦ هـ / ١٦١٦ م	مجهول

جدول رقم (٢)

مؤرخو المعارضة (المؤرخون المنحازون إلى جانب الأئمة الزيدية)

اسم المؤرخ	مولده	كان حياً إلى سنة	وفاته
الحسن بن محمد الزريقي	٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م		٩٦٠ هـ / ١٥٥٣ م
أحمد بن شايح اللوزي	مجهول	٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م	مجهول
صلاح بن داوود بن داعر	مجهول	١٠١٣ هـ / ١٦٠٤ م	مجهول
أحمد بن محمد الشرفي	٩٧٢ هـ / ١٥٦٤ م		١٠٥٥ هـ / ١٦٤٥ م
مطهر بن محمد الجرزموزي	١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م		١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م
مؤرخ مجهول	مجهول		١٠٠٨ هـ / ١٦٩٦ م

قائمة المصادر

أولاً القرآن الكريم

ثانياً: الوثائق المنشورة وغير المنشورة

- رسالة السلطان سليمان القانوني إلى المطهر بن شرف الدين وثيقة بالمركز الوطني للوثائق بصنعاء . تحت رقم ١/٨٩.
- وثائق مختارة من كتاب محمد عيسى صالحية: وثائق جديد عن حملة عن حملة سنان باشا. حويلات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثامنة، ١٩٨٩م.
- وثيقة رقم (١٩٢٢). خطاب السردارية إلى الوزير سنان باشا المرسل إلى اليمن.
- وثيقة رقم (٧٩) بدون عنوان (تتضمن موضوع إصلاح أوضاع اليمن وإمكانية عودة بعض الجنود العثمانيين إلى مصر).
- وثيقة رقم (٧٧١). حكم إلى بكربكي اليمن.
- وثيقة رقم (١٥٢٠) بدون عنوان. (تتضمن موضوع ضبط أوضاع اليمن، وترقية الوالي العثماني - بهرام باشا - ومنع وقوع الظلم على الرعايا في اليمن).
- وثائق مختارة من مقالة محمود علي عامر: النظم الإدارية العثمانية في اليمن . مجلة الأكليل، عدد ٢، سنة ١٩٨٩م، ص ١٢٣-١٢٤.
- وثيقة رقم (٤٤). حكم إلى بكربكي اليمن مراد باشا.
- وثيقة رقم (٧١١). حكم إلى مراد باشا بكربكي اليمن
- وثيقة رقم (٦١١). حكم إلى بكربكي اليمن
- وثيقة رقم (٦٠٣). حكم إلى الوزير مصطفى باشا الذي عين سردار لليمن.
- وثيقة رقم (٥٤٢). حكم إلى الوزير سنان باشا.
- وثيقة رقم (١٠). حكم إلى شمس الدين آغلو أحمد حاكم كوكبان باليمن.
- وثيقة رقم (١٧٨٠) بدون عنوان (مضمونها يتحدث عن كمية الأسلحة المقبوضة من اليمن سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م). وثيقة محفوظة بمكتبة الأستاذ: فؤاد الشامي.

ثالثاً: المخطوطات

- أحمد بن شايح اللوزي:
سيرة الإمام الحسن بن علي المؤيدي. مخطوطة محملة على قرص مدمج، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء.

- أحمد بن صالح بن أبي الرجال:
مطلع البدور ومجمع البحور . مخطوطة مصورة بمركز الدراسات والبحوث اليمني،
صنعاء. تحت رقم ٧، ٩٥٦.
- أحمد بن محمد الجابري:
سفينة السفر. مخطوطة محفوظة بمكتبة الأستاذ عبد الرحمن الحضرمي، بزبيد، منها
نسخة بمعية الباحث.
- أحمد بن محمد الشرفي:
اللائل المضيئة في أخبار أئمة الزيدية، الجزء الثالث. (مكتبة أمة الملك الثور)
- أحمد بن محمد المطيب الزبيدي:
رسالة إعراب خصوص أقصى تربة الوارد لفظها في دعاء الشيخ أبي حريه. رسالة ضمن
مجموع رقم ١٧، المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء.
- أحمد بن يوسف بن فيروز:
مطالع النيران في تاريخ اليمن. مخطوطة محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب
بالقاهرة تحت رقم ١٦٧ (منها صورة مع الباحث).
- الحسن بن علي الزريقي:
سيرة الإمام شرف الدين . مخطوطة محفوظة بمكتبة آل الهاشمي بصعدة، منه نسخة
محملة على قرص مدمج في مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية بصنعاء.
- صلاح بن داوود بن داعر:
سيرة الإمام شرف الدين. صنعاء، المكتبة الغربية بالجامع الكبير، مجموع رقم ٣٦. (منها
صورة مع الباحث).
- عبد الرحمن الحضرمي:
جامعة الأشاعرة. مخطوط محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة صنعاء.
- عبدالله بن صلاح بن داعر:
الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية. مخطوطة مصورة محفوظة بمكتبة جامعة
القاهرة تحت رقم ٢٦٤٢١. ج ١، ج ٢. (منها صورة مع الباحث).
- مجموع سفينة شعرية و رسائل الأئمة:
مخطوطة محفوظة على قرص مدمج بمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.
- محمد بن الظاهر البحر:
تحفة الدهر في نسب الأشراف بني البحر ونسب من حققنا نسبه وسيرته من أهل
العصر. مخطوطة محفوظة بمكتبة الدكتور حسن الأهدل. (منها صورة مع الباحث).

— محمد بن يحيى المطيب الزبيدي:

بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام. مخطوطة محفوظة في المكتبة الوطنية في باريس، منها صورة محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٢٢٨٩ تاريخ. (منها صورة مع الباحث).

— مجهول المؤلف

تاريخ دولة الترك في اليمن. مخطوطة مصورة على ميكروفيلم محفوظ في دار المخطوطات اليمنية بصنعاء تحت رقم ٢ (علبة رقم ٢).

— مجهول المؤلف:

التيجان الوافرة الثمن في تاريخ ولاية مولانا صاحب السعادة رضوان لقطر اليمن وذكر من وليه بعده بالوصف الحسن. مخطوطة مصورة محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٢٢٨٨ تاريخ، وهي مصورة عن نسخة باريس (منها صورة مع الباحث).

رابعاً: — الكتب المطبوعة:

— إبراهيم إبراهيم هلال:

ولاية الله والطريق إليها. دراسة وتحقيق لكتاب قطر الولي في أحاديث الولي، للإمام محمد بن علي الشوكاتي، القاهرة، دار الكتب الحديثة، (د.ت).

— احمد أمين:

ضحى الأسلام. بيروت، دار الكتاب العربي، ط: العاشرة، (د.ت). ج ١، ٢.

— أحمد السعيد سليمان:

تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل. القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م.

— احمد بن حنبل: (الإمام)

مسند أهل البيت. مؤسسة الكتب الثقافية، تحقيق: عبدالله النيثي، ط: أولى، ١٩٨٨م.

— أحمد سالم شيبان:

الوجود المملوكي في اليمن ١٥١٥-١٥٣٨م. الشارقة، دار الثقافة العربية، ط: أولى،

٢٠٠٢ م.

— أحمد بن سليمان بن محمد:

حقائق المعرفة في علم الكلام. صنعاء مؤسسة الإمام زيد الثقافية، ٢٠٠٣م.

* سرد أسماء المؤلفين في القائمة بدون ألقاب علمية أو اجتماعية.

- أحمد بن يوسف زبارة:
أنوار التمام في تتممة الإعتصام بحبل الله المتين. عمان، مطابع الجمعية العلمية
الملكية، ١٩٨٣م.
- إسماعيل بن كثير:
تفسير بن كثير. بيروت، دار المفيد، (د.ت).
- إسماعيل بن علي الأكوخ:
المدارس الإسلامية في اليمن . مؤسسة الرسالة ، ط: ثانية، ١٩٨٦.
مدخل إلى هجر العلم ومعاقلة في اليمن. بيروت، دار الفكر المعاصر، ط: أولى،
١٩٩٥م.
- إسماعيل بن محمد العجلوني:
كشف الخفاء ومزيل الإلتباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. بيروت، دار
إحياء التراث العربي، ط: أولى، ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م.
- أشواق غليس:
التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن. القاهرة، مكتبة مدبولي، ط: أولى،
١٩٩٧م.
- أميره علي المداح:
العثمانيون والإمام القاسم بن محمد بن علي في اليمن . جدة، تهامة للنشر،
ط: الثانية، ١٩٨٤م.
- أيمن فؤاد سيد:
المذاهب الإسلامية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري. القاهرة، اندار
المصرية اللبنانية، ط: أولى، ١٩٨٨م.
- مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي. القاهرة، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية.
١٩٧٤م.
- بشير محمد الخضرا:
النمط النبوي — الخلفي في القيادة السياسية العربية والديمقراطية. بيروت، مركز
دراسات الوحدة العربية، ط: أولى، ٢٠٠٥م.
- جان شوفيني:
التصوف والمنتصوفة: ترجمة عبدالقادر قيني، بيروت، أفريقيا الشرق للطباعة، ١٩٩٩م.
- حاجي خليفة:
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . مكتبة المثنى ، بيروت (د . ت)

- الحجاج بن مسلم: (الإمام)
صحيح مسلم. بيروت، دار أحياء التراث العربي، ط الثانية، ١٩٧٢م.
- حسن الباشا:
الألقاب الإسلامية في التاريخ و الوثائق و الآثار. القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.
- حسن علي مجلي:
الأوقاف في اليمن. صنعاء، مركز الشرعي للطباعة والنشر، ط: أولى، ٢٠٠٢م.
- الحسن بن هبه الله بن عبدالله الشافعي المعروف بابن عساكر:
تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: محب الدين بن سعيد بن غرامه العمروي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م.
- حسين بن عبدالله العمري:
المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث. بيروت، دار الفكر المعاصر، ط: أولى، ١٩٨٩م.
- سعيد عوض بأوزير:
صفحات من تاريخ حضرموت. عدن، مكتبة الثقافة، ١٩٧٥م.
- الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٦١م.
- سيد مصطفى سالم:
الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م. القاهرة، مكتبة مدبولي، ط: رابعة، ١٩٩٢م.
- المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول. القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٧١م.
- مراحل العلاقات اليمنية السعودية. القاهرة، مكتبة مدبولي، ط: أولى، ٢٠٠٣م.
- شوقي ضيف:
تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي. القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٦م.
- صالح بن عبدالله حميد:
نظرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم. دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط: أولى،
- صالح الحامد:
تاريخ حضرموت. صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط: الثانية، ٢٠٠٣م.
- عابد سليمان المشوخي:
المخطوطات العربية مشكلات وحلول. الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ٢٠٠١م.

- عبد الحكيم الهجري:
دراسة وتحقيق مخطوطة " تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من
غرائب الأخبار " للمؤرخ المظهر الجرهموزي. صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي
الثقافية، ط: الثانية، ٢٠٠٢م.
- عبدالرحمن بن حسن البهكلي:
خلاصة المسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد. تحقق: ميشيل توشيرير،
دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ٢٠٠٠م.
- عبد الرحمن بن خلدون:
مقدمة بن خلدون. بيروت، دار الفكر، ط: أولى، ١٩٩٧م.
- عبد الرحمن عبد الله الحضرمي:
زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ. صنعاء، المركز الفرنسي للدراسات
اليمنية، ٢٠٠٠م.
- عبد الرحمن بن علي بن الديبع:
الفضل العزيز علي بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى صالحيه،
الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط: أولى، ١٩٨٣م.
تيسير الوصول إلى جامع الأصول من أحاديث الرسول. مكتبة دار التراث، (د.ت).
- شمس الدين عبد الصمد الموزعي:
الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان. تحقيق: عبدالله الحبشي،
صنعاء، منشورات وزارة الوقاف والأرشاد، (د.ت).
الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان. القاهرة، نشر المعهد
الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٩٩م.
- عبد العزيز الشناوي:
الدولة العثمانية دولة الإسلاميه مفترى عليها. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ج١
١٩٨٧م.
- عبد الفتاح شايف نعمان:
الإمام الهادي يحيى بن الحسين. بيروت، مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد، ط: أولى،
١٩٨٩م.
- عبد القادر بن شيخ العيدروس:
النور السافر في أخبار القرن العاشر. بيروت، دار الكتب العربية، ط: أولى، ١٩٨٥م.

- عبدالكريم العزيز:
التشكيلات المركزية والإدارة العثمانية في اليمن. صنعاء، مطابع الصباحي، ٢٠٠٠م.
- عبد الإله الوزير:
طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى . تحقيق: محمد عبدالرحيم جازم ، صنعاء،
مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط: أولى، ١٩٨٥م.
- عبد الله البردوني:
اليمن الجمهوري. دار الأندلس، صنعاء، ط: الخامسة، ١٩٩٧م.
- عبدالله أبو داهش:
أهل تهامة والمخلاف السليماني وحلي بن يعقوب واحوازهما. الرياض، مكتبة الملك فهد
الوطنية ط: أولى، ١٩٩٩م.
- عبد الله فروان:
الخروج على الحاكم الجائر في الفكر السياسي الإسلامي. صنعاء ، أوان للخدمات
الأعلامية، (د.ت).
- عبدالله محمد الحبشي:
حكام اليمن المؤلفون المجتهدون. بيروت، دار القرآن الكريم، ط: أولى، ١٩٧٩م.
مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن. أبو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠٤م.
- عبد المجيد زراقط:
الشعر الأموي بين الفسح والسلطان. بيروت، دار الباحث، ط: أولى، ١٩٨٣م.
- علي المتقي بن حسام الدين الهندي:
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حلب، مكتبة التراث الإسلامي. ط: أولى،
١٩٧٤م.
- علي القرشي:
مسند شمس الأخبار المنتقى من كلام النبي المختار. صنعاء، مكتبة اليمن الكبرى،
ط: أولى، ١٩٨٧م
- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي:
الأحكام السلطانية. تحقيق: رضوان السيد، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٩م.
- عيسى بن نطف الله:
روح الروح في ما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح. تحقيق: إبراهيم
المحفي، صنعاء ، مركز عبادي للطباعة والنشر، ط: أولى، ٢٠٠٣م.

- فراس السواح:
الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية. دمشق، دار علاء الدين، ط:أولى، ١٩٩٧م.
- القاسم بن سلام العروي الأزدي:
كتاب الأموال . شرحه عبدالأمير علي المهنا، بيروت، دار الحدائث، ١٩٨٨م.
- القاسم بن محمد بن علي: (الإمام)
الإعتصام بحبل الله المتين. عمان، مطابع الجمعية العلمية الملكية، ١٩٨٣م.
- كارل بروكلمان:
الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية. تحقيق: صالح بن الشيخ أبو بكر، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط:أولى، ١٩٨٥م.
- ليلى الصباغ:
دراسة وتحقيق كتاب المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. للمؤرخ: محمد بن أبي السرور البكري. القاهرة، دار البشائر، ط:أولى، ١٩٩٥م.
- المبارك بن محمد بن محمد بن الأثير:
جامع الأصول من أحاديث الرسول. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج: ١٠، ١٩٨٤م.
- مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي:
لوامع الأنوار في جوامع الطوم والآثار. صعدة، مكتبة التراث الإسلامي، ط:أولى، ١٩٩٣م.
- التحف شرح الزلف. صنعاء، مكتبة بدر، ١٩٩٧م.
- محمد بن إبراهيم المفضل:
السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية. نشر: عبد الملك بن محمد الطيب، (د.ت) ، (د.م).
- محمد أحمد عبدالعال:
بنو رسول وبنو ظاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما. الإسكندرية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٠م.
- محمد بن أحمد العقيلي:
المخلاف السليماني. الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط:الثانية، ١٩٨٢م.

- قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي:
البرق اليماني في الفتح العثماني. بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط: الثانية،
١٩٨٦م.
- محمد بن أبي بكر الشلي:
السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر. تحقيق: إبراهيم
المقحفي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط: أولى، ٢٠٠٤م.
- محمد بن إسماعيل الكبسي:
اللطائف السنوية في أخبار الممالك اليمنية. القاهرة، مطبعة السعادة، (د.ت.).
محمد أحمد أنيس:
- الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ — ١٩١٤م. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،
١٩٨٥م.
- محمد عابد الجابري:
تكوين العقل العربي. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط: الخامسة، ١٩٩١م .
المسألة الثقافية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط: أولى، ١٩٩٤م.
- محمد عبد العزيز يسر:
الموروث الحضاري لمدينة صنعاء، جامعة صنعاء، ٢٠٠٤م.
- محمد عبد القادر بامطرف:
الشهداء السبعة. عدن، دار الهمداني للطباعة والنشر، ط: الثانية، ١٩٨٣م.
- محمد علي أبو ريان:
تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م.
- محمد علي زيد:
معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره. صنعاء، دار الكلمة، ط: الثانية، ١٩٨٥م.
- محمد بن عمر الطيب بافقيه:
تاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر. تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، صنعاء، مكتبة
الأرشاد ، ط: أولى ، ١٩٩٩م.
- محمد عيسى صالحية:
المخطوطات اليمانية في مكتبة علي أميري ملت — بأستانبول. بيروت، دار
الحدائث للطباعة والنشر، ط: أولى، ١٩٨٤م.
- محمد بن هاشم:
تاريخ الدولة الكثيرية. صنعاء، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط: أولى ، ٢٠٠٢م.

- محمد يحيى الحداد:
التاريخ العام لليمن. بيروت، دارالتنوير للطباعة والنشر، ط:أولى، ١٩٨٦م.
- محمد يحيى سالم عزان:
كتاب المسار، حديث إفتراق الأمة تحت المجهر. صنعاء، مركز التراث والبحوث
اليمني، ط:أولى، ٢٠٠١م.
- محمد يونس:
التكفير والدين والسياسة. القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ١٩٩٩م.
- المعهد الأمريكي لدراسات اليمنية، سلسلة: الدراسات المترجمة دراسات في تاريخ اليمن
الإسلامي، ترجمة نهى صادق. ٢٠٠٢م.
- نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد الرسولي الوارف:
تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم. صنعاء، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية،
ط: أولى. ٢٠٠٣م.
- وجيه كوثراني:
المسألة الثقافية في لبنان، الخطاب السياسي والتاريخ. بيروت، منشورات بحسون
الثقافية، ط أولى، ١٩٨٤م.
- يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي: (الإمام الهادي إلى الحق)
الأحكام في الحلال والحرام. جمعه علي بن أحمد أبي حريصه، مكتبة التراث
الإسلامي (د. م) ط: الثانية، ١٩٩٩م.
- يحيى بن الحسين بن القاسم:
غاية الأمان في أخبار القطر اليماني. تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة، دار الكتاب
العربي، ١٩٦٨م.
- يحيى بن الحسين الشجري:
الأمالي الخميسية. بيروت، عالم الكتاب، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.
- يحيى بن الحسين الهاروني:
تيسير المطالب في أمالي أبي طالب. ترتيب القاضي عبدالله حمود العزي، عمان،
مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية. ٢٠٠٢م.
- يحيى محمد المقراني:
مكنون السر في تحرير نحارير السر. تحقيق: زيد الوزير، صنعاء، مركز
الدراسات والبحوث اليمني، ط:أولى، ٢٠٠٢م.

خامساً : المعاجم و التراجم و الموسوعات:

- إبراهيم أحمد المقحفي:
معجم البلدان والقبائل اليمنية. دار الكلمة، صنعاء، ٢٠٠٢م.
- إبراهيم بن القاسم:
طبقات الزيدية الكبرى . صنعاء ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، ط:أولى،
٢٠٠١م.
- أحمد بن أحمد الشرجي:
طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص. بيروت، دار المناهل، ط:أولى، ١٩٨٦م.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني:
الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق : طه الزين، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط:
أولى ، ١٩٧٦م.
- أحمد بن محمد بن خلكان:
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت، دار صادر، ١٩٧٧م.
- إسماعيل بن علي الأكوغ:
هجر العلم ومعاقله في اليمن. دار الفكر، بيروت، ط أولى، ١٩٩٥م.
- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني:
صفة جزيرة العرب: تحقيق / محمد بن علي الأكوغ، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط أولى،
١٩٩٠م.
- حسين مجيب المصري:
معجم الدولة العثمانية . القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٨٩م.
- خير الدين الزركلي:
الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين و المستشرقين.
دار العلم للملايين، بيروت، ط:الخامسة، ١٩٨٠م.
- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي:
الوافي بالوفيات. بيروت، دار صادر، ١٩٩١م.
- سهيل صابان:
المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. الرياض، مكتبة المنك فهد،
٢٠٠٠م.
- جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي:
طبقات الشافعية. تحقيق/ عبدالله الجبوري، بغداد، مطبعة الإنشاء، ١٩٧٠م.

- عبد السلام الوجيه:
- أعلام المؤلفين الزيدية. صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط:أولى، ١٩٩٩م.
- عمر بن سمرة الجعدي:
- طبقات فقهاء اليمن. تحقيق/ فؤاد سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:الثانية، ١٩٨١م.
- فؤاد محمد النادي:
- موسوعة الفقه السياسي الإسلامي، طرق إختيار الخليفة. القاهرة، دار الكتاب لجامعي، ط:أولى، ١٩٨٠م.
- محمد أحمد الحجري:
- مجموع بلدان اليمن وقبائلها. تحقيق: إسماعيل الأكوع، صنعاء، دار الحكمة اليمانية، ط:الثانية، ١٩٩٦م.
- محمد أمين المحبي:
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. دار صادر، بيروت، (د.ت).
- محمد بن سعد الزهري:
- الطبقات الكبرى. تحقيق: رياض عبد الهادي، بيروت، دار أحياء التراث العربي، ط:أولى، ١٩٩٦م.
- محمد بن عبد الرحمن السخاوي.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. بيروت، دار مكتبة الحياة (د.ت) المجلد الثاني.
- محمد بن علي الزحيف:
- مآثر الأبرار في تفاصيل مجملات جواهر الأخبار. صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ٢٠٠٣م.
- محمد بن علي الشوكاتي:
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. تصحيح محمد بن محمد زبارة، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، (د.ت).
- محمد التوينجي:
- المعجم الذهبي فارسي — عربي. بيروت، دار القلم للملايين، ط:أولى، ١٩٦٩م.
- محمد سعد بسيوني:
- موسوعة أطراف الحديث النبوي. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط:أولى، ١٩٨٩م.
- محمد شفيق غريال:
- الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، مؤسسه فرنكلين للطباعة والنشر. (د.ت)

- مطهر بن علي الإرياتي:
معجم الألفاظ اليمينية: دمشق، دار الفكر، ط:أولى، ١٩٩٦م.
- محمد بن محمد زبارة:
نشر العرف لنبلأء اليمء بعد الألف. صنعاء، مركز الأءراساء البءوء أيمئي، ط:
الأائءء، ١٩٨٥م.
- محب الءين أبي فيض محمء مرآضئ الحسينئ الواسطي الزبيءئ الحنفئ:
آاء العروس من آواهر القاموس: بيروء، ءار الفكر، ١٩٩٤م.
- جمال الءين محمء بن مكرم ابن منظور:
لسان العرب المحيظ. ءار لسان العرب، بيروء: لسان العرب، (ءء).
- الموسوعء الإسلامئءة المآآصرة:
ءار الحكمة، بيروء، ط:الأائءء، ٢٠٠٠م.
- الموسوعء اليمئئءة:
مؤسسة العفيف الأآافئءة، صنعاء، ط:الأائءء، ٢٠٠٢م.
- يوسف عبءالله بن محمء بن عبء البر:
الاسآعاب. في معرفة الأصحاب. آآقئ/ طه الزئئئ، القاهرة، مكآبة الكليات الأزهرئء،
١٩٧٠م
- سادساً : الرسائل العلمئءة:
- أحمء بن محمء الشرفئ:
اللائئ المضيئءة في أآبار الأئمة الزئءئءة. الجزء الأئئئ، ءراسءة وآآقئ : سلوى المؤئء:
رسالة ماجسآئر غير منشورة، كلية الآءاب، آامعة صنعاء، ٢٠٠٢م.
- آالء العفئرئ:
الأآقئر الآرافئ وعلاقآه ببعض المآآئرءات في المآآمع اليمئئ. رسالة ماجسآئر غير
منشورة، كلية الآءاب، آامعة صنعاء، ٢٠٠٢م.
- الطئب عبءالله بن أحمء بامآرمة:
قلاءة الأآر في وفيات أعيان الأهر. الجزء الأئئ، ءراسءة وآآقئ :محمء يسلم
عبءالنور، رسالة ماجسآئر غير منشورة، كلية الآءاب، آامعة صنعاء، ٢٠٠٣م.
- محمء أحمء الكامل:
الأءوئء الأآرئئئ في القرن الأئمن الهجرئ. رسالة ماجسآئر غير منشورة، كلية الآءاب
آامعة صنعاء، ٢٠٠٠م.

— مطهر بن محمد الجرموزي:

الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة. دراسة وتحقيق: أمة الملك قاسم الثور،
تحت عنوان بناء الدولة القاسمية في عهد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم.
أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٤م.

النبهة المثيرة في جمل من عيون السيرة. دراسة وتحقيق: عبد الحكيم الهجري، تحت
عنوان ثورة الإمام القاسم بن محمد ضد الوجود العثماني الأول في اليمن. أطروحة
دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٥م.

— ونيد عبدالحميد النود:

الدولة القاسمية في اليمن جذورها وأسس قيامها (١٠٠٦هـ / ١٥٩٧م) (١٠٤٥هـ /
١٦٤٤م). رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، ٢٠٠٢م.

سابعاً: الدوريات والندوات:

— محمود علي عامر:

اليمن من خلال لاحتني محمد خليل افندي. مجلة الأكليل، العدد الأول، ١٩٨٩م. من
ص ٧٩ إلى ص ٩٩.

قافلة الحج اليمني. مجلة الأكليل، العدد الأول، ١٩٩٢م، من ص ٣٣ إلى ص ٤٥.

— بدر الأغبري:

عوامل إزدهار التعليم في عصر الدولة الرسولية. ندوة الحياة العلمية والفكرية في
عصر الدولة الرسولية، المدرسة الياقوتية في عدن ودور المدارس الإسلامية في
اليمن في نشر التعليم، جامعة عدن، ٢٠٠١م.

— رياض المشرقي:

التعليم في اليمن خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ندوة الحياة العلمية والفكرية
في عصر الدولة الرسولية، المدرسة الياقوتية في عدن ودور المدارس الإسلامية
في اليمن في نشر التعليم. جامعة عدن، ٢٠٠١م.

— زيد بن علي الفضيل:

الصراع العثماني الإمامي في اليمن بين الأختلاف السياسي والخلاف الطائفي. دول
مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور، الدوحة، ٢٠٠٤م.

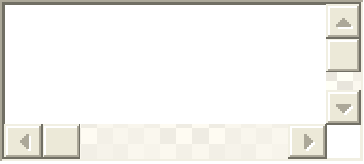
ثامناً : الكتب والدوريات الأجنبية:

Bidwell Robin : - -
The Two Yemens . Longman Westview Press, U.S.A, first
published, 1983.

Blackburn , J.R: -- Tow (دورية) --
Documents on the Division of Ottoman Yemen in
to tow Beglerbegiliks (973 / 1565). in Turcica ,Tome xxvii,
Editions, Peeter No 27,1995

٦٦٦٩٩٣

Sergeant , R B : -
- The Portuguese off the south Arabian Coast. Oxford
University Press, The Second Edition, Lebanon, 1974.
- Sana`a an Arabian Islamic city .the post medieval and modern
History of Sana,a.
first published in 1983 by the world of Islam Festival Trust.



[AddDelete](#)

Demo Version

You are using the DEMO version of RAD PDF. **Buy RAD PDF Now!**

Click to close

